نهاد حشيشو

ألمانيا والعرب

دراسة في العلاقات الألمانية - العربية



Deutschland

دار نلسن

نهاد حشيشو

ألمانيا والعرب



دار نلسن

- تصميم وإخراج الكتاب: كارينا ويزاين- السويد
- الإشراف والإخراج الفني دار نلسن- لبنان
- طبع في بيروت - الطبعة الأولى 2016

- البريد الالكتروني: darnelson@hotmail.com
- هاتف: 739169- 01



المؤسس يوسف سلامة (1925-2000)

المقدمة

تعيش ألمانيا، نهضة إقتصادية مشهوداً لها، وصعوداً سياسياً جعل منها رقماً صعباً في المنظومة الأوروبية.

فالبلاد بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغم مآسيها التي يتحمل جزءاً كبيراً منها نظام الرايخ الثالث بزعامة أدولف هتلر النازي، تمكنت من التطور والإرتقاء بدأب وإصرار لافتين، إلى مستوى رفيع من التقدم الإقتصادي الصناعي كما الإجتماعي، بحيث تنامت قدراتها وبخاصة بعدما لاحت أمامها فرصة توحيد جزئيها المنقسمين شرقاً وغرباً فأصبحت واحدة تشق طريقها نحو التألق والريادة العالمية.

إن علاقتها مع العرب دولاً وشعوب آخذة بالتطور هي أيضاً. ويبدو أن مسار ومستوى هذا الإرتقاء التطوري، مرشحان للنمو والتفاعل، بعد أن فاجأ "الربيع العربي" بإرهاصاته وحيثياته ونجاحاته الشعبية والمؤسساتية المتوقعة، كل موروثات العديد من هذه النظم المتهاوية، بحركة تغييرية سريعة، جعلت من متتبعي وقائعها يشهدون إنهيارها وزوال الإستبداد والقهر والفساد من ربوعها والتطلع برحابة نحو المستقبل.

هذا الكتاب هو محاولة لدراسة العلاقات الألمانية - العربية من حيث التأثير والفعالية، كما الشراكة الإنسانية والمصالح والجدوى الثقافية والإقتصادية والسياسية. إن الهدف من هذه الدراسة هو تتبع المسار التاريخي لتلك العلاقة لكشف أبعاد السياسة الألمانية في المنطقة وإستشراف آفاقها المستقبلية، تلك الأنشطة التي إبتدأت تبشيرية دينية ثم إنتهت بتعددية إبداعية معاصرة في زمن العولمة الجديد.

إن التصدي لمهمة تأليف وإعداد كتاب عن ألمانيا والعرب في هذه المرحلة الإنعطافية الهامة من واقعنا وتاريخنا العربي والإسلامي ليست بمسألة ثانوية، مع ما تمثله ألمانيا من قوة أوروبية ودولية، إقتصادياً وسياسياً وثقافياً وحضارياً، فهي تحتل موقعاً هاماً في إطار مجمل هذه العلاقات والتكوينات، كما أنها، أصبحت أكثر تأثيراً وأشد فاعلية عما كانت عليه، بعد أنها توحدّت في مطلع تسعينيات القرن المنصرم،

لتنتقل للعب دور هام على صعيد الإتحاد الأوروبي والعالم. ولا شك في أن الوجود العربي في ألمانيا، آخذ في التنامي والتطور، ليبلغ راهناً، أرقى المستويات من حيث حجم العمالة والعلاقات الإقتصادية والثقافية والسياسية التي إنتهجها في هذا السياق، جرّاء إرتفاع نسب المهاجرين العاملين والمتوطنين في ربوع تلك البلاد.

على هذا الأساس، كان إعداد كتاب عن ألمانيا والعرب، بما تضمنه من معلومات وإحصاءات وحقائق، جاءت في مجملها حديثة وموضوعية، مسألة إستحقت التحقيق والجهد لتكون عملاً مطبوعاً يُضاف إلى المكتبة العربية، فيستفيد من وجوده مجمل المهتمين والباحثين الألمان والعرب والدارسين ورجال الأعمال وشرائح متنوعة في مجتمعنا العربي والإسلامي.

تضمّن الفصل الأول من الكتاب بقسميه الأول والثاني تعريفاً بالحيّز الجغرافي لألمانيا ومداه التكويني والحيوي، إضافة إلى الإتصال الإسلامي العربي الأول والإحتكاكات الإقتصادية والحضارية والثقافية والإنسانية اللاحقة. من هذا المنطلق برز الكلام حول تشكّل المدرسة الجيوبوليتيكة الألمانية والنظريات السياسية والإقتصادية الأوروبية الدولية مع ملاحظة كيفية تطبيق هذه المسارات.

في القسم الثاني تناول الكتاب تاريخ وواقع علاقات ألمانيا بالعرب القديمة والمعاصرة. فتمت الإشارة إلى ثقافة الإستشراق ووسائل مدّ النفوذ الألماني إقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

في الفصل الثاني تعرض الكتاب في قسمه الثالث لجذور التواصل التاريخي والسياسي والإقتصادي والثقافي مع الإسلام مع الإلتفات إلى واقع الوجود الإسلامي والعربي الراهن.

أما في الفصل الثالث وفي قسميه الرابع والخامس فجرى الكلام حول مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مرحلة الحرب الباردة، وتأثير المشكلة الفلسطينية في مسار الصراع على الشرق الأوسط. كذلك عن تجدد دور المستشرقين الألمان وطبيعة العلاقات الثقافية المستجدة، ودور الشخصيات العربية والألمانية في تقاطعاتها التراثية والحضارية المشتركة.

في الفصل الخامس والأخير تركّز الكلام حول ألمانيا الجديدة بعد إنجاز

وحدتها في العام 1989... نوعية العلاقات مع الدول العربية والجهود المبذولة لتطوير آفاقها (إقتصاد، هجرة، عمالة، ثقافة...إلخ).

ويأتي في نهاية الكتاب الحديث حول الرد على سؤال مفاده: هل ينحاز العرب لتطوير العلاقات مع ألمانيا على حساب الأوروبيين والأميركيين أم تماثلاً معهم؟

أما الخاتمة فقد تم خلالها تقييم آفاق علاقة العرب بالألمان: الإخفاقات، المكاسب والنجاحات... المآل والآمال!

الفصل الأول

تمهيد

كانت بيزنطة المجال الصراعي الحيوي المتقدم للعمق الإسلامي ونقطة التماس بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية. أما عندما نسأل عن بيزنطة ومكوناتها البشرية فهي بقبائلها وأعراقها نواة للواجهة المسيحية لأوروبا التي عبرها دخل الصليبيون إلى الشرق الإسلامي العربي لتحرير القدس قبلتهم الدينية وإنتزاعها من سلطة وتحكّم المسلمين. وآل الصدام مع بيزنطة إلى تمكنها من إحتلال جميع الثغور الحصنية وأخذها طرطوس وإنطاكية، وأخيراً تمكن البيزنطيون في سنة 351هـ/962م من إختراق مدينة حلب، عاصمة سيف الدولة الحمداني، ولقد دمرّ الجيش البيزنطي هذه المدينة تدميراً مريعاً. ولم يتركوا حلب إلا بعد إبرام معاهدة مفصلة إحتفظ لنا إبن العديم مؤرخ حلب بنصّها. وتعتبر هذه المعاهدة من أهم وثائق القرن العاشر وتندرج تحت مواد سياسية وتجارية وإجتماعية ودينية هامة. بعدها، تمكن الصليبيون من إجتياح القدس والسيطرة عليها في 16 تموز/يوليو سنة 1099م، وجعلوها مركزاً لثالث دولهم وأعلاها مرتبة.

وتعتبر الحملات الصليبية على المشرق تتويجاً لتحالف حكّام أوروبا من ملوك وأمراء للقبائل الفرنسية والإنغلوسكسونية والجرمانية إلخ...

وإثر سلسلة طويلة من المعارك المتقطعة وفترات هدنة بين الصليبيين والمسلمين العرب إنتصر المسلمون في معركة حطين وذلك في العام 1187م وبات أمر وجود الصليبيين في المشرق قضية زمن لا أكثر، وأنهى نصر حطين المرحلة الثالثة من مراحل تاريخ فتوحاتهم في المشرق. كان هذا الإشتباك البيزنطي الصليبي العربي الإسلامي هو الإشتباك الثاني. أما الإحتكاك الأول فجسدته حملة طارق بن

زياد عام 92/هـ 711م في زمن الحكم الإسلامي موسى بن نصير نحو شواطئ جنوب إسبانيا. وقد دعا العرب البلاد الجديدة التي سيطروا عليها بالأندلس(*).

إستمر البيزنطيون في حكمهم وعاصمتهم القسطنطينية إلى حين سقوطها عام 1453م وسيطرة العثمانيين عليها الذين توسعوا في حروبهم بدءاً من البلقان وصولاً إلى أسوار مدينة فيينا التي طرقوا أبوابها بجحافلهم.

يبقى القول أن إحتكاك المسلمين العرب بأوروبا المسيحية قديم وقد توزع على مراحل زمنية عديدة ومتفاوتة لكن ماذا بالتحديد عن الإحتكاك الألماني العربي الإسلامي الحديث والتحالف العثماني الألماني؟

القسم الأول

الإتصال الإسلامي العربي الألماني إقتصادياً وسياسياً

حتى حدوث الأزمة المصرية وهزيمة محمد علي باشا وإبنه إبراهيم عن طريق التحالف الرباعي الدولي (روسيا، النمسا، بروسيا والسلطنة العثمانية) وبتعاون بريطانيا مع روسيا في حل هذه الأزمة، كانت بروسيا لا تعير القضايا الشرقية الكثير من الإهتمام. فقد أنصبّ همها في الحصول على مركز مرموق في "المجموعة الأوروبية". فخلال حرب السنوات السبع 1756 – 1763م حاول ملك بروسيا فريديرك الثاني أن يكسب الدولة العثمانية كحليف له ضد النمسا وروسيا، لكن المفاوضات باءت بالفشل لرفضي الباب العالي التورط في "المسألة الأوروبية"[1].

(*) يسود الإعتقاد بأن هذا الإسم قد جاء من لفظة Vandalicia نسبة إلى الغزاة الفندال Vandal، وقد إستعمل هذا الإسم ليشمل الجزء الذي إحتله العرب من شبه الجزيرة الإيبيرية، ويطلق الآن على الجزء الجنوبي الشرقي من إسبانيا حيث عاش بقية العرب في الفترة ما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر (أنظر كتاب تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، سهيل زكار، دار الفكر ط1، بيروت، 1977).

(1) المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901م، د. عبد الرؤوف سنو، معهد الإنماء العربي، بيروت ط1، 1987م، ص 21.

غير أن بروسيا تمكنت في 22 آذار/مارس 1761م من عقد إتفاقية صداقة ومعاهدة تجارية، مع الدول العثمانية حصلت بموجبهما على إمتيازات مساوية لتلك التي حصلت عليها الدول الأوروبية الأخرى، وأهمها ما يتعلق بالتجارة الألمانية في الدولة العثمانية وكذلك إمتيازات للوزير البروسي في الآستانة. وأخيراً حرية ممارسة البروسيين لشعائرهم الدينية[2].

رغم تجديد هاتين المعاهدتين في عام 1790م، إلا أنهما لم تساعدا على تمتين العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين. فلوقت طويل لم تمارس بروسيا أي دور سياسي بارز في ما يتعلق بالمسألة الشرقية. كذلك ظلت العلاقات التجارية بين بروسيا ودول الهنزا من جهة وبين الدولة العثمانية ضعيفة بسبب الصناعة الألمانية نفسها التي كانت أقل تطوراً من الصناعات الأوروبية الأخرى، تمزق السوق الألمانية الداخلية، الحصار القاري في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكذلك نظرة الدولة العثمانية إلى بروسيا على أنها دولة أقل شأناً من الدول الأوروبية الكبرى. وكان لإفتقارها إلى بحرية حربية ألمانية آثار سيئة على التجارة الألمانية مع الشرق. فقد عجزت السفن التجارية الألمانية عن مقاومة "الجهاد البحري" أو "القرصنة"، كما يطلق الغرب على تلك الحركة الإسلامية التي كانت تقوم بهاد دويلات المغرب العربي في شمال أفريقيا. فخلال القرن الثامن عشر فشلت كل المحاولات الألمانية للوصول إلى إتفاقات سلمية مع هذه الدويلات[3].

كما ظهر بوضوح عجز الباب العالي في ضمان حرية التجارة في البحر المتوسط. وبديهي ألا تكترث الدول الأوروبية الأخرى لحل مشكلة التجارة الألمانية في المتوسط، فقد كانت الدول الأوروبية تتقاضى أجور شحن وتأمينات مرتفعة من جرّاء نقل البضائع الألمانية على متن سفنها إلى مرافئ البحر المتوسط التي كانت تحميها السفن الحربية أو عقود مع دويلات المغرب العربي. وبذلك كان تقديم أي مساعدة للأسطول التجاري الألماني في عبوره إلى المتوسط معناه خسارة صفقة رابحة. ولم تُحل مشكلة التجارة الألمانية إلا بعد صلح أدرنة عام 1829م وبعدما إحتلّت فرنسا

---

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

الجزائر عام 1830م وأرغمت كلاً من تونس وطرابلس الغرب على الإمتناع عن "القرصنة" ما جعل البحر المتوسط أكثر أمناً للتجارة الألمانية.

تمثل الفترة الممتدة بين صلح أدرنة وبين إنهاء الأزمة المصرية في عام 1840م نقطة تحول هامة في السياسة الروسية. لقد شاركت أخيراً بنشاط في المسألة الشرقية مما زادها تورطاً في قضايا المشرق العثماني. وخلال ذلك طرحت بروسيا مشاركة بريطانيا في خطة للتدخل المباشر في شؤون فلسطين[4]. وقد شكل إنشاء مطرانية القدس بجهود بروسية – إنكليزية مشتركة نقطة الإنطلاق لدخول النفوذ البروسي الألماني إلى المشرق العربي. وسعت بروسيا إلى إقامة مشروع من أجل فرض حماية أوروبية على الأماكن المقدسة في فلسطين. غير أن هذا المشروع قد فشل. فالسلطان العثماني بصفته "خليفة" وحامي الأماكن المقدسة للإسلام، مكة، المدينة والقدس، لم يكن يستطيع ولا يُسمح له بإقتطاع أراضي إسلامية مقدسة أو التنازل عنها للمسيحيين. فتجارب الدولة العثمانية بالتخلي إكراهاً عن أراضي البلقان أو في الولايات الشمالية للسلطنة إلى الدول المسيحية كان لا يمكن تكراره في فلسطين. وفي هذا المعنى جاء رفض مجلس القدس في عام 1838 م إبان الحكم المصري مشروعاً يهودياً قُدّم إلى محمد علي باشا من أجل شراء أراضي في فلسطين والإستيطان عليها. وإتخذ الباب العالي الموقف نفسه عام 1840م إزاء مشروع بريطاني لتوطين اليهود في فلسطين[5].

مطرانية بروسية – إنكليزية مشتركة في القدس

بعد كل هذه الجهود والمحاولات التي قامت بها بروسيا للنفاذ إلى سوريا وفلسطين تحت ستار ديني، إنساني، تكللت مساعيها السياسية بالنجاح. ففي بداية عام 1841م وُضعت اللمسات الأخيرة على إتفاقية إنشاء المطرانية. وتبعاً لذلك تقرر أن تكون "مطرانية كنيسة إنكلترا المتحدة في القدس" مطرانية إنكليزية. فالمطران نفسه تقرر أن يعين بالتناوب بين بريطانيا وبروسيا. ولكن كان عليه أن يكون تابعاً للكنيسة

[4] المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901م، د. عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 22.

[5] المرجع السابق، ص 28.

الأنكليكانية وتحت إشراف رئيس أساقفة كانتربوري Canterbury وأن تمتد سلطته الروحية والحقوقية الكنسية على كل رجال الدين الإنكليكانيين والجالية البريطانية وأيضاً كل المؤسسات والجمعيات والأشخاص المرتبطين بكنيسته في كل من فلسطين، سوريا، كلدانيا، مصر والحبشة، الذين يريدون طواعية أن يضعوا نفوسهم تحت سلطته. أما رجال الدين الألمان فقد خيّروا بالإنضمام إلى المطرانية، إلا أنه توجب عليهم الحصول على تكريسهم وفقاً لقوانين الكنيسة الإنكليكانية. أما مسائل التبعية القومية فلم تعر أي إهتمام. ولتأمين إنطلاقة ناجحة للمطرانية فقد تبرع ملك بروسيا بمبلغ 20 ألف جنيه لتغطية نصف راتب المطران السنوي[6].

كانت طموحات ألمانيا، في ذلك الحين، لتعزيز نفوذها في مناطق الدولة العثمانية (سوريا، لبنان، فلسطين) تتصاعد مع إزدياد ونمو تجارتها مع هذه الدولة. فمنذ عام 1890م، أخذت تجارة فرنسا مع تركيا بالتراجع، بينما تطورت تجارة ألمانيا معها وزادت حجماً. وبعد إنشاء شركة الخطوط الألمانية المشرقية Deutshe Levante Linie عام 1889م، أخذت الصادرات من هامبورغ إلى الدولة العثمانية بالتزايد. ومنذ عام 1898م، حصلت ألمانيا على إمتياز بناء سكة حديد بغداد الذي أثار ضجة كبرى في الدول الأوروبية. وتم تمويل المشروع بإتفاق بين البنك الألماني Deutshe Bank والبنك الإمبراطوري العثماني وشركة إزمير – قصبة La cie de Smyrne – Cassaba الفرنسية وأبرم في 6 آذار/مارس 1899م. ولم يقتصر التنافس الفرنسي–الألماني على المشرق العربي، وإنما إمتد إلى سلطنة مراكش. فقد أبرمت ألمانيا ومراكش إتفاقية في الأول من حزيران/يونيو 1890م حصلت بموجبها البضائع الألمانية على تخفيض في الرسوم الجمركية، مقدراه 19 بالمئة وأنشأت ألمانيا خطاً بحرياً بين الموانئ الألمانية والموانئ المراكشية في (طنجة). كذلك إزدادت صادرات ألمانيا إلى كل من تونس والجزائر (ثلاث مرات). لقد كان التنافس الفرنسي الألماني في المشرق أشد منه في المغرب.

[6] المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901م، د.عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 29.

النظرية الجيوبوليتيكية

تختص النظرية الجيوبوليتيكة بدراسة الدولة من وجهة النظر السياسية في إطار واقعها الجغرافي، وترى أن تطور الدولة ونموها وإرتقاءها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الجغرافية، مضافا إليها فتراتها المادية والمعنوية، إن الدراسات الجيوبوليتيكية -حسب أوتومول- تهتم بالدولة لا على أساس مفهوم جامد، بل باعتبارها كائنا حيا ينمو ويتحرك، ولا ينبغي أن تكون هذه الحركة عشوائية، أو تفتقر إلى وضوح الرؤية والهدف، إنما ترتبط هذه الحركة بأهداف ومقاصد سياسية معلومة ومحددة، وتأتي في مقدمة هذه الأهداف ما يعرف بالمجال الحيوي، والمجال الحيوي وفق التصور الجيوبوليتيكي، هو الإطار المكاني أو الحيز الجغرافي الذي تعتقد الدولة أن التحرك باتجاهه يعد ضروريا لتحقيق أهداف سياستها العليا.

لقد إستخدمت عبارة جيوبوليتيك لأول مرة عام 1905م من قبل السويدي جون رودولف كيغلن، أستاذ التاريخ والعلوم السياسية في جامعة غوتبرغ Goteborg برأيه أن للجيوبوليتيك، من خلال طبيعتها الفيزيوجغرافية، أربعة خصائص وأشكال. كأراضي ودولة وهي تحتضن في نشاطاتها الإقتصادية طبائع الشعب الوطنية والعرقية، وكجماعة إجتماعية الطبقات والمهن والحكومات في طبائعها الدستورية والإدارية. كل هذه العناصر تعمل في زمن السلام وتناضل في زمن الحرب. من هنا فإن الجيوبوليتيك تقوم بإسناد الإستراتيجية من خلال تحديد الأجزاء الحساسة. ويتم في هذا المجال التمييز ما بين المجال والمكان والموقع. فألمانيا كدولة قارية على سبيل المثال لديها ثمانية حدود برية. أما بريطانيا فهي جزيرة وليس لديها حدوداً برية. هي دولة بحرية. إضافة إلى جيران الحدود هنالك أيضاً أهمية كبيرة لخطوط المواصلات والإتصالات. بالنسبة لراتسل فإنه يضع الدولة في قلب تفكيره ويرى أن الشعب المنفتح والنامي مرتبط حكماً بالمجال الحيوي الذي هو بحاجة إليه. لذلك قام بتطوير لصوره الأولي عن المجال الحيوي الذي عاد فإستخدمه لاحقاً.

ومن هنا تنطلق النظريات الجيوبوليتيكية في تفسيرها للنزاع الدولي، وفي تسليطها الضوء على الأسباب التي تدفع بالدول إلى التوسع والدخول في نزاعات مع غيرها.

وقد ذاع صيت هذه النظريات مع بروز المدرسة الألمانية في مطلع القرن 19م، وذلك عندما أرسى المفكرون الألمان أحد الركائز الأساسية في علم الجيوبوليتيكا وهي أن الدولة- ككائن حي- له أهداف يتطلع إلى تحقيقها، وذلك من خلال توظيف الحتمية الجغرافية التي تحكم وجوده، فالدولة ليست حقيقة جغرافية، ثابتة، بل هي كائن حي يتحرك نحو مجالات حيوية تعد ضرورة لبقائه واستمراره.

وإبتداء من المدرسة الألمانية عرفت الأفكار الجيوبوليتيكية رواجًا كبيراً، حيث أبدع الباحثون في صياغة قوالب نظرية ذات قدرة تفسيرية هائلة لمسألة الفراغ الدولي، تحلل وتشرح الأسباب الكامنة وراء اندفاع الدول إلى التوسع والانغماس في نزاعات حادة مع غيرها، وعرفت الساحة الأكاديمية منذ ذلك الحين مدارس عدة ذات توجهات مختلفة، نذكر منها المدرسة الانجليزية، المدرسة السوفياتية، المدرسة الأمريكية والمدرسة الفرنسية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ظهرت لدى الفرنسيين آراء علمية في هذا العلم، معارضة لمطروحات الألمان في زعمهم أن "الدولة كائن حي ذو حدود ديناميكية تتحرك بنمو الدولة، وأنها يجب أن تقوي نفسها بتوسيع رقعتها لكي تستطيع البقاء"، ويقول الفرنسيون أن "الدولة" هي ما استقرت بسكانها في داخل حدود ثابتة مستقرة، وتقوم بين سكانها "وحدة قومية" ثقافية حيث يرتبطون بروابط عرقية ولغوية ودينية وتاريخية واحدة، ويرون أيضا أن الدولة لكي تحيا وتستمر لابد لها من العمل على توسيع مجالها "مجال نفوذها خارج رقعتها الأصلية"، ليس من الضروري أن يكون ذلك على حساب جيرانها.

فلا يربط علماء الجيوبوليتيك الفرنسيون "رفاهية الدولة" بتوسيع تحققه في رقعتها الأصلية – تحريك حدودها- ودللوا ذلك بدول أوروبية صغيرة "كالسويد والدانمارك" حققت أشياء كبيرة دون أن توسع من رقعتها ودون أن يكون لها مجال سياسي كبير خارج حدودها،حيث بنو آراءهم في استراتيجية الدولة على أنه يمكن أن توسع من مجالها -خارج رقعتها- دون الاحتكاك بالجيران، ويمكن أن يتم ذلك خارج أوروبا، ومن ثم كان الاهتمام بالتوجه إلى الاستعمار.

المدرسة العسكرية الجيوبوليتيكية الألمانية

الجغرافيا هي عين التاريخ كما يصفها معاصرو وعلماء القرن التاسع عشر خارج الجغرافيا لا حكومات، لا تجارة ولا رحلات، هي ضرورية للبشر وغير مهمة للعديد من الناس. تستمد الجغرافيا أهميتها من كونها عاملاً مستقراً، بينما التاريخ هو عامل متحرك ومتغير وقد يكرر نفسه ولكن بوسائل وظروف مختلفة.

عرف العالم الإستراتيجيات الكونية منذ الحروب النابوليونية التي عملت على تفكيك أوروبا وتفتيتها إلى دويلات وإمارات وممالك – وقد دفعت بروسيا الثمن الأكبر وكذلك إيطاليا من جراء ذلك.

الأكاديمية الجغرافية البروسية إهتمت بالعرق الجرماني واللغة ووحدة الأراضي الجرمانية. كما إهتمت أكاديمية برلين العسكرية بإعداد الضباط إعداداً مصرفياً بالجغرافيا السياسية والطبيعية، كونهما المجال أو المحيط الذي يتم العمل عليهما. فعلم الجغرافيا، برأي هذه الأكاديمية هو علم الحرب. وقد خرجت من بين صفوفها قادة وضباطاً مهمين لعبوا دوراً في عمليات جيوشهم التابعين لها[7].

كان ريتر Ritter ومنذ عام 1820م أستاذاً في هذه المدرسة العسكرية. وقد أصبح الكونت Vom Room، أحد تلامذته، وزيراً للحربية. كذلك مولتيك Moltke الذي عاصر أستاذ الحرب الألماني كلاوزفيتز Klauswitz الذي كانت إحدى قواعد تقاريره الأساسية البحث الدؤوب لإستخراج معنى للجغرافيا يمكن معه للإرتقاء بالفن العسكري.

لقد كان الجيش البروسي مميزاً في أدائه بين سائر الجيوش الأوروبية كونه كان يعرف أهمية وكيفية إستخدام الجغرافيا العسكرية. والفضل في ذلك يعود إلى ريتر. فقد حوّل دراسة الإقتصاد الأوروبي إلى مادة فعل وتأثير مباشر. الجغرافيا، بالنسبة إلى الضباط الألمان، هي أولاً أرض غير معروفة. وعلينا أن ندرسها ونقرأها من خلال العوامل الخاصة لكن الأساسية في المجال العسكري. كانت العقيدة العسكرية البروسية تسعى لتقوية مدرستها من أجل أن تكون أكبر مركز مصرفي جغرافي في ذلك الزمن. وكانت تركّز على النظام والتنظيم. وتوليهما أهمية كبرى[8].

(7) Michel Koriman quand L`allemagne pensait le monde (France, paris Fayard, 1990,pq)

(8) المرجع السابق، ص 12.

إن الإهتمام الألماني بالجغرافيا، أكاديمياً وعسكرياً، كان يعني إيلاء ذلك العامل المهم مكانته المرموقة في صناعة الحرب.

لقد ثبت، من ضمن ذلك المفهوم، أن ألمانيا البروسية هي دولة قارية برية فاعلة في محيطها وفي وسط وشرق أوروبا. وقد سعت إلى التوسع القاري في محيطها وميزها الجغرافي واللغوي. لقد تمكنت في توسعها من الإقتراب من الصين، عبر أوراسيا، فتنازعت بذلك مع بريطانيا على المستعمرات في تلك المناطق[9].

أدركت بروسيا الألمانية من خلال ثلاثة مواقع: الجامعة ودور النشر، الأكاديمية العسكرية، والجيش، أهمية الجغرافيا وضرورة معرفتها وعدم الجهل بها وبدورها. وقد إستفاد الرايخ الألماني من حروب 1870 – 1871م لإعداد الدراسات والخرائط من أجل تطوير العلوم الجغرافية[10]. لقد ربط الرايخ أيضاً بين الجغرافيا والسلطة (القوة)، فعزز دورهما ومواقعهما في التشريع المؤسساتي للدولة وحسم مسألة تحديد الدوائر التي تحيط بعملية الوحدة الألمانية وإشكالية وسط أوروبا (البلقان) وكذلك الشرق الأوسط وقارية الأزمات الإمبريالية المتضادة. كان على التوسع الألماني أن يستقر عند مداخل يانغ تسي يانغ في الصين، وفي منطقة مركزية قريبة من مدينة شنغهاي. أهمية هذا المرفأ فتحت للألمان إمكانية أن يجاوروا الإنكليز الموجودين في جنوب الصين (هونغ كونغ)[11].

لقد إصطدم هذا التوسع الألماني البري بمنافسة روسية على الأوراسيا، وبالتالي نحو الشرق الأوسط والعالم الإسلامي. وكانت الإستراتيجية البريطانية–الإنغلوسكسونية، وفق هالفورد ماكيندر تسعى لإغلاق الممرات البرية والبحرية لمنع أي كان من الوصول إلى قلب العالم (Heart Land) أو السيطرة على ضفاف سواحل أجنحته. كان هذا يعني إغلاق الطرق إليه عن طريق (درب الحرير). وتشمل منطقة القلب الذي أطلق عليها في بادئ الأمر بـ"منطقة الإرتكاز" Pivot Area جزءاً كبيراً من أوراسيا، هذه المنطقة يحدها من الشرق الصين ومنشوريا، ومن الشمال المحيط المتجمد الشمالي، ومن الجنوب هضاب آسيا وجبال الهمالايا، أما من الغرب

(9) المرجع السابق.

(10) المرجع السابق، ص 14.

(11) المرجع السابق، ص 15.

فيحدها نهر الفولغا. لقد تميز ماكيندر في طريقة تحليله الجيوبوليتيكي، الذي هو في حقيقته تحليل جيواستراتيجي، بإهتمامه بالأقاليم وتحليل عناصره، ونظرته للمشكلات الجغرافية على نطاق عالمي، الأمر الذي جعل من النتائج التي توصل إليها تتمتع بخاصة إستراتيجية، لذا يمكن أن نقول أن ماكيندر بدأ بداية جيوبوليتيكية وإنتهى بنتائج جيوإستراتيجية.

ويبدأ تحليل ماكيندر عندما يقسم – في نظريته – العالم الذي يجمع ما بين اليابسة والماء إلى ثلاث مناطق: منطقة القلب، منطقة الهلال الداخلي، ومنطقة الهلال الخارجي. ولاحظ أن الجزيرة العالمية – وهي تلك الحلقة المتصلة من اليابس وهي أوروبا، آسيا، أفريقيا، تكوّن ثلثي مساحة اليابسة كلية، وأن الكتل اليابسة الأخرى تكوّن الثلث الباقي وتحيط بالجزيرة العالمية متمثلة في أميركا الشمالية والجنوبية وأستراليا، بينما تمثل البحار والمحيطات ثلاثة أرباع العالم، وتكوّن كتلة مائية متصلة أطلق عليها المحيط العالمي "World Ocean".

ويؤكد ماكيندر على أن الوضع الجيوبوليتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي، كما يؤكد على فكرة مهمة جداً، وهي أن المركزية مفهوم نسبي ويمكنها أن تتبدل مع كل سياق جغرافي محدد.

كارل هاوسهوفر Karl Haushover: (1869 – 1946م)

ظهرت أهم أفكار ونظريات هذا الإستراتيجي الألماني الجيوبوليتيكية في المجلة الجيوبوليتيكية Zeit schrift für, Geopolitick ولم تبتعد هذه الأفكار عن أفكار ونظريات راتزل وكلين التي برزت لديهما في مصطلح "Raum" "المجال" خاصة في ما يتصل بتكوين الدولة العظمى على أساس التوسع في مجالها الحيوي اللازم، لكنها إختلفت عنها عندما أقام إعتراضاته على نوعية الرابطة الوثيقة في العلاقات القائمة بين عدة مفاهيم مثل: الدولة، السكان، الإكتفاء الذاتي والمجال الحيوي.

وتحتل فكرة المجال الحيوي حيزاً واسعاً في دراساته النظرية إلى الحد الذي إعتبر فيه المجال الحيوي بمثابة "العامل الذي يتحكم في تاريخ البشرية"، وإنطلاقاً من فكرة المجال الحيوي تنبثق أفكار هاوسهوفر المفسرة للسلوك النزاعي للدول، والصدام الحاصل بينها خاصة القوية منها، في مناطق محددة حيث يرى هاوسهوفر أن عملية

التوسع تكون نحو مناطق غنية وجديدة بمواردها الطبيعية، وثرواتها المعدنية، والتي يمكن تسخيرها لبناء وزيادة قوة الدولة، وفي تفسيره لسلوك الدولة النزاعي – التوسعي، يربط هاوسهوفر بين فكرة التوسع وزيادة عدد السكان، والمجال الحيوي بفكرة الإكتفاء الذاتي، فتوسع الدولة بإتجاه المناطق الحيوية الغنية بمواردها الزراعية وثرواتها المعدنية تؤمن كفاية ذاتية للزيادة الحاصلة في عدد السكان، ذلك أن تنامي عدد السكان يكون بحاجة إلى موارد إضافية تؤمن لهم الكفاية الذاتية، ومثل هذا المطلب لا يتم إلا بالتوسع، أو تأمين تلك المتطلبات.

كارل شميدت Karl Schmidt: (1888 – 1985م)

توصل الألماني شميدت إلى صياغة النظرية الجيوبوليتيكية الأعظم نظرية المجال الكبير Gross raum حيث ينظر هذا التصور إلى عملية تطور الدولة على أنها الطموح إلى إختيار الحجم المكاني الأوسع مدى، ومبدأ التكامل الإمبراطوري هو التعبير المنطقي والطبيعي عن الطموح الإنساني إلى التركيب، وعلى هذا فإن مراحل التوسع المكاني للدولة تتطابق مع مراحل تحرك الروح الإنسانية نحو الشمولية. هذا القانون الجيوبوليتيكي ينسحب أيضاً على المجالات التقنية والإقتصادية.

إن مصطلح المجال الكبير عند شميدت والذي ورد في الأدبيات الألمانية لدى راتزل وكلين، اللذين سأتحدث عنهما، لاحقاً، والذي إنعكس في هذا المفهوم عضوانية الأوراسيين التي تتطابق بدقة مع الدراسة العضوية الألمانية، يشبه مصطلح "بؤرة التطور" لدى "سافيتسكي". وكان سافيتسكي كتب في النص الذي حمل عنوان: العرض الجغرافي لروسيا – الأوراسيا: "الوسط الإجتماعي– السياسي وأرض ينبغي أن يتذاويا بالنسبة لنا في وحدة متكاملة في شخصية جغرافية أو سطح جغرافي". تلك هي حقيقة بؤرة التطور "التي يتذاوب فيها الموضوعي والذاتي في وحدة لا تتجزأ في كل متكامل، وفي النص نفسه يواصل قائلاً: "التركيب ضروري فلا بد من القدرة على الإطاحة بالوسط الإجتماعي – التاريخي".

يرى *كيلين* أن هناك تماثلا بين البناء العضوي للدولة والبناء العضوي للكائن الحي فالأرض أو الرقعة بالنسبة للدولة هي الجسد، وعاصمتها بمثابة قلب الكائن الحي ورئتاه، أما الأنهار والطرق وسكك الحديد، فهي جميعا بمثابة الأوردة والشرايين،

أما المناطق التي تمدها بالمعادن والموارد الأولية اللازمة لنموها، فكلها أطراف لهذا الجسد، أما الأفراد داخل الدولة فهم بمثابة الخلايا عند الكائن الحيّ، فهم العامل المحرك للدولة.

كما اتفق *كيلين* مع *راتسل* في أن الهدف النهائي من نمو الدولة أنها تسعى لتحقيق القوة، وأنها في سعيها لتحقيق القوة عليها أن تستعين بالتقدم الحضاري والتقني وأساليبه لتحقيق هذا الهدف.

فريدريك راتسل Fredriech Ratzel: (1844 - 1904م)

آمن *راتسل* بأفكار داورين في التطور البيولوجي التي كانت سائدة في نهاية القرن التاسع عشر، وضع راتسل صياغته لتحليل قوة الدولة أشبه لديه بالداروينية حيث يؤكد أن الدولة لا تثبت حدودها السياسية، وكانت الدولة لديه أشبه بإنسان ينمو فتضيق عليه ملابسه عامًا بعد عام، فيضطر إلى توسيعها، وكذلك ستضطر الدولة إلى زحزحة حدودها السياسية كلما زاد عدد سكانها وتعاظمت مطامحها.

لذلك فعلى الدولة أن لا تعتد بالهدوء، بل لابد أن تنظر إليها إلى حدود زئبقية تتجاوزها وتخترقها كلما اقتضت مصلحتها التوسع، وإن هذه الحدود ظلت وستظل مصدرا للنزاعات والحروب.

فبإنطلاقه من فكرة الدولة ككائن حيّ أرسى راتسل الأساس النظري لما عرف بالجيوبوليتيكا العضوية، وهي التي تبرز الصراع والتوسع في إطار من مقولة: "البقاء للأقوى"، فالسياسية الدولية من وجهة نظرها ما هي إلا صراع بين وحدات وكيانات لا يصلح للبقاء منها إلا من قوي فيها.

فالدولة كائن حي عند راتسل، وطالما أن الكائن الحي ينمو ويكبر، فإن الدولة هي الأخرى تنمو وتتوسع، بعبارة أخرى، طالما أن النمو هو ظاهرة طبيعية بالنسبة للكائن الحي، فلا يجوز اعتراض عملية نمو الدولة، فالدولة لا تتقيد بالقيود الجغرافية، وهذه العملية لا تكتمل إلا بتأمين قدر مقبول من القوة، فالقوة عامل محفز للنمو.

وفي هذا يكتب *راتسل* قائلا: *تنظر إلى الدول خلال كل مراحل تطورها على*

أنها كائنات عضوية تحافظ بفعل الضرورة على علاقتها بتربة أرضها، ولهذا يجب أن تدرس من وجهة النظر الجغرافية... ولها فإن الدول تبدو ظواهر مكانية يوجهها هذا المكان ويجب أن تقوم الجغرافيا بوصفها ومقارنتها وقياسها، وتدخل الدول في سلسلة ظواهر تطور الحياة لتغدو الذروة العليا لهذه الظواهر". -الجغرافيا السياسية-

والدولة – عنده– تتحرك في ديناميكية مستمرة حتى تحقق لنفسها متطلبات وجودها، وتضيف إلى قاعدتها الأرضية ما تراه لازما لنموها إلى أن تختفي من الخريطة السياسية الوحدات غير القادرة على الصراع أو الاستمرار ولا يبقى سوى الأقوى والأكثر قدرة على البقاء والالتهام، وبعد ذلك تبدأ هذه الدول الكبرى في التوسع على حساب بعضها حتى لا تبقى منها سوى دولة كبرى واحدة، فالأرض –عند راتزل– لا تكفي سوى دولة عظمى واحدة. طوّر هاوسهوفر هذا المفهوم الذي بدا متناسباً مع مسألة الدفاع عن المصالح الألمانية التي إعتمدها أدولف هتلر، لاحقاً، كسبيل لتعزيز أفكاره التوسعية النازية[12].

لقد حددت المدرسة الجيوبوليتيكية الألمانية إطارها التكويني من ثلاثة عناصر: القوة، الشعب والأرض. هنا تصبح الدولة عبارة عن هيكلية لا تنمو أو تحيى إلا على الأرض كعامل عضوي.

وعندما يكبر هذا العامل لا بد من توسيع مجاله. وعندما يموت يختفي عن الخريطة. الأمة من ضمن هذا المفهوم هي مجموعة من البشر متحدون بشعور الإنتماء. وهذا الإنتماء غير مبني أساساً على العرق. الشعب يتكون من أفراد وجماعات متحدين على أرض مشتركة. إعتمد راتسل مقولة مفادها أن الأرض هي العنصر الوحيد لوحدة الدولة. وهناك محاولات كبرى لتركيز كل التنظيمات السياسية على هذه الأرض من ضمن الدولة ومؤسساتها، وتبعاً لرأيه أن الجيوبوليتيك يجب أن يحفز الناس ورجال الدولة على ضرورة رفع شأن العامل الجغرافي المهمل، في بعض الأحيان، وتفسير التاريخ وفقاً للمفهوم الجغرافي[13].

---

(12) La géopolitique Les relations internationales IRIS (Institut De Relations internationales et Stratégiques – Pascal Boniface (paris 2012) p,21.

(13) المرجع السابق.

لقد رسمت خرائط الأكاديمية الألمانية الجغرافيا إستناداً إلى نظريات راتسل وهاوسهوفر خطوط الخرائط السياسية الإستراتيجية خدمة للمصالح الألمانية كي تتوسع في مجالها الحيوي بحثاً عن الموارد وسبل السيطرة عليها. إن ألمانيا، كدولة بريّة قارية، عليها من ضمن الإستراتيجية الكونية الألمانية أن تتوسع إلى مداها الأوراسي عبر بلاد البلقان والشرق الأوسط. من هنا جاء التحالف مع تركيا في الحرب العالمية الأولى لمجابهة التنافس مع بريطانيا والصراع معها للسيطرة على طريق الهند الموصل نحو الشرق (طريق الحرير). وكان سبق هذا التحالف مساراً ألماني بإتجاه تعزيز العلاقات مع الدولة العثمانية وصولاً إلى هذا الهدف.

إن العقل الألماني الإستراتيجي، في حينه، وفقاً لأفكار أكاديمية برلين العسكرية إعتمد سياسة القوة المتفوقة وسبل إدارة الحرب للوصول إلى الموارد التي تحتاجها البلاد. والألمان المنتمون للأمة الألمانية هم الشخوص والمواطنون المعتمدون فيها وفقاً لفلسفة الفيلسوف الألماني نيتشه.

لقد إلتقت كافة المدارس الألمانية الإستراتيجية والفلسفية عند مسألة تعزيز مصالح الأمة. من هنا نجد ان الإنتماء إلى ألمانيا، وفقاً لتلك المدارس، هو عقيدة وليس عرقاً (أنت ألماني، أنا ألماني) أي أن يقّر الإنسان بنفسه مسألة الإنتماء إلى الدولة الألمانية ويفاخر به. ويناقش البعض، حالياً، أن هذا المفهوم ما زال سارياً عند العديد من الألمان لحد الآن ويجري تداوله في الصحف والدوريات والمجلات ويعطون أمثلة على وجوده[14].

غير أن وقائع الأمور ومسارها تظهر أن الإتجاه العام للقوى الإجتماعية والسياسية في ألمانيا، حالياً، يسير وفقاً لمفهوم الإنتماء للدولة لكن من ضمن محددات حديثة مغايرة على نحو كبير لمحددات تلك المرحلة التاريخية المنتفية بآثارها وشرورها التدميرية العاصفة.. يبقى مفهوم المصالح الحيوية حقيقة واردة في "أجندات" كل الدول الكبيرة المعاصرة. غير أن هذا المفهوم، من ضمن تكتلات العولمة الإقتصادية السائدة والتوازنات الحاصلة، لا يحمل مفاعيل وإحتمالات مشابهة لمسارات وحقائق بدايات القرن العشرين المنقضي بتكويناته وحركته الصاخبة المتحفزة أبداً للصدامات والتوسع.

(14) المرجع السابق ص 22، 23، 24.

مدرسة ميونيخ الإستراتيجية

إن النظام العالمي الذي يمثله كوكب الأرض بأغلفته الأربعة الصخري والمائي والحيوي والجوي، لم يترك فيه مجال للصدفة، وإنما كل بقعة من هذا الكوكب وضعت له الخطة التي تتناسب معه، وهذه الخطط توضع من خلال اللاعبين الكبار الذين دائماً يبحثون عن دور عالمي في كوكب الأرض، وهذا الدور أحياناً يكون أحادي القطبية، وأحياناً أخرى ثنائي القطبية، وفي بعض المراحل يُصبح متعدد الأقطاب.

ومن أهم الخطط العالمية التي وضعت لكوكب الأرض، هي السيناريوهات التي اعتمدتها مدرسة ميونيخ للدراسات الإستراتيجية عام 1920م تقريباً وكانت إستراتيجية هذه المدرسة تعتمد على ثلاثة مبادئ رئيسية هي:

1- مبدأ الدولة العملاقة.

2- مبدأ الجزيرة العالمية.

3- مبدأ أزدواجية القارات.

والمبادئ الثلاثة المذكورة قادت مدرسة ميونيخ إلى وضع نظام عالمي جديد آنذاك في صورة مفهوم الأقاليم الكبرى، على أن يكون مركز هذه الأقاليم بون، أي كان المطلوب نظاماً أحادي القطبية، وتوزيع الأقاليم هو كالتالي:

1- أمريكا الكبرى: وتضم كل من الأمريكيتين تحت زعامة الولايات المتحدة.

2- روسيا الكبرى: ويضم معظم الاتحاد السوفيتي عدا شرق سيبيريا، كما تضم إيران وأفغانستان وشبه القارة الهندية.

3- أورو أفريقيا: وهذا النظام يصعب تطبيقه الآن، لأنه يمثل أوروبا، ومعظم أوروبا الآن تحت مظلة السوق الأوروبية المشتركة، والعالم العربي وتركيا وضع له سيناريو الشرق أوسطية.

4- آسيا الشرقية الكبرى: وهو يمثل ما تبقى من العالم جنوب اليابان، بما فيه الصين وشرق الاتحاد السوفيتي ودول جنوب شرق آسيا واستراليا ومعظم مناطق المحيط الهادي[15]. وهذا التصور أيضاً من الصعب تطبيقه الآن، لأن اليابان

(15) الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، محمد رياض، دار النهضة العربية، 1979م، ص91، 96.

أصبحت دولة لها وضع أمني واقتصادي مقنن، والصين لها أطماع إستراتيجية إقليمية بتصورها الاشتراكي، ودول جنوب شرق آسيا أصبح لهم وضع اقتصادي خاص تحت مظلة آسيان، واستراليا تحاول أن تمارس نظام إقليمي خاص بها في أوقنانوسيا، ومعظم مناطق المحيط أصبحت تحت سيطرة الولايات المتحدة.

ألفرد ماهان: (1840 – 1914م)

إذا كانت النظريات الجيواستراتيجية تنطلق من الإقليم الذي تتواجد فيه الدولة والذي يؤثر على حركتها السياسية، فإن النظريات الجيواستراتيجية تنطلق من الإقليم الذي يؤثر في القوى العالمية ويكون موضع استقطاب وجذب لهذه الحركة، بما ينطوي عليه من خصائص ومزايا تطلعًا نحو السيطرة العالمية، وليس بالضرورة أن تكون هذه القوى متواجدة فيه.

ومن الناحية البنيوية تشكيل الدولة وحدة التحليل الأساسية في النظرية الجيوبوليتيكية في حين يشكل الإقليم محور البناء الفكري للنظرية الجيواستراتيجية، أما من الناحية الوظيفية، فالنظرية الجيوبوليتيكية تركز على وظيفة الدولة كوحدة متحركة بسبب من قابليتها الذاتية في انطلاقتها نحو السيطرة العالمية، مبتلعة أقاليم ومجالات حيوية تتميز بخصائصها الإستراتيجية، بينما تركز النظرية الجيواستراتيجية على وظيفة الإقليم بسبب من مزاياه وخصائصه الإستراتيجية، وأثر ذلك على حركة القوى في السيطرة عليه لإتمام سيطرتها العالمية.

وبناءً على ما سبق برزت في حقل الجيواستراتيجية نظريات عدة أولت اهتماما بالغ الأهمية لأقاليم بعينها معتبرة أنها تملك مثل هذه الصفات. وأبرز هؤلاء ألفرد ماهان الذي وضع في العام 1884 م خارطة حول هذا الأمر. وقد تأثر بهذه الخارطة معظم إستراتيجي العالم ومنهم الألمان الذين طمحوا لتعزيز قوتهم البريّة بأخرى بحرية.

قبل ماهان كانت السيادة العالمية للقوى البرية التي تمتد في مساحات شاسعة مثل الإمبراطورية الرومانية والصينية الروسية، ولكن ماهان قرر في كتبه بأن القوى البحرية هي التي ستسود العالم، وسيطرت على فكر ماهان عدة ظواهر أساسية ذات مغزى سياسي، وتؤثر على دور القوى البحرية وهي، اتصال جميع البحار والمحيطات الخارجية، ببعضها في صورة بحر عالمي وبالتالي إيجاد نظام موحد للنقل البحري،

وجود بعض الدول المحبوسة في قلب الأرض، وجود الدول البحرية في أوروبا والأقطار البحرية في جنوب شرق آسيا حول روسيا الحبيسة، هناك دول جزرية على ضلوع أوراسيا مثل إنجلترا واليابان.

يؤكد ماهان أن أوراسيا هي أهم جزء في العالم الشمالي، وأن روسيا تحتل موقعاً أرضياً مسيطراً في آسيا، ذات حضانة منيعة، رغم ذلك تبقى كتلة أرضية حبيسة، كما يصف المناطق الآسيوية بين درجات العرض 30-40 شمالا بأنها نطاق الاحتكاك والصراع بين القوى الأرضية والقوى البحرية، وبما أنه يرى في القوى البحرية "بريطانيا وأمريكا المتحالفين" الحصول على السيادة العالمية باستخدامها "احتلالها" قواعد عسكرية تحيط بأوراسيا نظرا لتفوق الحركة البحرية على الحركة الأرضية.

وبالتالي فإن ماهان يرى بأن وجود دولة بحرية قوية بإمكانها بسط السيطرة على البحار، يعني ذلك حتما أن حظوظها في السيطرة العالمية قوية جدا، لذلك وبناء على ما سبق فإن الدول البحرية –ذات الحدود البحرية خاصة إذا كانت هذه الحدود واسعة– "أكثر نزوعا للتوسع الذي يستجلب بطبيعة الحال التصادم مع القوى الأخرى لاسيما البرية منها "القارية".

ويرى ماهان أن تحليل موقف الدولة ووضعها الجيوبوليتيكي يجب أن يتم على أساس بنود ستة، وهي نفس البنود التي تسهم في بناء وتكوين القوة البحرية للدولة وتعمل على تطويرها وهي:

– **الموقع الجغرافي للدولة:** من حيث عدد الجبهات التي تطل بها على البحر، وما إذا كانت هناك طرق سهلة، لاتصال هذه الجبهات ببعضها ببعض، كذلك مدى تحكمها في الطرق التجارية الرئيسية والقواعد الإستراتيجية، وقدرتها على تهديد أراضي العدو بأسطولها.

– **التكوين الطبيعي للدولة:** ويقصد به هنا خطوط الأعماق في المنطقة الساحلية، فالجبهة البحرية للدولة هي احد تخومها، وكلما كانت هذه التخوم متصلة بما ورائها كلما زاد ميل السكان إلى الاختلاط بغيرهم، فلو تصورنا أن هناك دولة لها جبهة ساحلية، ولكن لا يتوفر لها مرفأ، فمثل هذه الدولة لن تكون لها تجارة بحرية، ولا سفن، ولا أساطيل، أما المرافئ المتعددة العميقة فيها مصادر عز وقوة، وتتضاعف

قيمتها إن وقعت على مصبات أنهار صالحة للملاحة، لأن مثل هذه الأنهار تيسر حركة التجارة داخل الدولة، وعموما فإن التكوين الطبيعي للدولة من سواحل ممتدة ومرافئ متعددة يقدم للدولة وصيدا دفاعيا ضمن حسابات قوتها الشاملة.

– **خصائص الظهير القاري**: ويتمثل في أرض الدولة التي تقع خلف خط الساحل، من حيث خصائصها المادية من موارد وصلاحية.

التطبيق الجيوبوليتيكي

إن فكرة مشروع بناء خط سكك حديد برلين – بغداد، عبر أراضي الإمبراطورية العثمانية، برزت كنتيجة للعلاقات الإستراتيجية التي تجسدت عملياً، ما بين الإمبراطوريتين: البروسية الألمانية والعثمانية، لمواجهة روسيا القيصرية. وكان خط سكة الحديد هذا يهدف بالدرجة الأولى إلى تأمين خدمات النقل العسكري بالسرعة المنشودة إلى الجبهات وعبر الأراضي العثمانية. كما سعى أيضاً إلى تأمين التجارة المتداولة ما بين برلين والقسطنطينية (إستانبول).

بدأ بناء هذا المشروع بدءاً من نهاية العصر البسماركي في إيطاليا وجاء تأكيداً على قوة العلاقة القائمة ما بين تركيا وألمانيا.

وقد إعتبر السلطان عبد الحميد، الذي كان يتلقى ضغوطاً أوروبية شديدة، انه بتكليفه الألمان بهذا المشروع، سيتمكن من مواجهة تأثيرات النفوذ القوى للمالية الفرنسية وضغوطات الدول الكبرى. علماً أن مدير البنك الألماني Deutsche Bank كان يخشى المشاركة في هذا المشروع (1888م) لأنه إعتبره مغامرة وله مخاطر كبرى. لذا، فقد إتخذ إحتياطاته، عبر تقصيه على نحو مستمر لمعلومات صادرة عن دوائر الخارجية الألمانية تؤكد له عدم وجود إعتراضات سياسية ضده وأن بإستطاعته الإعتماد على دعم السفارة الألمانية في إستانبول...

وكانت السياسة الألمانية، إثر رحيل بسمارك عام 1890م، قد إتخذت لها تقيماً جديداً أكثر هجومية وديناميكية.

ففي أعقاب تتويجه إمبراطوراً قام غليوم الثاني بزيارة إلى القسطنطينية وعقد علاقات صداقة مع السلطان العثماني. وفي زيارة ثانية له إلى الشرق عام 1898م اعلن من دمشق أن بإمكان 300 مليون مسلم الإعتماد الدائم على حمايته.

لقد بدا واضحاً، أن حركة ألمانيا السياسية الجديدة اصبحت تنطلق من كونها دولة قارية برية وتتعامل مع الدول على هذا الأساس لمد مناطق نفوذها في كل المجالات الحيوية الملائمة لها. وكانت هذه السياسة تطبيقاً عملياً لما رسمه رايتسل ومن بعده هاوسهوفر. إنه المحيط البري للأراضي الألمانية الذي تتجسد فيه مصالح ألمانيا الحيوية[16].

القسم الثاني

التاريخ القديم والمعاصر للعلاقات الألمانية العربية: ثقافتا الإستشراق والتبشير: هل خدمتا تطور هذه العلاقات أم ماذا؟

يرجع تاريخ العلاقات بين العرب وألمانيا إلى قرون طويلة، وتطلعنا كتب التاريخ على أول مرّة يرد فيها ذكر الألمان عند العرب. والقصة تتحدث عن العلاقة التي كانت تربط الخليفة العباسي هارون الرشيد بالقيصر الألماني كارل الكبير أو شارلمان العظيم كما يطلق عليه العرب، والهدايا المتبادلة بينهما تعود للقرن التاسع الميلادي.

ويرجح ان تكون العلاقة بين العرب والألمان، قد شهدت تبادل سفراء ومبعوثين. ولكن المؤسف في الأمر، أن كتب التاريخ قد اهملت ذكر الأسماء والأماكن والتفاصيل، وأوردت عوضاً عن ذلك، قصة الهدية التي كانت عبارة عن ساعة أهداها الخليفة العبّاسي هارون الرشيد لبلاط قيصر ألمانيا كارل الأكبر. في هذا المجال، يحكى عن تبادل للسفراء جرى بين إمبراطور ألمانيا (أوتو الكبير) وعبد الرحمن الناصر في الأندلس عام 956م.

غير أن هؤلاء المؤرخين يتحدثون عما قام به الفرنجة ومنهم أمراء الإقطاع الألمان ونبلاءهم في بلاد الشام باسم ما عرف بالحروب الصليبية، حيث أرخوا لأسباب قيام هذه الحروب، فربطوها بعوامل أوروبية داخلية، سياسية دينية، وإجتماعية

---

[16] راجع: Geopolitique de la Turquie. Revue Francaise de Geopolitique N 4-2006-p,25.

إقتصادية، وحين بحثوا في تاريخ هذه الحروب جعلوها في سبع حملات وأحياناً أكثر من ذلك، وفي هذا العمل الشيء من المنطق بالنسبة للباحث الأوروبي، ذلك أن الجيوش والجموع الصليبية عندما وصلت بلاد الشام لم تكن أول قوات مسيحية – دافعها الأساسي ديني – تغزو هذه البلاد، ثم لم يكن الكثير من الفرنجة يتعرفون للمرة الأولى على آسيا الصغرى مع مشارف الشام وأعالي بلاد الرافدين، ذلك أن أعداداً كبيرة من الفرنجة كانت قد خدم أفرادها كمرتزقة في الجيوش البيزنطية، وقاتلوا ضد المسلمين في الشرق، وعرضوا طرائق الحرب، وفنون القتال لديهم، وشعر شعراء الشام للقرن العاشر والحادي عشر – مثل المتنبي وسواه – مع كتب المؤرخين في إحتوائها إشارات صريحة لهم، ثم ما جاء في خطبة البابا أوربان الثاني – المبشر الأول بالحروب الصليبية – من نصائح قتالية لهو برهان كاف للتدليل على صحة هذا، ولا حاجة للتذكير(وفقاً لما كتبه مؤلف كتاب تاريخ العرب والإسلام، د. سهيل زكّار الصادر عن دار الفكر، في بيروت (ط 3) 1977م ص 377) بأن "الفرنجي الذي سبق له القتال ضد مشارقة السام ربما كان قد نال خطه في القتال ضد المغاربة".

في ما يتعلق بالحروب الصليبية فلا ريب أنها كانت حلقة من حلقات الصراع بين الإسلام والمسيحية، وإستهداف سلطوي إقتصادي بالمغانم والفتوحات، والأوروبي مهما تجرد، تبقى هذه الحروب جزءاً من تاريخه وأمجاده، وفترة الحروب الصليبية هي الفترة الوحيدة التي إجتمعت فيها شعوب أوروبا على تحرك واحد، ورجال الحروب الصليبية هم رجال الباحث الأوروبي، وهم أبطاله الذي نشأ على حبهم وإتخاذهم مثلاً أعلى، فلا عجب أن قام الباحثون الأوروبيون بتمجيد رجال الصليبيين، فأضفوا عليهم صوراً تتجلى فيها شجاعة خارقة فوق الصفات العادية للبشر، لقد جعلوا منهم أنصاف آلهة على طريق الإغريق وأنصاف قديسين تبعاً لآراء الكنيسة الكاثوليكية ومعتقداتها، مع أن واقع الحال لم يكن هكذا أبداً، فالصليبيون كانوا بشراً أدنى من سواهم ثقافة وحضارة، وحتى شجاعة ومعرفة بفنون القتال، وقد إنتصروا حين وصلوا بلاد الشام، لا لأنهم تمتعوا بصفات التفوق الطبيعي، بل لأنهم واجهوا خصماً كان على درجة عظيمة من التفكك والهزال والضعف، وكان وجودهم مرتبطاً لا بقوتهم بل بضعف العرب وتشتت قواهم. إنه لمن الخطأ أن تتم دراسة تاريخ الحروب الصليبية وكأن هذا التاريخ قطعة من التاريخ الأوروبي البحت وجزء منه لا يتجزأ، ذلك أن أحداث

الحروب الصليبية قد تمت في المشرق، وفي المشرق فقط يمكن أن نتعرف إلى أسرار نجاح الصليبيين في البداية مع مراحل تاريخهم، ثم إخفاقهم في النهاية.

في ما يختص حقبة السلطنة العثمانية التي سيطرت قواتها على كامل المنطقة وهيمنت عليها منذ عام 1516م، فقد إندرج العرب تحت سلطتها، بما في ذلك الحيّز الجغرافي الواقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط بين سلسلة جبال طوروس وشبه جزيرة سيناء التي أطلق عليها إسم "بلاد الشام" والتي شكلت، عملياً، قلب الإستهداف لحركة تصارع المصالح الدولية وتعبيراتها الإقتصادية والسياسية.

خلال السيطرة المصرية القصيرة بقيادة محمد علي باشا وإبنه إبراهيم (1831 – 1840م) كانت هذه المنطقة تقسم إدارياً إلى أربع إيالات.

(في ما بعد ولايات): حلب وطرابلس ودمشق وصيدا. وبعد إخلاء المصريين سوريا وفلسطين وعودة الحكم العثماني إليهما ألغيت إيالة طرابلس وضمت إلى إيالة صيدا التي كانت بيروت مقراً لواليها. وفي عام 1861م شلخ جبل لبنان عن ولاية صيدا وأعلن متصرفية تتبع الباب العالي مباشرة. وبعدها بثلاث سنوات ألغيت ولاية صيدا بدورها وألحقت بولاية دمشق التي عرفت بولاية سوريا. وبحلول عام 1887م حصلت القدس على حقوق "متصرفية" تخابر الأستانة مباشرة. وفي العام التالي شُكلت "ولاية بيروت" من المنطقة الساحلية الممتدة من طرابلس إلى عكا. وفي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك ثلاث ولايات هي حلب وسوريا وبيروت، ومتصرفيتان هما "متصرفية جبل لبنان" و"متصرفية القدس"[17].

ورغم هذه التقسيمات التي جعلت من سوريا وفلسطين منطقة تتقاسمها التشكيلات الإدارية العثمانية، فإن سوريا وفلسطين ظلتا تتمتعان في الواقع بوحدة مميزة عن غيرهما من المناطق الخاضعة للحكم العثماني. فبعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على السيطرة العثمانية على سوريا وفلسطين فقد حافظت المنطقة على طابعها العربي الإسلامي الذي إكتسبته منذ الفتح العربي للمنطقة في القرن السابع الميلادي، إذن ظلت اللغة العربية لغة التعامل حتى بين الأقليات المتعددة. وفي كلتا المنطقتين شكل المسلمون السنة غالبية السكان، ولكن مع وجود فرق متعددة للشيعة، في حين

---

(17) راجع: سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م، عبد الكريم غرايبة، القاهرة 1961م/62.

إستقر الدروز في جنوب لبنان وحوران. أما المسيحيون فشكلوا في سوريا وفلسطين نحو ربع السكان. وفي متصرفية جبل لبنان سادت الطائفية المارونية، في حين كان معظم المسيحيين خارج الجبل من أتباع الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. لم يشكل اليهود في فلسطين في البداية أية قوة عددية، إلا أن عددهم ظل في تزايد مضطرد حتى بلغ نحو 85 ألفاً على أبواب الحرب العالمية الأولى[18].

وطبقاً لتشريع إسلامي قديم فقد تمتعت الطوائف غير الإسلامية (أهل الذمّة أو الملل) بإستقلال ذاتي في ممارسة شؤونها الداخلية. فقد كان رئيس كل ملّة مخولاً أيضاً بجمع الضرائب من ملّته وتسليمها إلى الخزينة العثمانية. وقد لعب المسيحيون واليهود بشكل خاص دوراً هاماً في حقل التجارة. فيذكر تقرير إنجليزي لعام 1840م أن المؤسسات التجارية في سوريا وفلسطين كانت في معظمها بأيدي المسيحيين أو اليهود[19].

إضافة إلى ما ذكرناه، كانت أهمية سوريا وفلسطين تعود إلى مركزهما الإستراتيجي الهام عند ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا، والى دورهما التجاري السياسي كحلقة إتصال بين البحر المتوسط والشرق الأقصى، وأخيراً كونهما ملتقى الأديان السماوية الكبرى، اليهودية والمسيحية والإسلام.

من الأمور المهمة في تاريخ سوريا وفلسطين في القرن التاسع عشر أنهما وضعتا على خريطة المصالح الأوروبية المتضاربة التي يعبّر عنها بـ"المسألة الشرقية". وبإختصار تشمل المسألة الشرقية جميع المشكلات التي إرتبطت بإنهيار السلطنة العثمانية داخلياً وثورات الشعوب المحكومة منها، وأخيراً تضارب المصالح الأوروبية وتشابكها مع الدولة العثمانية وتدخل هذه الدول في عملية الإنهيار العثماني.

---

(18) راجع: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918م، خيرية قاسمية، بيروت 1973م، ص10.

(19) John Browring, Report on the Commercial Statistics of Syria Addressed on the Right Honlerd Viscount Palmerston (Bpp, No,21) London, 1840, p3

إستطاع محمد علي باشا المصري خلال فترة حكم لسوريا وفلسطين إبان الحكم العثماني، التي لم تتعدّ الثماني سنوات أن يضع الأسس المتينة لبناء الدولة الحديثة في سوريا. وقد إجتذب التسامح الديني والإستقرار الداخلي عموماً في عهده الكثير من التجار الأوروبيين ورجال الدين والرحالة لزيارة سوريا وفلسطين. يذكر في هذا المجال، ان المصريين طبقوا مبدأ المساواة بين السكان من دون إقامة إعتبار للدين، وكان ذلك قبل صدور مرسوم كلخانة عام 1839م. ففي عام 1932م أصدر إبراهيم باشا أمراً شدد فيه على أن: "المسلمين والمسيحيين كلهم رعايانا. لا علاقة لمسألة الدين بالإعتبارات السياسية. وكل فرد يتمتع بحرية (في المسائل الدينية): أن يمارس المسلم عقيدته والمسيحي عقيدته أيضاً. ولكن ليس لأحد منهم سلطة على الآخر..."[20].

لقد إجتذب التسامح الديني والإستقرار الداخلي عموماً الكثير من التجار الأوروبي ورجال الدين والرحالة لزيارة سوريا وفلسطين. وتوافق ذلك مع بدء إستقرار الإرساليات التبشيرية المسيحية وإزدياد نشاطها في سوريا والأراضي المقدسة. ورغم عراقة كل من الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية في المشرق، فإنهما لم تمارسا نشاطات تبشيرية مباشرة بين السكان المسلمين في سوريا وفلسطين. فطبقاً للشريعة الإسلامية كانت الدولة العثمانية بصفتها خلافة إسلامية تفرض عقوبة الإعدام على المرتدين عن الإسلام. كذلك كان التبشير بين أفراد الطوائف غير الإسلامية ممنوعاً منذ القرن الثامن عشر.

أول نشاط تبشيري بين رعايا الدولة العثمانية قامت بها الإرساليات الإنجلوسكسونية البروتستانتية وقد حمل على أكتاف الإرسالية الأميركية ومركزها بوسطن: Prudential Committee of the Americans Board of Commissioners for Foreign Mission in Boston. وجمعية التبشير الكنائسية Church Missionary Society.

---

(20) أنظر كتاب بشير بين السلطان والعزيز 1804-1841، تأليف د. أسد رستم، بيروت 1966 ص 14، ط 2.

وجمعية يهود لندن London Jews Society فمنذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر أخذ المبشرون الأميركيون والإنكليز يجوبون سوريا وفلسطين فإستقروا في المنطقة: المبشرون الإنكليز في القدس من عام 1833م والمبشرون الأميركيون في بيروت منذ عام 1834م حيث أسسوا لهم مطبعة بالعربية.

وفيما الإنكليز نشطوا أساساً بين اليهود، ركز الأميركيون نشاطاتهم التبشيرية بين المسيحيين الشرقيين.

منذ البداية إرتبطت الأهداف التبشيرية للجمعيات بالمصالح القومية والسياسية لدولها. وبفضل إلحاح جمعية يهود لندن قامت الحكومة البريطانية عام 1838م بإفتتاح أول قنصلية أوروبية في مدينة القدس.

وبإنفتاح المنطقة السورية الفلسطينية أمام الإرساليات البروتستانتية أصبحت المنطقة معرضة للمنافسات والصراعات الدينية السياسية التي طورت فيها الدول الأوروبية مباشرة بسبب تأييد كل واحدة منها لجمعياتها العاملة في المنطقة.

فبعد إخلاء محمد علي لسوريا وفلسطين أخذت الدول الأوروبية تتسابق في ما بينها لغرض حمايتها على رعايا السلطان من المسيحيين، هادفة من وراء ذلك إلى تقوية نفوذها على حساب الدول الأخرى. وتحت هذه الظروف تنامت الإهتمامات الألمانية في سوريا وفلسطين. ففي إحدى المؤلفات الألمانية لعام 1895م حول التبشير الإنجيلي في القدس ذكر المؤلف عطفاً على أحداث الأزمة المصرية لعام 1840م ما يلي: "لقد تمت هزيمة محمد علي عن طريق التحالف الرباعي وأعيدت سوريا وفلسطين إلى السلطان. لقد أيقظت هذه الأحداث في العالم المسيحي ذكرى الحروب الصليبية. والحق ان أصواتاً علت في ألمانيا ترى أن الوقت قد حان لإنتزاع الأرض المقدسة من سيطرة المحمديين وإعادتها إلى السيطرة المسيحية"[21].

وحتى حدوث الأزمة المصرية كانت بروسيا لا تعير القضايا الشرقية الكثير من الإهتمام. فقد إنصبّ همّها في الحصول على مركز مرموق في "المجموعة

---

(21) انظر كتاب المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين (1841-1901م) تأليف د. عبد الرؤوف سنو، معهد الإنماء العربي، بيروت 1987م، ط1، ص 21.

الأوروبية". فخلال حرب السنوات السبع 1756 – 1763م حاول ملك بروسيا فريدريك الثاني أن يكسب الدولة العثمانية كحليف له ضد النمسا وروسيا، لكن المفاوضات باءت بالفشل لرفض الباب العالي التورط في "المسألة الأوروبية". وعلى كل حال فقد تمكنت بروسيا والدولة العثمانية في 22 آذار/مارس 1761م من عقد إتفاقية صداقة ومعاهدة تجارية، حصلت بروسيا بموجبهما على إمتيازات مساوية لتلك التي حصلت عليها الدول الأوروبية الأخرى، وأهمها ما يتعلق بالتجارة الألمانية في الدولة العثمانية وكذلك إمتيازات للوزير البروسي في الآستانة. وأخيراً حرية ممارسة البروسيين لشعائرهم الدينية.

رغم تجديد هاتين المعاهدتين في عام 1790م، إلا أنهما لم تساعدا على تمتين العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين. فلوقت طويل لم تمارس بروسيا أي دور سياسي بارز في ما يتعلق بالمسألة الشرقية. كذلك ظلت العلاقات التجارية بين بروسيا ودول الهنزا من جهة وبين الدول العثمانية ضعيفة بسبب الصناعة الألمانية نفسها التي كانت أقل تطوراً من الصناعات الأوروبية الأخرى، تمزق السوق الألمانية الداخلية،الحصار القاري في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكذلك نظرة الدولة العثمانية إلى بروسيا على أنها دولة أقل شأناً من الدول الأوروبية الكبرى. وكان الإفتقار إلى بحرية حربية ألمانية له آثار سيئة على التجارة الألمانية مع الشرق. فقد عجزت السفن التجارية الألمانية عن مقاومة "الجهاد البحري" أو "القرصنة"، كما يطلق الغرب على تلك الحركة الإسلامية التي كانت تقوم بها دويلات المغرب العربي في شمال أفريقيا. فخلال القرن الثامن عشر فشلت كل المحاولات الألمانية للوصل إلى إتفاقات سلمية مع هذه الدويلات.

كما ظهر بوضوح عجز الباب العالي في ضمان حرية التجارة في البحر المتوسط.

وبديهي ألا تكترث الدول الأوروبية الأخرى لحل مشكلة التجارة الألمانية في المتوسط، فقد كانت الدول الأوروبية تتقاضى أجور شحن وتأمينات مرتفعة من جرّاء نقل البضائع الألمانية على متن سفنها إلى مرافئ البحر المتوسط التي كانت تحميها السفن الحربية أو عقود مع دويلات المغرب العربي.

وبذلك كان تقديم أية مساعدة للأسطول البحري التجاري الألماني في عبوره إلى المتوسط معناه خسارة صفقة رابحة.

ولم تُحل مشكلة التجارة الألمانية إلا بعد صلح أدرنة عام 1829م وبعدما إحتلت فرنسا الجزائر عام 1830م وأرغمت كلاً من تونس وطرابلس على الإمتناع عن "القرصنة"، مما جعل البحر المتوسط أكثر أمناً للتجارة الألمانية.

تمثل الفترة الممتدة بين صلح أدرنة وبين إنهاء الأزمة المصرية في عام 1840م نقطة تحول هامة في السياسة البروسية من المسألة الشرقية. فخلال مفاوضات السلام عام 1829م توسطت بروسيا بين روسيا والدولة العثمانية من خلال الجنرال البروسي موفلينغ Muffling وبموافقة فريدريك وليم الثالث Friedrich Wilhelm III وصل إلى الآستانة عام 1835م الضابط الروسي هلمُت فون مولتكه Helmut Von Moltke في زيارة تستغرق ستة شهور. ولكن هذه الزيارة تحولت إلى إقامة إستمرت أربع سنوات قضاها مولتكه كمستشار لإعادة تنظيم الجيش العثماني. وفي عام 1837م أرسل ضباط آخرون للخدمة في الجيش العثماني، وإن بصفة خاصة.

وأخيراً شاركت بروسيا بنشاط في المسألة الشرقية بما زادها تورطاً في قضايا المشرق العثماني. وخلال ذلك طرحت بروسيا بمشاركة بريطانيا خطة للتدخل المباشر في شؤون فلسطين.

في تلك المرحلة، بدأت تبرز نشاطات تبشيرية على شكل مساعدات إنسانية من خلال إنشاء مستوصفات طبية ومراكز إجتماعية خدماتية. وقد إستندت هذه المراكز والمستوصفات على خلفية إنشاء مطرانية بروسية – إنكليزية مشتركة في القدس.

مطرانية القدس البروسية – الإنجليزية المشتركة

يعتبر إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية من قبل بروسيا وإنكلترا عام 1841م أحد أهم معالم الكنيسة الأوروبية خلال القرن التاسع عشر في منطقة الشرق الأدنى عموماً وفلسطين خصوصاً. فبعد الإنتهاء المؤقت من المسألة الشرقية عام

1840م وإنقاذ الدولة العثمانية عن طريق التدخل المباشر لبريطانيا وبروسيا وروسيا والنمسا، إشتد النفوذ الكنسي الثقافي لبريطانيا وبروسيا في تلك الدولة كممثلتين للبروتستانتية في الشرق. وكان تكثيف الدولتين لنشاطهما الكنسي في أعقاب المطرانية إحدى الخطوات التي دعت الباب العالي عام 1850م إلى الإعتراف بالملّة البروتستانتية أسوة ببقية الملل المسيحية. وبالإضافة إلى ذلك إستخدمت المطرانية كرأس جسر في توطين اليهود بفلسطين بإشراف الدولتين. لقد إستولت فكرة إنشاء هذه الكنيسة على مخيلة الملك فريدريك وليم الرابع الذي اعتلى العرش في العام 1840م. وقد وجدت بعض الدوائر البروسية المهتمة بأوضاع فلسطين لدى الملك الجديد تحمساً لمشاريعها الدينية هناك.

من الشخصيات التي مارست نفوذاً خاصاً على فريدريك وليم الرابع وأحاطته بأفكارها الإخوة فون غير لاخ Brūder Vongerlach وجوزيف ماريا فون رادوفيتز Joseph Maria Vom Radowitz الذي إشتهر بثقافته وعلمه وتبوأ رغم كاثوليكية أعلى المناصب العسكرية في بروسيا، وأخيراً البارون كريستيان شارلز فون بونسن Christian Carl Josias Freicher Von Bunsen الذي كان متعمقاً بالتاريخ الكنسي للعصور الوسطى ومحبباً في الوقت نفسه إلى الملك، والذي كان يناقش مع الملك مشاريعه الرومانسية.

في بداية عام 1841م وُضعت اللمسات الأخيرة على إتفاقية إنشاء المطرانية. وتبعاً لذلك تقرر أن تكون "مطرانية كنيسة إنكلترا المتحدة في القدس" مطرانية إنكليزية. فالمطران نفسه تقرر أن يعين بالتناوب بين بريطانيا وبروسيا، ولكن كان عليه أن يكون تابعاً للكنيسة الإنكليكانية وتحت إشراف رئيس أساقفة كانتبري Canterbury وأن تمتد سلطته الروحية والحقوقية الكنسية على كل رجال الدين الإنكليكانيين والجالية البريطانية وأيضاً كافة المؤسسات والجمعيات والأشخاص المرتبطين بكنيسته في كل فلسطين، سوريا، كلدانيا، مصر والحبشة، الذين يريدون طواعية أن يضعوا أنفسهم تحت سلطته. أما رجال الدين الألمان فقد خُيّروا بالإنضمام إلى المطرانية، إلا أنه توجب عليهم الحصول على تكريسهم وفقاً لقوانين الكنيسة الإنكليكانية. أما مسائل التبعية القومية فلم تعر إعتباراً لتأمين إنطلاقة ناجحة للمطرانية تبرع ملك بروسيا بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه إسترلينية من جيبه الخاص لوقفه على المطرانية وأن تخصص

فوائده لتغطية نصف راتب المطران السنوي. أما الجانب البريطاني فقد تبرع بمبلغ 20 ألف جنيه، دفعت منها جمعية يهود لندن 3 آلاف جنيه. كما تقرر أن يعتبر إتفاق المطرانية ساري المفعول بإحتلال المطران لكرسي المطرانية، وهو ما حدث في كانون الثاني/يناير عام 1842م[22].

حملت المطرانية منذ إنشائها في عام 1841م مقومات إنهيارها. فمنذ البداية إكتشفت بروسيا أنها تلعب دور الشريك الضعيف مع إنكلترا ولم تستطع أن تمارس نفوذاً ملحوظاً على المطرانية. ولذا شعرت الجماعة الألمانية أنها تقع تحت نفوذ الشريك الأقوى. وكلما إزدادت الجمعيات التبشيرية الألمانية نمواً ونشاطاً في فلسطين، كلما إشتدت الميول الإنفصالية عندها. فما كان مقبولاً في الأربعينات من بروسيا الضعيفة سياسياً، أصبح مرفوضاً في الثمانينات من قبل الرايخ الألماني القوى عالمياً. ولهذا قامت الحكومة الألمانية بفسخ الشراكة وأسست بدلاً من المطرانية "مؤسسة القدس الإنجيلية" التي لم تستطع أن تكون نداً للإمبراطورية التي أصبحت بعد الإنفصال محض إنكليزية.

والملاحظ في تلك الفترة، أنه رغم كل الجهود المكثفة التي بُذلت لتوطين اليهود المتنصرين في فلسطين أو تنصير اليهود المحليين في فلسطين، إلا أن أحداً من السياسيين الألمان أو البريطانيين لم يعر أوضاع اليهود إهتماماً أو الأوضاع العامة في فلسطين إعتباراً جدياً. فاليهود المقيمون في فلسطين كان إرتباطهم بالبلاد إرتباطاً دينياً، لذا فقد وقفوا من المبشرين الذين كان معظمهم من المرتدين اليهود موقفاً معارضاً لجهودهم التبشيرية، إتّسم بالإستياء من قيام أبناء جنسهم وعقيدتهم بمحاولات ردهم عن دينهم. ولهذه الأسباب لم تتمكن مطرانية القدس منذ تأسيسها وحتى وفاة المطران ألكسندر من تنصير أكثر من 40 يهودياً. وخلال مطرانية خليفته غوبات Gobat لم يتعدّ عدد اليهود المُنصّرين في العام أكثر من 6-7 أفراد. ولذلك فإن الإعتقاد القائد بأن تنصّر اليهود إلى البروتستانتية لم يكن بدوافع دينية، بل بفعل عوامل ودوافع إقتصادية ومادية، لا يمكن إستبعاده مطلقاً، خاصة إذا علمنا أن معظم يهود فلسطين كانوا يعيشون في فقر شديد.

(22) Henry Smith, The protestant Bishopric in Jerusalem, its origin and progress, London 1847,p34

رغم كل النواحي السلبية التي أحاطت بتأسيس تلك الكنيسة، فعلى المرء ألا ينكر فضل المطرانية في إستقرار الجمعيات الإنجيلية الألمانية في فلسطين والمشرق، بحيث يمكن القول إنها كانت نقطة الإنطلاق والبداية للنفوذ الألماني في فلسطين. وبإرغام الدولة العثمانية على الإعتراف بالملّة البروتستانتية تكون أهم الأسس قد وضعت للعمل التبشيري في السلطنة. وعلى عكس ذلك فقد فشلت خطة توطين اليهود في فلسطين وتنصيرهم. فأعداد اليهود المنصّرين ظلت قليلة.

رواد التبشير الإنجيلي الألماني في الشرق الأدنى

ينطلق مؤرخو التبشير الإنجيلي في الشرق الأدنى في دراساتهم عن التبشير بنشاطات الإنكليز والأميركيين، التي بدأت مع مستهل القرن التاسع عشر. ومع ذلك فإن المبشرين الألمان لم يكونوا بعيدين عن الشرق في محاولاتهم الحصول على موطئ قدم لإرسالياتهم هناك. فخلال القرن السابع عشر قام المبشر بيتر هيلنغ[23] Peter Heyling و"جمعية الأخوة في سكسونيا"[24] Brüdergemeine in Sachsen بنشاطات تبشيرية في سوريا، الحبشة وإيران.

وخلال حرب الإستقلال اليونانية (1821 – 1829م) قامت الجمعية التبشيرية في بازل Basler Mission sgesellschaft، ومركزها سويسرا، مدعومة من ألمانيا بنشاطات بين اليونانيين. ومن العاملين في هذه الجمعيات كريستيان فريدريك شبتلر Christian Friedrich Spittler الذي يوصف عادة بـ"شيخ المبشرين".

منذ عام 1836م إنصّب إهتمام شبتلر وبعض الجماعات المتدينة في

(23) Kenneth Scott Latourette A History of the Expansion of Christianity 1800-1914 London

(24) تاسست هذه الجمعية أصلاً تحت إسم Bõhmish mährische Brüder unität وخلال القرنين 16 و17 أجبر أعضاء هذه الحركة البروتستانتية على الفرار إلى بولندا، هولندا، إيرلندا وبريطانيا. وفي عام 1722م أعيد إحياء هذه الجمعية بتأسيس مركز لها في هرنهوت بزعامة الغراف نيقولا لودفيغ Nicolas Ludwig في تسنز ندروف Zinzendorf. ومنذ القرن 18 بدأت الجمعية نشاطاً تبشيرياً في أنحاء مختلفة من العالم. أنظر كتاب:
Encyclopedia of Relation and Ethics, editor James Hastings, vol vlll, N.Y 1951, PP, 837-841

فورتبنرغ على إنشاء مستوطنة مسيحية من مستوطنين ألمان في الأراضي المقدسة. وخلال عامي 1836 و1837م قام المستشرق الألماني هاينريش فون شوبرت Heinrichvon Schubert برحلة إلى الشرق ولفت الإنتباه في كتاباته إلى ضرورة إنشاء مستعمرات دينية في فلسطين. كذلك قام فريدريك أدولف شتراوس Friedrich Adolph Strauss، راهب البلاط الملكي في برلين، برحلة في الأربعينات إلى فلسطين. وكان تأثير الرحلتين على شبتلر كبيراً، بحيث إعتقد ان الوقت قد حان لإنشاء مستوطنته الدينية في القدس، التي أرادها أن تكون نواة لإستيطان واسع في المشرق الإسلامي.

وعلى عكس الجماعات الألمانية المتدينة الأخرى التي كانت تنادي "بإستيطان مسلح" للأراضي المقدسة لأجل حماية المستوطنين من "تعديات السكان المحليين"، كان شبتلر يؤمن بضرورة قيام "إستعمار سلمي". فقد أدرك مخاطر الإستيطان المسلح على الوجود المسيحي في المنطقة الإسلامية. ولذا كتب إلى أحد الرهبان يقول: "إن الجامعات في هسن تفكر في الهجرة إلى فلسطين. إني أعترف بأني أخشى قيام مستعمرة من 500 مسلح. إن هذه القضية سياسية وليست مسيحية. ولهذا فإني لا علاقة لي بهذه الجماعات فخطتي تنحصر في إقامة مستعمرة من بعض الرهبان البسطاء...[25].

وفي 19 نيسان/إبريل 1841م أبلغ شبتلر البارون بونسن، المبعوث البروسي لدى البلاط البريطاني، نيته إنشاء ،ستوطنة في القدس من مستوطنين ألمان. وكان شبتلر يرى ضرورة الإستعجال بإنشاء المستوطنة نظراً إلى الظروف السياسية الملائمة التي نتجت عن القضاء على الحكم المصري في سوريا وفلسطين وإعادة المنطقة إلى الإدارة العثمانية. ولكن المطران غوبات، الذي كان يعمل آنذاك كمبشر في مالطا في خدمة "جمعية التبشير الكنائسية" ويدرك الأوضاع في المشرق، حذر شبتلر من مخاطر مشروعه وأعلمه بضرورة تسليح المستوطنات المزمع إنشاؤها كي تستطيع ان تحمي نفسها من "إعتداءات المسلمين المحليين"، لأن وضع المستوطنين، كما ذكر غوبات، "لن يكون كوضع الخراف بين الذئاب فحسب، بل كوضع الخراف بين الذئاب

---

[25] Johann Kober op. cit. p185

والنمور والأسود والثعابين". وكان غوبات مقتنعاً بأن تسليح المستوطنات غير كاف وحده ولا يؤمن في نهاية المطاف الضمانات المطلوبة ضد "التعديات التي يقوم بها المسلمون". فشراء الأراضي وإقامة المستوطنات عليها كما رأى غوبات يجب أن يسبقهما إتفاق رسمي بين المستوطنين الأجانب والحكومة العثمانية تضمنه الدول الأوروبية الكبرى التي تتمتع بحق الحماية الدينية في فلسطين وبعبارة أخرى أراد غوبات إفهام شبتلر أن الإستعمار هو مسألة سياسية قبل أي شيء آخر. ولكن شبتلر، الذي كان يجهل الكثير عن الأوضاع في الشرق، رفض التبشير بالسياسة وسار قدماً في مشروعه رافضاً نصائح غوبات وتحذيراته.

فشل مشروع شبتلر الإستيطاني في فلسطين، بعد عدة محاولات لإنجاحه، كما تحطمت كل الآمال التي علقت عليه. وسبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى طريقة شبتلر في العمل التبشيري، وهي التبشير والعمل في وقت واحد وإظهار الوجه الحقيقي لعلاقة المسيحيين بعضهم ببعض. ولكن هذه الطريقة الجديدة في نشر المسيحية قوبلت بالتحفظ في المجتمع الفلسطيني الذي كان يحتاج – في غياب إهتمام السلطات العثمانية قبل التبشير وإظهار محبة المسيحيين بعضهم لبعض – إلى مؤسسات تساعده على حل مشكلاته المعيشية والتربوية لا إلى مستوطنات أوروبية وما تشكله من منافسة له وضرب لأسسه الإقتصادية في حدودها الدنيا، حيث عمل المبشرون كأصحاب محال صغيرة وحرفيين وزراع. هذه النواحي عجز شبتلر ورهبانه في إستباق إدراكها.

ورغم الفشل في النواحي الإستيطانية الدينية، فإن نجاح المبشر شنلر Schinler في إنشاء مستوطنة "بيرسالم" عام 1879م كان يعد إستمراراً لنهج شبتلر. إضافة إلى أن شبتلر وضع نواة الجماعة البروتستانتية الألمانية في فلسطين دون ان يدري. ففي عام 1883م كان هناك 13 مبشراً تاجراً ألمانياً في فلسطين تابعين للإرساليات: 3 منهم في بيروت وبرمانا، و10 في فلسطين.

ولقد بقي أول أربعة منهم في فلسطين وتزوجوا، وكذلك القسم الأكبر من أبنائهم. كما إستوطنت فلسطين 7 عائلات من أحفاد هؤلاء، منها عائلة فروتيغر، التي شاركت في عام 1897م في تأسيس "بنك فلسطين الألماني" Deutsche Palästina Bank. وبإختصار فقد كانت تعيش في فلسطين نتيجة لمشروع شبتلر عند نهاية القرن التاسع عشر 17 عائلة.

دار الأيتام السورية

بعد إنسحاب المصريين بقيادة إبراهيم باشا من سوريا وفلسطين عام 1840م تزايدت الخلافات الإجتماعية – الطائفية في المقاطعات اللبنانية بحيث أوصل البلاد في عام 1860م إلى الحرب الأهلية. ونتيجة هذه الحرب كثفت الإرساليات التبشيرية الأوروبية والأميركية من نشاطاتها بين اللاجئين المسيحيين. ومن بين المبشّرين الأوروبيين الذين وفدوا إلى "لبنان" لنجدة اللاجئين الموارنة الراهب البروتستانتي الألماني يوهان لودفيغ شنلر Johann Ludwig Schneller الذي حضر من فلسطين إلى المنطقة والتقى بعض الأيتام المسيحيين الموارنة ونقلهم إلى القدس ليؤسس "دار الأيتام السورية"، Das Syrischewaisehaus، التي تحولت مع الوقت إلى أكبر المؤسسات التبشيرية العاملة في سوريا.

بداية تصورات شنلر الذي ولد عام 1820 م في قرية أرفنغن Erpfingen بجنوب ألمانيا من أب قروي ونسّاج والذي أصبح في العام 1842 م أستاذاً أصيلاً في برغفلدن Bergfelden وأريسلنغن Eisslingen وغنسلوزن Gansslosen والذي أتيحت له خلال وجوده في مدينة غوبينغن Goppingen زيارة مؤسسة إنقاذ الأولاد "حيث شاهد الأولاد يتعلمون اعمالاً حرفية فتأثر من هذا الأمر وكان لذلك الحدث تأثير كبير على مجمل نشاطاته التبشيرية في فلسطين، إذ قام شنلر بتطبيق كل ما شاهده من أشغال مهنية في مؤسساته في فلسطين. وفي عام 1847 م دخل شنلر في خدمة "إرسالية الحجاج لأخوة كريشونا" حيث عمل كمعلم ومسؤول عن 20 تلميذاً ضمتهم الجمعية. وإستجابة لدعوة شبتلر، أمين الإرسالية آنذاك، حضر شنلر عام 1854م إلى القدس مع زوجته وستة من تلامذة الإرسالية، حيث أعاد إفتتاح مركز الإرسالية في المدينة.

وعندما نزل شنلر في فلسطين لم تكن لديه أية خطة تبشيرية ولا أي تصور لعمله المستقبلي سوى نشر البروتستانتية في الشرق الأدنى من خلال عمله مع إرسالية كريشونا. وعن طريق التبشير إعتقد شنلر بإمكانية إنقاذ القدس "التعيسة الحظ" لوقوعها تحت سيطرة المسلمين وإعادتها إلى حظيرة المسيح.

في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1860م أعلن شنلر رسمياً إفتتاح "دار الأيتام السورية"، في منزل متواضع يتألف من حجرة نوم وأخرى للجلوس ومطبخ. ومنذ بداية

نشاطه التبشيري أراد شنلر أن تكون دار الأيتام مؤسسة تربوية وتعليمية حيث "يربى الأولاد ويتعلمون ليصبحوا أعضاء مفيدين لكنيسة المسيح". ولبلوغ هذا الهدف كان على شنلر أن يستبقي التلاميذ أطول فترة ممكنة تحت تأثير التعاليم البروتستانتية. ولذا مدد شنلر تخرج التلاميذ من سن 14 إلى 18 فإلى 20. كما وضع برنامجاً شدد فيه على "الصلاة والعمل". فبالصلاة، التي كان يشارك فيها الجميع دون إستثناء، رأى شنلر وسيلة لكسب أتباع جدد إلى الكنيسة الإنجيلية. وبعد مرور ثلاث سنوات على تأسيس الدار جرى تعميد أول دفعة من تلامذة الدار في كنيسة المسيح. وفي فترات لاحقة كانت أعداد المعمّدين تصل سنوياً إلى 30 – 40، من بينهم بعض المسلمين المنصّرين وأرثوذكس وكاثوليك وأرمن.

لقد شكل "القول المسيحي والعمل المسيحي" لدى شنلر أكثر من غيره من المبشرين وحدة لا تتجزأ. ولوحظ أن نية شنلر في نشر البروتستانتية في فلسطين، إرتبطت في شكل حميم برغبته في تطوير المجتمع الفلسطيني وإحتلت مكاناً بارزاً في سياسته. فقد كان شنلر مقتنعاً بأن دخول الناس في البروتستانتية يجب أن يقترن بتغيير طريقة معيشة هؤلاء وتحسينها، وإلا فما نفع القول المسيحي والعمل المسيحي. فالدين والتعليم المدرسي كانا في نظره غير كافيين لكي يستطيع خريجو الدار، وهم قلة، أن يصمدوا ويعتمدوا على أنفسهم في المجتمع الفلسطيني. ولهذا أصر شنلر على تعليم تلامذته الصناعات المهنية ويمتدح أحد المصادر العربية مدرسة شنلر المهنية بأنها كانت:

"المدرسة الصناعية الوحيدة في البلاد بين المدارس الإنجيلية ولا شك أنها أفادت البلاد كثيراً لأن الحاجة إلى مدارس نظيرها هي أكثر من المدارس العلمية وفضلها على البلاد لا ينكره إلا الغبي الجاهل".

إذاً فكل جهود شنلر صبّت في إيجاد قاعدة إنجيلية في فلسطين لتكون نواة كنيسة إنجيلية عربية. ولهذا الهدف أنشأ شنلر المستوطنات الزراعية والحرفية والتجارية ليعمل فيها خريجو الدار. وبإدخال العنصر العربي في مشاريع الإستيطان يكون شنلر قد تفرد وحده خلافاً للجمعيات التبشيرية العاملة في فلسطين، والتي قامت سياستها على "إستيراد" المستوطنين الأجانب. وهذه السياسة الإستيطانية القائمة ذات النواة العربية وفرت نسبياً على شنلر الكثير من المشكلات مع السلطات العثمانية وضمنت

للدار مساعدة السلطات الألمانية التي كانت تتحفظ إزاء عملية إستيطان رعاياها في المشرق. وإذا كانت إقامة كنيسة إنجيلية عربية وتكوين جماعة تابعة للدار قد ظل مشروعاً متواضعاً فإننا لا نستطيع التغاضي عن إيجابيات المشروع في أنه ساعد عن طريق التعليم المدرسي والمهني والزراعي آلاف الخريجين على تأمين وجودهم المادي.

نشاطات شماسات ألكيزر زفرت في فلسطين

في أعقاب إنشاء مطرانية القدس عام 1842م بدأت في ألمانيا جهود لربط التبشير في فلسطين بتحسين البنية التحتية للسكان هناك. فقام إنشاء المطرانية أمر فريدريك وليم الرابع، ملك بروسيا.ا بجمع التبرعات والهبات في كنائس ألمانيا لإقامة المدارس والمستشفيات في القدس. لكن خطوات عملية في هذا الإتجاه لم تحدث قبل إعتراف السلطنة العثمانية بالطائفة البروتستانتية عام 1850م.

وخلال الفترة نفسها كانت الكنيسة الإنجيلية الألمانية قد بدأت بتدريب شماسين وشماسات للخدمات الإجتماعية. ففي عام 1836م تأسس أول منزل للشماسات على نهر الراين "رهبنة شماسات ألكيزر زفرت على الراين" Kaisers werther Diakonissenantalt an Rhein من قبل الراهب يتودور فليدنر Theodor Fliedner في مدينة كيزرزفرت قرب دوسلدورف Dusseldorf وقد أنيطت مهمة بدء نشاط تبشيري نسائي ألماني خارج ألمانيا على عاتق شماسات ألكيزرزفرت.

ومنذ عام 1846م كان فليدنر على إتصال بالدوائر المهتمة بتنمية المصالح البروتستانتية في الشرق الأدنى، ومنهم بونسن والمطران غوبات. وكان هذان يحثان فليدنر على بدء نشاط خيري في فلسطين. وبعد مرور أربع سنوات على ذلك التاريخ تلقى فليدنر رسالة من غويات يطلب منه فيها إرسال شماسين للعمل بين المرضى في القدس، وأيضاً للتعليم في مدرسة المطرانية إذا أمكنهما ذلك. وبدلاً من إرسال شماستين قرر فليدنر إرسال أربع شماسة. ويبدو أن خطته كانت تتعدى تصورات غويات للموضوع. فقد أراد أن يدير الشماسات مدرسة لفتيات الجماعة الألمانية في القدس وللبنات العربيات اللواتي يرغبن في الحصول على قدر من التعليم. وبذلك كان فليدنر يهدف إلى إقامة مؤسسة تربوية صحية مسيحية في فلسطين على أسس تبشيرية. ولتحقيق مشروعه إتصل فليدنر بملك بروسيا وبحث معه الموضوع. وقد

رحب فريدريك وليم الرابع بذلك وتمنى أن تعمل الشمامسة بشكل رئيسي بين اليهود المنصّرين والألمان. كما أعلن عن إستعداده لتمويل المشروع مادياً.

وفي بداية عام 1851م بدأ فليدنر يتأهب لمرافقة الشمامسة الأربعة وفي الوقت نفسه قام بإتصالات بالعديد من الجمعيات النسائية الألمانية والبريطانية والروسية داعياً إياها للمساهمة في دعم المشروع. ولهذا تأسست في برلين "جمعية صهيون" Zionsverein. وفي آذار/مارس العام نفسه وقع فليدنر وغوبات عقداً تعهد الأخير بموجبه دفع مرتبات الشماسين المخصصتين للرعاية الصحية وقدره 40 جنيهاً إسترلينياً لكل واحدة سنوياً. أما الشماستان الأخريان المختصتان بالتعليم فتحملت جمعية ألكزر زفرت في دوسلدورف نفقات إقامتها. وبعد مرور شهرين على الإتفاق وصل فليدنر والشماسات الأربع إلى القدس وأسس مستشفى ومدرسة للبنات في منزل على جبل صهيون بالقدس كان يوجد فيه أيضاً النزل البروسي.

وبعد مرور 50 عاماً على هذه البداية المتواضعة تطور عمل رهبنة الدياكونيس ليشمل 15 محطة تبشيرية تضم مدارس، مستشفيات، ندوات تعليمية ومؤسسات خيرية تعمل فيها ما يزيد عن 100 شماسة. وقد عاينت هذه المستشفيات مئات المسلمين والمسيحيين واليهود. في العام 1894م تم تدشين مستشفى جديد كان يتسع لـ 100 سرير، وهكذا تكون أليكزر زفرت قد إمتلكت 4 مستشفيات في الشرق الأدنى: في الآستانة منذ عام 1852، والإسكندرية منذ عام 1857م، وفي القاهرة منذ عام 1884م. وإضافة إلى ذلك كانت الشماسات يعملن منذ عام 1867م في المستشفى البروسي في بيروت. وفي العقد الأول للقرن العشرين بلغ عدد المرضى المعالجين سنوياً في مستشفى ألكيزر زفرت في القدس نحو 1000 مريض وفي العيادة الخارجية ما يربو على 10 آلاف، نصفهم من المسلمين.

سعت الشماسات منذ البداية إلى أن يشمل نشاطهن الفتيات المسلمات خارج أبواب الدار. وقد تم لهن ذلك عندما عهد أحد الأتراك الأغنياء إليهن في عام 1867م إدارة مدرسة للبنات أسسها في الحي التركي بالقدس. وبسبب إنشغالهن في مدرستهن خصصت الشماسات فترة ما بعد الظهر لتعليم الفتيات المسلمات الأشغال اليدوية والمنزلية. وسرعان ما تمكن من توطيد علاقتهن بالفتيات وأسرهن وأخذن يدرسن

التعاليم الدينية المسيحية وهن يأملن في تنصيرهن في المستقبل.

والواقع أن الإرساليات الألمانية وجدت نفسها خلال عملها في فلسطين وسوريا تجابه تحديات وظروفاً تختلف عن تلك في ألمانيا. ففيما هدف نشاطها داخل ألمانيا دعم الإيمان المسيحي عند الألمان، إختلف الوضع في المجتمعين السوري والفلسطيني، حيث تكثر فيهما الطوائف الدينية ويخضع لسلطة إسلامية. وقد قام الفلسطينيون المسلمون والسوريون، وبخاصة الطوائف المسيحية الأرثوذكسية، بالدفاع عن مراكزهم التقليدية ضد سياسة الإختراق التبشيرية البروتستانتية. ولهذا رأت الإرساليات الألمانية البروتستانتية الإبتعاد عن التنصير المكشوف والعمل بمفهوم الشمولية أو العالمية المسيحية بتقديم خدمات إجتماعية حياتية للسكان المحليين وكسب الأتباع من بينهم وزرع الإيمان في قلوبهم. ولهذا كان العمل الإجتماعي بجوانبه المتعددة خطوة هامة وأساسية في إنجاح التنصير ونشر البروتستانتية.

جمعية بيت المقدس

بعد مرور عامين على إنشاء مطرانية القدس الإنجيلية أقيمت في بروسيا إحتفالات لأجل القدس نظمتها الكنيسة البروسية لجمع التبرعات وتشجيع النشاطات التبشيرية البروتستانتية الألمانية في فلسطين.

ولكن هذا التوجه سرعان ما قوبل بفتور من قبل الرأي العام البروسي. فبعض الدوائر البروسية رأت في تلك هواية جديدة للعرش وليس سياسة كنسية عامة. وفي ضوء ذلك ظهر كأن مناطق جنوب ألمانيا هي وحدها المهتمة بالعمل الإنجيلي في فلسطين.

ولكن بدء المطران غوبات عام 1845م نشاطاً إرسالياً في فلسطين وإستيطان مبشرين لإخوة كريشونا في القدس وتأسيس جمعية ألكيزر زفرت مركزاً لها على جبل صهيون في القدس وتعيين القس فريديريك فالنتينر Friedrich Valentiner كأول راع للجماعة الإنجيلية الألمانية في القدس، كلها أمور حملت معها إهتماماً تدريجياً للرأي العام البروسي نحو الأراضي المقدسة.

وعندما قام فردريك أدولف شتراوس Friedrich Adolf Strauss، الواعظ

المساعد في كاتدرائية برلين، برحلته إلى المشرق عام 1844م وأصدر بعد أعوام ثلاثة كتباً حول الرحلة سمّاه "سيناء والجلجلة" Sinai und Golgatha إزداد إهتمام الألمان بفلسطين. وهذا ما أتاح لشتراوس أن يؤسس في 21 كانون الثاني/يناير 1853م مع جماعة من "محبي القدس" "جمعية بيت المقدس" Jerusalemsverein وفي البند الأول من نظام الجمعية حُدد الهدف من إنشائها وهو "دعم المشروعات الإنجيلية ونشرها وزيادتها في فلسطين، وهي التي نشأت كنتيجة لإنشاء المطرانية، ومركز الشماسات في القدس...". على أن هذا الهدف ما لبث ان تطور بعد سنوات قليلة عندما بدأت الجمعية توسيع نشاطاتها، من دعم نشاطات الإرساليات الألمانية في فلسطين إلى ممارسة عمل تبشيري مباشر بواسطة مبشرين تابعين لها. وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت هناك ثلاث جماعات إنجيلية عربية وإثنتان ألمانيتان في رعاية الجمعية، إضافة إلى العديد من المدارس والمؤسسات الخيرية. وبغية دعم الجمعية معنوياً ومادياً ظهرت إلى الوجود جمعيات فرعية ومساعدة وأخرى نسائية.

يمكن القول إن جمعية بيت المقدس إستطاعت أن توسّع دائرة نشاطاتها في فلسطين إلى خارج مدينة القدس بإتجاه بيت لحم وضواحيها. وللوهلة الأولى يبدو ذلك كأنه تحقيق لمشروع الملك البروسي فريدريك وليم الرابع لعام 1841م بتكوين جماعات إنجيلية ألمانية في الأراضي المقدسة لتكون عماد مطرانية بروتستانتية ألمانية مستقلة عن مطرانية القدس الإنكليكانية. ورغم مجهوداتها بين مختلف الطوائف، إضطرت الجمعية إلى حصر نشاطاتها في أبتاع الكنيسة الأرثوذكسية. فمحاولتها لكسب بعض المسلمين إلى البروتستانتية باءت بالفشل. وفي دار الأيتام التي أسسها مولر Mūller لم يكن ممكناً كسب أكثر من إثنين من البدو المسلمين. أما في مدينة الخليل الإسلامية فقد ظلت جهود الجمعية لتنصير المسلمين عقيمة. لقد عجزت عن الحصول على موطئ قدم في هذه المدينة ونشر المسيحية بين أبنائها بسبب تنبه السلطات العثمانية والقيادات الإسلامية إلى دور جمعية بيت المقدس وغاياتها التبشيرية. ومع ذلك فلا يمكن الحديث عن نجاح ملحوظ للجمعية بين أتباع الكنائس الأخرى من العرب. فبعد مرور نصف قرن على بدء نشاطها لم يكن في رعاية الجمعية بفلسطين أكثر من 340 شخصاً. وفي بيت لحم، حيث أكبر الجماعات الإنجيلية التابعة للجمعية، لم يزد عدد أفراد الجماعة على 190 فرداً.

وأتاحت الخلافات الداخلية في جمعية الهيكل الألمانية للجمعية رعاية المنشقين روحياً وإجتماعياً كي تشجع غيرهم من "الأبناء الضالين" على العودة إلى حظيرة الكنيسة الإنجيلية وقبيل نهاية القرن الماضي بلغ عدد العائدين إلى البروتستانتية 240 شخصاً.

وأخيراً فإن ما يلفت النظر هو النزاع بين الجمعية ومولر حول تأسيس دار للأيتام وإدعاءات الجمعية بأحقيتها وحدها في تمثيل القوى الإنجيلية في بيت لحم. وفي سبيل ذلك لم تتوان عن التضحية بمشروع إجتماعي مفيد، وهو "دار أيتام مولر".

مشاريع بروتستانتية ألمانية أخرى في فلسطين

1- النزل الروسي Das preussische Hospiz

2- مأوى المجذومين "معونة يسوع: "Das AussatzigenasyI "Jesus Hilfe

3- مستشفى الأطفال "مؤسسة ماريا الخيرية": Daskinder Kenhaus Mariemstift

1- كان النزل الروسي أول مؤسسة إنجيلية من نوعها في القدس. وإرتبط إنشاؤه بدافعين: رغبة ملك بروسيا في صون "السمعة الألمانية" من تصرفات مشينة للعمال الألمان في الأراضي المقدسة ورغبة الكنيسة البروتستانتية الألمانية في أن يحصل أتباعها على بيت في القدس بدلاً من الإقامة في المؤسسات الكاثوليكية.

والواقع أن النزل كان مشروعاً صغيراً، لكنه إستطاع بسبب الإفتقار إلى مؤسسة مماثلة ورخيصة، أن يقدم خدمات جيدة. فبعد ما كان تأسيسه أصلاً لإستقبال العمال الألمان غير الميسورين، تطور مع الوقت ليصبح نزلاً للعلماء ورجال الدين، بعدما أصبحت فلسطين مهبطاً لهم[26].

2- على عكس النزل الروسي فإن تأسيس مأوى المجذومين ومستشفى الأطفال مرده إلى مبادرات فردية. فأهمية المصح تعود إلى إفتقار فلسطين إلى مؤسسة مشابهة، والى أنه دفع السلطات العثمانية بالتالي إلى الإهتمام بمرض الجذام.

(26) المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901م د. عبد الرؤوف سنو، معهد الإنماء العربي، بيروت 1987م، ط1، ص 137.

فبعد سنوات عدة على إنشائه قامت السلطات العثمانية بإفتتاح مصح عثماني، لكنه لم يستطع أن ينافس المصح الألماني. ومنذ البداية كانت الأهداف التبشيرية للمصح الألماني في تناقض مع نشاطه الطبي والإجتماعي. وهذا لم يزعج المجزومين من المرض المسلمين فحسب، بل السلطات العثمانية أيضاً، مما جعلها تتخذ إجراءات ضده.

3- وعلى عكس مصح المجذومين فقد أدرك مؤسسو مستشفى الأطفال منذ بداية العمل أهمية العناية الطبية للسكان من دون أي إعتبار للمذهب أو الطائفة. فلأول مرة يذهب المسلمون إلى مؤسسة مسيحية من غير أن تراودهم شكوك حول نواياها "غير الطيبة". كما انه لأول مرة لا تضع السلطات العثمانية العراقيل أمام مؤسسة أجنبية على إتصال مباشر بالسكان المسلمين. ورغم ما أثمره نشاط المستشفى فقد إضطر إلى التوقف عن العمل بسبب تراكم الديون عليه وعدم تمكنه من الحصول على دعم مالي ثابت، ما دفع الطبيب الألماني ساندرسكي على الإنتحار.

وإدراكاً منها لدور المستشفى الصحي والإجتماعي، قامت جمعية ألكيزر زفرت في عام 1901 بإنشاء قسم خاص في مستشفاها لمعالجة الأطفال[27].

النشاطات البروتستانتية الألمانية في لبنان

ظل الأميركيون، لفترة طويلة، الممثلون الفعليون للنشاط الإرسالي البروتستانتي في "لبنان". في حين ركز الإنكليز والألمان نشاطهم في فلسطين. وفي مطلع الستينات تعرضت الإرسالية الأميركية لأزمة، ليس بسبب الأحداث الطائفية من القرن التاسع عشر في "لبنان"، بل بسبب تقلص مواردها المالية نتيجة للحرب الأهلية الأميركية. وقد إستغل الإنكليز والألمان ذلك لتكثيف نشاطهم في المنطقة. وفي عام 1856م شكلت الجاليات البروتستانتية الفرنسية والسويسرية والألمانية المقيمة في بيروت جماعة بروتستانتية، غلب عليها الطابع الألماني. وبعد مرور سنوات ثلاث على ذلك التاريخ، إفتتحت الجماعة البروتستانتية مدرستها الخاصة، كما إرتفع عدد أفرادها إلى 73 شخصاً.

(27) المرجع السابق، ص 153.

وفتحت الحرب الأهلية اللبنانية عام 1860م أمام الإرساليات الألمانية التبشيرية الفرصة لبدء نشاط جديد في "لبنان". فإستقرت شماسات ألكيزر زفرت ورهبنة فرسان يوحنا وأخذتا تنشطان بين اللاجئين المسيحيين في بيروت وصيدا. ولكن هذه الجهود، التي كانت موجهة أصلاً لدعم المسيحيين تجاه المسلمين والدروز، تحوّلت مع لوقت لتشمل طوائف أخرى غير مسيحية، كان اهمها الطائفتين الإسلامية والدرزية.

وبسبب المصاعب المالية حاولت الشماسات الحصول على دعم من الحكومة لمدرسة البنات. ولما كانت الخارجية الألمانية لا تقدم مساعدات سوى للمؤسسات التي تشجع "الأهداف الوطنية" الألمانية، إضطرت ألكيزر زفرت في نهاية القرن التاسع عشر إلى تحويل مدرستها في بيروت من مدرسة دولية-دينية، حيث تكثر جنسيات التلاميذ وتنشط التوجهات البروتستانتية في العملية التربوية، إلى مؤسسة وطنية ألمانية تحافظ في الوقت نفسه على طابعها البروتستانتي.

خلال السنوات الثلاث الأولى على قدومهن إلى "لبنان" إنحصر نشاطات الشماسات في المجالات التالية:

- إنشاء دار للأيتام.
- مؤسسة الأرامل ومؤسسة الحساء المجاني.
- التعاون مع جمعيات بروتستانتية.
- رعاية المرضى في صيدا.

لاحقاً تركز نشاط الشماسات في حقول ثلاثة:

- دار الأيتام في بيروت (منذ عام 1860م).
- مدرسة البنات العالية وفرعها الداخلي (منذ عام 1862م).
- مدرسة عاريّا (منذ عام 1882م).

في العام 1867م حدث تعاون بين رهبنة فرسان يوحنا وألكيزر زفرت نتج عنه تأسيس المستشفى البروسي. وفي عام 1872م دخلت الكلية السورية ممثلة بكلية

الطب طرفاً ثالثاً في الإتفاق. هذا التعاون المشترك أضفى على المستشفى سمعة حسنة لدى أوساط مختلفة في بيروت. والجدير بالذكر هنا أن قطعة الأرض التي قدمتها السلطات العثمانية لأجل بناء المستشفى البروسي عليها في بيروت لدليل على تقدير تلك السلطات لدور المستشفى في الحقل الإنمائي الطبي والصحي. لكن يمكن الإفتراض أن السلطات العثمانية التي كانت تفتقر إلى مستشفى عثماني في بيروت أرادت من وراء ذلك أيضاً أن تظهر للدول الأوروبية أيضاً إهتمامها بـ"لبنان" كي تستطيع أن تستخدم ذلك حجة في إعادة سيطرتها على المنطقة في ما بعد.

وتشكل المدرسة الألمانية ثالث المشروعات الألمانية البروتستانتية في "لبنان". وكان تأسيس المدرسة جاء في الدرجة الأولى ليخدم أبناء الجماعة الإنجيلية في المدينة، وبخاصة الألمان منهم. وإذا كانت الجماعة الإنجيلية قد إستطاعت بين عامي 1859 – 1868م ومن 1880 – 1887م من إنشاء عدد من الصفوف، إلا أن ضعف الوجود الألماني في المنطقة عطل إمكانية إقامة مدرسة منظمة بالمعنى الصحيح. ورافق ذلك الخلافات الداخلية بين أعضاء الجماعة البروتستانتية ورفض الخارجية الألمانية دعم مدرسة لا تظهر الشخصية الألمانية.

نشاطات الكاثوليك الألمان في فلسطين

تختلف هيكلية العمل الإرسالي الكاثوليكي عن العمل البروتستانتي أساساً بكون الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة دولية في حد ذاتها، فيما الإرسالية البروتستانتية كانت تعيش على مساعدة الكنائس الوطنية. ولذلك فإن فرنسا والفاتيكان، والنمسا، لم تنشط في فلسطين إلى الحد المتوقع على أنها دعامة العقيدة الكاثوليكية فحسب، بل كمنافسة سياسية أيضاً، وذلك بسبب المصالح السياسية لكل دولة – هذه المصالح التي كانت تنعكس في أغلب[28] الأحيان على نشاطات الإرساليات. وقد ظلّ هذا العمل الألماني الإرسالي في المشرق ضعيفاً لفترة طويلة وذلك لأسباب متعددة. وفي الفترة الأولى لم يسر التبشير الكاثوليكي ي فلسطين على أسس قومية ألمانية، بل ظل جهوداً تبشيرية كنسية عامة. وأما في الفترة الثانية التي بدأت في العام 1884م في أعقاب تأسيس "جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان der Palästinverein

[28] المرجع السابق، ص 189.

Deutsclands Kathdiken التي كان هدفها الأول تمثيل المصالح الكاثوليكية الألمانية من جانب قومي ألماني وأيضاً المساعدة على قيام نشاط إرسالي كاثوليكي ألماني مستقل في فلسطين، فقد تغيرت الأمور وأصبح الهدف القومي أكثر وضوحاً.

في العام 1895م تم توحيد "جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان" مع جمعية القبر المقدس تحت إسم "الجمعية الألمانية للأرض المقدسة" Deutscher Verein Vom Heiligen حيث ظهر الكاثوليك الألمان في فلسطين كفريق ألماني وطني حيال الإرساليات التبشيرية التي سبقتهم إلى العمل في الأراضي المقدسة. وقد جرى هذا "الكفاح الثقافي" في ظل أجواء ألمانيا البسماركية التي دفعت المشاعر القومية للكاثوليك الألمان إلى الأمام.

حتى الحرب العالمية الأولى لم يتجاوز عدد أفراد الجماعة الكاثوليكية الألمانية في فلسطين أكثر من 200 شخص. ورغم ضآلة عددهم فقد كانت نشاطاتهم مؤثرة. ففي نهاية القرن التاسع عشر إستطاع الكاثوليك الألمان أن يقيموا شبكة من النزل والمدارس والمؤسسات حول القدس وفي الجليل الأعلى. كذلك أسسوا مستوطنات زراعية رغم الفشل في توطين عناصر كاثوليكية ألمانية وإضطرارهم إلى توطين مسيحيين عرب في تلك المستوطنات. وفي بداية القرن العشرين إستطاع الكاثوليك الألمان أن يفخروا بكنيستهم في القدس.

وكغيرهم من المبشرين رأوا في عملهم الإرسالي[29] إستمراراً للحملات الصليبية ولكن بوسائل سلمية. أما بالنسبة إلى النجاح والفشل في تنصير المسلمين فتصمت المصادر الكاثوليكية المتوفرة عن ذلك. ولكن الواقع على الأرض أجبر الكاثوليك الألمان أسوة بالبروتستانت الألمان على حصر نشاطاتهم التبشيرية بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

حصاد رحلات التبشيريين الألمان، ثقافتهم ومؤسساتهم

لم تؤد النشاطات التبشيرية التي قام بها الرواد الأوروبيون والأميركيون لاحقاً إلى مشرقنا العربي الغاية الأساسية التي هدفوا اليها ومن ورائهم القوى الحكومية

(29) المرجع السابق، ص 211.

والأهلية الداعمة لهم في بلادهم. فسياسة التنصير، من خلال مبدأ المساعدة الإجتماعية والثقافية المقدمة إلى سكان تلك المنطقة، فشلت فشلاً ذريعاً، ولم تصل إلى مبتغاها ولو بالحدود الدنيا. فالأرقام التي سجلتها نشاطاتهم، على هذا الصعيد، طوال عشرات السنين، بدت متواضعة جداً أمام حجم تلك الهجمة الواسعة من جانب أولئك المبشرين الذين توافدوا من أجل جذب الأهالي إلى إعتناق المسيحية بشتى فروعها، وفقاً لعقيدة الفئة العاملة بينهم في هذا المجال. لقد بدا الأمر عصياً في إقناع هؤلاء بتغيير مذهبهم الديني وسبب ذلك يعود إلى قوة هذا الموروث الإعتقادي التراثي لديهم ومدى رسوخه في أذهان وعقول وعادات هذه الشعوب. صحيح أن المؤسسات التي شيدت والمراكز الإجتماعية التي أقيمت من أجل مساعدتهم بدت فعالة ومفيدة لهم، غير أنها ظهرت وكأنها جردت من إستهدافاتها التي أنشأت لها، وبقي منها طابعها الإنساني المجرد الذي تقبلته أكثرية السكان من متلقي الخدمات. هذه المؤثرات الإنسانية كان لها صدى جيد بينهم لكنها لم تتعد في فعاليتها هذا الإطار. وقد ظهر في سياق عمل هذه المؤسسات الصحية والخدماتية الإجتماعية، مدى حاجة الناس إليها في ظل وجود حكم عثماني مترهل، ما منح أصحابها إمتيازاً تحديثياً، ظهرت معه هشاشة هذا الحكم وتخلفه إزاء نهضة الشعوب الأوروبية في سياق تطورها. إن تأثيرات تلك المراكز والمؤسسات إنعكست إيجاباً على تطلعات القوى التحديثية الأهلية العربية الهادفة إلى إعلاء شأنها القومي وحتى الديني.

ما كان ملحوظاً، هو أن هذه الأنشطة الأوروبية ومنها الألمانية التي تحركت متأخرة، إبتدأت تبشيرية ثقافية وإنتهت إقتصادية وسياسية. وكان واضحاً أن نشاطات الألمان ذات الطابع التبشيري الثقافي بدأت بمبادرات كنسية دينية ودعم رسمي، لكنها مثلت لفترة مديدة إستهدافات وطموحات الطيف الألماني السياسي. ومنذ ثمانينات القرن التاسع عشر أخذت المصالح السياسية والإقتصادية تحتل الصدارة في العلاقات الألمانية – السورية الفلسطينية وقد إستمرت حركة المصالح الإقتصادية الألمانية متفاعلة سياسياً مع تقدم حركة الشعوب العربية نحو تأطير مؤسساتها وأنظمتها. وقد أخذ الأمر قرناً ونيف من التطورات والعلاقات العاصفة حتى بدأت الأمور تستقر في إطار أوضاع مستجدة أساسها إنتفاء الحرب الباردة وزوال سياسات القطبين المتناحرين، وصولاً إلى قطب القرن الواحد والعشرين وبدء مناخات جديدة أساسها

العولمة الإقتصادية وإقرار مبدأ حقوق الإنسان على ما عداه وضرورة محاربة الإرهاب كخطر أساسي في العالم المعاصر.

ثقافة الإستشراق وما هي ميزة الإستشراق الألماني عن غيره؟

ثمة آراء كثيرة حول أهداف الإستشراق وغاياته. بعضهم ألزمه بغايات معادية للإسلام وإستعمارية، وبعض آخر أبعد عنه شبهة معاداة الإسلام، لكنه لم ينزهه في شبهة الإستعمار والإمبريالية. والمؤلفون العرب الذين كتبوا في هذا المجال كثر. غير أن كتاب إدوارد سعيد عن الإستشراق إحتل مكانة خاصة وتعددت الآراء وتنوعت في شأنه. ولسنا هنا في مجال الكلام عنه لأن هدف الكتاب هو التعريف بالنشاط الألماني حول هذا الأمر.

إستناداً إلى هذا الإختلاف في تعدد الرؤى، تكاثرت المدارس وتنوعت على المستوى الأوروبي والأميركي والغربي عموماً، التي تناولت هذا الشأن وتعمقت في الأبحاث الدالّة على مصادره ومكوّناته وعناصره التحليلية. ومن هذه المدارس المدرسة الألمانية التي سأعرضها، لاحقاً، في إطار ما سأورده عن الإستشراق كتيار معرفي وكنهج جرى الخلاف في شأنه، وكأداة عمل للمستشرقين الذين تباينت آراؤهم.

نقرأ على سبيل المثال، في مجلة "الدراسات والإعلام" أن "الإستشراق" رؤية غربية لعالم الشرق، رؤية شكلها منطق التاريخ بخلفيات الصدام بين الغرب والشرق. حصيلة تلك الرؤية أعطت ركاماً في مجال المعرفة، ومن خلال ذلك الركام وما قدمه من تصورات وتحليلات ومقارنات، تحددّت علاقة الشرق بالغرب. وقد إتضح من خلال الدراسات التي تناولت ظاهرة الإستشراق، ان معرفة الشرق، لغة وعقيدة وتاريخاً وحضارة، كان من أهدافها تسهيل مأمورية المدّ الإمبريالي، لتدجين العالم الشرقي وإستغلال طاقاته وموارده. ولما كان الإسلام يشكل بؤرة الصراع بين الشرق والغرب، كان لا بد من التعرف على الظاهرة الإسلامية، خاصة وأن عامل الإسلام أزاح سلطان روما، وظل يهدد أوروبا المسيحية حتى نهاية القرن السادس عشر (1571م). ولما كان النص القرآني هو جوهر الإسلام، وأنه تولى تحديد الإسلام باليهودية والمسيحية، بعد أن مكن للكينونة الإسلامية في الأرض، كان لا بد من الوقوف على هذا النص حتى يتمكن الغرب من التعرف على حقيقة الإسلام، وحقيقة الظاهرة

الإسلامية"[30].

تضيف مجلة "الدراسات والإعلام" **أولاً: صورة العالم الإسلامي في الغرب خلال القرن الحادي عشر الميلادي، القرن الخامس الهجري:** كانت مرحلة القرن الحادي عشر الميلادي بالنسبة للعالم الغربي، مرحلة توسع وتنظيم، تشهد بداية تشكل المؤسسات السياسية والإقتصادية والدينية والإجتماعية، وظهر فيها قادة كبار بارزون، كما عاش فيها معظم البابوات الإصلاحيين.

وخلال هذا القرن كثرت رحلات الحج التكفيرية من غرب أوروبا إلى القدس، إلا أن هذه الرحلات إضطربت بسبب الغزو السلجوقي الذي وضع القدس تحت سيادة الأتراك في سنة (463هـ/1071م)، بعد ان كانت تحت الحكم الفاطمي. ولم تكن صورة العالم الإسلامي واضحة في الذهنية الأوروبية قبل هذا القرن. وقد ساعد على تقريب هذه الصورة خلال هذا القرن عوامل:

1-أن العالم الإسلامي أضحى هو العدو الرئيسي، الذي يهدد العالم المسيحي الغربي، مع ان العالم الإسلامي كان يعاني من التشرذم والضعف السياسي.

2-حصول ما سماه المفكر الفرنسي (مكسيم رودنسون) بـ"الوحدة الأيديولوجية التي تكونت في العالم المسيحي اللاتيني". وقد أدت هذه الوحدة إلى رؤية أوضح لمعالم العدو، كما أدت إلى تضافر الجهود نحو الحروب الصليبية.

3-إنفتاح جبهات ثلاث على العالم الإسلامي:
- صقلية يستعيدها الترمنديون سنة 1060م.
- طليطلة يدخلها الفونسو السادس سنة 1086م.
- الإستيلاء على القدس من قبل الصليبيين عام 1099م.

ثانياً: الحملات الصليبية وبداية الإستشراق (489 – 690 هـ/1096 – 1291م): كانت الحروب الصليبية نقطة تحول حاسم في الصدام بين الشرق والغرب، وقد حركت هذه الحروب تاريخ الغرب الأوروبي، وطبعت وجدان الإنسان

[30] المرجع مجلة الدراسات والإعلام، رقم 278، 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1994، دمشق، ص 42-47.

الأوروبي حتى القرن الثامن عشر.

ثم إن تلك الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، لم تستطع أن تخفي وراء مظاهرها الدينية، نزعاتها القومية، وخلفياتها الإقتصادية، وعداءها السافر للإسلام. وبعد حوالي نصف قرن من بداية الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين، أدرك دهاقنة اللاهوت النصراني أن المسلمين يشكلون تهديداً للعالم، وأن الصراع العسكري مع الإسلام لا يكفي وحده، لإسقاطه وطمس معالمه، من هنا دعت الضرورة إلى معرفة مرتكزات الإسلام ومنطلقاته لهدمها وتشويهها. وهكذا بدأ اللجوء إلى إستعمال الفكر والثقافة لتشويه صور الإسلام، وهذا ما إشتد مفعوله في العالم الإسلامي المعاصر وهو يسير في ركاب الحداثة.

وتواريخ الكنيسة المسيحية تؤكد أنه تم إعداد القساوسة والرهبان، إبتداء من القرن العاشر الميلادي لمحاربة المسلمين بكل الوسائل.

ولا ينبغي أن ننسى أن المستشرقين الأوائل، قد تربوا في الأديرة، وأن الحروب الصليبية كانت من العوامل الأساسية التي وجهت الأنظار إلى عالم الشرق لدراسته والتعرف على حقيقته". (مجلة الدراسات والإعلام دمشق رقم 180، 278/نوفمبر، تشرين الثاني 1994م،). يقول المستشرق الألماني (رودي باريت Rudi paret 1900 - 1973): إن الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في بداية الإستشراق في القرن الثاني عشر، وفي القرون التالية له، هو التبشير. وعرف التبشير بقوله: إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، وإجتذابهم إلى الدين المسيحي[31].

وبدءاً من عام 1130م كان العلماء النصارى في أوروبا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم، بعد إقتناعهم بان العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم الكلاسيكي.

وكانت الأديرة من أهم المراكز التي إعتنت بالدراسات القديمة. وفي محاولات التعرف علي الإسلام، خلال القرن الثاني عشر، وتحت رعاية الكنيسة، قام بطرس

---

[31] الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي باريت R. Paret، ترجمة د. مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968م، ط1، ص 4-11.

الموقر (توفي سنة 1156م) رئيس رهبان دير كلوني (Cluny) بتشكيل جماعة من المترجمين في إسبانيا يشتغلون بصورة جماعية للحصول على معرفة دقيقة بالدين الإسلامي. وبتوجيه من بطرس هذا تمت أول ترجمة لمعاني القرآن إلى اللغة اللاتينية على أرض إسبانيا عام 532 هـ/1143م، وفي مرحلة تضاءل فيها شأن المرابطين في المغرب والأندلس، وبدأ الموحدون يحلون محلهم.

ثالثاً: ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية: لماذا القرآن؟

لأنه سر قوة المسلمين، به خرجوا إلى الدنيا بكتاب، وكان لهم فيه ذكر. لماذا القرآن؟ لأنه وضع نقطة الختام للتجربة البشرية على الأرض، ووضع الكلام السّوي في تاريخ وحي السماء إلى بني آدم. لأنه حاج أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وصحح عقائدهم وسلوكهم، ورمى القرآن الكتب التي بين أيديهم بالتحريف. إذا كان هذا القرآن هو من يحدد مجالات النظر إلى الإلوهية، والكون والحياة والإجتماع البشري في عالم الإسلام، فلا عجب أن يكون القرآن محط إهتمام رئيس دير كلوني (Cluny)، وأن تكون ترجمته أول مشروع في مجال الترجمة من العربية إلى اللاتينية، بل وأن يظل النص القرآني محط أنظار المستشرقين يترجمونه إلى لغات الدنيا كلها دون أن يقروا بمصدره الإلهي.

رابعاً: دير كلوني ورئيسه بطرس المبجل:

(1) دير كلوني (Cluny) من أهم الأديرة التي إنطلقت منها محاولات الإصلاح الديني في أوروبا، تأسس منذ سنة 910م/298هـ في فرنسا. ومثل دوراً أساسياً في التحريض على الحروب الصليبية، كما مثل دوراً فعالاً في مواصلة الحروب ضد المسلمين في إسبانيا، فقد سار البابا غريغوار السابع (Gregiore 7 (1073-1085م/466-478هـ) على توجيهات ذلك الدير، فدعا لتشكيل جيش ينهض بأعباء المسؤولية في شبه جزيرة إيبيريا، وبذلك تمكن الفونسو السادس سنة 1085م/478هـ من الإستيلاء على طليطلة، غير أن فتوحات المرابطين بالمغرب الكبير وبلاد الأندلس، أفزعت الفونسو السادس الذي إندحر في معركة الزلاقة سنة 1086م/479هـ، فراح الفونسو يناشد أوروبا المساعدات العسكرية. وكانت الأديرة الكلونية الأكثر نشاطاً في مجال تسهيل الحرب ضد المسلمين في الأندلس[32].

---

[32] ماهية الحروب الصليبية: عبده، قاسم (عالم المعرفة عدد 149)، ص 25-26.

وقد أصبح عدد الأديرة تحت حكم دير كلوني، خلال القرن 13م، 2000 دير. وخطورة دير كلوني تتمثل في إتصاله المباشر بالبابا، وقيامه بإصلاح الجهاز الكنسي البابوي من المفاسد، وإيصال عدد من رهبانه إلى سدة البابوية.

(2) وبطرس المبجل أو الموقر (PetrusVenerabilis = Piere Le Venerable) (1092 – 1156م).

وفي سنة 1122م، وهو في الثلاثين من عمره، صار رئيساً لدير كلوني (Cabbe de Cluny)، فعقد إتصالات سياسية بأمراء فرنسا وإسبانيا، وسعى إلى تسليح الكنيسة فكرياً لمواجهة الهرطقات – حسب تصوره – التي تتمثل في اليهودية والإسلام، وكانت غايته تزويد المسيحيين بحجج سليمة لتثبيت إيمانهم خوفاً عليهم من (الضلال).

وفي رحلته الثانية، لأديرة رهبانيته في إسبانيا – نهاية سنة 1141م– وفي سياق إهتمامه بأحوال المستعربين الكاثوليك (أي المسيحيين الذين يعيشون تحت حكم المسلمين في إسبانيا)، وإنشغال المرحلة بالإهتمام الفكري بالإرث العلمي الإسلامي، أثار انتباهه ما رآه في مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية في طليطلة (مدرسة أنشأها ريموندو (Raimundo) أسقف طليطلة، وما عرفه عن الإسلام، مما دفعه إلى تشكيل جماعة من التراجمة لمعرفة مجموعة من النصوص العربية.

وهكذا أخرج هذا الفريق من التراجمة مجموعة خاصة بهم، عرفت بإسم مجموعة كوليناك، وتحتوي على مؤلف لبطرس المبجل نفسه. ولعل أخطر عمل أنجز من طرف هذا الفريق هو ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية. وإستغرب د. عبد الرحمن بدوي كيف ظن بطرس أن يستطيع أن يخدم المسيحية بواسطة ترجمة القرآن إلى اللاتينية، وهم يعرضون العربية![33]

وقد إعتبر ريتشارد سوذرن (R.W. Southern)، دير كلوني معلماً تنويرياً في تاريخ العلاقة بين المسيحية والإسلام فبرعايته ظهرت أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية. وقد شكلت هذه الترجمة في نظره المعلم البارز الأساسي في مجال الدراسات

(33) موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، 1989، بيروت، ط 2، ص 68.

الإسلامية بأوروبا الغربية. يقول: " قدمت الترجمة القرآنية للغرب الركيزة الأساسية والمأمونة للبدء بدراسات حقيقية حول الإسلام، بيد أن ظهورها شكل أيضاً حقبة التعقل في رؤية الإسلام!" [34].

لم يلق إقتراح بطرس أن يدرس الإسلام لدعم العقيدة عند الأخوة السذج آذاناً صاغية! وآماله في هداية المسلمين إلى محاسن المسيحية الكاثوليكية خابت أيضاً. وهذا ما أسهم في تعثر – ما أطلق عليه لاحقاً– الحوار بين الإسلام والمسيحية".

وتختم مجلة الدراسات والإعلام خامساً بالكلام حول ترجمة القرآن إلى اللاتينية فتقول عن ذلك "ذكر نجيب العقيقي أنه ورد في الآثار التشيكية بالسلافية القديمة قصة نزول القديس كيريليس بالمشرق العربي حوالي 850م/236هـ، وجادل بعض علماء المسلمين، وترجم بعض آيات قرآنية إلى اللغة اللاتينية. أما ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية التي كانت بتوجيه من بطرس المبجل، وبرعاية منه، فيبدو أنه إشترك في إنجازها كل من:

(1) أسقف طليطلة (Pedro Toledo)

(2) روبرت الروتيني (Robert de Retina = Robert of Ketton) وهو راهب إنجليزي.

(3) هرمان الدلماشي (Hermon Von Dalmatien = Herman de Dalmatie) وهو راهب ألماني.

(4) أشركوا معهم عربياً مسلماً إسمه "محمد"[35]، مجهول الكنية أو اللقب مهمته هي مراجعته الترجمة على النص الأصلي، ا وان يترجم ضمن العربية إلى الإسبانية الشعبية.

(5) وأشرك بطرس مع هؤلاء الأربعة سكرتيره الخاص، ويدعى بطرس الذي جاء من بوايتيه (Pierre de poitiers) لمراجعة الترجمة مراجعة لاتينية من حيث

(34) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، سوذرن، ريتشارد R. W. Southern، نشر في العام 1936م، ترجمة وتقديم: د. رضوان السيد، كتاب الفكر العربي (7)، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1984م.

(35) المستشرقون، نجيب عقيقي 1032/3.

اللغة اللاتينية ولوحظ أن الصلات توطدت مع المترجمين الذين استفيد من خدماتهم وكانوا من (المستعربين) أو اليهود أو في بعض الأحيان من المسلمين الذين تتوافر فيهم معرفة واسعة ومباشرة بالعالم الإسلامي. ولاحظ د. بدوي أن هذه الترجمة اللاتينية هي "أقرب إلى التلخيص الموسع (paraphrase)[36] منها إلى الترجمة، فهي لا تلتزم بالنص دقة وحرفية. والغريب حقاً أن تصبح تلك الترجمة – وهي على تلك الصورة من التشويه– هي النسخة المعتمدة في الترجمات إلى عدد من اللغات الأوروبية إلى نهاية القرن السابع عشر.

بعد أربعة قرون، إنتقلت تلك الترجمة إلى اللغة الإيطالية، وفي عام 1616م نقل شايغر (Sheigger) هذه النسخة إلى الألمانية، بعدها ظهرت ترجمات فرنسية وإنجليزية. وأول طبعة للقرآن في نصه العربي هي تلك التي تمت في البندقية، ويظهر أن تاريخ طبعها هو سنة 1530م علماً بأن جميع النسخ التي طبعت أحرقت.

وظلت الترجمات مشفوعة بالمقدمات والحواشي والتذييلات، محشوة بالأخطاء والتحويرات. وعادت أوروبا إلى عزلتها الذاتية تتشدد في تطبيق تعاليم الكنيسة، وتحلم بإستعادة مجد روما. وقد إستعادت مجد روما، وسحبت بساط الحضارة من تحت أقدام المسلمين، ولم يعد الإسلامي مخيفاً، كما كان العهد في العصور الوسطى. وظلت علاقة الشرق بالغرب حتى اليوم، تحكمها ترسبّات المرحلة الماضية. وعادت هذه الترسبات اليوم إلى السطح بشكل يستفز مشاعر المسلمين، ويعمل على إذلالهم والسخرية منهم، بصورة[37] لا سابق لها".

بعد أن عرضت لرؤية ما جاء في مجلة "الدراسات والإعلام" الخاصة بالإستشراق وتاريخه وما كتبه د. عبد الرحمن بدوي، سأعرض ما جاء عنه من خلال المدرسة الألمانية ونظرتها للقرآن على لسان أحد نقادها، وهو الباحث العربي عباس أرحيله، لأعود فأورد حواراً عن الإستشراق الألماني مع الدكتور دارتموت بوتبسين الذي لمع نجمه في هذا المجال، أجراه معه الدكتور ظافر يوسف، نتعرف من خلاله

(36) المرجع السابق، ص 69.

(37) المرجع نفسه، ص 302.

على مجل تاريخ وواقع هذا الإستشراق. أخيراً سأستشهد بما كتبه الدكتور رضوان السيد حول "مصائر الإستشراق ونهاياته"، وهو عنوان كتابه الذي تحدث فيه عن الترجمات الألمانية الخاصة بالإستشراق.

يقول الباحث عباس أرحيله "بدأت عناية المستشرقين الألمان بحضارة الإسلام منذ أن إتصلت ألمانيا ببلاد الإسلام إثر الحملة الصليبية الثانية في عام 1147م، وخاصة بعد أن بدأ رجال الدين بترجمة الكتب العربية. فعندما تمت أول ترجمة للقرآن بين عامي 1141 – 1143م إلى اللغة اللاتينية، نجد أن هرمان الدلماشي (H. Alemanus الألماني) قد أسهم في هذه الترجمة إلى جانب كل من (روبرت الريتني) وراهب إسباني عربي، وإن لم تشر هذه الترجمة إلى معاني القرآن إلا بعد أربعة قرون.

وقبل القرن الثاني عشر تبادل (اتو الكبير) إمبراطور ألمانيا مع عبد الرحمن الناصر بالأندلس السفراء، وكان ذلك عام 956م، ويبدو أن الغاية من هذه السفارة هي معرفة اللغة العربية لعلّها تساعد على ترجمة التوراة لإشتراك العربية والعبرية في السامية. وبدأت محاولة تدريس العربية مع العالم الألماني يعقوب كريستمان (1554 – 1613م)، الذي وضع فهرساً موجزاً لبعض المخطوطات العربية، ووضع كراساً لتعليم كتابة الحروف العربية. وترجم أجزاء من الإنجيل إلى العربية للتمرن على القراءة. وقد أعد بنفسه الحروف العربية في قوالب من الخشب للمطبعة التي كان غوتنبرغ قد إكتشفها حديثاً. وفي عام 1585م عُين كريستمان أستاذاً في جامعة هايدلبرغ Heidelberg، وإقترح إنشاء كرسي للدراسات العربية فيها بغية نقل الفلسفة والطب من مصادرها العربية... ومات كريستمان دون أن يحقق مشروعه.

وكان المستشرقون الألمان في مطلع القرن الثامن عشر يقصدون هولندا لتعلم اللغات الشرقية ومن ضمنها العربية، وبعد عودتهم أخرجوا الدراسات من جامعاتهم من نطاق التوراة إلى ميدان الثقافة العامة. وفي مطلع القرن التاسع عشر انتقلوا صوب فرنسا حيث كان دي ساسي Silvestre de Sacy (1758 – 1838م) أستاذ العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية يُدرس بباريس ؛ فتتلمذ له الألمان، وتأثروا به، ومن أشهرهم : فلايشر (1801 – 1888م) وإفالد (1803 – 1875م)، فغدا من

مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا.

ويلاحظ أن الاستشراق الألماني وضع نفسه خلال القرن الثامن عشر في خدمة اللاهوت المسيحي.

وكان يوهان جاكوب رايسكه Johann Jakob Reiske (1716 – 1774م) أبرز مستشرق ألماني أسس الدراسات العربية في ألمانيا، وهو أول مستشرق ألماني وقف حياته على دراسة العربية والحضارة الإسلامية، ورأى أن اللغة العربية يمكن أن تُدرس لذاتها، في فترة لم يكن أحدٌ يهتم بالدراسات العربية. وكان له اهتمام واسع بالشعر العربي. وقد اعتبر نفسه شهيد الأدب العربي. وجاء في ترجمة حياته متحدثا عن المخطوطات " ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى بدون أب؛ وأعني بهم المخطوطات".

وهو يرى "أن ظهور (النبي) محمد وانتصار دينه هما من أحداث التاريخ التي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويرى في ذلك برهاناً على تدبير قوة إلهية قديرة ".

ولعل المستشرق رايسكه أول من واجه علماء اللاهوت ودعا إلى دراسة العربية بصورة مستقلة، ووقف في وجه ما أشاعه المستشرق الهولاندي أدرينوس غولندوس المتوفى في عام 1718م من كون اللغة العربية لهجة عبرية، وتابعه في رأيه هذا المستشرق الهولاندي ألبير شولتنس Albert Schlntens (1686 – 1750م).

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر، حاول الاستشراق اكتساب صفة "العلمية"، وبدأ يتحلى بالموضوعية، ولو بصورة نسبية، عندما تحول إلى علم قائم على النقد التاريخي، فلم تعد غايته البرهنة على ضعة العالم العربي الإسلامي؛ وإنما حاول أن يطبق المعيار النقدي على تاريخ الإسلام كما يطبقه على تاريخ فكره الخاص. ولاحظ المستشرق الألماني "رودي باريت" أنه لم تتأتَّ له هذه العلمية "إلا عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة، وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتي، وللاعتراف لعالَم الشرق بكيانه الخاص الذي تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً".

وقد تميز الاستشراق الألماني بجمع المخطوطات ونشرها وفهرستها. مع اهتمام خاص بالجانب الفيلولوجي والصوفي والأدبي، وعناية بوضع معاجم في اللغة العربية، ودراسته لجوانب الفكر العربي الإسلامي في القديم خاصة. وكان الانشغال بالنص القرآني فتميزت به جهود الألماني عن باقي جهود المستشرقين الآخرين. وذكر د. عبد الرحمن بدوي أن أقدم ترجمة ألمانية عن النص العربي مباشرة هي ترجمة دافيد فريدرش ميغرلن، الأستاذ في جامعة فرنكفورت، وظهرت سنة1772م.

وعدد ترجمات معاني القرآن إلى الألمانية تصل إلى حوالي اثنتين وأربعين ترجمة. لعل آخرها ترجمة رودي باريت (1966م)، وقد اعتبرت أحسن ترجمة للقرآن الكريم.

ويلاحظ أن الاستشراق الألماني تميز بحضور كثير من أعلامه بجامعة القاهرة خاصة: برغشتراسر Bergstrasser (1886 – 1933م) – إنو ليتمان E Littman (1875 – 1958م) – جوزيف شاخت Joseph Schact (1902 – 1969م). وفي أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن العشرين كان من الوافدين اليهود على القاهرة الفارين من النازية الألمانية: بول كراوس Paul Kraus (1904 – 1944م) – وماكس مايرهوف Max Meyerhof (1874 – 1945م)، وكانت لهما عناية بالفلسفة والعلوم الإسلامية.

وعُين إلى جانب هؤلاء في مجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق : كل من هارتمان Hartmann (1851 – 1918م)- أوغست فيشر August Fisher (1865 – 1949م) – وكارل بروكلمان Carl Brockelmann (1868 – 1956م) – وهلموت ريتر Hellmut Ritter (1892 – 1971م)... وقد تولى المستشرق الألماني فيلهيلم شبتا W.Spitta (1853 – 1883م) سنة 1875م إدارة دار الكتب المصرية، وفهرس مخطوطاتها في نحو أربعين صفحة.

يضيف الباحث عباس رحيله وقد لاحظ بعض المتتبعين لحركة الاستشراق الألماني أنه:

أولاً:

أ- تميز بحياد نسبي عن الغايات السياسية أو الاستعمارية أو الدينية. فهو في عمومه لا ينطلق من خلفيات إيديولوجية استعمارية. فألمانيا لم تكن لها

مستعمرات في البلدان العربية أو الإسلامية. كما أنها لم تُعنَ بنشر المسيحية، أو بالأحرى لم يترك الفرنسيون والإنجليز للألمان حرية العمل في هذا الحقل. ومع هذا، يصعب وصف الجهود الألمانية بالحياد المطلق، والموضوعية النزيهة. فهذا المستشرق الألماني رودي بارت المتوفى سنة 1982م، يؤكد بموضوعية أنه "من التعسف أن يظن المرء أن في إمكانه أن يُعالج جهود الألمان على أنها مطلقة، وأن يَفصلها عن ارتباطها بالأوشاج والأربطة العالمية".

فهذا المستشرق الألماني بيكر (كارل هينريخ Karl Heinrch Bekker: 1867 – 1933م)، مؤسس مجلة إسلام، قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في إفريقية، وقد ذكر نجيب العقيقي أنه قد استُعين به في وزارة الخارجية (1916م)، واختير وزيراً لها.

ب- روحه المسالمة الخالية من العدائية للعنصر العربي، وغلبة الروح العلمية التي تبتعد عن الأغراض، وتتقصى الحقائق بتجرد وموضوعية؛ حيث إن المستشرقين الألمان لم يتعمدوا تشويه الحضارة الإسلامية العربية، بل كثيراً ما نجدهم يُقدرون التراث الإسلامي العربي، ويُبدون إعجابهم به.

ج- اهتمامه بالقديم والتركيز على دراسة التراث الإسلامي العربي وتاريخ الحضارة الإسلامية. وإذا كان الإسلام قد استقطب اهتمام المستشرقين؛ فإن ما ميز الاستشراق الألماني أيضاً هو أنه أصبح مصدراً وعمدة في الدراسات القرآنية لدى المستشرقين الأوروبيين عامة.

ثانيا: تيودور نولدكه (1836 – 1931م): ومن ميزات هذا الإستشراق أيضاً أنه إستقطب وهذه لمحة عن حياته وآثاره: نولدكه هو أحد أقطاب الاستشراق الألماني، وشيخ الألمان بدون منازع، به انتهت الحقبة الزاهية للاستشراق الألماني. وقد جعل مدينة ستراسبورغ في نهاية حياته مركزاً للاستشراق الأوربي. وحصيلة جهوده في مجال دراسة النص القرآني؛ أصبحت عمدةً ومنطلقاً للدراسات القرآنية في أوربا، وأصبحت تنبني عليها أخطر النتائج في مجالات الدراسات الإسلامية. فقد كان أكبر متخصص في علوم القرآن في أوربا كلها.

أ – مسيرته العلمية:

ولد ثيودور نولدكه في هاربورغ سنة 1836م في أسرة شغل أفرادُها مناصب

علمية وإدارية. درس اليونانية واللاتينية على والده. وتمكن من اطلاع واسع على الآداب اليونانية. تسجل في كلية غوتنجن Gottingen سنة 1853م، فأتقن ثلاث لغات سامية هي: العبرية، والسريانية، والعربية. كما تعلم اللغة الفارسية والتركية والسنسكريتية على أستاذ اللغات الشرقية: هانيريش إفالد H. Ewald (1803 – 1875م)؛ ليصبح مستشرقاً.

وحصل على الدكتوراه سنة 1856م برسالة له باللاتينية تناول فيها "أصل القرآن وتركيب سوره"، وهو في سن العشرين. وفي سنة 1860م، ترجم رسالته هذه إلى الألمانية بعد تنقيحها ووضع لها عنوان "تاريخ القرآن"، وهذه الطبعة توسع فيها جدا في ما بعد بالتعاون مع تلميذه شفالي. ثم بدأت رحلاته العلمية إلى ليبزيج وفيينا وليدن وبرلين؛ وذلك لاستكمال دراسته والوقوف على المخطوطات:

كانت له زيارة إلى فيينا (1856 – 1857م) ، تمكن خلالها من الاطلاع على المخطوطات العربية، وبعد ذلك كان له اتصال بكثير من المستشرقين الهولنديين: رينهارت دوزي Reinhart Dozy (1820– 1883م) ويونبول Jnynboll (1832 – 1890م)...

وببرلين (1858 – 1860م) اشتغل مساعداً بمكتبة برلين. وكُلِّف بوضع فهرست للمخطوطات التركية هناك.

وفي سنة 1861م عُيّن مُعيداً في جامعة جوتنجن فكلّفه إفالد بإلقاء دروس في التفسير للعهد القديم ودروس في نحو اللغة العربية.

وسمي أستاذ كرسي للغات السامية والسنسكريتية في جامعة كييل (1864 – 1872م).

ثم عُين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة ستراسبورغ بين 1873 و1920م فجعلها مركز للدراسات الشرقية في ألمانيا. وبالرغم من أن المدينة أصبحت فرنسية بعد الحرب العالمية الأولى؛ فإن أحداً لم يجرؤ على طرده منها؛ لكونه جعل من ستراسبورغ مركز الاستشراق الأوربي في تلك الحقبة. وفي سنة 1920 انتقل إلى مدينة كارلسرويه (منطقة الرين الأعلى) وقضي هناك سنواته الأخيرة عند ابنه الذي كان آنذاك مديراً للسكك الحديدية، إلى أن توفي في 25 ديسمبر/كانون الأول 1930م.

ب – أعمال نولدكه وآثاره:

ترك في عمره المديد (94 سنة) حوالي سبعمائة بحث فضلا عن أربعة وعشرين كتابا. وقد وضع المستشرق بيكر فهرسا كاملا عن أعمال نولدكه. ويحتوي على أكثر من 700 عنوان في مجلة الإسلام: 1932م. ولعل من أهم الأسباب التي مكنت نولدكه من بلوغ تلك المكانة العلمية، وتلك الشهرة التي حظي بها في حياته وبعد مماته؛ اطلاعه الواسع على أهم المخطوطات في اللغات السامية، وانكبابه على دراسة القرآن في ضوء تعمقه لتلك اللغات وعلى دراسته للشعر العربي القديم، وعنايته باللغة والنحو العربيين، مع التزامه بمنهج صارم طغى على تعامله مع الحقائق. "وقد طبق منهجا تحليلا على العهد القديم أثار عليه ضجة داخل أروقة جامعة كييل".

وإلى جانب رسوخه في علوم القرآن، وإسهامه في وضع أسس البحث العلمي للدراسات القرآنية التي جاءت بعده؛ فقد كانت له مشاركة فعالة في حقول قريبة من مجال القرآن الكريم.

(1) في مجال المعجم العربي

سجل نولدكه على نسخته الخاصة من معجم فرايتاغ Freitag G. (1788 – 1861م) [وهو معجم لاتيني في أربعة أجزاء نشره في هاله: 1830 – 1837م] أمثلة كثيرة جدا نتيجة اشتغاله بالنصوص العربية. وقام يورغ كريمر J. Kraemer (1917 – 1961م) ببحث المواد التي سجلها نولدكه، ونشرها في "معجم استشهادات للغة العربية الفصحى: إعداد نولدكه" 1952 – 1954 م.

(2) في مجال الشعر العربي

إن المتتبع لجهود المستشرقين في دراساتهم للتراث العربي تُلفته عناية المستشرقين بالشعر العربي القديم، لمكانة ذلك الشعر في نفوس العرب وتاريخهم. ولما له من أهمية في فهم الذهنية العربية، وما له من خطورة في فهم التراث العربي القديم عموماً، وإدراك خفايا القرآن الكريم على وجه الخصوص.

لقد أدرك المشتغلون بتراث الشرق الإسلامي أن تاريخ الشعب المسلم العربي، في صيرورته التاريخية وتطلعاته المستقبلية؛ مشدود إلى قطبين أساسيين، يُحركان وجودَه، ويُحددان مصيره؛ هما: القرآن ولغة هذا القرآن.

وكتابه "مختارات من الشعر العربي" جمع فيه باقة من ديوان الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي؛ لاستعمالها في أغراض الدرس. وذكر المستشرق الألماني رودي بارت أن الكتاب ما يزال معتمداً في الجامعات يدرس فيه الطلاب المتخصصون [طبع سنة 1890 م، وأعيد طبعه سنة 1933، 1965م، وقد زوده أوغست مولّر August Muller (1847 – 1892م) بمعجم].

أما ثمرة دراساته للشعر القديم، فقد أودعها في كتابه "أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء": 1864م؛ وهو يتألف من عدة مقالات وترجمات. وقد ترجم الفصل الأول منه د. عبد الرحمن بدوي في كتابه: "دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي" [بين ص17 – 40]، وهو يحمل عنوان: "من تاريخ الشعر العربي ونقده". وقد ختم نولدكه هذا الفصل بفقرة جديرة بالتأمل والانتباه، عبر فيها عن تفاعله مع الشعر العربي الجاهلي حين وجده عظيما وجميلا في نطاق حدوده؛ "وتسري فيه روح الرجولة والقوة، روح تهزنا هزا مزدوجا إذا ما قارناه بروح العبودية والاستخذاء التي نجدها في كثير من الشعوب الأسيوية الأخرى:

سأغسِلُ عني العارَ بالسيفِ جالباً عليَّ قضاءُ اللهِ ما كان جالبا

بهذه الكلمات يمضي العربي الحر إلى ساحة القتال ولقاء الموت. هذه الروح الرجولية التي تتجلى في قصائد الأعراب الأقدمين ساكني الصحراء، يُمكن أيضا أن تكون قدوة نحتذي نحن به. والآن يبرز أمام الشعب الألماني السؤال عما إذا كان قد عقد العزم على أن يغسل بدمه العار القديم".

وقد ترجم وشرح قصائد عروة بن الورد 1963م، وترجم وشرح خمساً من المعلقات: 1899 – 1901م.

(3) في مجال النحو العربي:

أسهم نولدكه في النحو العربي بدراسات قيمة، خاصة بالدراسة التي ظهرت في مذكرات أكاديمية فيينا عام 1897م: "في نحو اللغة العربية الفصحى " وقد حدد فيه الأمثلة ووضع القواعد وما شذ عنها. كما تميز بمجموعة هائلة من النصوص التي انتخبها وأثبتها في مذكراته لأهميتها النحوية (أعيد طبع الدراسة سنة 1963م).

(4) في مجال السيرة النبوية وتاريخ الإسلام:

كتب في مجال السيرة المحمدية كتاب: "حياة محمد عرض مبسط مستمد من المصادر " سنة 1863م، واعتُبِر الكتاب نموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه عرض تاريخي علمي معتمد على المصادر وفي متناول القراء.

وفي مجال تاريخ الإسلام اضطلع بالجزء الخاص بالساسانيين عند إخراج طبعة ليدن النموذجية لتاريخ الطبري، وأشفعها بترجمة ألمانية هي "تاريخ الفرس والعرب في عصر الساسانيين" عام 1879م.

يتابع الباحث عباس رحيله كلامه عن نولدكه فيشير الى:

ثالثاً: نولدكه والنص القرآني

(1) العناية بالقرآن قبل نولدكه : تتميز أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية بقراءة النصوص القرآنية؛ إذ تُتاحُ لكل طالب فرصة اختيار نصوص من القرآن.

ولابأس من الإشارة إلى الدراسات القرآنية السابقة والمعاصرة لنولدكه:

أ- وفي سنة 1746م نقلت ترجمة القرآن من الإنجليزية إلى الألمانية، وصاحب الترجمة الإنجليزية هو المستشرق الإنجليزي جورج سيل George Sale (1697 – 1736م)، وقد صارت ترجمته عمدة في تاريخ الدراسات القرآنية، وراجت رواجا عظيما خلال القرن الثامن عشر.

ب – فريدريك روكت Friedrich Ruckert (1788 – 1866م)، ترجم قسماً من القرآن الكريم إلى الألمانية، طبعه بعد وفاته المستشرق الألماني أوغست مولّر، فرنكفورت، 1888 م، وقد قيل : إن هذه الترجمة أقرب إلى بلاغة القرآن من سائر الترجمات الأخرى.

ج – غستاف فلوغل Gustav Flugel (1802 – 1870م)، وضع طبعةً للنص العربي للقرآن (لايبزغ Leipzig: 1834م – ط2، 1842م، ط3، 1885م) صارت هي المعتمدة عند المستشرقين من ذلك الوقت إلى اليوم، على الأقل في ترقيم آيات القرآن، كما وضع أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مع ذكر رقم السورة

والآية التي ترد فيها، وأسماه " نجوم الفرقان في أطراف القرآن " في مدينة لايبزيغ عام 1934م، وقد أسدى من خلاله خدمة جلى للباحثين عموما (وقد اعتمده فؤاد عبد الباقي في كتابه "المعجم المفهرس للقرآن الكريم"، وتعقب عليه ما فاته). [وفلوجل هو ناشر كتاب الفهرست لابن النديم وكشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة].

د – غوستاف فايل Gustav weil (1808 – 1889م) وضع الأساس لعلوم الإسلام في القرن التاسع عشر، وذلك في كتاب "النبي محمد: حياته وتعاليمه" (اشتوتغر 1843م)، وذكر د. عبد الرحمن بدوي أن كتابه هذا كان أشد الكتب تحاملا على النبي، وبعداً عن الموضوعية العلمية والدقة التاريخية. وكتابه" مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن" (1844م)، قسم فيه القرآن إلى ثلاث مراحل بالإضافة إلى مرحلة مدنية (وقد بنى نولدكه هذا التقسيم)، وزعم فايل وهو يهودي الديانة) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة.

(2) أطروحة نولدكه: تاريخ النص القرآن "

كان موضوع أطروحته هو " أصل القرآن وترتيب سوره "، قدمها سنة 1858. ولما أعلنت أكاديمية باريس عن جائزة، لبحث يكتب في موضوع القرآن؛ رحل في طلب المزيد من المصادر لرسالته، وتوسع فيها، ثم أرسل مساهمته بعنوان "تاريخ القرآن" إلى مسابقة تلك الأكاديمية (مجمع الكتابات والآداب في باريس). فنال الجائزة سنة 1858م (تقاسم الجائزة هو وشبرنغر(Spenger: 1813 – 1893م)، والمستشرق الإيطالي وميكليه أماري (Michele Amari: 1806 – 1889م) عن بحثه "الترتيب الزمني لآيات القرآن" Memoire sur la Cronologie du Coran. وبعد أن أعاد نولدكه النظر في تلك الرسالة، ترجمها إلى الألمانية، ونشرها بعنوان: "تاريخ النص القرآني" سنة 1960م.

وظهرت الطبعة الثانية من الكتاب وقد زيدت ثلاث مجلدات في عام 1909 و1919 و1938م. وقد أسهم في إنجاز كل من تلميذه المستشرق شفالّي SCHWALLY الذي أصدر في مجلدين (لايبزغ 1909 – 1919م)، فلما مات قام برغتستريسر وبريتسل بإخراج الجزء الثالث منه بعنوان "تاريخ النص القرآني".

وسأخص تلامذة نولدكه هؤلاء بكلمة قصيرة، بعد تقديم "تاريخ القرآن "والتنبيه على مدى ما كان له من أثر في توجيه أفكار كثير المستشرقين.

وكتاب "تاريخ النص القرآن "عبارة عن عرض تاريخي مفصل لكل ما يتصل بالقرآن منذ نزول الوحي حتى آخر طبعة ظهرت في القرن التاسع عشر. خصص الجزء الأول للسور المكية والمدنية. وتطبيقاً للمنهج التاريخي تابع نولدكه "فايل" في تقسيمه للسور زمنيا إلى ثلاث فترات مكية وفترة مدنية (وهو تقسيم لقي استحساناً عند كثير من الباحثين)، كما حدَّد في هذا الجزء مميزات السور المكية والمدنية ؛ من حيث الأسلوب والمضمون. أما الجزء الثالث فقد خصصه لمعالجة تاريخ القرآن. وبذلك أعاد نولدكه ترتيب القرآن زمنيا على غير الطريقة الإسلامية، فأصبح الترتيب الذي انتهجه نولدكه يشغل أذهان المستشرقين جميعاً، ويُعلقون عليه أخطر النتائج في عالم الدراسات القرآنية.

فالبحث في تاريخ القرآن هو بحث في توثيق النص القرآني: ملابسات نزوله، جمعه وتدوينه، قراءاته... والغاية ربطه بمناخه العام؛ لإثبات بشريته.

ويعتبر هذا الكتاب أخطر كتاب أنتجه الغرب في تاريخه مع تعامله مع النص القرآني، ويكفي هذا الكتاب شهرة ومكانه أنه أصبح عمدة في فرع تخصص "قرآن"، وأنه أصبح ملاذا للمستشرقين، وعلى من يريد الاشتغال علميا بالقرآن على أي نحو من الأنحاء. وذكر د. ميشال جحا أنه أصبح راسخ القدم في العلوم القرآنية، وأنه وضع أسس البحث العلمي للدراسات القرآنية التي جاءت من بعده.

وكتاب نولدكه يعتبره أبو عبد الله الزنجاني في كتابه "تاريخ القرآن" من أهم ما ألفه الإفرنج في تاريخ القرآن؛ إذ بحث فيه صاحبه بتطلّع عميق. وحاول أن يكون موضوعيا بقدر الإمكان. وقد تناول البحث حقيقة الوحي والنبوة وما بينهما من علاقة، وحاول ربط السيرة النبوية بتاريخ السور مكيها ومدنيها، كما تناول حكمة نزول القرآن وأسباب نزول الآيات وغيرها من الموضوعات.

وأما بلاشير REGIS BLACHERE (المستشرق الفرنسي 1900 – 1973م) فيرى أنه بفضل نولدكه ومدرسته أصبح ممكنا من الآن فصاعداً أن نوضح للقارئ غير المطلع ما يجب أن يعرفه عن القرآن؛ ليفهمه بتوعية، وليتخطى القلق

الذي ينتابه عند اطلاعه على نص يغلب عليه الغموض.

يبدو أن عناية نولدكه بالنص القرآني كانت وراء شهرته، ولا شك أن جهوده في حقل الدراسات القرآنية ظلت معلمة بارزة في أعمال المستشرقين على الإطلاق. وإن القارئ لدائرة المعارف الإسلامية يُثير انتباهه حقا مكانة نولدكه عند كتاب مواد الدائرة؛ إذ تراهم يعتبرونه عمدة وحجة في كل ما يتعلق بقضايا النص القرآن. وقد اتضح لي أن كتابه "تاريخ القرآن" هو أخطر بحث أُنجز في الدراسات الألمانية في بابه؛ لما كان له من تأثير وإشعاع، وحضور دائم في كل الدراسات التي تعرضت بعده للنص القرآني. وقد أشرت إلى أن موضوع أطروحته، كان " أصل القرآن وترتيب سوره" (1858م).

كان المستشرق الألماني غوستاف فلوجل (1802 – 1870م) أول مَن وضع فهرسا أبجديا لمفردات القرآن مع ذكر رقم السورة ورقم الآية التي ترد فيها. وأسماه "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" (وقد كان نواة صالحة اعتمدها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في وضع "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " تعقب عليه ما فاته، واستدرك فيه ما خفي عليه من وجه الصواب). ومما يتمم كتابه "تاريخ النص القرآن "دراسته" في لغة القرآن" التي نشرت في مجموعة "مقالات جديدة في علم اللغات السامية" 1910م. وقد ضمت تلك الدراسة المواضيع الآتية: " القرآن والعربية: خصائص أسلوبية، وخصائص تكوين الجمل في لغة القرآن" و"كلمات أجنبية مستعملة عن عمد وعن غير عمد في القرآن".

وفي "موضوع" القرآن والعربية "نقد نولدكه ما روّج كارل فولرس K. Vollers (1850 – 1909م) في كتابه "لغة الكتابة واللغة الشعبية في بلاد العرب قديما". فقال إن النص الأصلي للقرآن كان مؤلفا بلهجة من اللهجات كانت سائدة في الحجاز وكانت خالية من الإعراب. وقد أذاع فولرس أن القرآن كان في بادئ الأمر بلسان عامة قريش وأن القرآن قد عُدِّل وهُذب حسب أصول اللغة الفصحى في عصر ازدهار اللغة العربية.

مما يُلاحظ أن كُتاب دائرة المعارف الإسلامية من المستشرقين اعتمدوه، كما اعتمده كُتّاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض اللغات الأجنبية، نقول عن

كتاب نولدكه لقد استفاد منه الباحثون عامة في مجالات الدرس القرآني. ولا يخفى أن أهم ما بحثه المستشرقون في الدراسات القرآنية هو موضوع تاريخ القرآن: لغته، نزوله، تدوينه، قراءته... وينبغي التذكير بأن المنهج التاريخاني الاستشراقي وجد ضالته خلال القرن التاسع عشر في محاولات إعادة ترتيب السور القرآنية في ضوء الظروف والمناسبات التي مرّت منها الدعوة الإسلامية... فذهب البحث يرصد أخبار تدوين القرآن، ويتتبع تحركات الوحي، ويُفتش في أسباب النزول؛ وهو مشدود إلى الأرض يبحث عن ظاهرة يُؤكد بها بشرية القرآن.

بعد كلامه عن كتب وأطروحات نولدكه يعود الباحث عباس رحيله للتحدث فيقول عنها:

رابعاً: عن دعاوى وأوهام في آراء نولدكه

(1) تناقضه في شأن دقة النص القرآني

حول توثيق النص القرآني، يلاحظ أن موقفه لا يخلو من تناقض واضطراب، فهو قد لمح إلى وجود التحريف في القرآن في كتابه "تاريخ النص القرآني"؛ وذلك حين كتب فصلا بعنوان: "الوحي الذي نزل على محمد ولم يُحفَظ في القرآن"، ثم نجده يُصرح بالتحريف في مادة "قرآن" بدائرة المعارف الإسلامية، حين يقول: "إنه مما لا شك فيه أن هناك فقرات في القرآن ضاعت"، وفي مادة "قرآن" في دائرة المعارف البريطانية يُقرر مسألة التحريف في القرآن فيقول: "إن القرآن غير كامل الأجزاء".

وتناقض نولدكه يبدو في موقفه من المستشرق الألماني "فولرس" الذي زعم أن القرآن مؤلف بلهجة قريش، وأنه عُدِّل حسب أصول اللغة الفصحى في عصر ازدهار الحضارة العربية؛ فانبرى إليه نولدكه يرد عليه موضحاً أن كلامه عارٍ من الصحة والتحقيق العلميين.

ويبدو أن نولدكه أسهم بشكل قوي في ترسيخ مسألة التحريف في الفكر الاستشراقي؛ فقد فتح الطريق أمام تحريف القرآن.

ويجد الباحث أصداء تلك الدعوى في أعمال المستشرقين، ومن خلالها انتقلت إلى أذهان كثيرين من الأوربيين. ويتضح فيما كتبه المستشرق "بول" في دائرة

المعارف الإسلامية الألمانية (مادة "تحريف"). وقد اعتبر "بول" التحريف تغييرا مباشرا لصيغة مكتوبة، وأن الأمر الذي حدا بالمسلمين إلى الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها محمد صلى الله عليه وسلم اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من كتب، وبخاصة التوراة. ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على إدراك خاطئ أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود، فكان في نظرهم مبطلا.

وقد أثار الكاتب دعاوى لم يستطع أن يُدلِّل على صحّة واحدة منها على الإطلاق... وصاحبه في بحثه انحرافٌ وإسرافٌ لا يَمتّان إلى استكانة الحقيقة بصلة، وقد تفضّل بالرد على أغلب هفواته الأستاذ أمين الخولي في هوامش دائرة المعارف الإسلامية.

(2) فواتح السور:

ومما يَغمِزُ به نولدكه دقة النص القرآني ؛ ادعاؤه الغريب أن أوائل السور دخيلة على هذا النص. ففي الطبعة الأولى في كتابه " تاريخ القرآن " بالاشتراك مع شافلي، تظهر – لأول مرة فكرة في تاريخ الدراسات القرآنية – فكرة لا ترى في أوائل السور إلا حروفا أولى أو أخيرة مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نُسَخ من سور قرآنية معينة. فالسين من سعد بن أبي وقاص، والميم من المغيرة، والنون من عثمان بن عفان، والهاء من أبي هريرة، وهكذا. فهي– عنده – إشارات لمن كانوا يملكون تلك الصحف، وقد تُركت في مواضعها سهواً، وبمضي الزمان استُلحقت بالقرآن.

ويبدو أن نولدكه شعر بخطأ فكرته فرجع عنها، وأن شافلي أهملها وأغفل ذكرها فيما بعد في الطبعة الثانية، لكن المستشرقين " بُهْل" و"هرسفيلد" قد تحمّسا لها من جديد وتبنّيَاها مُتغافلَيْن عن مدى بُعدها عن المنطق السليم.

– تجنيه على الأسلوب القصصي في القرآن–

نولدكه يُبدي إعجابَه بالإعجاز البياني للقرآن، ونجده دقيقاً وعميقاً، يأخذك الإعجاب بموضوعيته ومنهجيته، واطلاعه الواسع، ثم سرعان ما يتغيّر ؛ فيسعى إلى التدليس والتجريح، وأنت في غمرة الإعجاب... وتتبدّى لك بضاعته في تذوق أساليب

القرآن، وتحس بالسموم الاستشراقية الدفينة تجري في كيانه، وترى المنهجية والموضوعية تتهاوى وتتساقط. من ذلك انه وجد في قصص القرآن انقطاعا وبترا يفسدان ترتيب الأخبار وتسلسلها، ويعرضها إلى الغموض. وهو موقف نابع من تشبع وجدانه بأسلوب القصة في التوراة، ونابع من جهله بخصوصيات القصة القرآنية، وتناغم أسلوب الوحي مع مقاصد السماء والأرض.وقد راجعه أنيس المقدسي، فرد عليه قائلاً: "ولا يجوز مقابلة هذا الأسلوب بأسلوب القصة في التوراة لاختلاف الغرض فيهما. ففي التوراة عدا أسفار الأنبياء والأمثال والأناشيد الروحية، حوادث تاريخية منظمة تجري الأخبار مجراها الواضح العادي. أما القرآن فإنه يشير إلى الحوادث التاريخية بوثبات ومجملات روحية خطابية لا يقصد بها تسلسل الخبر، بل يقصد بها إلى التذكير والتهويل. ولذلك ترد مرارا بحسب ما يقتضيه الكلام، وكثيرا ما ترد على سبيل الإشارة والتلميح. والنسق الخطابي يقتضي التكرير كما هو معروف".

كما انتقد نولدكه اضطراب الأسلوب القصصي في القرآن، انتقد تكرير بعض الألفاظ والعبارات تكريرا لا مسوغ له في رأيه، وأشار إلى كثرة انتقال القرآن في خطاباته من صيغة إلى أخرى، ومن حال إلى حال؛ فمن غيبة إلى خطاب، ومن ظاهر إلى مضمر، وبالعكس، واعتبر ذلك مجالا للتجريح.

الحق أن للرجل ثغرات تبعد صاحبها عن التمعن والتدقيق وروح الإنصاف وتجعله متطرفاً "ومرده في هذا – مع حسن الظن – إلى عدم تمرسه بضروب البلاغة العربية... ولعل في آرائه مزيجا بين الهراء والدس الذي لا يحمد عليه اسم مثله. ومتى كان العالم جانبيا في التفكير، أو هامشيا في التعليق، أو سطحيا في الاستنتاج، أخذت عليه هذه المآخذ الفجة".

لا ننسى أن نولدكه تتلمذ لهنريخ إيفالد 1803-1875م وهو لاهوتي في تكوينه، كرس أعماله الأولى لترجمة العهد القديم، وحاول توسيع أفق اللاهوت عن طريق اللغات. ونولدكه طبع بتربيته، وطبق في أحد كتبه مناهج التحليل حول العهد القديم، وهي تحاليل أثارت ضجة في الجامعة. والغريب أن ايفالد يعيب على نولدكه منهجه التأملي.

وعلى أي حال فإن جهود الاستشراق تضاءلت أمام بلاغة القرآن، فقد أضاع المستشرقون المفاتيح البيانية للدخول إلى رحاب القرآن يوم قالوا ببشريته؛ مما أنساهم قدس الوحي وربانيته، فراحوا يبحثون في سيرة الرسول الكريم لعلهم يعثرون عن مصدر للقرآن...

ولا عجب أن بتسرب القوم إلى أدق خفايا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى أدق خفايا تاريخ الإسلام. وتقوم جماعة من المستشرقين، في طليعتها سخاو Sachau (1845 – 1930م) بنشر كتاب الطبقات لابن سعد؛ الذي يُعد مرجعاً هاماً للعصور الأولى من التاريخ الإسلامي.

ومن الرسائل الجامعية المقدمة في ألمانيا أذكر:

- رسالة غوستاف فايل (1808 – 1889م) بعنوان "مدخل تاريخي نقدي للقرآن"
- رسالة فرانكيل (1855 – 1909م) "الكلمات الأجنبية في القرآن"، ليدن 1878م.
- رسالة برغشترسير "حروف النفي في القرآن"، ورسالته للأستاذية " معجم قراء القرآن وترجماتهم".

ويمكن الإشارة إلى بعض الجهود الألمانية في مجال الدراسات القرآنية:

- فرايتاغ (1788 – 1861م) حقق أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي، ليبزيغ 1845.
- يوزوف هورفيتش (1874 – 1931م) من أعماله : الأسماء والأعلام في القرآن، مشتقاتها – الأسماء والأعلام في القرآن – اشتقاق لفظة قرآن – النبوة في القرآن.

المهم أن كتاب نولدكه "تاريخ القرآن" قد مهّد الطريق للغرب لمعرفة القرآن وخلق مدرسة، وأصلت البحث في التأريخ للقرآن، وآراء هذه المدرسة تناقلتها أقلام المستشرقين والمستعربين على السواء. ويلاحظ في هذا الصدد أن المستشرق الفرنسي بلاشير قد تبنى كثيراً من آراء هذه المدرسة، وأشاع نتائجها بحوثها. وقد أشرت إلى

القول بلاشير إنه بفضل نولدكه ومدرسته أصبح ممكناً من الآن فصاعداً، أن نوضح للقارئ غير المطلع ما يجب أن يعرفه عن القرآن".

ويلاحظ أن هذا الكتاب لم يُترجم إلى العربية بالرغم محاولة من الأزهر.

وينهي رحيله كلامه عن نولدكه بالتعريف بتلامذته وكيفية إنتكاس حركة الإستشراق فيقول عنهم:

خامسا : مدرسة نولدكه والقرآن:

إن تلامذة نولدكه هم أبرز المستشرقين الألمان، أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

– إدوارد سخاو (1836 – 1930م)، مؤسس معهد اللغات الشرقية، برلين 1888م، ويرجع إليه الفضل في تعريف الغرب بالبيروني (حقق الآثار الباقية من القرون الخالية مع ترجمة إنجليزية، لند 1879 م، وترجمة فرنسية، لايبزغ 1923 بمساعدة فستنفيلد (Ferdinand Wuestenfeld 1808 – 1899م).

– جورج يعقوب (George Jaco: 1862 – 1937م)، عني بعلاقة العربية لغةً وحضارة بلغات أوربا الشمالية والشرقية. وأطروحته " تجارة العرب الشمالية البلطيقية " ونال شهادة الأستاذية حول الشعر الجاهلي حقق فيها أسماء النباتات المذكورة في الأشعار(1892 م)، وله أثر الشرق في الغرب ولا سيما في العصر الوسيط (1924م)، ولقد نقله إلى العربية فؤاد حسنين علي.

– بروكلمان (1868 – 1956م) عرض لتاريخ القرآن ولمسألة الوحي في الجزء الأول من كتابه "تاريخ الأدب العربي"، وخص بالذكر تلامذة أسهموا إلى جانب شيخهم في بناء تاريخ القرآن، وركزوا جهودهم العلمية على توثيق النص القرآني، مع ما يتطلبه ذلك من جمع النصوص وتحقيقها وفهرستها. وبروكلمان أوضح من تناول القرآن فرفع عنه قداسته الدينية؛ فاعتبره مرحلة من مراحل الأدب العربي، وقارن بين القرآن وسجع الكهان فقال: "ولكن محمداً التاجر المكي هو الذي ساقته ضرورة دينية أعز وأقوى إلى أن يُعلن صلته بالله... واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن... كان محمد في أقدم مراحل دعوته الدينية يُطلق ما يدور في خلده، وهو صادق

الاستغراق والغيبوبة، في جُمَلٍ مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز وتأخذ طابع سجع الكهان".

– شفالي (1863 – 1919م)، تخرج باللغات الشرقية على نولدكه، وأعاد طبع " تاريخ القرآن" لنولدكه في مجلدين (1909 – 1919م)، وقدم دراسة حول القرآن بمناسبة تكريم سخاو 1915م.

– غوتهلف برغشترسير(1886 – 1933م)، متخصص في اللغات السامية والدراسات الإسلامية. ومنذ أن عُين أستاذاً في جامعة ميونيخ، وضع مشروعا لنشر المؤلفات الأساسية في قراءات القرآن تولت الإنفاق عليه ورعايته أكاديمية بافاريا للعلوم. حصل على الدكتوراه في موضوع "أدوات النفي والاستفهام في القرآن" 1914م، على يد أوغست فيشر، ونهض بعد وفاة شفالي وأخذ الأستاذية بكتاب " معجم قراء القرآن وترجمهم". باستكمال تعديل كتاب نولدكه "تاريخ النص القرآني"، وبإعادة كتاب الجزء الثالث من الكتاب على نوع جديد. ومات قبل أن ينشره، فنشرة بريتسل Otto Pretzl.

وقدم برغشترسير مصرَ أستاذاً زائرا (1931 – 1932 م) وألقى في جامعاتها في مطلع الثلاثينيات سلسلة محاضرات في تطور النحو العربي، ومحاضرات في قواعد نشر النصوص العربية (أعدها للنشر أحمد البكري وخليل عساكر، وهما في تلاميذه الذين ألقيت عليهم هذه المحاضرة، ونشرها في الأخير د. أحمد البكري سنة 1967م). وفي القاهرة استمع برغشترسير إلى القرآن الكريم من قارئ مشهور، فذهب إليه ودون أنغامه بالنوتة. وكتب برغشترسير في موضوع القرآن في إسلاميكا (1929م). ومن مقالاته " قراءة الحسن البصري" سنة 1936م، ونشر تاريخ قراءات القرآن 1929م، وحقق القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني سنة 1933 م. وعُني بـ"غاية النهاية في طبقات القرآن" لابن الجزري 833هـ، في مجلدين سنة 1832م. ونُشِر بعد وفاته كتاب ابن خالويه "مختصر شواذ القراءات" سنة 1934م بفهارس من إعداد بريتسل. وقد أنشأ للقرآن متحفاً في ميونيخ Munchen، وذلك بعد أن قرر المجمع العلمي البافاري في ميونيخ جمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم

وعلومه، وضبط قراءاته لنشرها، فتولى برغشترسير هذه المهمة الفريدة. وقد جُمعت في ذلك المعهد آلاف النسخ من القرآن الكريم مطبوعاً أو مخطوطاً أو مصوراً.

وهكذا ضم المتحف الصور الشمسية لسائر مخطوطات القرآن الشائعة في أرجاء العالم.

كما ضم آلاف المخطوطات باليد من جميع العصور، حتى ولو كانت ورقة واحدة.

– وكذا المطبوعات الخاصة بتفسير القرآن وعلومه، وجعل لكل آية منه علبة خاصة يوضع فيها تفسير كل مفسر لها من عصر الصحابة إلى اليوم.

وكان الهدف من كل ذلك أن يُقارنوا بين نصوص القرآن الكريم في مختلف نسخه المخطوطة بين بلد وآخر، وناسخ وآخر... ولهذه الغاية تمّ تدوين كل آية في لوح خاص مع ما عُثر على كل رسم لها في مختلف المصاحف، وبيان قراءتها وتفاسيرها المتعددة.

وقد بُذلت جهود كبيرة، وأُنفِقت أموال طائلة في تحضير هذا المعهد أو المتحف القرآني، وكان هذا المتحف يضم: أهم المراجع العربية التي تتناول التفسير والقراءات وعلوم القرآن وصوراً من المخطوطات التي تتناول هذا الموضوع من جميع المكتبات في العالم، وصوراً عن النسخ المخطوطة من القرآن الكريم من مختلف العصور؛ من القرن الهجري الأول حتى القرن العشرين.

وبعد وفاة برغشترسير المبكرة إثر سقوطه في الجبال سنة 1933م، انتدب المجمع المذكور بريتسل لاستكمال هذا المشروع.

– أوتو بريتسل (1893 – 1941م) أستاذ اللغات السامية في جامعة ميونيخ، تخصصه الأول كان في علم العهد القديم من الكتاب المقدس، وأصبح من المتخصصين في الدراسات الإسلامية. وعضو المجمع العلمي البافاري، وعضو في جمعية المستشرقين الألمان. وقد ارتبط اسمه بالدراسات الخاصة بقراءات القرآن. لاحظنا أنه اشترك مع برغشترسير في نشر الجزء الثالث من "تاريخ النص القرآني" لنولدكه. وبعد أن انتدبه المجمع البافاري بادر إلى إنجاز المكتبة القرآنية وتتميم مهامها، وانجلت هذه المهمة عن نشر طائفة من مصادر القراءة وعلوم القرآن، منها:

– كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو بن سعيد الداني (444هـ) استانبول 1930م.

– كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط للداني.

– كتاب الإيضاح في الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري، إسلاميكا (6، 224)، ثم طبع بالقاهرة (المكتبة الإسلامية). وله أيضا في مجلة إسلاميكا:

– كتاب معاني القرآن لابن منظور (6، 16).

– كتاب تعليل القراءات السبع للشيرازي (6 ،17).

– كتاب المشتبه في القرآن للكسائي (6، 241).

– وأصول علم القراءة (6، 1934).

– ونشر بمعاونة إيزين : فضائل القرآن وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام (26، 243).

ومن الغريب حقا أن يتعرض هذا المعهد الذي خصصت له الجامعة جهودا مادية وعلمية، ووفرت له جميع الوثائق اللازمة لمحاكمة النص أن يُدمر أثناء الحرب العالمية الثانية فيذهب هباء منثورا.

وأخيراً نتساءل ما سر هذا الاهتمام بدراسة القرآن الكريم ونشر ما يتعلق بآثاره؟ ما هي الغاية من توثيق النص القرآني، وجمع المصاحف من أرجاء الأرض وتصويرها تصويراً شمسياً في عدة نسخ، لتيسير الاطلاع عليها والحصول على صور منها؟ لماذا هذه العناية بجمع القراءات وتدوينها؟ فهل وجدوا فروقا وتبايناً بين أقدم نسخة وأحدثها؟ إلى أي شيء هدتهم المقارنات بين المخطوطات والقراءات؟ لاشك أن الآية التاسعة من سورة الحجر تُطل على القوم من بين ركام المخطوطات، ويتردد قول الله تعالى: ***{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}***.

ووجدت د. محمد حميد الله يذكر السبب الذي من أجله عنيت جامعة ميونيخ بالنص القرآني، ففي القرن الماضي جمع بعض كبار قسيسي ألمانيا جميع مخطوطات الإنجيل باليونانية (وهو الأصل عندهم كالعربية للقرآن)، من العالم كله، وقارنوا سطراً سطراً، وحرفا حرفا، فوجدوا " تقريباً مائتي ألف اختلاف في الرواية، فلما

رأوا هذا، أسسوا معهد البحوث القرآنية في جامعة ميونيخ، وجعلوا يجمعون نُسخ القرآن من جميع أنحاء العالم، وهذا لثلاثة أجيال متوالية، أثناء قيامه بمهمة تصوير مخطوطات القرآن في المكتبة الأهلية بباريس، وأخبره قائلا: "عندنا في هذا الوقت اثنان وأربعون ألفاً من مخطوطات القرآن، كاملة وجزئية، وعمل المقارنة جار".

وأطلت النازية، وتسلمت الحكم في ألمانيا سنة 1933م (سنة وفاة برغشترسر)، وانتكست الدراسات الشرقية في ألمانيا، وتشتت المستشرقون الألمان في أنحاء الأرض. مَن كان من أصل يهودي هاجر إلى فلسطين وإلى الولايات المتحدة خاصة، وترك بعضهم ألمانيا؛ احتجاجا على الحكم النازي، أما مَن بقيَ منهم فقد عاش في جو من الإرهاب الفكري، كما هلك بعضهم في الحرب التي عانت فيها ألمانيا الكثير من الخراب والدمار.

ونُسف المعهد أثناء الحرب بقنبلة أمريكية... لكن الأصول موجودة، فإذا كان عند أحد مال وَشَوْق، فليحاول جمعها من جديد ليصل إن شاء الله إلى النتيجة نفسها".

لقد عرضت ما كتبه الباحث العربي عباس رحيله عن الإستشراق الألماني وبعض أقطابه وعلى رأسهم نولدكه. ولا شك أنه بالغ في نقده له، رغم إقراره بأهمية ما قام به مع بعض المستشرقين الألمان، ليظهر لنا أهمية هذا الإستشراق في كشفه لمكامن الإبداع القرآني وإعجازه وكذلك قوة الفكر الإسلامي وتأثيره خلال القرون الماضية على الناس وآفاق تأثيراته المستقبلية على تطور البشرية.

الإستشراق الألماني إلى أين؟ وما هي مميزاته؟

(حوار مع المستشرق الألماني هار تموت بوبتسين)

أجرى الدكتور ظافر يوسف، وهو أحد المثقفين السوريين المهتمين بالإستشراق واللغة ومن المدرسين المعارين للجامعات الألمانية، حواراً مع هذا المستشرق الألماني المعروف الذي شارك بشكل دائم في عدد من المؤتمرات في ألمانيا ومصر والمغرب ولبنان حول مسائل الإستشراق كما ساهم في تحرير مجلة دراسات اللغة العربية التي تصدر عن جامعة إرلنغن، بالإضافة إلى جهوده التي بذلها في تنظيم العديد من المعارض والمهرجانات حول التراث والمخطوطات العربية وغيرها. وهو شغل كرسياً للعلوم الإسلامية في جامعة إرلنغن – نورنبرغ التي تقع في مقاطعة بافاريا في

جمهورية ألمانيا الإتحادية، ومعروف بإطلاعه بإلمامه الواسع على التراث العربي وبدراساته الرصينة التي كتبها حول القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وبإلمامه العميق بتاريخ الإستشراق في أوروبا، وبالجهود التي بذلها المستشرقون من أجل إحياء التراث العربي ونشر كنوزه. جاء في الحوار ما يلي:

– في البداية لا بد من طرح السؤال التقليدي: هل لكم أن تحدّثونا عن البدايات والسبب الذي جعلكم تدرسون اللغة العربية؟

* نعم، فأنا – وكما تعرفون– درست في البداية اللاهوت وعلم الأديان المقارنة وكذلك اللغة السنسكريتية والعلوم الهندية، وكنت أهتم بشكل خاص بالعهد القديم وباللغة العبرية القديمة. ومن هذا المنطلق نصحني أستاذي كايزر بتعلّم اللغة العربية التي تغني دراسة العهد القديم وخاصة من الناحية اللغوية، وقد كانت بدايتي الفعلية مع اللغة العربية بعد أن حصلت على الدكتوراه في اللغات السامية من جامعة ماربورغ، وعنوان الأطروحة هو "الأزمنة الفعلية في سفر أيوب". حيث قررت بعدها أن أتفرغ لدراسة اللغة العربية فقط لما لهذه اللغة من أهمية وغزارة في التراث والمصادر التي قلّ وجود نظيرها في اللغات الأخرى، فحصلت على منحة دراسية للتعمق في دراسة اللغة العربية في دمشق في عام 1975/1976م وبعد ذلك عدت إلى جامعة إرلنغن، حيث عينت معيدا في معهد اللغات والدراسات الشرقية التابع للكليّة الفلسفية. وأود أن أشير هنا إلى أنّه لم يكن عندي في البداية أي اطّلاع على التراث العربي في شقّيه اللغوي والأدبي، لأن اهتمامي كان منحصراً بالدرجة الأولى في تعلّم اللغة العربية التي أصبحت فيما بعد المنطلق الأساسي عندي للاطّلاع على التراث العربي والتوغّل فيه.

– بما أنكم من المتخصّصين بصورة أساسية في اللاهوت والدراسات القرآنية، كيف تنظرون إلى واقع الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأوروبية؟ وما هو السبب برأيكم في إقبال الطلبة الألمان على التخصص في مجال العلوم العربية والإسلامية؟

* في البداية لابد من توضيح المعنى المقصود بمصطلح الدراسات الإسلامية لأن هذا المصطلح واسع جدا ويحتمل الكثير من التفسيرات التي قد تعطي

انطباعا معكوساً ومخالفاً لما هو سائد في العالم الإسلامي. لهذا أبادر منذ البداية إلى القول بأن ما يقصد بمصطلح العلوم الإسلامية، لا في ألمانيا فحسب وإنّما في أكثر البلدان الأوروبية، هو الناحية اللغوية فقط أو ما يسمى بفقه اللغة Philologie وذلك لأن إتقان اللغات الشرقية بشكل عام، وأعني بها اللغات العربية والتركيبة والفارسية يساعد على الاطّلاع على التراث الإسلامي عن كثب ويعتبر في نفس الوقت المفتاح الأساسي لفهم الحضارة الإسلامية المتكاملة. أما ما يتعلّق بدراسة الدين والعلوم الإسلامية المختلفة كالقرآن الكريم والحديث والتفسير والفقه... إلخ فإن ذلك جاء متأخراً ولم يبدأ بالمعنى التخصصي للكلمة إلا في بداية القرن العشرين.

ومهما يكن الأمر فإن واقع الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية يختلف من بلد إلى آخر فقد ازدهرت مثلاً دراسة اللغة العربية في كلّ من هولندا وإنكلترا في القرن السابع عشر وكان الدافع لذلك هو تنمية التبادل التجاري والبحث عن أسواق جديدة في الشرق العربي. أما في فرنسا فقد كانت الاهتمامات في هذه الفترة منصبة بالدرجة الأولى على التراث المسيحي العربي وتعاليم الكنيسة الشرقية وخاصة المارونية منها في كلّ من سوريا ولبنان، وقد تضافرت جهودها على طبع الكتاب المقدس ونصوص الأناجيل والكتب الدينية والأدعية وخلاف ذلك.

أما في ألمانيا فقد كانت دراسة اللغة العربية في هذه الفترة مرتبطة بدراسة اللغة العبرية القديمة والسريانية في إطار ما كانوا يسمونه بفقه اللغات المقدسة (Philologie Sacra) لأن البروتستانت في ألمانيا صبّوا اهتمامهم بالدرجة الأولى على دراسة الكتاب المقدس وترجماته القديمة المختلفة ومنه العربية والسريانية والقبطية.

ومن مقارنة هذه الاتجاهات المختلفة في دراسة اللغة العربية نجد أن الاهتمام بدراسة اللغة العربية يختلف تماماً من بلد إلى آخر، ولا يمكننا أن نجزم بشكل قاطع بأن الاهتمامات الاستعمارية هي السبب الوحيد في دراسة اللغة العربية كما يعتقد البعض. وقد كانت الطريقة المتّبعة في ألمانيا في دراسة اللغات الشرقية أحد الأسباب الأساسية التي أدت إلى إنشاء علم اللغات المقارن في القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة إلى الشق الثاني من هذا السؤال فإن السبب برأيي يعود إلى الاهتمام الإقليمي بهذه المنطقة من العالم، كما أن الأحداث التي تقع في هذه المنطقة تجعل الطلبة يهتمون بمتابعة التطورات التي تحدث لمعرفة كلّ جديد يطرأ على الساحة العربية، طبعا بالإضافة إلى حب الاطّلاع على التراث العربي الإسلامي والتعرف على الثقافة العربية التي لعبت دورا متميزا في تاريخ الحضارة الإنسانية.

ويمكن لي هنا أن استشهد بمثال عملي يبين واقع دراسة اللغة العربية في جامعة إرلنغن، فعندما قدمت إلى إرلنغن قبل عشرين سنة كان توجه الطلاّب منصبا بالدرجة الأولى على الاهتمام بمصادر اللغة العربية القديمة "الكلاسيكية" بمعناها التقليدي، وكان عدد الطلبة في ذلك الوقت قليلاً، وهذا يعود بالطبع إلى صعوبة اللغة العربية. أما في السنوات الأخيرة فقد تغيرت الأمور تماما وأصبح الاهتمام مركزاً على العالم العربي المعاصر ودراسة اللغة المعاصرة واللهجات العربية الحديثة، وقد أسست لذلك الغرض مراكز خاصة بالشرق الأوسط يهتم بعضها بالناحية السياسية، وبعضها الآخر بالناحية الاقتصادية أو بالناحية الجغرافية. ولقد لقيت هذه المراكز إقبالاً شديداً من الطلبة للدراسة فيها، ولا بد من الإشارة هنا إلى الخطر الكبير الذي قد ينجم عن الدراسة في هذه المراكز وهو أن ننسى دراسة التراث العربي والتاريخ القديم لأن الواقع الحالي في الشرق الأوسط والبلاد العربية لا يمكن فصله عن جذوره الضاربة في التاريخ، فمثلاً من لم يقرأ القرآن الكريم بلغته الأصلية لا يمكن له أن يفهم الكثير من العادات والمفاهيم السائدة حاليا في الشرق والعالم العربي، ولا يكفي أن نعود إلى الترجمات الألمانية لأنّها لا يمكن أن تغني عن العودة إلى الأصول.

- **متى بدأت الجامعات الألمانية بتدريس اللغة العربية؟ ومن هم العلماء الذين قاموا بذلك؟ وما هو الدافع الذي جعلهم يقبلون على ذلك؟**

* بدأت الجامعات الألمانية بتدريس اللغة العربية في القرن السادس عشر، وكانت البداية مرتبطة بدراسة اللاهوت كما ذكرت قبل قليل، وكان أول من حاول أن يدرس اللغة العربية كمادة مستقلّة عن بقية اللغات السامية الأخرى في ألمانيا هو يوهان رايسكه "1716-1744" في القرن الثامن عشر، حيث اهتم بدراسة الأدب

العربي والأمثال العربية، وترجم بعض أشعار المتنبي ولكنه لم يلق القبول المناسب عند الجمهور في ذلك الوقت، إذ بعد خمسين سنة من وفاته بدأت الدراسات العربية بالمعنى الصحيح على يدي كلّ من فيلهلم فرايتاغ "1788–1861" في مدينة بون وهاينريش الفلايشر "1801–1888" في مدينة لايبزيغ اللذين تتلمذا في باريس على يدي دي ساسي "1758–1838" الذي يعتبر مؤسس الدراسات الشرقية المعاصرة في أوروبا كلها. ويعتبر فلايشر المؤسس الحقيقي للدراسات العربية في ألمانيا، حيث تتلمذ على يديه الجيل المعروف من المستشرقين الكبار أمثال نولدكه وغولدتسهير ويعقوب بارت وأوغست مولر و... إلخ.

وهناك عدد آخر من المستشرقين الذين لعبوا دورا مهما في تاريخ الاستشراق وفي تكريس تدريس اللغة العربية وإحياء تراثها، فنذكر على سبيل المثال فرديناند فوستنفلد "1808–1899" في مدينة غوتنغن، الذي قام بتحقيق الكثير من كتب التراث ونصوصه اللغوية والأدبية كعجائب البلاد للقزويني وسيرة ابن هشام ووفيات الأعيان لابن خلّكان وكتاب المعارف لابن قتيبة والاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري... إلخ، وكذلك فيلهلم آلورد "1828–190" الذي ألّف فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات برلين في عشرة أجزاء كبيرة وحقّق عدداً من الدواوين الشعرية مثل خمريات أبي نواس والدواوين الستة وديوان رؤبة بن العجاج وقصيدة خلف الأحمر.

أما ما يتعلّق بأهم المستشرقين المتخصّصين باللغة العربية في هذا القرن فهناك عدد كبير منهم، مثل كارل وبروكلمان، وأوغست فيشر، وجورج يعقوب، وركندوف، وليتمان، وبرغشتراسر، ويوهان فك، وغيرهم.

- للاستشراق الألماني تاريخ طويل، هل لكم أن تحدثونا قليلاً عن أهم البصمات التي يتميّز بها الاستشراق الألماني عن غيره من البلدان الأوروبية؟

* إن أهم ما يتميز به الاستشراق الألماني عن غيره من البلدان الأوروبية هو الاهتمام بالنصوص اللغوية والأدبية بالدرجة الأولى، وخاصة في القرن التاسع عشر، وكذلك العدد الكبير من أعمال التحقيق والدراسات النقدية للتراث العربي، حيث اشتهر الألمان في هذا النوع من نشر كتب التراث العربي بإصدار طبعات

محقّقة تحقيقاً علمياً مع إجراء دراسة نقدية وفهرسة دقيقة وشاملة للكتاب. وقد حقّقت الكثير من مخطوطات التراث العربي ومصادره في ألمانيا، مما لا نجده بهذه الغزارة في البلدان الأوروبية الأخرى. وهنا أشير إلى الجو العلمي المتكامل في أوروبا وإلى التعاون الوثيق بين العلماء والمستشرقين في الجامعات الأوروبية، فمثلاً ما كان لعدد كبير من الأعمال الضخمة كتاريخ الرسل والملوك للطبري، وطبقات ابن سعد، ودائرة المعارف الإسلامية أن تصدر دون التعاون العلمي البنّاء بين دي خويي "1836–1909" في هولندة وإدوارد ساخاو "1845–1930" في ألمانيا وغولدتسهير الهنغاري "1850–1921" وفيلهاوزن "1844–1918" وغيرهم من المستشرقين.

ويتميز الاستشراق الألماني أيضاً عن غيره من البلدان الأوروبية بالاهتمام بالدراسة المقارنة للغات السامية، حيث هناك العديد من الدراسات والأعمال المقارنة بين العربية وغيرها من اللغات السامية الأخرى كالآرامية والعبرية والسبئية. وأهم عمل في هذا المجال هو عمل كارل بروكلمان (1868–1956) الرائد "الأساس الكامل في مقارنة اللغات السامية" الذي لم يكتب مثله حتى الآن بهذا التفصيل الدقيق.

وأخيرا أشير إلى أن الاستشراق الألماني لم يكن مرتبطا بالاستعمار إلى حد كبير كالاستشراق الفرنسي أو الانكليزي أو الهولندي، فالألمان لم يستعمروا أية دولة عربية، ولم تكن لهم مطامع في البلدان العربية.

- كيف تقوّمون واقع الاستشراق الألماني الحالي بالمقارنة مع الجيل القديم من المستشرقين الكبار أمثال ليتمان وبروكلمان ونولدكه وبرغشتراسر؟ وهل تجدون فارقاً في طريقة البحث بين هذين الجيلين؟

* إن واقع الاستشراق الألماني الحالي يختلف تماماً عن واقع الاستشراق سابقاً، فقد تغيرت ظروف الحياة وأصبح العالم قرية صغيرة بفضل التقدم التقني الهائل الذي حقّقته وسائل الاتصال والبث الإعلامي والمعلوماتي، وقد انعكس هذا التقدم على اهتمامات الجيل الجديد من المستشرقين الألمان إذ بدؤوا بمتابعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية، ومن هنا فقد كثر

هذا النوع من الدراسات الاجتماعية والسكانية والسياسية والجغرافية، أضف إلى ذلك الاهتمام المتزايد بالأدب الحديث وبالدراسات اللغوية المعاصرة مما يعرف في يومنا هذا بعلم الألسنية. على العكس من الجيل القديم من المستشرقين الذين كانوا يركّزون بصورة أساسية على الأبحاث التقليدية ودراسة التاريخ وعلوم اللغة العربية وفقهها.

أما في ما يتعلق بطريقة البحث اليوم، فطبعاً هناك تطورات دائمة في هذا المجال، ويقدم العلم في كلّ يوم اكتشافاً جديداً، وقد أتيح للجيل الجديد من المستشرقين أن يستفيدوا في أبحاثهم من القفزة الهائلة التي حقّقتها استخدامات برامج الكومبيوتر وأجهزة الحاسوب المتطورة ونظام الحصول على المعلومات والجداول الإحصائية مما لم يكن متاحا للمستشرقين في السابق.

ويظهر الاختلاف بوضوح في طريقة البحث بين الجيلين عند معالجة الموضوعات اللغوية، فقد اكتشفت في أيامنا هذه مناهج جديدة لم تكن معروفة سابقاً، كالبنيوية والتحويلية والكثير من مباحث الألسنية وغيرها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ضمور المنهج الشامل المقارن في الدراسات السامية عند الجيل الجديد من المستشرقين، واقتصارهم غالباً في البحث على لغة سامية واحدة، تتم دراستها بشكل عميق ومسهب دون إجراء مقارنات موازية مع بقية اللغات السامية الأخرى. وأود أن أشير هنا أيضا إلى أن عدد المستشرقين المتخصصين في موضوع نظرية الأدب والنقد الأدبي قليل بشكل عام، وهذه ثغرة آمل أن يتم تجاوزها في المستقبل القريب.

- ما هي العلوم العربية التي أثّرت برأيكم كثيراً في تاريخ النهضة والحضارة الأوروبية؟ وبماذا تفسّرون التطوّر العلمي عند العرب في ذلك الوقت؟

* أعتقد أن الفلسفة تأتي في المقام الأول، وخاصة فلسفة ابن رشد، لأن الأوروبيين تعرّفوا على هذه الفلسفة في الأندلس، وكان لابن رشد تأثير كبير في تطور الفلسفة المسيحية في النصف الثاني من القرون الوسطى. ثم يأتي الطب في المرتبة الثانية، فقد كان لكتاب ابن سينا/القانون في الطب/ الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية تأثير مباشر على الطب الأوروبي، وعن طريقه أعادت أوروبا اكتشاف

غالينوس" توفي نحو 200 ميلادية" من جديد، الذي يعتبر أهم طبيب في العصر القديم، خاصة وأن أكثر مؤلفاته التي كتبها باليونانية قد ضاعت، ولولا الترجمات العربية التي وصلتنا لأعماله لما عرفنا شيئاً عن جهوده وآرائه الطبية. وقد كان للأطباء العرب بصمات واضحة على مسار الطب الأوروبي وتدريسه في الجامعات الأوروبية التي بقي بعضها يدرس الكتب العربية حتى منتصف القرن السابع عشر كجامعة هربون Herborn على سبيل المثال، ولا يفوتني هنا أن أشير إلى الأهمية الكبيرة التي حظي بها الكتاب المنصوري لمؤلفه الرازي الطبيب والفيلسوف المعروف، وإلى الكثير من الكتب الأخرى. وأخيرا يأتي علم الفلك ليحتلّ المرتبة الثالثة في العلوم العربية التي أثّرت بشكل مباشر في تاريخ النهضة والحضارة الأوروبية. فمنذ اختراع الطباعة في أوروبا أي منذ منتصف القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن السادس عشر تم طباعة الكثير من كتب الفلك العربية بالترجمات اللاتينية.

أما في ما يتعلق بالشطر الثاني من سؤالك فأعتقد أن الجواب عن هذا السؤال صعب جداً، وبرأيي أن هذا يعود بالدرجة الأولى إلى اهتمام العرب بإنشاء حضارة جديدة، وأعتقد أن الجو العام في ذلك الوقت كان مهيئاً من حيث حياة الاستقرار في البلاد والتماسك الداخلي للمجتمع والابتعاد عن الحروب والفتن الداخلية، بالإضافة إلى وجود الأطباء والمترجمين السريان وروح الانفتاح التي تحلّى بها العرب آنذاك، والتعطّش للاطّلاع على الثقافات الأخرى والابتعاد عن التعصب والتقوقع وغير ذلك. وأعتقد أن هذه الأسباب مجتمعة قد ساهمت في إنشاء حضارة عربية متميزة، أمدت الفكر الإنساني بنسغ جديد وثمار يانعة.

ولكن ما يلفت النظر في تاريخ الحضارة العربية أنّها لا تواكب السياسة المستقرة دائماً، فقد حقّقت دولة بني حمدان الصغيرة في حلب مجداً أدبيا وازدهاراً حضارياً وثقافيا قلّ وجود نظيرهما في تاريخ الحضارة البشرية، وهذا يعود بالطبع إلى التشجيع الكبير والمناخ المناسب الذي قدمه سيف الدولة في ذلك الوقت. وكذلك فقد كانت مرحلة ملوك الطوائف في الأندلس من أكثر الفترات التي ساد فيها الضعف والفساد والاضطراب السياسي في أرجاء الدولة، ولكنها على صعيد الأدب والثقافة كانت من أكثر الفترات ازدهاراً وخصوبة وعطاء.

- كم معهداً للاستشراق يوجد حالياً؟ وما هي أهم الاتجاهات الأساسية التي ينحوها الاستشراق الألماني إليها حالياً؟

* يوجد في ألمانيا حوالي /25/ معهداً خاصاً بالاستشراق والدراسات العربية والإسلامية، واتّجاهاتها مختلفة بحسب اهتمامات الأساتذة الذين يشغلون كراسي الأستاذية فيها. وأستطيع القول بأن الطابع اللغوي يغلب على اتجاهات كلّ من معاهد جامعة إرلنغن، وتوبنغن، وكولن، ولايبزيغ.

وتختص بعض المعاهد بالاتجاه التاريخي لتصب اهتمامها بالدرجة الأولى على تاريخ العالم الإسلامي في العصور السالفة وكذلك في وقتنا الراهن، وأذكر على سبيل المثال معاهد جامعة فرايبورغ وهامبورغ وبرلين وكيل... إلخ.

وتهتم معاهد أخرى إما بالفلسفة الإسلامية والدراسات الدينية التقليدية كمعهد بوخوم وفرانكفورت، وإما باللغات السامية والمقارنات اللغوية كمعهد ماربورغ وهايدلبرغ وميونخ وهاله... إلخ. وأود أن اشير هنا إلى أنّه في السنوات الأخيرة تم إنشاء الكثير من المعاهد الحديثة وكراسي الأستاذية التي تهتم إما بالوضع الاجتماعي، أو بالحالة السياسية، أو الاقتصادية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بشكل عام، هذا طبعا إلى جانب معاهد الاستشراق التقليدية.

- كيف تجدون التواصل حالياً بين معاهد الاستشراق الألمانية وبين الجامعات العربية؟ وكيف يتم اطّلاع الطلبة الألمان على الجديد من التطورات الادبية واللغوية على الساحة العربية؟

* إن التواصل بين معاهد الاستشراق الألمانية وبين الجامعات العربية ليس مرضياً بالصورة التي يتمنّاها المرء، وأعتقد أنّه قد أخذ في السنوات الأخيرة بالتحسن بعض الشيء عن طريق منظّمة التبادل الأكاديمي الألماني DAAD التي تنظّم عملية التبادل في الطلبة والأساتذة الزائرين بين الجامعات العربية والجامعات الألمانية. وأشير هنا إلى الثغرة الكبيرة في العلاقات الثقافية بين الجامعات العربية وبين معاهد الاستشراق، فنحن نادراً ما نحصل على النشرات والدوريات العربية الجامعية التي تحمل إلينا آخر الأخبار الثقافية والعلمية في الجامعات العربية. إن ما ينقصنا في ألمانيا هو وجود مركز ثقافي عربي تكون

مهمته التعريف بالعالم العربي وحضارته على نمط معهد العالم العربي IMA الموجود في باريس.

أما عن كيفية اطّلاع الطلبة الألمان على آخر المستجدات الأدبية واللغوية على الساحة العربية، فإن ذلك يتم في الغالب بجهود فردية غير منظّمة، ويلعب الحظّ فيها دوراً كبيراً. وغالباً ما نحصل على الكتب والمصادر العربية المنشورة حديثاً عن طرق شخصية.

- من خلال تجربتكم في دراسة العربية وتدريسها، أين تكمن برأيكم الصعوبات التي يعاني منها الدارس الأجنبي لهذه اللغة؟

* يعاني الدارس الأجنبي للغة العربية من صعوبات كثيرة، يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

أولاً: صعوبات في نطق بعض الأصوات العربية غير الموجودة في اللغات الأوروبية مثل الصاد والضاد والطاء والظاء والعين.. والحاء... إلخ.

ثانياً: مشكلة القراءة والكتابة، فكما هو معروف فإن اللغة العربية لا تعمد في الغالب إلى كتابة الحركات، وإنما تكتفي بكتابة الحروف، ولهذا فإن عملية القراءة ليست سهلة على الأجنبي، خاصة إذا كان الدارس غير متمرس في القراءة. وأود أن أشير هنا إلى أن علم الصرف العربي ليس صعبا بشكل عام لأنّه مبني بناءً منطقياً، ويستطيع الدارس الأجنبي أن يتقنه ويستوعب مبادئه تماماً، على العكس من اللغة الألمانية التي تكثر فيها الاستثناءات غير المنطقية وخاصة في باب تصريف الأفعال الشاذة.

ثالثاً: صعوبات في النحو والقواعد، وخاصة في بعض أبواب النحو التراثي القديم الذي يعتمد نظرية العوامل ولا يحاول أن يفسر الوظائف النحوية للتراكيب، فمثلاً هناك أنواع عديدة من المنصوبات التي لها وظائف مختلفة، وفي أحيان كثيرة يصعب التمييز بينها. ومن الأمور التي تشكّل صعوبة باللغة أمام الدارس الأجنبي هي مسألة أدوات الربط بين الجمل والتراكيب. أما بالنسبة إلى نحو اللغة العربية المعاصرة فأعتقد أنّه متأثر بنحو اللغات الأجنبية، وخاصة الانكليزية منها، وهذا

يعود بصورة أساسية إلى الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام وإلى تأثير الترجمة المباشرة للتراكيب الأجنبية إلى العربية.

رابعاً: عدم وجود معجم حديث شامل، يستوعب جميع مفردات اللغة ويشرح كلّ المعاني التي تحتملها الكلمة، وخاصة من الناحية المجازية. فالمعروف أن المعاجم العربية القديمة غنية جدا في الثروة اللغوية وفي الشروح التي تقدمها للمفردة، ولكنّها صعبة الاستعمال؛ إذ أن الباحث غير المتخصص في اللغة يواجه صعوبات كبيرة عند استعمال تلك المعاجم القديمة. ولهذا السبب فإما ما نحتاج إليه من كلّ بد هو وضع معجم شامل للغة العربية، يأخذ بعين الاعتبار الجهود والنتائج التي وصل إليها علم المعاجم الحديث، من حيث طريقة استخراج الكلمات وترتيبها في المادة اللغوية، لأنّه ليس هناك نظام موحد في المعاجم العربية لاستخراج الكلمات، فكلّ معجم يتّخذ طريقة تختلف عن الآخر.

- ما هي البلاد العربية التي زرتموها؟ كيف تجدون الواقع اللغوي فيها؟ وهل تعتقدون أنّ في انتشار العاميّة على هذا النحو خطراً يهدّد اللغة العربية الفصحى؟

* لقد زرت كلاً من سوريا ولبنان والأردن ومصر وتونس والجزائر والمغرب، واطّلعت عن كثب على الواقع اللغوي فيها، ولفت نظري أمران أساسيان؛ أحدهما: الهوة الواسعة التي تفصل بين اللغة العربية الفصحى وبين اللهجات العامية الموجودة في البلاد العربية. وثانيهما: التنوع والاختلاف الكبير في اللهجات العامية وطرق التعبير فيها، مما يجعل كلّ لهجة تختلف تماماً عن اللهجات الأخرى، وخاصة اللهجة المغربية التي تبدو غير مفهومة حتى لعرب المشرق العربي.

ومهما يكن الأمر فإنّه لا يمكن لأحد أن ينتقص من الدور الذي يقوم به كلّ منهما، فكما أن للغة الفصحى دوراً مهماً، كونها اللغة الرسمية لوسائل الإعلام والتعليم في المدارس والجامعات، حيث إنها وسيلة الوحدة الثقافية التي تربط بين البلاد العربية، كذلك الأمر فإنّ للهجات دوراً مهما، لأنها هي اللغة التي يتكلّمها الناس في حياتهم اليومية، وهي التي يستخدمونها بكلّ عفوية في عواطفهم

وأحاسيسهم دون أي تفكير. لهذا فإنّه ليس من المعقول أن ننكر أهمية اللهجات العامية بالإقلال من دورها. وإنّما على العكس من ذلك يجب أن نعطيها حقها بالدراسة والتحليل والمقارنة مع اللغة الفصحى، وعلى الجهات المسؤولة أن تنتبه لهذا الأمر وتشجع عليه، وخاصة الجامعات التي يمكن لها أن تقوم بأبحاث جادة في هذا المجال، تدرس فيها الظواهر اللغوية الموجودة في اللهجات، وتبين فيها العلاقة بين اللغة الفصحى ولهجاتها، لأن هذه اللهجات وكما هو معروف تعود في أصولها إلى اللغة الفصحى التي تطورت عنها. وهذه الطريقة من البحث هي السائدة في أكثر الدول الأوروبية، وأعتقد أن الوضع اللغوي في سويسرا يشبه تماماً الواقع الموجود في البلاد العربية. وأنا لا أرى أبدا أن في انتشار اللهجات المحلّية خطراً يهدد اللغة الفصحى، لأن هذا أمر عام في كلّ لغات العالم. فضلا عن أن اللغة العربية الفصحى لها من مقومات القوة ما يجعلها تبقى دائما اللغة الأساسية للكتابة والقراءة والتعامل الرسمي، فهي- وكما هو معروف- لغة القرآن والتراث والأدب والشعر القديم. وأنا في الواقع لا أجد أي ضرر يمكن أن يلحق باللغة الفصحى من اللهجات، ولكنّني أشدد على ضرورة دراسة اللهجات المحلّية ومقارنتها بأصولها التي تطورت عنها، لأن في ذلك غنى وفائدة للطرفين معا.

- ما هو مدى اطّلاع القارئ الألماني بشكل عام على الأدب العربي؟ وكيف يصل إليه هذا الأدب؟ وهل تجدون أن الأعمال الأدبية العربية المترجمة إلى اللغة الألمانية كافية لإعطاء القارئ الألماني صورة صادقة تعكس الواقع الحقيقي للأدب العربي؟

* إن اطّلاع القارئ الألماني على الأدب العربي محدود جداً، لأن الأعمال المترجمة إلى الألمانية قليلة نسبياً، بالمقارنة بالترجمات عن الآداب العالمية الأخرى، وأعتقد أ ن الوضع قد بدأ في السنوات الأخيرة يتغير تدريجياً، لأن عدد الأعمال المترجمة عن العربية بدأ يزداد، وخاصة الترجمات عن الأدب العربي الحديث. بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد من وقت إلى آخر في الصفحات الأدبية من المجلاّت والجرائد الألمانية المحلّية بعض المقالات التي تدور حول مسائل الثقافة والأدب العربيين، كالحديث عن إميل حبيبي أو ابن جلّون والأدب المغربي، أو رشيد أبو جدرة، أو الضجة التي أثارها موضوع نصر أبو زيد وهكذا.

ومهما يكن الأمر فإن الأعمال الأدبية العربية المترجمة إلى اللغة الألمانية غير كافية ولا تعطي القارئ الألماني صورة حقيقية عن الأدب العربي، لأن عملية اختيار العمل الأدبي المراد ترجمته تكون خاضعة في أحيان كثيرة للأهواء الشخصية والاعتبارات المادية، فمثلا ثلاثية الأديب الكبير نجيب محفوظ لم تكن معروفة في ألمانيا قبل منحه جائزة نوبل للآداب، أضف إلى ذلك أن ترجمة هذه الثلاثية إشكالية ولا تعطي القارئ الألماني فكرة حقيقة مقنعة عن هذا الأديب الكبير وإمكانياته الأدبية. وبالتأكيد فإن الكاتبة اللبنانية حنان الشيخ ليست من عمالقة الكتّاب العرب، ومع ذلك فقد تُرجمت لها ثلاث روايات إلى اللغة الألمانية.

وأود أن أشير هنا إلى مشكلة أساسية في الموضوع وهي عدم اهتمام دور النشر الألمانية الكبيرة بالترجمات عن الأدب العربي أو الأدب في العالم الثالث بشكل عام، لأن هذا الأمر فيه نوع من المغامرة، وقد لا يكون مضمون العواقب بالنسبة لها من الناحية المادية على الأقل.

وهناك نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها، وهي اختلاف الذوق الأدبي، لأن المواضيع التي يتناولها بعض الأدباء العرب ربما لا تهم القارئ الأجنبي، ولهذا السبب كان الأدباء المغاربة أقرب إلى ذوق القارئ الألماني من غيرهم، عن طريق الترجمات الفرنسية".

الإستشراق الألماني والتأثير العربي الإسلامي

كما يراه د. رضوان السيد

يرى الدكتور رضوان السيد، وهو من ابرز الباحثين اللبنانيين كما العرب في شؤون وثقافات الإستشراق على الصعيدين العربي والألماني، ومن مؤرخي الدراسات الإسلامية وتأثيرها المتبادل في الثقافتين الألمانية والعربية، إضافة إلى كونه خريج بدرجة دكتوراه من جامعات ألمانيا وله كتابات ومؤلفات عديدة في حقلي الإسلاميات والإستشراق ورئيس تحرير مجلتي "الفكر العربي" و"الإجتهاد" اللتين صدرتا في بيروت أن هناك "تأثيرات متبادلة ثقافية ومعرفية بين العرب والألمان".

وقد يكون طريفا الإشارة هنا إلى ان "بدايات العلاقة عن طريق الترجمة بين العرب والألمان تمثلت في قيام احد شباب المستشرقين بترجمة الجزء الثاني من كتاب جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي (1913م) إلى الألمانية! وقد عرف المصريون على الخصوص أشياء كثيرة عن أعمال المستشرقين الألمان من خلال العلاقات الشخصية في الرحلات والزيارات المتبادلة، ولأهداف علمية. فالمعروف ان المديرين الأولين لدار الكتب الخديوية كانا ألمانيين، وهما شبيتا وفوللرز، وللرجلين اهتمام خاص باللهجات العربية المصرية والفلسطينية.

لكن شبيتا كتب أيضاً في التاريخ العقدي، وهو صاحب الفكرة القائلة ان انتصار الاشعرية مثل تراجعا في التفكير الفلسفي في الاسلام، وان المعتزلة هم احرار الفكر في الثقافة الإسلامية. وقد اهتم شبيتا أيضاً (والذي توفي صغيرا عام (1883م) بفكرة الانحطاط العربي والإسلامي وأسبابها. وتطورت هذه الفكرة في ما بعد على يد الفرد فون كريمر وصولا إلى هلموت ريتر في خمسينات القرن العشرين.

ويريد بعض المؤرخين اعتبار المستشرقين الألمان هؤلاء مسؤولين عن فكرة الاضمحلال والذبول في الحضارة العربية، استنادا إلى التقسيم الثلاثي الذي ساد في زمن التاريخانية في مجال تاريخ الفكر: نشوء، ازدهار ذبول أو انحطاط، لكن ذلك أمر مستبعد، لأننا نعرف اشارات إلى «الانحطاط» وضرورة الخروج منه عند الشيخ حسن العطار، شيخ الازهر (1835م)، واخرى لدى تلميذه رفاعة رافع الطهطاوي، وربما سمعها من أستاذه الآخر المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي. وقد كانت الفكرة متداولة في دائرة السيد جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده عندما التقيا بباريس أواسط الثمانينات من القرن التاسع عشر المنصرم.

والمعروف أنهما تجادلا في أسبابها مع ريناك وهانوتو، دون أن ينكراها.

وقد كان المصريون يذهبون إلى اوروبا ويحضرون مؤتمرات المستشرقين، من مثل احمد زكي باشا، واحمد تيمور باشا، والشاعر احمد شوقي، والسياسي محمد فريد، وكانوا جميعا يتقنون الفرنسية، وانفرد اللبناني شكيب ارسلان بمعرفة الألمانية

إلى جانب الفرنسية. وقد ترجم بحوثا عن الاندلس وعن غزوات المسلمين داخل اوروبا.

وبعد ذلك بقليل قام محمد عبد الله عنان بترجمة كتاب جوزف أشباخ عن الاندلس في عدة مجلدات. وإذا كانت دار الكتب المصرية قد شكلت نقطة أولى ومهمة للتلاقي، وتبادل مصورات ومستنسخات المخطوطات، فإن إنشاء الجامعة الأهلية (1908م) دفع بهذه العلاقة إلى آفاق أخرى. إذ جرى استقدام مستشرقين وأساتذة في الآداب إلى الجامعة المصرية طوال ثلاثة عقود، وقد كان هؤلاء مثل كارلو نللينو (الفلك) وكازانوفا (الفلسفة)، وفيشر (اللغة والآداب)، وماسينيون (التصوف والفلسفة)، يلقون محاضراتهم بالعربية، ثم تجمع بعد تصحيحها وتحريرها في كتب.

والمعروف ان اوغست فيشر اختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1934م، وجاء ومعه صناديق البطاقات التي كان يجمعها من اجل معجم اللغة العربية الفصحى.

وقد أفاد منها المصريون في صوغ فكرة معجمهم الكبير الذي صدر منه جزء واحد بعد ذلك بأربعين عاما. أما معجم فيشر فقد تغيرت فكرته بعده، وارتئي ان يكون إكمالا لمعجم وليم إدوارد لين، وبدأت أجزاؤه وملازمه تصدر عام 1957م، على يد انطون شبيتلر، تلميذ فيشر، وهو منذ ثلاثين عاما بعهدة مانفريد أولمان بجامعة توبنغن.

ولا نعرف ان كان جورجي زيدان قد اتقن الألمانية، وربما كان يقرؤها على أي حال، لأنه رجع إلى بحوث الألمان عن تاريخ العرب قبل الاسلام، وبالذات تاريخ جنوب الجزيرة والممالك السبئية، والتي عمل في بحوثها الرحالة والعالم الكبير ادوارد غلازر وتلميذه هومل. وكانت لزيدان، كما سبق القول، علاقات بالألمان، ادت إلى ترجمة جزء من كتابه إلى الألمانية، وربما كان «تاريخ التمدن»، هذا اول عمل عربي حديث ترجم إلى الألمانية، بيد ان بحوث الألمان عن التاريخ العربي القديم لقيت اهتماما لدى الذين تخصصوا بالدراسات السامية بألمانيا في الخمسينات والستينات من مثل يحيى نامي والسيد يعقوب بكر. فقد ترجموا إلى العربية

«التاريخ العربي القديم» في الخمسينات؛ وهو عبارة عن مجموعة دراسات مضمومة في الاربعينات من أعمال علماء الساميات والرحالة/المؤرخين الألمان عن الجزيرة العربية وجنوبها.

لكن اكبر الإفادات من بحوث الألمان في التاريخ العربي القديم، تمت على يد الدكتور جواد علي صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام»، في عشر مجلدات.

فقد رجع الرجل إلى ستة وعشرين كتابا ألمانيا، وحوالي الأربعمائة مقال للباحثين الألمان من بوركهاتر وغلازر والى هومل وماريا هوفنر ورودو كاناكس والتهايم. وما يزال الذين يؤلفون الكتب المدرسية للجامعات عن تاريخ العرب القديم يرجعون إلى دراسات هؤلاء العلماء عبر كتاب جواد علي دونما ذكر له في كثير من الأحيان.

بيد ان البحوث الألمانية القديمة هذه حلّت محلها منذ حوالي العقد كتابات عرفان شهيد (بجامعة جورج تاون) عن التاريخ العربي القديم (مع التركيز على العلاقة ببيزنطة) في ثماني مجلدات؛ وباللغة الانكليزية التي يعرفها الدارسون العرب جميعا تقريبا.

على ان اكبر تأثير للاستشراق الألماني في مجال التاريخ والكتابة التاريخية جاء من خلال كتاب يوليوس فلهاوزن المشهور: الدولة العربية وسقوطها. صدر الكتاب عام 1901م، وترجم إلى الانكليزية، وبدأ الدارسون العرب يعرفونه من خلال تلك الترجمة.

ثم ترجم إلى العربية مرتين بمصر والشام، على يد عبد الرحمن بدوي ويوسف العش، وقد أثر في الكتابة التاريخية العربية تأثيرا كبيرا في عدة مسائل؛ الأولى:

اعتباره الصراع الأبرز في الدولة العربية الاولى صراعا قوميا (بين العرب والعجم)، وتحديده للحقبة المبكرة أو للعصر العربي للدولة الاسلامية ما بين 632هـ/ 750م تاريخ سقوط الدولة الاموية. والأمر الثالث منهجي وهو

استناده بشكل أساسي إلى تاريخ الطبري ونصوصه المنقولة عن مصادر اقدم (عن الإخباريين من القرنين الثاني ومطالع الثالث للهجرة). والمسألة المنهجية مهمة. فتاريخ الطبري نشره دي غويه وزملاؤه وتلامذته في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. وقد اطلع فلهاوزن على بعض أجزاء النص مخطوطة، لأنه استخدمه في دراسات سابقة. وكان المؤرخون من بين المستشرقين قد إعتادوا على الرجوع لمصادر متأخرة مثل ابن الاثير وابن كثير، لأنها عرفت أولا. ولذلك كان مهما من جانب فلهاوزن الاهتمام بقِدَم المصدر، ثم بتحليل تركيبة الكتاب: الاكتشاف مثلا ان أهم رواة اخبار الفتنة الاولى أو الكبرى هما: أبو مخنف وسيف بن عمر. وقد شكك فلهاوزن (بغير حق كما تبين حديثا) بحيادية سيف، وسار على رأيه المستشرقون والعرب. واذا كان من المحمود السير على خطاه في الثقة بنص الطبري ومصادره، فما كان من المستحسن اتباعه بشكل أعمى في الفهم «القومي» للتاريخ العربي الأول. كان فلهاوزن من مؤيدي الوحدة القومية الألمانية، ومن انصار المشروع البسماركي، بينما لم يكن ممكنا في القرن السابع الميلادي الحديث عن دولة قومية «عربية». بيد ان كل المؤرخين العرب تابعوه في تحليله هذا لطابع الدولة، وكتبوا عشرات الدراسات في الشعوبية. وتبعا لميله الأول اعتبر فلهاوزن العصر الأموي استمرارا للعصر الراشدي من حيث الطابع العام: العربي. وقد سايره في ذلك مستشرقون من مثل هنري لامنس اليسوعي الفرنسي، لكن لأسباب مختلفة. فموقفه الايجابي من الأمويين كان لاعتقاده بأنهم «قليلو الدين». وان هذا سبب حسن علاقتهم بالمسيحيين! أما العرب: فان القوميين المتحمسين فقط نظروا إلى الأمويين تلك النظرة الايجابية ثم ثار عليهم (أي على الأمويين) التقدميون في الستينات والسبعينات على الأقل، إذ في القبيلة أو العشيرة نفسها كان هناك من هم من أنصار علي وأهل بيته، ومن هم ضدهم. والأمر نفسه يمكن قوله عن ذهابه إلى «عروبة» الخوارج، و«أعجمية» الشيعة.

فالطرفان أو الحزبان، وطوال العصر الأموي تقريباً، عرب اقحاح. وما ذهب إليه دوزي في ما بعد – استناداً إلى بدايات فلها وزن – من تشابه بين افكار الزرادشتيين والفرس القدامى من جهة، وغلاة الشيعة من جهة ثانية، لا يستحق الاعتبار، إلا بعد القرن الرابع الهجري، وهو زمان يتجاوز بكثير حقب النشوء الأولى، والتي اعطت تلك الفرق طابعها الباكي.

وما قام احد من العارفين بالألمانية من العرب بترجمة دراستي فلهاوزن عن حياة النبي (ص) في المدينة، وعن تنظيمات الجماعة الأولى فيها.

وقد أراد فلهاوزن من وراء دراسته الصغيرة عن النبي تجاوز تهويمات ومبالغات فايلوشبرنغر، بالاستناد بشكل كامل للمصادر وقراءتها نقديا. أما في «الجماعة الأولى» فقد درس نص كتاب النبي أو عهد النبي بين المهاجرين والأنصار. وربما كانت ترجمته لو تمت مفيدة في الاطلاع على أسلوب فلهاوزن في قراءة النصوص الدينية ونقدها". (أنظر مصائر الإستشراق ونهاياته).

ويرى الدكتور رضوان السيد أن "الترجمات عن الألمانية كانت ضئيلة في شتى مجالات العلوم الإنسانية، وفي الإستشراق بالذات". ويلاحظ أن "الدراسات القليلة التي ترجمت تركت آثاراً واسعة أحياناً، وبشكل مباشر أو غير مباشر. يحاول الإستشراق الألماني إنقاذ نفسه باللجوء إلى الإنضواء، تحت أحد أربعة تخصصات: التاريخ، والإنثروبولوجيا، والسوسيولوجيا، وعلم الدين، والدراسات الشرق أوسطية، وهذا عمل جيل الكهول، الذن بدأوا ينتجون في الثمانينات، وما يزال بالجامعات الألمانية عشرون كرسياً تقريباً، تعنى بالدراسات الإسلامية والعربية. وفي الكرسي أستاذ رئيسي، أو أستاذان، وعدة أساتذة مساعدين أو مشاركين. وهكذا فالعاملون في مجال دراسات العربية والإسلام، وفي القديم والحديث، يبلغون حوالي المائة والعشرين اليوم. وما تزال المجلات الأكاديمية تعمل. ويصدر عن الدراسات الأكاديمية عن الإسلام القديم والحديث حوالي الأربعين كتاباً في العام. (مصائر الإستشراق ونهاياته). وفي مطلع السبعينات أنشئ بجامعة توبنغن "أطلس توبنغن للشرق الأدنى"، وهو يعنى بالخرائط التاريخية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والدينية والسكانية: ومن أقدم العصور حتى الوقت الراهن. وقد زادت الخرائط الكبرى على المائة عدداً، والخرائط التفصيلية تبلغ عشرة أضعاف ذلك مع عشرات الكتب الشارحة الملحقة بها. وقد إنتهى المشروع مطلع التسعينات، وشكل تقدماً كبيراً في مجال معرفة الشرقين الأدنى والوسط. (مصائر الإستشراق ونهاياته).

وفي عام 1961م أنشئ المعهد الألماني للبحوث الشرقية بيروت، وصار له في الثمانينات فرع بإسطنبول. وقد أصدر المعهد عشرات النصوص العربية المحققة،

ومئات الكتب المؤلفة بالإنكليزية والألمانية، من جانب المستشرقين والدارسين الألمان. كما أنه يدرب ثمانية باحثين شبان سنوياً عن طريق التعرف على المشرق العربي لمتابعة دراساتهم.

وفي مطلع السبعينات، أنشئ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، برئاسة البروفيسور فؤاد زكي وبدعم من ثلاث دول عربية. ويصدر المعهد مجلة علمية في تاريخ العلوم، كما انه أصدر مئات المخطوطات العربية المصورة. (من مكتبات تركيا في الغالب) في شتى مجالات الحضارة العربية.

وأصدر أيضاً حوالي الألف مجلد من نتاج للمستشرقين والدارسين لتاريخ العلوم العربية. وعلى الرغم من ضآلة عدد الدراسات الإستشراقية المترجمة إلى العربية، فقد صدر أخيراً، وفي أربعة مجلدات كتاب البارون فون أوبنهايم القديم عن البدو العرب، على مشارف القرن العشرين والترجمة جيدة. وترجم الدكتور عبد الغفار مكاوي قبل فترة مجموعة مقالات للمستشرق فرتز شبتاب "الإسلام شريكاً، وصدرت في سلسلة عالم المعرفة الكويتية المعروفة. وأكمل ناشران أحدهما يعمل من لبنان، والآخر من ألمانيا، ترجمة عربية لكتاب نولدكه المشهور "تاريخ القرآن، والترجمتان جيدتان". (المرجع السابق).

رصد للتبادل التجاري ووسائل مد النفوذ الألماني إقتصادياً وسياسياً وثقافياً

في نهاية القرن التاسع عشر كانت ألمانيا قد أصبحت دولة صناعية. ولكن هذا النمو الصناعي رافقته أزمات صعبة. فبعد فترة من الإنتعاش الإقتصادي في أعقاب الحرب مع فرنسا، واجهت الصناعة الألمانية فترة ركود من 1873 – 1879م، فإنتعاش قصير ثم أزمة إقتصادية جديدة من 1882 إلى 1886م ومن 1890 إلى 1895م فإنتعاش غير مستقر في نهاية القرن التاسع عشر. ومن معالم الأزمات الإقتصادية زيادة السكان من 41 مليون نسمة في عام 1871م إلى 65 مليوناً في عام 1913م. وأخيراً الهجرة الضخمة إلى العالم الجديد التي بلغت 3.5

ملايين شخص ما بين عامي 1861 و1913م. ووسط هذه الدعوات لعب المشرق العثماني دوراً بارزا كمنطقة تستطيع حل مشكلات تعريف المنتجات الألمانية.

والواقع أن إختراق الأسواق العثمانية (كان المشرق العربي وسوريا وفلسطين تحديداً سوقاً مهماً للدولة العثمانية) جاء نتيجة توطيد العلاقات الألمانية العثمانية منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر. ففي عام 1883م أرسلت إلى الآستانة البعثة العسكرية الألمانية برئاسة الجنرال كولمار فون درغولتز Colmar Friedrich Von Goltz وفي عام 1889م قام الإمبراطور وليم الثاني بزيارة السلطان عبد الحميد الثاني في العاصمة العثمانية. وقد ترافق ذلك مع تأسيس "خطوط الملاحة الألمانية الشرقية. وقرابة الوقت نفسه (1888م) حصلت شركات ألمانية على إمتيازات لبناء عدد من خطوط السكك الحديدية في الأناضول بدأ العمل فيها مع مستهل التسعينات. ومنذ ذلك الحين تطورت العلاقات التجارية الألمانية بالدولة العثمانية بشكل كبير.

السياسة التجارية الألمانية في سوريا وفلسطين

لا شك أن القنصليات الألمانية التي تأسست في معظمها بعد الأربعينات من القرن التاسع عشر، قد لعبت دوراً هاماً في تدعيم التجارة الألمانية في فلسطين وخاصة منذ السبعينات من ذلك القرن. وفي آذار/مارس عام 1895 منحت وزارة الخارجية الألمانية بول شرودر Paul Schrōder القنصل الألماني في بيروت، وسام النبلاء إعترافاً منها بخدماته في ترويج التجارة الألمانية في سوريا وفلسطين.

ولم يقتصر ترويج المنتجات الألمانية على عمل الأفراد أو الممثلين التجاريين، بل أن جمعيات ألمانية أخذت على عاتقها منذ الثمانينات مهمة ترويج المنتجات الألمانية. كما ساهمت الإرساليات التبشيرية الألمانية في إزدهار التجارة الألمانية مع فلسطين، كذلك ساهمت في إزدهار القطاع المصرفي لألمانيا في المنطقة. وفي عام 1896م أسس الغراف فون تزايتن – شيفرين Graf Von Zieten Schwerin رئيس جمعية بيت المقدس البرلينية "الشركة الفلسطينية والشرقية الفلسطينية الألمانية، Deutsche palāstina-und Orient gesellschaft وكانت أهداف الشركة: تشجيع المصالح الألمانية في فلسطين وفي الشرق، وممارسة جميع الأعمال المرتبطة بها، وبشكل خاص شراء الأراضي وتضمينها وزراعتها. وعلاوة

على ذلك: ممارسة الأعمال المصرفية، وخاصة في ما يتعلق بتنمية التجارة بين ألمانيا والشرق. وفي أيار/مايو 1897م بدأت الشركة تمارس نشاطاتها المصرفية تحت إسم "بنك فلسطين الألماني" بفرع القدس. ورغم المنافسة القوية التي تعرض لها بنك فلسطين الألماني من قبل بنك كريدي ليونيه الفرنسي Credit Lyonnais والبنك العثماني Banque Imperiale Ottomane إستطاع بنك فلسطين أن يثبت نفسه بسرعة.

وفي عام 1899م أسس البنك في مدينة يافا فرعاً متخصصاً بأعمال التصدير. وفي السنوات التالية كانت أعمال المصرف في تزايد مستمر. فأسس فروعاً في بيروت ودمشق وميناء طرابلس.

ولكن منذ العام 1908م اخذت معاملات المصرف تتحول من فلسطين إلى ألمانيا. وتراجعت اعماله كثيراً في الشرق. وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى أغلق البنك مع جميع فروعه.

يجدر القول، أنه في العام 1914م، بلغ مجموع رؤوس الأموال الفرنسية المستثمرة في الدولة العثمانية، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى ذلك العام (5880) مليون فرنك منها (4630) مليون فرنك أموال دولة و (1250) مليون فرنك أموال خاصة. وقد قدر البارون هوتنغر Hottinger في دراسته حول الأموال المستثمرة في الدولة العثمانية التي قدمها في 1895/11/26م أن نصيب فرنسا من هذه الأموال هو (2107) ملايين فرنك من حيث القيمة الإسمية، بينما بلغ نصيب ألمانيا (439) مليون فرنك. ودلت إحصائيات البنك الإمبراطوري العثماني في العام التالي على أن حصته فرنسا من الأموال المستثمرة في الدولة العثمانية هي 67 بالمائة، بينما بلغت نسبة الأموال الألمانية 17 بالمائة. (راجع كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 – 1945م، الدكتور علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 1985م ص22). أما في ميدان التجارة، فمنذ عام 1895م، أخذت تجارة فرنسا مع الدولة العثمانية بالتراجع، بينما أخذت تجارة ألمانيا معها بالنمو والإزدياد. وبعد إنشاء شركة الخطوط الألمانية المشرقية Deutsche Levante Linie عام 1989م، أخذت الصادرات من هامبورغ إلى

الدولة العثمانية بالتزايد. ومنذ عام 1898م، حصلت ألمانيا على إمتياز سكة حديد بغداد الذي أثار ضجة كبرى بين الدول الأوروبية. وتم تمويل المشروع بإتفاق بين البنك الألماني Deutsche Bank والبنك الإمبراطوري العثماني وشركة إزمير – قصبة Lacie de Smyrme-Cassaba الفرنسية أبرم في 6 آذار/مارس 1899م

كل هذه النشاطات جاءت من ضمن التنافس الفرنسي الألماني على المشرق العربي، الذي إحتد وإشتد للسيطرة على أسواق مراكش وتونس والجزائر. غير ان ألمانيا لم تشكل منافسة حقيقية لفرنسا. ذلك أن التنافس الإقتصادي بين البلدين تركز في المشرق العربي[38].

والواقع أن سوريا وفلسطين لم تمثلا في تلك المرحلة دوراً بارزاً في حسابات السياسة الألمانية العليا ولا منطقة خاصة للمصالح الألمانية. فخلال خطابه في دمشق في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1898م لد يدع الإمبراطور الألماني وليم الثاني مجالاً للشك في أنه يعتبر نفسه صديقاً للسلطان، وأن المحافظة على سيادة الإمبراطورية العثمانية هي إحدى الدعامات الرئيسية للسياسة الألمانية تجاه المسألة الشرقية. وبذلك ظهرت بوضوح حدود السياسة الألمانية تجاه فلسطين.

كذلك لم يكن النفوذ الثقافي الألماني واسعاً، فحتى نهاية القرن التاسع عشر، كان ربع تلاميذ القدس الذي يزورون المدارس الأجنبية مسجلين في المدارس الألمانية. فقد كان هناك 2000 تلميذ في المدارس الألمانية في سوريا وفلسطين، مقابل 40 ألف تلميذ في المدارس التي كانت تتلقى دعماً من الحكومة الفرنسية. وبعد عام على إندلاع الحرب العالمية الأولى أكدت صحيفة ألمانية: "أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن فرنسا لاتزال في الوقت الحاضر تحافظ على وضع سياسي متفوق في سوريا وفلسطين". (المرجع السابق ص 288).

(38) د. عبد الرؤوف سنو، المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين 1841-1901م) مرجع سابق.

التبادل التجاري والعلاقات السياسية والثقافية: ما قبل الحقبة الهتلرية وأثناءها

تمهيد

كان الشعور العربي تجاه الألمان رمادياً وذلك بفعل التحالف العثماني – الألماني. ذلك أن الإمبراطور غليوم الثاني كان تحالف مع حكام الآستانة من رجال جمعية تركيا الفتاة المعادين لمطلب العرب بالإستقلال، وعلى الرغم من وجود بعض القوات الألمانية في البلاد العربية، وإحترام الضباط العرب للجيش الألماني والعسكرية الألمانية، فإن التحالف بين تركيا وألمانيا قد حال دون تقارب العرب مع ألمانيا، كما أن عدم إستجابة ألمانيا لفكرة إستقلال العرب وقيام دولة عربية مستقلة جعل الشريف حسين يعتمد كلياً على بريطانيا. وكان الإمبراطور غليوم الثاني قرر أن يتجه بسياسته نحو الشرق وركز إهتمامه في إقامة علاقات جيدة مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وقام غليوم الثاني عام 1898م بزيارة إلى كل من إستانبول والقدس ودمشق، وفتحت هذه الزيارة العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية على مصراعيها فشارك ضباط ألمان في تدريب الجيش العثماني وتجهيزه، وفتحت أسواق الشرق أمام الألمان، وأصبح البنك الألماني (Bank Deutsche) الممول الرئيسي للإقتصاد العثماني، وركزت ألمانيا على بناء سكك حديدية تربط بين برلين ببغداد. وكان من أهداف مد هذه الخطوط الحديدية، إستغلال المواد الخام وأهمها القطن وبترول شمالي العراق، وهذا ما أثار حفيظة بريطانيا التي خافت على نفوذها في الشرق. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى تحالفت ألمانيا مع تركيا، لتوجيه ضربة إلى نقاط الإرتكاز البريطانية في كل من مصر، والهند، فشنتا معاً هجوماً على قناة السويس في آب/أغسطس 1914م، ولم تنجح المحاولات التي بذلت لدفع المصريين إلى الثورة ضد البريطانيين، وأخفق الهجوم. حاول الألمان في شبه الجزيرة العربية ان يستميلوا إلى صفهم الملك عبد العزيز آل سعود والشريف حسين وقد أحرزوا بعض النجاح في البداية لكنهم فشلوا في نهاية الأمر.

وكما هو معروف إنتهت الحرب العالمية الأولى بإنتصار بريطانيا وفرنسا وإنهيار الإمبراطورية العثمانية وسيطرة القوات البريطانية والفرنسية على كل المنطقة

الممتدة بين البحر المتوسط والخليج العربي، ولم تعد ألمانيا تشكل قوة ذات أثر فعال في المشرق العربي، فقد أرغم الألمان طبقاً لمعاهدة فرساي المجحفة بحقهم عام 1919م، على التخلي عن مستعمراتهم في ما وراء البحار، وفقدت ألمانيا إمتيازاتها كلها في الإمبراطورية العثمانية وبلغاريا، وتقلص الحجم التجاري الألماني في الشرق إلى أدنى حدود. وكنتيجة لهزيمة الدولة العثمانية وألمانيا في الحرب العالمية الأولى امام الحلفاء، إنحسر النفوذ الألماني عن منطقة الشرق الأوسط كلياً، وإنسحب العثمانيون من الأراضي العربية، ولم يعد لألمانيا دور في القضايا الدولية حتى العام 1936م حين قبلت عضويتها في عصبة الأمم بوصفها دولة قوية كبرى، وأصبح لها صوت مسموع في القضايا الدولية ومنها القضايا المتعلقة بالعراق وسوريا وفلسطين، على الرغم أن أولوياتها كانت معنية بالوضع الأوروبي والتخلص من القيود التي فرضتها عليها معاهدة فرساي.

وبعد الحرب العالمية الأولى شهدت ألمانيا ركوداً إقتصادياً ولا سيما في عهد حكومة فايمار (Republik) (Waimar) التي تسلمت السلطة في آب/أغسطس 1919م، وإضطرت الحكومة الجديدة إلى الإستدانة المستمرة حتى بلغت ديونها في نيسان/إبريل 1921م 135 مليوناً من الماركات الذهبية، فضلاً عن ذلك أدت نتائج معاهدة فرساي إلى توليد شعور قاس لدى الألمان جعلهم يغيرون سياستهم الخارجية لإعادة النظر في معاهدة فرساي التي فرضت عليهم بالقوة فسعت جمهورية فايمار بزعامة (الحزب الإشتراكي الديمقراطي) SPD إلى التحرر من قيود المعاهدة، لكن النتائج لم تكن مثمرة، فكان أن شلت هذه المعاهدة النشاط الألماني في عموم الوطن العربي، ولا سيما مصر وسوريا والعراق، وقد شهدت تلك الحقبة الممتدة بين 1928 – 1927م مستوى ضعيفاً في حجم التبادل التجاري، فمثلاً وصلت الصادرات الألمانية إلى سوريا ولبنان قبل الحرب العالمية الثانية إلى 6–5 ملايين مارك سنوياً في حين وصلت نسبة الواردات ما بين مليون، ومليوني مارك فقط (أنظر ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، تأليف لوكاز هيرزويز، ترجمة أحمد عبد الرحمن، دار المعارف بالقاهرة، 1968م، ص30).

كما أن حجم التبادل مع مصر تقلص بشكل ملحوظ أثناء الأزمة الإقتصادية العالمية (1929–1931م). غير أن الوضع سرعان ما تبدل وأخذ هذا التبادل في

الثلاثينات بين البلدين يتنامى بإضطراد حتى أصبحت ألمانيا تحتل المرتبة الثانية في تجارة مصر الخارجية.

أما حجم التبادل بين ألمانيا وسوريا ولبنان فكان ضعيفاً، إذ لم تزد قيمة الصادرات الألمانية إلى هذين القطرين عن ستة ملايين مارك سنوياً في حين تراوحت وارداتها منهما بين مليون ومليوني مارك. وبلغت قيمة صادرات سوريا إلى ألمانيا (754676) ليرة سورية سنة 1929م، ثم إنخفضت في السنة التالية إلى (454373) ليرة سورية. أما في سنة 1931م، فقد بلغت قيمة الصادرات السورية إلى ألمانيا (368022) ليرة سورية في حين بلغت قيمة وارداتها من ألمانيا (2994270) ليرة. وفي سنة 1932م، بلغت قيمة الصادرات السورية (169822) ليرة، في حين بلغت قيمة الواردات من ألمانيا (2207320) ليرة. وهكذا كانت الصادرات السورية إلى ألمانيا في إنخفاض مستمر بينما كانت الواردات من ألمانيا في إزدياد. إذ بلغت الصادرات السورية إلى ألمانيا (102329) ليرة سنة 1933م في حين بلغت قيمة الواردات من ألمانيا (2255419) ليرة[39].

عندما إكتشف البترول في معظم دول الخليج العربي والعراق إزدادت الأهمية الإقتصادية للمشرق العربي وإعتمدت حكومة (فايمار) على البترول العربي وقد حصلت ألمانيا على نسبة 80% من إحتياجاتها من البلاد العربية. ومنذ بداية الثلاثينات من القرن العشرين أقدمت الشركات الألمانية والمصارف على إستثمار النفط في العراق حيث أسهمت في شركة الزيت البريطانية (B.O.D) بنسبة 12% من مجموع أسهمها فحصلت هذه الشركة على إمتياز التنقيب عن النفط في العراق في المناطق الخارجة عن منطقة إمتياز شركة نفط العراق، ولكن في آذار/مارس 1931م إنسحبت المؤسسات الألمانية من شركة (B.O.D).

لم تحاول جمهورية فايمار الإفادة من دخولها في عضوية عصبة الأمم سنة 1926م، ومد جسور من الود والتفاهم مع الشعوب العربية التي كانت تعاني من ربقة الإحتلال والحماية والإنتداب على أيدي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا. ووجهت كل

(39) أنظر كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 191 – 1945م، د. علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 بيروت، سنة 1985م ص 320 – 321.

جهودها نحو إستعادة وضع ألمانيا في أوروبا والتخلص من قيود معاهدة فرساي[40].

أما على صعيد الدراسات الإستشراقية، فقد إهتم العلماء والباحثون الألمان بدراسة تطور الحركة القومية العربية ومتابعة مجرى الأحداث في البلاد العربية. وفي برلين سعت الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية Deutsche Gesellschaft Fur Islamkunde إلى تقديم دراسات منظمة ومنهجية عن الوطن العربي من خلال المؤلفات والأبحاث التي تنشرها مجلتها "عالم الإسلام" Die Welt des Islam والتي كان يرأسها الدكتور كامفماير Kampfmeyer. وقد عينت بنشر الوثائق والتحقيقات وكل ما يتصل بالتاريخ العربي المعاصر والآداب العربية. ولعل أبرز هذه الدراسات الدراسة التي أصدرتها تحت عنوان "دمشق" Damaskus سنة 1926م. وتتضمن العديد من الوثائق عن النضال العربي من أجل الحرية والوحدة والإستقلال. (راجع كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 191-1945م، د. علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م، بيروت، ص 332 – 333).

ما قبل الحقبة الهتلرية وأثناءها (الحرب العالمية الثانية) دور محدود تجاه العرب، رغم مشاعر التأييد للعسكرية الألمانية في خضم صراعها مع البريطانيين والفرنسيين (الحلفاء)

أدولف هتلر في السلطة Adolf Hitler (30 نيسان/إبريل 1945م – 20 نيسان/إبريل 1889م)

من هو هذا المستشار المغامر الذي غير وجه ألمانيا وقادها إلى الخراب وأشعل نيران حرب عالمية ثانية أحرقت بلهيبها دولاً وشعوباً؟

ولد هذا السياسي الألمنيازي في النمسا، وكان زعيماً لحزب العمال الإشتراكي الديمقراطي والمعروف بإسم الحزب النازي[41]. وقد إنبثق من هذا الحزب التي تبنى

(40) أنظر كتاب لوكاز هيرزويز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة أحمد عبد الرحمن مصطفى، دار المعارف بالقاهرة، 1968م، ص29.

(41) مجلة "التايم" الأميركية عدد رقم 100، عدد عن أدولف هتلر. أيضاً نهوض وسقوط الرايخ الثالث، تأليف وليم شيرر، ترجمة خيري حماد، بيروت.

فكراً إجتماعياً قومياً متعصباً ومعادياً للسامية، حركة شعبوية جامحة من خصائصها تفوق الجنس الآري، إضافة إلى الداروينية (نسبة إلى داروين) الإجتماعية وتبرير قتل الأجناس الدنيا وحماية الجنس الأفضل، مرفقة كلها بالسلطة المطلقة ورفض الديمقراطية وإعلاء شأن الشوفينية. إنضم هتلر إلى هذا الحزب في عام 1920م، وكان مؤلفاً من عدد قليل من الأشخاص، وأصبح في العام 1921م زعيماً له. وبعد سجنه إثر محاولة إنقلابية فاشلة قام بها في عام 1923م، إستطاع هتلر أن يحصل على تأييد أقسام من الجماهير بتشجيعه لأفكار القومية المتطرفة ومعاداة الأحزاب الإشتراكية والشيوعية، وبسبب الأزمة الإقتصادية الخانقة التي كانت سائدة، يومذاك، وكذلك الجاذبية (الكاريزما) التي يتمتع بها في إلقاء الخطب والدعاية. وقد أطلق على نفسه لقب القائد (FUHRER) للحزب والشعب والأمة. هكذا يمكن في العام 1933 من الوصول إلى رأس السلطة وتوليه منصب المستشار الحاكم لألمانيا.

هتلر: من حكم ألمانيا إلى مشروع حكم العالم

كانت أولى ردات الفعل على خسارة ألمانيا الحرب، حدوث إنتفاضة في البلاد في تشرين الثاني/نوفمبر 1918م، وتنحي الإمبراطور فلهلم الثاني عن العرس، وقيام جمهورية فايمر (Weimar Republik) في شباط/فبراير من العام التالي، كأول ديمقراطية برلمانية ألمانية من الناحية النظرية. لكنها عجزت عن ممارسة أي نشاط سياسي كبير، في أوروبا أو في الأقطار التي كانت خاضعة لبريطانيا وفرنسا أو تحت إنتدابهما، بعدما جرت تصفية إستثماراتها فيها. فكانت هذه العوامل وراء الإنقلاب في آذار/مارس 1920م. وبعد الإنتخابات البرلمانية في حزيران/يونيو 1920م، إستقر الوضع السياسي.

(أ) هتلر وحكومة فايمر "المؤقتة"

أثناء حكومة فايمر، إختلفت نظرة الألمان حول التوجه الإجتماعي-السياسي في المرحلة التالية. فأراد الديمقراطيون إعتماد الديمقراطية والإنفتاح على فرنسا وروسيا والولايات المتحدة. أما المحافظون، فرفضوا الإعتراف بهزيمة الرايخ في الحرب وبالذنب في إندلاعها، ورفضوا تالياً دفع التعويضات كونها عائقاً أمام الإقتصاد، أو القبول بالتخلي عن الألزاس واللورين. وإعتبروا جمهورية فايمر وديمقراطيتها شيئاً غريباً

عن الحياة الألمانية مفروضة من الخارج، ما جعلها جمهورية من دون جمهوريين. فجرى ترويج نظرية المؤامرة على الوطن على أيدي الديمقراطيين الإشتراكيين والشيوعيين واليهود، ما سمح بعودة الأفكار القومية العنصرية التي كانت سائدة إبان الإحتلال الفرنسي لألمانيا، ورواج مقولة "ألمانيا فوق كل شيء". كان اليمين يتطلع إلى قائد جديد يعيد إلى البلاد مكانتها العالمية، لا أن يسير في نهج ديمقراطي يدمج ألمانيا بأوروبا. ولاحت هذه الفرصة منذ عام 1923م بظهور هتلر على الساحة.

إن هزيمة ألمانيا في الحرب وفشل القوى الغربية في دمجها في النظام الأوروبي، والنزاعات الداخلية، وأخيراً وليس آخراً إحتلال فرنسا منطقة الرور، شكلت في عام 1923م نقطة تحول أفسحت في المجال أمام ظهور أودلف هتلر (1945-1889م)، الذي كره الديمقراطية والماركسية واليهودية، معتبراً أن جمهورية فايمر وما تحمله من قيم ديمقراطية عدو خطر. ورغم نمساويته، تملكه، بسبب نتائج الحرب العالمية الأولى، شعور وطني جرماني، إذ صعق لإستسلام الجيش الألماني، عازياً السبب إلى القيادة السياسية. ووفق عقيدته، فعلى ألمانيا أن تثأر من نتائج الحرب، والإنتقام من عدوها التقليدي فرنسا وتدميره، ومن روسيا التي تقف عقبة في طريق توسع الشعب الألماني في مجاله الحيوي. فإنتقد ألمانيا القيصرية بأنها عملت للحصول على مستعمرات تافهة، بينما كان عليها تنفيذ سياسة توسعية في أوروبا، لأن الأرض يجب أن تكون ملكاً للشعب الأقوى ضماناً لبقائه، معتبراً أن ذلك من مسؤولية الدولة[42].

وفي المقابل، فإن وجود السياسي الليبرالي غوستاف ستريسيمان (Gustav Stresemann) (1929-1878م) كرئيس للوزراء ووزير للخارجية، شكل عقبة أمام هتلر للإطاحة بجمهورية فايمر. فنجح ستريسيمان في سياسته الإقتصادية، وحصل على قروض أميركية عام 1925م، لإنعاش الإقتصاد، معتبراً ذلك مسألة حيوية لإستمرار الجمهورية. كما نجح في التسوية مع الغرب والشرق، وفي إتمام بنود معاهدة فرساي بوسائل سلمية صبت في مصلحة بلاده، وصولاً إلى دمجها في العالم الغربي.

---

[42] أنظر: العروبة والقرن العشرين د. عبد الرؤوف سنو، إصدار تيار المستقبل مجموعة باحثين، طبعة أولى 2009م بيروت ص 118-125.

تقام بتطبيع العلاقات مع فرنسا وبلجيكا وجعلهما يسحبان جيشيهما من الرور وفق إتفاقات عام 1925م، وأبرم معاهدة صداقة مع الإتحاد السوفياتي، وإنضمت ألمانيا في عهده إلى عصبة الأمم عام 1926م. لكن وفاته مع بدايات الأزمة الإقتصادية العالمية عام 1929م، أدت إلى إرتفاع نسبة العاطلين عن العمل إلى 30% من السكان العاملين، ما سمح لمظاهر التطرف والتعصب والعداء للغريب تعلو، فتمكن هتلر من إستغلال الوضع لصالح حزبه النازي[43].

بدأ هتلر نشاطه السياسي للإطاحة بجمهورية فايمر بترؤس "حزب العمال الوطني الإشتراكي الألماني" منذ صيف عام 1921م، وتمكن في عام 1923م، من تحويله إلى قوة سياسية لمعسكر القوميين المتطرفين والمعادين للسامية في بفاريا. وفي 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1923م، قاد إنقلاب ميونيخ الفاشل، وسجن، حيث وضع كتابه "كفاحي". وفي ربيع عام 1930م، إنهارت آخر حكومة إئتلافية تستند إلى أغلبية في البرلمان. وتعاقبت حكومات كانت تحكم عن طريق المراسيم الرئاسية أو بواسطة قوانين الطوارئ الأمر الذي أضعف النظام البرلماني. وأدى هذا الضعف بالتالي إلى تعاظم نفوذ القوى اليمينية المتطرفة والمعادية للعمل البرلماني. فبرز بشكل خاص أدولف هتلر وحزبه الذي إستغل تراجع الثقة بالديمقراطية النيابية للتبشير بفكرة الفرد القوي القادر على حل المشكلات، وهو ما مكن حزبه من الصعود والتحول إلى حركة شعبية[44].

(ب) القومية والعنصرية في المشروع الإمبريالي لهتلر: الحرب العالمية الثانية:

في العام التالي على إستلامه الحكم 1933م، بدأ هتلر عملية ضرب الديمقراطية والبرلمانية والقانون في ألمانيا، وفرض رقابة على الصحافة والإذاعة والسينما، وعلى المدارس والجامعات والمعاهد تربية تنسجم مع مبادئ الفكر النازي. وفي النهاية، نجح في إقامة سلطة الحزب الواحد والقائد الواحد، بعد أن تمكن من القضاء على المقاومة الشيوعية والإشتراكية والنقابية والكنسية، ووسط الجيش الألماني كذلك. مع وصوله إلى السلطة، وتحديداً جمعه بين شخصية القائد وشخصية رئيس

(43) المرجع السابق، ص 118-125.

(44) المرجع السابق.

الوزراء عقب وفاة الرئيس باول فون هيندنبورغ (Paul von Hindenburg) (1847-1934م)، أخذ هتلر يتبع سياستين تحضيراً لحربه ضد العداء في الخارج وفي الداخل. فأمسك البلاد بقبضة من حديد، وتظاهر بعدم تهديد جيرانه، وإنما السعي لأن تكون ألمانيا على قدم المساواة مع الأمم الأخرى[45].

قامت سياسة هتلر الخارجية على الإستفادة من الخلاف بين بريطانيا والإتحاد السوفياتي بهدف القضاء على معاهدة فرساي، التي تتصل منها في آذار/مارس 1935م، وعلى توسيع حدود بلاده في أقاليم شرق أوروبا التي تتواجد فيها أقليات ألمانية، والتي إعتبرها مجالاً حيوياً إقتصادياً وبشرياً لبلاده. وإنسحب من عصبة الأمم، وأعاد إقليم السار إلى ألمانيا، بعد الإستفتاء الذي حصل فيه عام 1935م. وإحتل في آذار/مارس 1936م منطقة الراين المنزوعة السلاح وحصنها، وبنى جيشاً كبيراً يقوم على سياسة الخدمة العسكرية المحظورة. كما تقرب من الفاتيكان، ومن إسبانيا عبر دعم الجنرال فرانكو في الحرب الأهلية، ووقف إلى جانب اليابان في خلافاتها مع الصين، ومع إيطاليا في غزوها لإثيوبيا، وأقام مع الأخيرة "محور برلين-روما" (المحور الصلب) (Stahl Pakt) من عام 1936م، الذي تطور إلى حلف "المحور"، وضم اليابان وهنغاريا وبلغاريا. كما عقد هتلر (إتفاق الأسطول) من بريطانيا في حزيران/يونيو 1935م، وعمل على عزل فرنسا، وعقد مع بولندا إتفاق عدم إعتداء عام 1934م، وقطع علاقاته بموسكو، بعد إتفاقها مع باريس. لكنه عاد وعقد معها في آب/أغسطس 1939م، إتفاق مولوتوف-ريبنتروب الذي أطلق يده في التوسع في بولندا في الشهر التالي، على الرغم من إتفاق عدم الإعتداء الموقع معها في مطلع عام 1934م.

لقد ربط هتلر بين سياسته الخارجية القاضية بالتوسع في أقاليم شرق أوروبا لتأمين مجال حيوي لبلاده، وبين سياسته القائمة على محاربة اعدائه في داخل المجتمع. صحيح أنه كره الشيوعية، إلا أن كراهيته لليهود كجسم غريب في المجتمع الألماني، فاقت مقته للشيوعيين. فهو لم يخترع العداء للغريب، الذي يعود بجذوره إلى الماضي، لكنه جعله أكثر راديكالية وحوله إلى عنصرية بيولوجية. فجعلته كراهيته

(45) المرجع السابق، ص 118-125.

للأعراق غير الآرية ونظريته القائلة بتفوق الشعب الألماني على كل الشعوب الأخرى، يترك العيش في النمسا المتعددة الأعراق ويعيش في ألمانيا، معتبراً أن الآري يخسر نقاوة دمه من خلال الإختلاط العرقي، وبالتالي قدراته الثقافية. من هنا، إعتبر نفسه منقذ ألمانيا ومخلصها. وفي كتابه "كفاحي"، كتب ان ألمانيا لا يجب ان يكون لها مكاناً وحيداً على سطح الشمس فحسب، بل دولة على أساس عرقي يكون على رأسها زعيم دكتاتوري، تمارس خلالها نفوذاً على كل الألمان القاطنين خارج الرايخ، وتصبح في يوم من الأيام سيدة الأرض. "فألمانيا، إما أن تكون قوة عالمية أو لا تكون"[46].

وبهدف الحفاظ على نقاوة الدم الجرماني، منع الزواج بين اليهود والألمان، بعدما صنف الشعوب على أساس قاعدة تقول بتفوق الجنس الآري، وحل اليهود والعرب وفق لائحته في مركزين متدنيين، ورأى في اليهود عدواً يتحمل مسؤولية زرع الشر في ماضي ألمانيا وحاضرها، ذلك أنهم شكلوا دولة داخل الدولة، وأن عليه أن يستأصلهم ويحل "المسألة اليهودية" نهائياً، ليس في ألمانيا فحسب، بل في كل أوروبا. فعمل أولاً على مقاطعتهم إقتصادياً، وإجتماعياً من خلال "قوانين نورنبرغ" (Nurnberger Gesetze) عام 1935م، التي إستعملها، ومعها "قوانين bürger gesetz الدواطن الألماني" (Reich brgesetz)، "وقانون حماية الدم والشرف الألمانيين" (Gesetz zum schutz desdeutschem Blutesundder deutschem Ehre)، من أجل إضطهاد اليهود، وتربية عرق بيولوجي ألماني نقي متفوق. وأدت سياسته هذه في مرحلتها الأولى إلى دفع عدد من اليهود إلى مغادرة ألمانيا (إتفاق الترانسفير 1933م إلى فلسطين)، ومن ثم العمل على إبادتهم (المحارق) نهائياً في شرق أوروبا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

وعلى الرغم من موقفه المحتقر للعرب، عمل هتلر، كما عمل الرايخ الألماني قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها، على إستغلال حركة القومية العربية المهللة لحرب ألمانيا على بريطانيا وفرنسا وإضطهاد اليهود، في سبيل تحقيق مصالح بلاده القومية، علماً أنه كان متوافقاً مع حليفته إيطاليا على أن المنطقة شرقي المتوسط هي من نصيبها بعد الحرب، فيما تطلع هو نحو العراق لوفرة نفطه[47].

---

(46) المرجع السابق.

(47) المرجع السابق.

لكن عنصرية هتلر تجاوزت الأعراق الدنيا، ووصلت إلى الشعب الألماني نفسه، فكان يريد شعباً يتمتع بالصحة والقوة، لا يشكل عبئاً على مشروعه للسيطرة على أوروبا. متأثراً بما كانت تفعله إسبرطة اليونانية بأبنائها الضعفاء، أوحى بتلقيح بعض الفئات الألمانية المصابة بأمراض وراثية ليمنعها من الإنجاب، ودعا إلى التخلص منها، إنطلاقاً من نظرته أن الألماني الحقيقي هو ذلك الشاب القوي الممتلئ بالعنفوان والصحة الجسدية. أما الضعاف غير الأصحاء كاليهود، فيجب أن ينقرضوا، لأنهم يضرون بالمجتمع الألماني الذي يجب أن يحيا.

ولتحقيق أهدافه، أقام هتلر دكتاتورية شمولية تقوم على الإرهاب والتخويف والدعاية والخداع والأكاذيب وقمع الحريات. فسلط بوليسه السري (غستابو) (Gestapo) على كل أعدائه من الشيوعيين واليهود، ما جعل الكثير من المفكرين والعلماء وأصحاب الرأي والفنانين وأرباب النقابات يفرون من ألمانيا بعد مهرجانات إحراق الكتب (الهدامة) للفكر النازي، لتبدأ حقبة جديدة من الثقافة الألمانية وقوى هتلر شعبيته داخل البلاد عبر الإهتمام بالإقتصاد والقضايا الإجتماعية والعمالية. وبحلول عام 1938م، أدت سياسته الإنمائية والإجتماعية إلى خفض عدد العاطلين عن العمل بشكل حاد، إرتفاع المستوى الإجتماعي للسكان. فروجت أجهزته انه المنقذ لألمانيا من الكساد الإقتصادي والحركات الشيوعية والخطر اليهودي.

كما أقام هتلر إقتصاد التسلح للتحضير للحرب في زمن السلم معتمداً على أصحاب المصرف ورجال الصناعة. فشكلت الصناعات العسكرية أساس الإقتصاد الألماني، الذي أصبح إقتصاداً عسكرياً منذ عام 1934م. وفي أيلول/سبتمبر 1936م، صرح غورينغ امام رجال الصناعة ان المعركة التي توشك ألمانيا أن تخوضها تتطلب إنتاجاً صناعياً هائلاً، وان البلاد على عتبة التعبئة العامة، لأنها في حالة حرب تقريباً، رغم ان الرصاصة الأولى لم تطلق بعد[48].

هكذا، أصبح السؤال المطروح على المستويين الداخلي والخارجي بين عامي 1936 – 1939م هو التالي: من يوقف القومية الألمانية المتمثلة في هتلر في جنونه نحو الهيمنة العالمية؟ والجواب، أن احداً لم يشأ قبل غزو بولندا التصدي لمشاريعه،

---

(48) المرجع السابق.

خشية تورط العالم في حرب عالمية. لكن الدول الأوروبية أدركت أخر الأمر، وخاصة بريطانيا، أن طموحات هتلر لا حدود لها، وأن الزعيم الألماني لديه مشروعاً، ليس لإقامة ألمانيا الكبرى، إنما إمبراطورية تهيمن على العالم.

في خريف 1937م، بدأ هتلر يتحدث أمام هيئة الأركان في الجيش عن الحرب المقبلة ضد بريطانيا وفرنسا، وعن ضرورة توسيع رقعة ألمانيا، وصرح بأن "على كل جيل ألماني أن يقوم بالحرب في إحدى المرات. .. وأن الحرب هي أهم تربية للشبيبة الألمان". ومن أجل ذلك، قضى على المعارضة المشروعة داخل المؤسسة العسكرية، جاعلاً من نفسه القائد العام للجيش. وأصبحت النمسا، منذ 11 تموز/يوليو 1936م، تدور في فلكه وتتلقى الأوامر منه. وما لبث هتلر أن إحتلها في 12 آذار/مارس 1938م تحت شعار بناء "ألمانيا الكبرى"، وإعتبار ما حصل "مسألة عائلية ألمانية". واعلن هتلر في فيينا في مناسبة إحتلالها: "بصفتي القائد ورئيس وزراء الأمن الألماني والرايخ، أعلن أمام التاريخ من الآن وصاعداً دخول وطني (النمسا) في الرايخ الألماني". وأعلن غوبلز صراحة أن: "المدافع تتكلم دوماً لغة جديدة". أما الإنكليز والفرنسيون، فإكتفوا بتسجيل موقف إحتجاج تجاه ضم ألمانيا النمسا.

إن التهديد بالمدفع، هو الذي مكن هتلر من تصعيد الموقف في أوروبا والإستيلاء على مقاطعة "السوديت" (Sudeten gebiet) التشيكية، التي كان اهلها ينطقون بالألمانية، ورضخ الإنجليز والفرنسيون مرة أخرى لمطالبه في مؤتمر ميونيخ في 29 أيلول/سبتمر 1938م تجنباً لإندلاع حرب. فتشجع هتلر بالموقف الضعيف للدول الديمقراطية، وإحتل العاصمة التشيكية براغ في 10 آذار/مارس 1939م، رغم كلمة الشرف التي كان غورينغ قد قطعها للتشيكيين بأن بلاده ليس لديها نوايا عدوانية تجاه براغ ولن تحتلها[49].

إنتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الإستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي بالألمانية (LEBENSRAUM) ويقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الإقتصادي وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف. وقد قامت قوة الدفاع التي أعاد بناءها بغزو بولندا في عام

(49) المرجع السابق.

1939م مما أدى إلى إندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات، إحتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا وأجزاءً كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي. ومع ذلك نجحت دول الحلفاء في أن يكون لها الغلبة في النهاية. وفي 5 أيار/مايو عام 1945م، نجحت جيوش الحلفاء (إنكلترا، روسيا السوفياتية، أميركا وفرنسا) في إجتياح ألمانيا من جميع جوانبها دخول برلين وإنتحار هتلر. بعد وصول المستشار الألماني أدولف هتلر إلى الحكم في ألمانيا عام 1933م، كما ذكرت، إزداد إهتمام السياسة الإمبريالية الألمانية بشؤون الشرق الأوسط، من الناحية الإستراتيجية، وقد تجلى هذا في نشاط الجمعيات التي كانت تهتم بالشرق، واخذت الحكومة تهتم بتنظيم الطلبة العرب الذين كانوا في ألمانيا وأصبحت العديد من الدول العربية مسرحاً للدعاية الهتلرية الألمانية (Propaganda) وفي عام 1937م قام رئيس الشباب الألماني بلدورفون شيراخ (1974 - 1907م) (Baldurvon Schirach) بزيارة عواصم مهمة في الشرق الأوسط شملت دمشق، وبغداد، وطهران، وزار وزير الإعلام غويلز (1945 - 1897م) (Goeblez) مصر في شباط/فبراير 1939م، ولاقت الدعاية الألمانية صدى قوياً في هذه المنطقة، وحظي النمط الألماني لتنظيمات شبه عسكرية وشبابية كالكشافة والكتائب، وبعض الشعارات ولا سيما نظرية القائد، بشعبية كبيرة، ودعي بعض الساسة العرب إلى مهرجان الحزب النازي في نورمبرغ، وبدأت ألمانيا في بث إذاعة[50] باللغة العربية تحت إسم (هنا برلين) في عام 1939م.

رغم نظرة النازيين العرقية والفوقية إلى العرب، فقد حرصت الحكومة الهتلرية منذ إستلامها السلطة على مغازلة العرب والمسلمين. وسارت على النهج الذي سنته الدبلوماسية التقليدية. وسعت الدعاية الألمانية إلى تقديم ألمانيا النازية للعرب على أنها دولة معادية للإستعمار، مع أنها لم تنفك عن المناداة بحقها في إستعادة مستعمراتها التي فقدتها بعد الحرب العالمية الأولى. ولم يخف هتلر أطماعه التوسعية في كتابه

(50) Alaili Al Hussein, R. Die politik Deutschlands gegenüber den arabischen Länder 1939-1943. Diss, Rostock 1990, S30 مجلة جامعة دمشق المجلد 26- العدد الثالث + الرابع 2010 (377).

كفاحي: "لن ينقذ ألمانيا من خطر الجوع إلا الإستيلاء على أرض جديدة". (أنظر كتاب كفاحي: بيروت، المكتبة الأهلية، ص 45). نظر قادة الحركات الوطنية العربية إلى ألمانيا النازية بإعجاب أخذ يتزايد مع نمو قوتها. ورأوا في القوة الألمانية الجديدة حليفاً محتملاً يمكن الإعتماد عليه في نضالهم من أجل الحرية والإستقلال والوحدة. ويعود هذا الإعجاب بألمانيا النازية إلى عوامل فكرية وعاطفية. فعلى الصعيد الفكري، تلقى العديد من الضباط العرب في الجيش العثماني تدريباتهم إما في ألمانيا نفسها وإما على يد ضباط ألمان عملوا كخبراء عسكريين في الجيش العثماني. وتأثر هؤلاء الضباط العرب بالعلوم والثقافة الألمانية بعامة وبالفكر القومي الألماني بخاصة. وأتيح لهم ان يحتلوا مناصب قيادية مهمة في بلادهم بعد إنحلال الدولة العثمانية. وتولى بعضهم قيادة حركة المقاومة للهيمنة الأوروبية والتجزئة السياسية التي فرضت على بلادهم، وبخاصة في أقطار المشرق العربي[51].

وفي عام 1938 – 1937م بذلت المؤسسات الألمانية جهوداً لإجراء عقود تجارية مع مصر لتزويدها بالعتاد الحربي ومنحها إمتياز لإستخراج خام الحديد في أسوان، والقيام ببناء مصانع حربية ومصانع للأسمدة وإنشاء مؤسسات كهربائية.

وباءت هذه المحاولات بالإخفاق، كما نظر الألمان قبل الحرب العالمية الثانية بإهتمام نحو العراق لنمو صناعة البترول فيه ولموقعه في مجال المواصلات العالمية[52].

وقد حاول العرب من جانبهم الإتصال بألمانيا لتحقيق أهدافهم الوطنية، خاصة على صعيد القضية الفلسطينية فطلبوا مساندة ألمانيا لحسمها، وقام مفتي القدس الحاج امين الحسيني عام 1933م بمقابلة قنصل ألمانيا في القدس هنريش فولف (Heinrich Wolff) للحصول على المساعدة ضد السياسة البريطانية في

(51) أنظر كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإسطاليا من الوحدة العربية 1919 – 1945م تأليف د. علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت 1985م، ص 325.

(52) أنظر: العلاقات العراقية الألمانية وآفاق تطورها، خلود محمد خميس، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز الدراسات العربية، بيروت، العدد 2007م (13) ص 104.

فلسطين، وهكذا كان لألمانيا تاريخ حافل بالإتصالات مع منطقة الشرق[53] العربي منذ قيام الوحدة الألمانية 1871 حتى ظهور النظام النازي وما تلاه.

حرصت ألمانيا النازية على تجنب دعم أي حركة وطنية عربية دعماً حقيقياً أو تقديم وعود سياسة محددة. وخلال لقاء المفتي الحاج أمين الحسيني قنصل ألمانيا في فلسطين والطلب منه المساعدة، لم يلق هذا الطلب أي تجاوب، وذهب مع الريح لأن ألمانيا لم تدخل العرب في حساباتها الحقيقة آنذاك[54].

وبينما كانت ثورة فلسطين مشتعلة سنة 1939م، كان هتلر يغازل بريطانيا، سعياً إلى كسب ودها ورضاها عن تنفيذ مخططاته في أوروبا[55].

ويؤكد الدكتور علي محافظة في كتابه المذكور أن "العرب في فلسطين لم يحصل على أي دعم مالي أو عسكري من ألمانيا طوال ثورتهم الوطنية التي دامت ثلاث سنوات ونيفاً. وإكتفت ألمانيا، وفي فترة متأخرة، بالإعلان عن معارضتها لإقامة دولة يهودية في فلسطين. وتبرير الحكومة الألمانية لهذه المعارضة أن قيام دولة يهودية في فلسطين على غرار دولة الفاتيكان سيشكل خطراً على ألمانيا"[56].

ولا بد في هذا المجال، من ذكر الظروف التي لجأ إليها العرب وساستهم للإتصال بألمانيا النازية، رغم إبتعاد العديد منهم عن تبني آراء تلك الدولة وشعاراتها.

فالواقع أن نشوء القضية الفلسطينية وإلتفاف دول الغرب حولها ودعمهم لإنشاء وطن لليهود ودولة أيضاً، وطموح العرب لإقامة دولة كبيرة موحدة وحاجتهم الماسة لقوى حليفة لهم تؤيدهم في مساعيها، كلها أمور دفعتهم لإقامة إتصالات كهذه

(53) العلاقات الألمانية-الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945-1841، د. علي محافظة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981، ص245.

(54) أنظر كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية تأليف د. علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت 1985م، ص 336.

(55) المرجع نفسه.

(56) المرجع السابق، ص 333.

وبخاصة أن النازيين بقيادة هتلر، إستطاعوا في بداية مسارهم من تعمية طموحاتهم الجامحة بالسيطرة أيديولوجياً وعسكرياً على العالم والشرق الأوسط جزء من هذا العالم، وعدم كشف كل اوراقهم الدالة على مخططاتهم وأفكارهم. إن إحتلال فرنسا وبريطانيا لمصر وسوريا ولبنان وفلسطين دفع شعوب تلك الدول إلى مقاومة هذا الإحتلال والإلتجاء إلى حليف يؤيدهم، ظاهرياً، ويدعي الدفاع عن حقوقهم: فكان تأييد ألمانيا والمحور من منطلق "عدو عدوي صديقي". وهذا هو سبب وجود تيار قوي وأكثري في إطار الحركة الوطنية العربية كان يدعم ألمانيا في حربها ومناوئتها لدول الغرب.

لقد أظهرت وثائق سرية ألمانية نشرت، أخيراً وترجمت إلى العربية (العالم العربي في وثائق سرية ألمانية 1937 – 1941م، ترجمة رزق الله بطرس ومراجعة نجدة صفوة وصادرة عن دار الوراق – لندن 2006م) ان ألمانيا الهتلرية إستعادت قوتها ودورها العالمي، وذلك قبل نشوء الحرب العالمية الثانية بقليل وحتى منتصف الحرب. وقد شهدت هذه الفترة إستقلالاً أو شبه إستقلال لبعض الدول العربية، فدخلت تلك الدول في علاقات معها بدرجات متفاوتة. وارتفع حجم التبادل التجاري معها تدريجياً حتى بلغت صادرات ألمانيا إلى العراق مثلاً في العام 1937م سبعة ملايين مارك، ووصلت في العام التالي إلى تسعة ملايين مارك. وبما أن ألمانيا كانت تسعى للحصول على العملة الأجنبية، فقد قامت بتأييد إنقلاب بكر صدقي في العراق وجرت مفاوضات سرية مع الإنقلابيين لتزويد الجيش العراقي بالأسلحة الألمانية. فأصبحت الظروف مهيأة لتغلغل النفوذ الألماني سياسياً وإقتصادياً وبلغ أوجه بالتأييد الكلي والعلني لحركة رشيد علي الكيلاني.

ينقسم الكتاب إلى ستة أقسام:

يتناول **القسم الأول** وثائق وزارة الخارجية الألمانية عن الفترة بين حزيران/يونيو 1937م، وآذار/مارس 1939م وتضم 29 وثيقة تتناول الموقف الألماني الذي يجب اتخاذه من إنشاء دولة يهودية تحت الانتداب البريطاني، والتقسيم الثلاثي لفلسطين بين العرب واليهود وبريطانيا، وتقرير حول سياسة مفتي القدس واللجنة الوطنية العربية، والتحويلات المالية من القطع الأجنبي من ألمانيا إلى فلسطين، وتقرير الحزب النازي عن العلاقات مع العربية السعودية، ورفض وزير

الخارجية الألماني تسليح السعودية، وتقرير حول الوضع في سورية وكيفية تفعيل الحركة القومية فيها، وغيرها من التقارير والوثائق التي تشكل في مجموعها سياقاً تاريخياً يمكن البناء عليه لفهم مسار هذه الفترة التاريخية.

أما **القسم الثاني** فيتألف من أربعة وثائق عن الفترة بين شهر آذار/مارس . آب/أغسطس 1939م، وهذه التقارير تتناول سبب عدم بناء علاقات وثيقة مع السعودية، والمباحثات السعودية الألمانية ولقاء ممثل ابن سعود مع هتلر وبحث العلاقات بين الطرفين. ويضم **القسم الثالث** وثائق عن الفترة بين شهر حزيران/يونيو وآب/أغسطس 1940م ويضم ثمانية تقارير عن الوضع في سورية والعراق والمنطقة، وتقرير حول تأسيس إمبراطورية عربية شمالية تحت سيطرة العراق، ورسالة المفتي الأكبر إلى سفير ألمانيا في تركيا، وتقرير حول موقف رشيد عالي الكيلاني وعلاقته بألمانيا، وتقرير حول الطلبات العديدة من العالم العربي المساعدة من الألمان.

يحتوي **القسم الرابع** على وثائق وزارة الخارجية الألمانية عن الفترة من أيلول/سبتمبر- كانون الثاني/يناير 1941م وهي مؤلفة من 21 وثيقة وتدور حول شروط التحرر من النفوذ البريطاني، ومقترحات المفتي بتدمير أنابيب النفط العراقية، وطلب وزير العدل العراقي بإصدار بيان من المحور بالمساعدة على استقلال سورية والعراق وفلسطين وبيان ألماني بمساعدة العرب للاستقلال وتصريح الحكومة الإيطالية بأنها قد أعطت العراق وعداً مكتوباً باستقلال العراق وسورية وفلسطين وشرق الأردن، وتقرير سري من المفتي إلى الألمان حول موقف الدول العربية من السوفييت. وتقرير حول زيارة المفتي والاتصالات بين العرب والألمان. وتهديد بريطانيا للكيلاني في شأن استئناف العلاقات مع ألمانيا. ونص رسالة المفتي إلى هتلر التي أرسلها من بغداد.

ويضم **القسم الخامس** 48 وثيقة عن الفترة بين شباط/فبراير . حزيران/يونيو 1941م وهذه الفترة شكلت ذروة انتصارات ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وقد تكثفت فيها التقارير نتيجة التحولات والتطورات المستجدة. وتضم هذه المجموعة من الوثائق تقارير عن تسليح العراق وتسليمه وحدة لصناعة الألغام، وتقريراً عن مفاوضات المفتي الأكبر وطلب دعم الكيلاني، وآخر عن كيفية التنسيق بين التوجهات الألمانية الحقيقية والوعود السرية للعرب لتشكيل امبراطورية عربية والمشاكل

التي تنجم عن قيام هذه الامبراطورية المعهودة، وتقريراً عن موقف ألمانيا من العرب ورؤيتها للعالم العربي بعد الانتصار على بريطانيا. ونقرأ تقارير أخرى حول الوضع العسكري في العراق، ورأياً من السفارة الألمانية في طهران حول طريقة نقل السلاح إلى العراق، وتفاعل إيران مع الوضع العراقي واستخدام المطارات السورية لمساعدة العراق عسكرياً، وطلب الحكومة العراقية 80000 جنيه ذهبي من الألمان فوراً، وهجوم القوات البريطانية على بغداد، ورغبة المفتي الحاج أمين الحسيني ورشيد علي الكيلاني والشريف شرف في الإقامة في سوريا، وغيرها من الوثائق والتقارير ذات الأبعاد التي تشير إلى التراجع العسكري الألماني في المنطقة.

ويضم القسم السادس والأخير 27 تقريراً عن الفترة بين حزيران/يونيو – كانون الأول/نوفمبر 1941م ومن ضمنها تقرير مهم حول إستقلال سوريا وموقف بريطانيا وألمانيا من المصالح الفرنسية هناك، ودور مصر في هذا الإستقلال، وقرار بريطانيا إحتلال مناطق النفط في إيران وإحتلال تركيا لشمال سوريا (الإسكندرون)، والعلاقات المراكشية الألمانية ودور الدول التي لها مصالح في مراكش، ونص مسودة الإعلان المشترك بين مفتي فلسطين والحكومة الألمانية حول فلسطين والعرب، ومحضر إجتماع المفتي مع وزير الخارجية الألمانية ونص البيان مع هتلر. وتقرير حول زيارة رشيد علي الكيلاني وطلب الإعتراف به رئيساً لوزراء العراق.

سياسة الملك عبد العزيز آل سعود مع أوروبا الغربية (ألمانيا)

مع بداية القرن العشرين تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من إنهاء مشروع تأسيس المملكة العربية السعودية، وظهرت الدولة السعودية الثالثة وظهر عبد العزيز بوصفه مؤسساً أولاً وحقيقياً لتلك الدولة فأخرج البلاد من عزلتها وإنغلاقها، وأصبح الملك السعودي وثيق الصلة بالدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا ذات السلطة والشأن في منطقة الخليج العربي ورغبت بريطانيا في دفع الملك عبد العزيز إلى الدخول في الحرب ضد الدولة العثمانية بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى، لكنه حاول قدر إستطاعته أن يظل على الحياد على الرغم من موقفه المعادي للأتراك بسبب مساعدتهم لآل رشيد منافسيه التقليديين، وبسبب الموقف المعادي للدولة السعودية في مراحل أدوارها ومراحل حكمها جميعها.

وكان الأمير فيصل، الذي قام برحلتين إلى أوروبا في عام 1930م، وإشترك في غالبية المفاوضات الحدودية، أصبح وزيراً للخارجية وبدأ دوره يظهر على المستوى الإقليمي والدولي وأمسك بعلاقات بلاده وطبعها بطابعه الشخصي وإعتمد على نهج يسمح له بالإستفادة من أية قوة خارجية دون أن يسمح لها بتهديد سيادة الدولة السعودية، وتأتي العلاقات الألمانية السعودية ضمن هذا السياق والتي شهدت فصولاً مهمة بصفة خاصة، وتاريخ العلاقات العربية–الأوروبية بصفة عامة.

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بإنهيار الإمبراطورية العثمانية وسيطرة كل من فرنسا وبريطانيا على البلاد العربية بعد طرد الألمان منها وإجبارهم على ترك مستعمراتهم في أفريقيا وإمتيازاتهم في المشرق العربي بصفة عامة وأسواق الجزيرة العربية بصفة خاصة، كانت أول شركة ألمانية إهتمت بأسواق الجزيرة العربية هي "شركة آغي للدهانات" (A. G. Farben) فدخلت أسواق المملكة في عام 1926م، كما دخلها عدد من الشركات الألمانية بتشجيع من الحكومة الألمانية.

وفي عهد حكومة فايمار، لم يقم الألمان في البلاد العربية إلا بنشاط محدود، لأن التخلص من قيود معاهدة فرساي، وتجنب الاحتكاك مع كلّ من فرنسا وبريطانيا اللتين كانتا تسيطران على البلاد العربية كان الشغل الشاغل للسياسة الألمانية. فضلاً عن ذلك فإن ألمانيا لم تمتلك مقومات ووسائل مادية وعكسرية مثل الأساطيل والأموال التي تمكنها من القيام بمشاريع في البلاد العربية.

وكان الملك الراحل عبد العزيز قد تمكن من توحيد معظم مناطق الجزيرة العربية وبدأ بعد عام 1926 مرحلة جديدة من التطور السياسي، وسعى إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية في الحجاز وتوسيع ميناء جدة لاستيعاب الحجاج، ودعم بناء الدولة الناشئة، وعمد الملك عبد العزيز إلى الاتصال بالدول الأخرى بهدف تنمية بلاده وتطوير اقتصادها؛ ومن هذه البلدان ألمانيا التي رأى فيها الملك إعطاء فرصة للألمان لاستثمار مشروعات تنموية في الحجاز.

وأرسلت الحكومة الألمانية عام 1926م بعثة مؤلفة من الرائد فير (Major Wehr) والدكتور فريدريك بلينتسات" Dr. Friedrich Plenzat "إلى الجزيرة العربية للترويج للسلع الألمانية ولتقصي معلومات عن العرب ونياتهم تجاه الألمان.

وأثر ذلك افتتحت شركة مرسيدس – بينز للسيارات فرعاً لها في جدة عام 1927م، مع الإشارة أنه حتى ذلك الوقت لم تقم ألمانيا علاقات دبلوماسية مع السعودية فأدرك الألمان أن عليهم الاعتراف رسمياً بالمملكة العربية السعودية ففي تشرين الثاني/نوفمبر 1928م أرسل وزير خارجية ألمانيا غوستاف شتريزمان (1929-1878م) رسالة إلى وزير خارجية السعودية الأمير فيصل أكّد فيها أن ألمانيا حريصة على إقامة علاقات دبلوماسية مع السعودية. وأرسل شتريزمان مشروع معاهدة لدراسة بنودها والاتفاق مع المفوض الألماني في القاهرة الدبلوماسي شتورر (Stohrer)، ووافق الملك عبد العزيز على هذا الاقتراح وفوّض وكيله في القاهرة الدبلوماسي فوزان السابق (1954-1859م) بإنجاز توقيع المعاهدة. وتم توقيع معاهدة الصداقة بين ألمانيا والمملكة العربية السعودية في القاهرة في 26 نيسان/إبريل 1929م.

وهكذا جاء القرار الألماني بإقامة علاقات دبلوماسية مع السعودية بعد أن إستوعبت ألمانيا الوضع السياسي والاقتصاد هناك، وأدركت أن للملك عبد العزيز آل سعود إحساساً عالياً في السلطة ويملك رؤية سياسية قائمة على مبدأ التكافؤ آخذاً بالحسبان الموازين السياسية القائمة في المنطقة، وعلى هذا الأساس اتجه نحو[57] ألمانيا للحصول منها على مشروعات إنمائية وصفقات أسلحة متطورة لتثبيت موقعه في المشرق العربي والخليج، وتوسيع سلطته إلى شمال اليمن، وللوقوف في وجه الهاشميين.

نصت معاهدة الصداقة الألمانية – السعودية التي اشتملت على خمسة بنود على جوانب سياسية واقتصادية مهمة، وهذه البنود دلالتها في إرساء قيام علاقات تجارية وسياسية بين ألمانيا والمملكة العربية السعودية، وكان هدف المعاهدة الأول دفع العلاقات التجارية وتطويرها بين البلدين. وأكدت المعاهدة في بنديها الثالث والرابع حماية تجار البلدين ونشاطاتهم التجارية واحترام بضاعة ومنتجات كلا الطرفين.

(57) U we pfullman Die deutsch-saudischen Beziehungen S, 359.

أما الهدف السياسي من هذه المعاهدة فقد كان سعي الملك عبد العزيز آل سعود للحصول على اعتراف ألمانيا الدولة الأوروبية المهمة صاحبة النفوذ الاقتصادي في العالم بالمملكة، كما تضمن البند الثاني من المعاهدة إقامة قنصليات في كلٍّ من الدولتين لرعاية المصالح التجارية بينهما، واختارت وزارة الخارجية الألمانية في برلين الألماني المقيم في جدة كورت كروكوفسكي (1900-1946م) (Kurt Krokowski) ليشغل وظيفة الممثل القنصلي (أي نائب القنصل) عام 1929م في جدة[58].

وهكذا كانت معاهدة الصداقة الألمانية – السعودية ثمرة للمصالح التجارية الألمانية التي بدأت في عام 1926م، وبدأت تنظيم النشاطات الاقتصادية الألمانية في الجزيرة العربية. وحققت للملك عبد العزيز تصميمه على سياسة الحياد والاستقلال – إلى حد ما – عن النفوذ البريطاني، وأرست هذه المعاهدة الأساس للعلاقات السياسية والاقتصادية الألمانية – السعودية في المرحلة المبكرة ما قبل ظهور النفط.

كانت الظروف الاقتصادية إحدى المشكلات الكبيرة التي واجهت الملك عبد العزيز حين كانت الدولة السعودية الجديدة بحاجة إلى قاعدة اقتصادية قوية تساعد على تنميتها وتدعيم سيادتها، وكانت الدولة مديونة ولم تتمكن من الوفاء بها التي قدرت بـ22 ألف جنيه إسترليني، وكان بين تلك الديون ديون استحقت للشركات الألمانية بلغت عشرة آلاف جنيه إسترليني نتيجة للصفقات التجارية التي تمت في المرحلة المتقدمة على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا والسعودية، وعرضت الحكومة السعودية نسبة تصل إلى 5% من قيمة الديون تعويضاً للدائنين عن التأخير، ولكن هذا أثار غضب العديد من الشركات الألمانية، وجرت اتصالات بين وزارتي الخارجية الألمانية والسعودية لسداد تلك الديون. وكان من أهم نتائج الأزمة المالية السعودية مغادرة القنصل الألماني دوهاس جدة وأغلقت القنصلية

(58) أنظر: فهد بن عبدالله السماري، الملك عبد العزيز وألمانيا، الرياض، 1420هـ ص53 التطور التاريخي للعلاقات الألمانية-السعودية في ثلاثينات القرن العشرين في ضوء الوثائق الألمانية ص 382.

الألمانية في جدة في بداية عام 1934م. بسبب عدم دفع[59] السعودية للمستحقات وخصوصاً عن صفقة سلاح وصلت من ألمانيا سنة 1932م، وظلت العلاقات الألمانية – السعودية مقطوعة حتى عام 1937م.

حاولت السعودية أن تجد مصادر دخل جديدة من خلال شركات التنقيب عن ثرواتها المعدنية، فمنح الملك عام 1934م النقابة السعودية للتعدين امتيازاً للتنقيب عن جميع المعادن فضلاً عن النفط، ولكن هذا لم يسهم في تنمية الاقتصاد، وتسلمت السعودية مبلغ 20 ألف جنيه من شركة (ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا) وبدأت الأوضاع تتحسن عام 1935م فأمكن سداد ما قيمته 10% من الديون الأجنبية[60].

عندما تسلم أدولف هتلر (Adolf Hitler) السلطة في ألمانيا في 30 كانون الثاني/يناير 1933م وكان قائداً لحزب العمال القومي الاشتراكي الألماني (NSDAP) أصبحت السياسة الخارجية الألمانية حكراً عليه وهدفاً إلى تحقيق برنامجه الديكتاتوري النازي بالسيطرة على العالم. وكشفت نشرة سرية عثر عليها في الأرشيف الألماني تاريخها 20 آب/أغسطس 1940م أن الأهداف المستقبلية لألمانية النازية كانت تتمثل في السيطرة على آبار البترول في كركوك وعبدان والكويت وأنابيب البترول التي تصل إلى طرابلس وحيفا ومصافي البترول فيها، كما هدفت إلى تأمين[61] خطوطها الجوية، ومتابعة أعمال التنقيب الأثرية في المشرق العربي.

وتركزت اهتمامات السياسة الخارجية الألمانية منذ منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين على البحث عن أسواق جديدة في البلاد العربية وتأمين الحصول على المواد الخام والحصول على العملة الصعبة لدعم التسلح؛ ولذا نشطت الدعاية النازية في إقناع العرب أن ألمانيا ودول المحور ضد السياسة الاستعمارية

(59) مجلة جامعة دمشق – المجلد 26 العدد الثالث + الرابع 2010م، محمد أحمد، ص 55.

(60) UWE pfullmann-Ebenda S, 355.

(61) فهد السماري، مرجع سابق ص111-110، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26- العدد الثالث + الرابع 2010 محمد أحمد، ص 385.

البريطانية والفرنسية، وبأن ألمانيا هي السند الأساسي لهم في النضال من أجل الحرية والاستقلال. وبدأت الشركات الصناعية الألمانية مثل شركة كروب (F.Krupp) وشركة أوتو فولف (Wolf Otto) وشركة إي غي فاربن (I.G Farben) تضغط من أجل الحصول على نصيبها في السوق العالمية ولا سيما المشرق العربي.

وارتبطت المرحلة الثانية من العلاقات الألمانية – السعودية بسعي الجانب السعودي للحصول على السلاح من ألمانيا، وكان عام 1937م نقطة تحول تاريخية في ألمانيا إذ نهضت من جديد وأصبحت قوة عالمية، وانقلبت موازين القوى في أوروبا لصالح دول المحور (Achsenmächte) وتضررت بالمقابل مصالح الإمبراطورية البريطانية.

ومن أجل هذا فقد التقى في 5 تشرين الأول/أكتوبر 1937م المفوض الألماني في بغداد الدكتور فريتز غروبا مع السكرتير الخاص للملك عبد العزيز آل سعود الشيخ يوسف ياسين شاهين (السوري الأصل)، وبحثا العلاقات الألمانية – السعودية، وموقف ألمانيا من إنشاء دولة لليهود في فلسطين ومساعدة الثوار في فلسطين، وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وفتح القنصلية الألمانية في جدة، وبعد اللقاء التقى الشيخ ياسين مع مندوب شركة فولف الألمانية لصناعة الأسلحة الذي عرض عليه تزويد المملكة بخمس عشرة ألف بندقية ألمانية.

- **ولكن السؤال المهم الذي يواجهنا هنا: لماذا توجه الملك عبد العزيز إلى شراء الأسلحة من ألمانيا على الرغم من علاقاته المميزة مع بريطانيا؟**

* تركّزت اهتمامات الملك عبد العزيز على تطوير قواته المسلحة من خلال الحصول على الأسلحة الألمانية، لأن ألمانيا كانت في نظر العرب دولة أوروبية ذات ماض غير استعماري كفرنسا وبريطانيا، كما أن بضاعتها ولا سيما الأسلحة والسيارات والمعدات من النوعية الممتازة، كما استخدم الملك صفقات السلاح الألمانية كوسيلة ضغط على بريطانيا لردعها عن خطتها بتوحيد المشيخات في الخليج العربي ولأنه رأى أن هذه الخطوة موجهة ضده. إذ كانت رغبة أمراء هذه المشيخات التي كانت تضم كلاً من الكويت ومسقط وعمان وقطر والبحرين

إعطاء الملك عبد العزيز دور القيادة في هذا الاتحاد، ولكن بريطانيا رفضت، وحسب[62] التقارير التي رفعها السفير غروبا كان الملك عبد العزيز قد أبلغ البعثة الدبلوماسية الألمانية في جدة رأيه في هذا الاتحاد وتوقع إخفاق الأمراء من دونه.

حدث أول اتصال رسمي بين ألمانيا الهتلرية والمملكة السعودية عام 1937م حينما زار الطبيب الخاص للملك مدحت شيخ الأرض (1990 1910م) (سوري الأصل) العاصمة الألمانية برلين، وأوضح للمسؤولين الألمان بأن الرايخ الثالث من دول أوروبا القوية محط اهتمام الملك عبد العزيز آل سعود الشخصي، وعرض موضوع تزويد المملكة بالأسلحة الألمانية، وأبلغ الوفد السعودي الألمان بأن الأمير فيصل وزير الخارجية سيزور ألمانيا في العام القادم 1937م ليطلع بنفسه على الصناعات الحربية الألمانية[63].

جرت محادثات أخرى بناء على رغبة الجانب السعودي لإيصال السلاح، وقدرت قيمة صفقة السلاح مع السعودية بمليون مارك ألماني، واتُفق أن تدفع المبالغ على أقساط مدة خمسة أعوام.

ماطَلَتْ ألمانيا بتنفيذ صفقة الأسلحة للسعودية بحجة أن وصول السلاح والذخيرة لم يكن ممكناً بالطريق الرسمي، وفي الحقيقة كان قرار الألمان بتأجيل صفقة السلاح بتأثير العلاقات مع إيطاليا وانكلترا، وأخذت وزارة الخارجية الألمانية والسفير فريتز غروبا بعين التقدير موقف كلّ من الحكومتين الايطالية والبريطانية بعدم تجهيز الملك عبد العزيز بالسلاح. وقد أفصح عن موقف ايطاليا السفير لويجي سيليتي (Luisi Silliti) عندما قابل غروبا في جدة وقال له في أوائل عام 1939م: (ليس صحيحاً بأن ابن سعود يخضع للسياسة البريطانية، بل إنّه أثبت بأنه مستقل، ولكن بريطانيا تعمل على تأليب القبائل ضده، وهو يريد التحرر من هذا) ولهذا سوف يقبل الملك عبد العزيز مساعدة إيطاليا وألمانيا وكمثال على استقلالية الملك عبد العزيز أنه أعطى شركات النفط الأميركية حق استخراج النفط

---

(62) Akten Zur Deutschen Auswārtigen politik 1918-1949 serie – (D. Bd 10 s 425 Frankfurt 1950)

(63) أنظر تقارير السفارة الألمانية في بغداد رقم (385478) في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية في بون بتاريخ 8 تموز/يوليو 1938 مجلة جامعة دمشق – المجلد 26 – العدد الثالث + الرابع 2010 محمد أحمد ص 387.

في منطقة الإحساء المحاذية للحدود مع الكويت، ولم يعطها لشركات النفط الانكليزية.

وفي تقرير السفير الألماني غروبا رفعه إلى وزارة الخارجية الألمانية ذكر بأن ايطاليا أهدت الملك السعودي ست طائرات وعشرة مدافع ودبابة واحدة ودربت ستة طيارين سعوديين، ووضعت تحت تصرف الحكومة السعودية ضابطاً برتبة عقيد ومعه عدة ميكانيكيين.

والتقت المصالح الألمانية والايطالية في إبقاء الملك السعودي عبد العزيز مستقلاً وتقويته لمقاومة النفوذ البريطاني، وهدفتا أيضاً إلى إبقاء ابن سعود حيادياً في حالة حدوث حرب، لأن موقع السعودية مهم جداً، ففي الحجاز كانت تقع أهم قاعدة بحرية للبريطانيين في العقبة، وكان الحجاز يشكّل جسراً مهماً للعراق وفلسطين.

وفي أثناء زيارة السفير غروبا إلى جدة في كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير 1939م قابل الملك مرتين، كما قابل مستشاره الشيخ يوسف ياسين ثلاث مرات وخرج بانطباع بأن ابن سعود لا يحب الانكليز وهدفه من إعادة العلاقات الدبلوماسية مع الرايخ الثالث ومع الولايات المتحدة الأميركية كان للحفاظ على التوازن الدولي وكبح النفوذ البريطاني في الخليج. وتابع غروبا تقريره السري ليقول (إن الملك عبد العزيز عرض علينا الحياد في حال قيام حرب عالمية، ولكنه يريد بالمقابل مساعدتنا في بناء بلده وتسليح جيشه، وليس لدي أدنى شك بأنه سيستلزم بوعده إذا حققنا مطالبه، وهي مطالب بسيطة، فهو يتمنى أن نمده بثمانية آلاف بندقية مع ذخيرتها وبنا مصنع صغير للذخيرة بتسهيلات مالية معقولة، ونحن لدينا بنادق تشيكية من نوع (موزر) Mauser بأعداد كبيرة، ونستطيع أن نحقق رغباته بسهولة).

وهنا تجب الإشارة إلى أن أول دفعة من الأسلحة الألمانية وصلت السعودية في عام 1929م عن طريق دول أخرى مثل بلجيكا وهولندا لأن معاهدة فرساي 1919م كانت تحظر على ألمانيا بيع السلاح إلى بلدان أخرى.

وواصلت الشركات الألمانية للتسليح تزويد المملكة بالسلاح عام 1930م

عن طريق بولونيا. وزودت المملكة في عام 1933م بشحنة أسلحة تضم 6000 بندقية وبعض الرشاشات المتوسطة عن طريق المستشار الملكي رجل الأعمال خالد الهود القرقني، وكان هذا كما تقدم الذكر شريكاً للقنصل الألماني دي هاس في جدة، كما رتب الشيخ خالد لوصول صفقة عام 1937م، وكانت هذه آخر مرة تزود فيها ألمانيا المملكة بالسلاح.

وحرص الملك عبد العزيز في أثناء اجتماعه بالسفير الألماني في بغداد غروبا على تأكيد رغبته في الحصول على الأسلحة الألمانية مقابل الصداقة والحياد المطلق فيما إذا اندلعت الحرب، وكان هذا موقفًا مبدئيًا مارسته المملكة خلال الحرب العالمية الأولى وفي أثناء الصراعات الإقليمية الأخرى.

وفي نهاية شباط/فبراير 1939م جاءت اللحظة غير المتوقعة بالنسبة إلى صفقة السلاح، إذ أعلن يواخيم روده (Joachim Rohde) مدير مصنع الحديد الصلب فيروشتال (Ferrostahl) في مدينة ايسن الألمانية في محادثاته مع وزارة الخارجية أنه لا يدعم التوجه لتزويد المملكة العربية السعودية بالسلاح نظراً إلى وضعها الاقتصادي الضعيف، كما علل رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية الألماني فون هينتغ رفضه لإقامة علاقات دبلوماسية مع السعودية لأن الملك السعودي واقع تحت تأثير النفوذ البريطاني، وحمل رفض ألمانيا لتمويل صفقة السلاح لشخص واحد وهو فؤاد حمزة واتهمه بالعمالة لبريطانيا.

واقترح القسم السياسي بالاتفاق مع وزير الحربية أن يستقبل وزير الخارجية الألماني يواخيم ريبنتروب (1893–1946م) (Joachim Ribbentrop)، مستشار الملك خالد الهود لترتيب لقاء القائد الألماني هتلر، للعمل على تحقيق رغبة الملك السعودي بالتعاون الاقتصادي مع ألمانيا.

وأصبح في الإمكان ملاحظة تغير اتجاه الحكومة الألمانية من السعودية حين قام خالد الهود القرقيني برحلة أُخرى إلى برلين في أيار/مايو 1939م، وفي هذه المرة أجرى مستشار الملك ابن سعود محادثات ليس فقط مع ممثلي وزارة الدفاع الألمانية ومكتب الشؤون الخارجية بالحزب النازي الحاكم (NSDAP)، والشركات الألمانية، بل إنّه قابل كذلك كبار قادة الرايخ[64].

(64) M. Wolff Sohn, German, Saudi Arabien arms Deals, 1936-1939, Frankfurt 1985, s 239

ولم يناقش القرقيني صفقة الأسلحة مع هؤلاء المسؤولين لأنه كان قد قرر أن ينقل الموضوع إلى وزير الخارجية الألماني وإلى المستشار الألماني هتلر، وطلب مقابلة هتلر على وجه السرعة.

استقبل وزير خارجية ألمانيا ريبنتروب خالد الهود في 8 حزيران/يونيو 1939م، وقد أكّد له أن لألمانيا وللعرب روابطَ وأهدافًا مشتركة، كما أوضح الهود للوزير الألماني أن من أسباب سعي المملكة للحصول على الأسلحة هو تعزيز قوات الدفاع السعودية في وجه أي تهديد محتمل من بريطانيا أو من غيرها. وفوض الوزير الألماني فون هينتغ القيام بالمزيد من المفاوضات حول تزويد السعودية بالأسلحة.

كما استقبل المستشار الألماني أدولف هتلر في 17 حزيران/يونيو 1939م في بيرغهوف Berghof (الآن في محافظة سالزبورغ – النمسا)، المبعوث السعودي الخاص خالد الهود القرقيني (خالد أبو الوليد الهود كما ورد في الرسالة السعودية)، وحضر اللقاء كلّ من فون هينتغ مدير إدارة الشرق بالخارجية الألمانية والمترجم الفرنسي باول شميدت (لأن الهود كان يتقن الفرنسية) وبدأت المباحثات بالمجاملات المعهودة وتم تسليم رسالة الملك عبد العزيز إلى هتلر. وعبر هتلر عن تعاطفه مع العرب.

ثم تطرق الحديث إلى تسليم السلاح الألماني إلى المملكة (حسب رغبة الملك السعودي شراء نحو 8000 بندقية و8 ملايين طلقة، أو مصنع صغير لإنتاج الذخيرة يقام داخل المملكة وبضع مدرعات، مصفحة، ومدفعية خفيفة ضد الطائرات) وأن تصل هذه الأسلحة إلى المملكة في مدة مابين 18 – 14 شهراً). (أنظر، لوكاز هيرزويز: مرجع سابق، ص 81).

كان لهذا اللقاء صدى عالمي وإهتمام عربي وإنزعاج بريطاني، وفي الوقت نفسه ظهرت تخمينات وإشاعات بأن الملك عبد العزيز قدم لبريطانيا إنذاراً لإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية.

وشعر الملك عبد العزيز بالانزعاج من ردود الفعل القوية حول زيارة مبعوثه الخاص لهتلر لأنه فضل أن تتم في سرية تامة وأن لا تظهر في وسائل

الإعلام، وأبرق غروبا إلى برلين يطلب من الصحافة أن لا تعير هذه الزيارة أهمية كبيرة لأن ابن سعود لا يريد للمفاوضات أن تُنشر.

وأسرع خالد الهود إلى نفي الخبر أمام رجال الصحافة البريطانية وقال: لا توجد مفاوضات ألمانية – سعودية سرية حول صفقات سلاح. وحول الإنذار السعودي قال «نحن أصدقاء جيدون لبريطانيا... أما زيارته ومقابلته للزعيم الألماني هتلر فهي على سبيل الرد لزيارة قام بها الدكتور غروبا لابن سعود». واستمرت المفاوضات الألمانية – السعودية حول صفقة السلاح مع هنتغ وكتعبير عن النيات الطيبة من الجانب الألماني، أرسلت ألمانيا (4000) بندقية من أحدث طراز مع 2000 طلقة ذخيرة إلى كلّ قطعة سلاح كهدية.

وكان الهدف من تلك الهدية(**) هو استمالة المملكة وإغراؤها بالانحياز إلى الجانب الألماني، ونرى من خلال وثائق وزارة الخارجية الألمانية أن سياسة

(**) لم يثبت في سياق كل المواقف الهتلرية الألمانية أن هناك موقفاً جدياً لمساعدة العرب في فلسطين وتزويدهم بالسلاح حتى بالنسبة للسعودية. لقد كان هذا الموقف، آنذاك، تكتيكياً موارياً، نابعاً من سياسة خارجية منهجية ثابتة. أما المملكة السعودية فكانت حريصة على تدعيم موقفها في إطار الصراع الدولي الحاصل من ضمن روحية إلتزامها بالحياد الذي إتبعته ومصلحتها الوطنية. وفي عودة إلى الصحف العربية، في ذلك الحين، يمكن قراءة السياق التفاوضي الذي سارت عليه المملكة مع المانيا، فقد كتبت صحيفة المصري القاهرية تعقيباً على زيارة خالد الهود تقول "أما الدوائر السعودية، فكل ما تصرح به هو أن الملك إبن السعود محافظ على إستقلال بلاده وعلى الحالة الراهنة في البحر الأحمر وعلى حقوقه وسيادته، وأنه لن يفرط بها في حال من الأحوال. "وردت صحيفة "المقطم" القاهرية على الحملة التي شنتها الصحف البريطانية والفرنسية بمناسبة هذه الزيارة: "إن العرب لا يريدون أن يشايعوا دولة أوروبية على دولة. ويأبون التخلي عن أصدقائهم القدماء. وجل همهم متجه إلى تحقيق آمالهم ونيل حقوقهم الطبيعية، فلا يسلمون بأن يكونوا كرة تتقاذفها صوالجة المطامع الدولية. ولكن إذا تنافست الدول في إستمالتهم إليها لقضاء إربها، فالذنب ليس ذنبهم، وعلى ذي المصلحة أن يفتح عينيه لرؤية الحقيقة.
(صحيفة المقطم القاهرة، 1939/6/23م نقلاً عن كتاب موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، 1919-1945م. د.علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985م، ص336).

الإمبريالية الألمانية تجاه البلاد العربية كانت تتصف بالجدية حيث أرسلت ألمانيا غروبا إلى السعودية، واستقبلت بشكل حافل مبعوث الملك ابن سعود الخاص الذي التقى هتلر في 17حزيران/يونيو 1939م ولم يكن الأمر مغامرة وإنما هو سياسة مورست في نطاق التحضير لبه الحرب العالمية الثانية، يتبين من خلال الوثائق أن ألمانيا لم تكن تأمل من السعودية بأكثر من أن تقف على الحياد في حالة الحرب. أما إصرار الملك عبد العزيز بن سعود على إتمام صفقة السلاح مع ألمانيا فله أسباب عدة خارجية، وأهمها سياسته الخارجية تجاه جيرانه ولاسيما المنافسة السعودية – الهاشمية وحماية الاماكن المقدسة في مكّة والمدينة وتطلعه إلى دور قيادي في العالمين العربي والإسلامي.

ومن المؤكد أن الألمان لم يكونوا على استعداد لإعطاء السعودية مصنعاً للذخيرة، خوفا من دعم الثوار في فلسطين، وأعاق قيام الحرب العالمية الثانية في أيلول/سبتمبر 1939م وصول بقية صفقة السلاح مع أنها كانت مجهزة ومعبأة في مخازنها من أجل الوصول إلى السعودية، يضاف إلى هذا التنافس بين صناع القرار في الخارجية الألمانية ومكتب السياسة الخارجية في الحزب النازي إلى عرقلة إتمام هذه الصفقة.

ولم تتحقق أمنية فريتز غروبا بفتح السفارة الألمانية في جدة وعاد إلى برلين، وبقيت المملكة العربية السعودية حتى 28 شباط/فبراير 1945م دولة محايدة، إلاّ أن الملك عبد العزيز عاد فأعلن الحرب على ألمانيا ودول المحور في 1945/03/01م بعد أن استشار علماء الدين في ذلك الأمر، ومع أنه لم يشترك في أية أعمال عسكرية، وكان في الواقع يقف إلى جانب بريطانيا، ولم يعرف عن أية حالة رست فيها السفن الألمانية في الشواطئ السعودية من أجل إجراء إصلاحات طارئة للسفن أو لغيرها.

الفصل الثاني

القسم الثالث

ألمانيا والإسلام، جذور التواصل التاريخي السياسي، الإقتصادي، الفكري والثقافي...

جذور العلاقات وتواصلها

قديمة هي علاقة الألمان بجذرهم التاريخي القبلي الجرماني بالمسلمين العرب. كان الإتصال الأول في زمن العباسيين والخلافة العباسية. لكن، بداية، من هم الجرمانيون وما هي أوصولهم؟ يُفترض أن الأثنية الجرمانية كانت خلال العصر البرونزي الشمالي، أو على أبعد تقدير خلال ما قبل العصر الحديدي الروماني. من جنوب أسكندنافيا وشمال ألمانيا، بدأت القبائل في التوسع جنوباً وشرقاً وغرباً في القرن الأول قبل الميلاد، يتصلون مع قبائل الكلت الغولية وكذلك القبائل الإيرانية البلطيقية في شرق أوروبا. لا يعرف الكثير عن التاريخ الألماني المبكر إلا من خلال الوقائع التاريخية المسجلة للتفاعل مع الإمبراطورية الرومانية. تحت قيادة الجنرال الروماني أغسطس قيصر بدأ غزو جرمانيا (وهو تعبير إستخدمه الرومان لتعريف الأراضي التي تمتد تقريباً من الراين إلى جبال الأورال)، وفي هذه الفترة كانت القبائل الجرمانية تصارع الرومان مع الحفاظ على الهوية القبلية لقبائلهم.

ألمانيا الحديثة، الممتدة ما بين الراين والدانوب، ظلت خارج الإمبراطورية الرومانية. مع العام 100 ميلادي، إستقرت القبائل الجرمانية على إمتداد نهر الراين والدانوب، وإحتلت أكثر من مساحة ألمانيا الحديثة. وقد شهد القرن الثالث الميلادي ظهور عدد كبير من القبائل الجرمانية الغربية مثل: الألمانيون، الفرنجة، الخايتون، السكسونيون، الفريزيون والتورينجيون. بنحو عام 260م، الشعوب الجرمانية إخترقت

اللأيم ونهر الدانوب على الحدود في الأراضي التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية.

قام شارلمان أو شارل العظيم الذي ينحدر من القبائل الجرمانية بتأسيس إمبراطورية الفرنجة. توج بعدها كأول قيصر للإمبراطورية الغربية عام 800 ميلادية. فإعتبر ذلك إحياء للإمبراطورية الرومانية التي قضى عليها الأمازيغ قبل ثلاثة قرون من الزمن. في العام 800 ميلادية، كانت هناك أربع ممالك كبرى: الدولة العباسية وعاصمتها (بغداد) والدولة الأموية (في الأندلس) إمارة (قرطبة) وإمبراطورية شارلمان، والدولة البيزنطية.

العلاقة الأولى

وقد ربطت علاقات ودية ومراسلات وتبادل للهدايا بين شارلمان وأمير المؤمنين هارون الرشيد في بغداد، ذلك لأن العباسيين هناك ومملكة شارلمان في آخن (ألمانيا الحالية) كانوا يخشون من قوة حكام الأمويين في الأندلس. فكان هذا التقارب بين بغداد وآخن شبه دعم لمقاومة الأمويين. إلا أن إمبراطورية شارلمان في آخن (على الحدود بين فرنسا وألمانيا، والفرنسيون يعتبرنه إمبراطوراً فرنسياً) لم تعمر طويلاً، فبعد وفاة الأخير تقاسم أبناؤه الثلاثة المملكة في 843م بما عرف بمعاهدة فردان، إثنتان فقط من بين هذه الممالك عمرتا هما مملكة الفرنجة الغربية، والتي عرفت بعدها بإسم فرنسا، ومملكة الفرنجة الشرقية، والتي كونت ما يعرف اليوم بألمانيا.

وذلك كان الإحتكاك الأول بين طرف إسلامي شرقي وآخر مسيحي غربي. في مرحلة القرن الحادي عشر الميلادي التي كانت بالنسبة للعالم الغربي، مرحلة توسع وتنظيم، بدأت تظهر أشكال محددة لمؤسسات سياسية وإقتصادية ودينية وإجتماعية، كما ظهر فيها قادة كبار بارزون، كما عاش فيها معظم البابوات الإصلاحيين.

الإحتكاك الثاني

وخلال هذا القرن كثرت رحلات الحج التكفيرية من غرب أوروبا إلى القدس، ورسخت الكنيسة الإعتقاد بأن رحلات الحج هي طريق الخلاص، إلا أن هذه الرحلات

إضطربت بسبب الغزو السلجوقي الذي وضع القدس تحت سيادة الأتراك في سنة 463هـ/1071م)، بعد أن كانت تحت الحكم الفاطمي. ولم تكن صورة العالم الإسلامي واضحة في الذهنية الأوروبية قبل هذا القرن. عوامل عديدة تضافرت، كي يحصل الإحتكاك الثاني الإسلامي المسيحي الأوروبي الغربي، والذي جاء دموياً، في اغلب المراحل، وسلمياً في بعضها وذلك عبر نشوب ما سمي بـ"الحروب الصليبية" التي دامت زمناً مديداً. كانت الحروب الصليبية نقطة تحول حاسم في الصدام بين الشرق والغرب. وقد حركت هذه الحروب تاريخ الغرب الأوروبي، وطبعت وجدان الإنسان الأوروبي حتى القرن الثامن عشر. ثم أن تلك الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، لم تستطع ان تخفي وراء مظاهرها الدينية، نزعاتها القومية، وخلفياتها الإقتصادية، وعداءها السافر ضد الإسلام. (لمعرفة الصورة التقليدية للإسلام عند الأوروبيين يمكن مراجعة كتاب (أ) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى"، ريتشارد سوذرن (R. W Southern) نشر سنة 1936م، ترجمة وتقديم د. رضوان السيد – كتاب الفكر العربي، بيروت، معهد الإنماء العربي 1984م، (ب) فضل الإسلام على الحضارة الغربية مونتغمري وات (M. Watt) 1972م، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، ط2 – بيروت، دار الشروق 1976م).

تطورات عديدة حصلت في العالم القديم الذي كان مسرحه الشرق الإسلامي والغرب المسيحي تمكن فيه العثمانيون الأتراك لاحقاً عبر فتوحاتهم، من طرق أبواب فيينا وتهديدها. هذا الإحتكاك الثالث من الجهة الشرقية وحدود دول البلقان أدى إلى إنتشار الإسلام هناك وثباته في بعض المناطق والدول. ألمانيا، من جهتها، وتحت قيادة القيصر فيلهم الثاني، ومثل دول اوروبية أخرى نتيجة لظهور النزعة الإمبريالية الجديدة، قامت بأعمال عدائية أدت إلى الإحتكاك مع البلدان المجاورة. ألمانيا الإمبريالية التي وصلت إلى خارج أراضيها، جمعت العديد من القوى الأخرى في أوروبا من أجل المطالبة بنصيبها من أفريقيا. وفي مؤتمر برلين عام 1884م قسمت أفريقيا بين القوى الأوروبية. لقد تملكت ألمانيا عدة مناطق من الأراضي الإفريقية. بما في ذلك في الشرق والجنوب الغربي (توغو، الكاميرون). التزاحم على أفريقيا تسبب بالتوتر بين القوى العظمى التي قد تكون ساهمت في الظروف التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى. شهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل وسقطت

السلالات الحاكمة والمهيمنة على أوروبا والتي يعود منشأها إلى الحملات الصليبية، وتم تغيير الخارطة السياسية لأوروبا. خلال إتجاهها نحو افريقيا عملت السياسة الخارجية الألمانية إلى إيجاد قواعد وأسواق إقتصادية جديدة لها في بلدان المشرق العربي[1] ولا سيما سوريا وفلسطين والعراق التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية، وأمدتها بالمساعدات الألمانية وقرر الإمبراطور الألماني غليوم الثاني أن يتجه بسياسته إلى الشرق، فظهر شعار يسمى بالألمانية (Drang Nachosten) أي التوسع نحو الشرق وركز إهتمامه في إقامة علاقة جيدة مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وقام غليوم الثاني عام 1898م، بزيارة إلى كل من إسطنبول[2]، والقدس، ودمشق، وفتحت هذه الزيارة العلاقات[*] بين ألمانيا والدولة العثمانية على مصراعيها فشارك ضباط ألمان في تدريب الجيش العثماني وتجهيزه، وفتحت أسواق الشرق أمام الألمان، وأصبح البنك الألماني (Deutsh Bank) الممول الرئيسي للإقتصاد العثماني، وركزت ألمانيا على بناء سكك حديدية تربط برلين ببغداد.

خطوط السكك هذه، شكلت على المستويات الإقتصادية والسياسة وحتى العسكرية، إنطلاقة لقفزة نوعية في العلاقات بين الطرفين الألماني والتركي ومعهما الشعوب العربية الإسلامية. كما ان هذه الخطوط أسست لإزدهار التجارة الأوروبية العربية في زمن لاحق بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى. غير أن ألمانيا التي خسرت مع تركيا الحرب فوتت على نفسها فرصة التوسع في علاقاتها في المنطقة العربية،

(1) أنظر مجلة جامعة دمشق، المجلد – 26 – العدد الثالث + الرابع 2010، محمد أحمد ص 373.

(2) المرجع السابق.

(*) يذكر مؤلف كتاب المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين د.عبد الرؤوف سنو (ص 279) أنه قبيل قيام الإمبراطور وليم الثاني برحلته إلى الشرق، أي في 30 أيلول/سبتمبر 1898م، تلقت الخارجية الألمانية في برلين معلومات من أحد الألمان في القدس ويدعى الدكتور رازفيلد Dr. Rasefeld بأن الإمبراطور قد يتعرض لمحاولة إغتيال خطط لها رجل دين فرنسي يدعى موريسون Morrissom وأن عملية الإغتيال كانت ستتم أصلاً في مصر، لكن إلغاء زيارة الإمبراطور لمصر بسبب أزمة فاشودة. جعل المتآمرون يستبدلون يافا أو القدس بمصر كمسرح بديل لتنفيذ الإغتيال. وبعد أيام قليلة كشفت إحدى الصحف الألمانية إستناداً إلى مصادر بريطانية في الإسكندرية ان خطة إغتيال العاهل الألماني قد حيكت في مصر وستنفذ في فلسطين. وبناء على رغبة من الحكومة الألمانية إتخذت سلطات الأمن العثمانية إجراءات أمن واسعة النطاق، كما أبعد العديد من الأجانب، خاصة من الإيطاليين والفرنسيين إلى خارج القدس ويافا وحيفا.

التي عوضها عنها كسب البريطانيين والفرنسيين لها. وكانت المشاعر الشعبية تؤازرها نسبياً في تحركها هذا لكسب المنطقة، وذلك نكاية بهؤلاء، الذين كانوا يواجهون سخطاً شعبياً لأسباب عديدة.

ورغم أن النخب العربية والإسلامية ومعهم الشريف حسين كانوا يتهيأون للقيام بثورة ضد الأتراك، عادوا فنفذوها، لكنهم لم يحصلوا على شيء من الإستقلال في المقابل، فإنهم لم يعادوا الألمان وكانت معاداتهم منصبة في معظمها ضد الأتراك[**].

إن مجيء المستشرقين الأوروبيين، والألمان من بينهم إلى الشرق، لسبر أغواره وإكتشاف ثقافته ومخزونه التراثي الإسلامي وإنضمام المبشرين إليهم لتأسيس مدارس ومستشفيات في ربوعه، كان له الأثر المباشر في تحفيز مقومات التمازج الحضاري بين الألمان والمسلمين. ورغم عوامل التشكيك بخلفيات هذا القدوم واهدافه، فإن الإتصال الثقافي وما إستتبعه من سجالات وترجمات وتأليف، شكل مدخلاً لإستكشاف الآخر ومعرفته.

يقول أولريش هارمان (مدير معهد غوته ببيروت من 1978 – 1980م): "كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام 1919م أقل براءة وصفاء نية، فقد كان كارل هايزيش بيكر، وهو من كبار مستشرقينا منغمساً في النشاطات السياسية، حتى أصبح في عام 1914م شديد الحماس لمخطط إستخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسي في وجه البريطانيين. وقد أعرب[3] فيما بعد عن أسفه لتورطه في هذا الموضوع.

لقد إشتدت حماسة الألمان للدخول إلى أفريقيا ومغربها العربي. وكانت قبل أن تخسر مستعمراتها في التوغو والكاميرون منغمسة في مشروع الهيمنة على طنجة

(**) هناك شبه إجماع لدى المؤرخين أن حملة نابليون على مصر (1795-1801) كان هدفها إلى جانب الفتوحات والإحتلال، الرغبة بإكتشاف المناطق الإسلامية في الشرق العربي والمتوسط والتعرف على المسلمين وأحوالهم ودياناتهم ومعارفهم وثقافتهم. وكانت لهذه الحملة إنعكاساتها على اهل البلاد إذ ربط هؤلاء بين إنطلاقة حركة التحديث لديهم أو ما سمىّ بالتغريب، وبين تأثيرات هذه الحملة. وتعتبر حملة نابليون نحو الشرق، كما مشروع محمد علي باشا وإبنه إبراهيم وفتوحاتهم، سبيلان نحو التحديث والتعريف بحضارة الغرب..

(3) أنظر: مكسيم رودنسون، الفصل الأول من كتاب: تراث الإسلام – القسم الأول، عالم المعرفة، الكويت، آب/أغسطس 1978، ص35، 34، و: فرانز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص17، 14.

والمغرب. إن التحول العميق في البنيات الإنتاجية الذي عرفته ألمانيا بعد منتصف القرن التاسع عشر، وتحولها من دول زراعية إلى دولة صناعية ذات رغبة قوية في الأسواق الخارجية واليد العاملة، بالإضافة إلى الأهمية الإستراتيجية والسياسية للمغرب المجاور للجزائر "الفرنسية" كشفت للمستشار الألماني "بسمارك" عقب حرب سنة 1870م أهمية ربط العلاقات الدبلوماسية مع المغرب، مما جعله يبادر إلى إتخاذ قرار بفتح القنصلية الألمانية بلطنجة سنة 1872م. إستمرت هذه العلاقة تتأرجح بسبب تصاعد النفوذ الفرنسي في المغرب. في العام 1905م، وفي أيار/مايو زار الإمبراطور غليوم الثاني طنجة إبان جولته في البحر المتوسط التي كانت تهدف إلى التعبير عن إنشغال ألمانيا بالقضية المغربية وتحسيس القوى الإستعمارية بذلك خاصة مع تزايد الأطماع الفرنسية والبريطانية حول المغرب. في تموز/يوليو 1911م تحركت ألمانيا عسكرياً بإرسال سفينتها الحربية "بانثر" panthere إلى أغادير للتشويش على فرنسا التي تدخلت بفاس بدعوى إقرار الأمن والنظام، لكن سرعان ما إنسحبت ألمانيا بعد أن حصلت من فرنسا على ما كانت تريده من مطامع حيث تم التوصل إلى إتفاق تتخلى بموجبه ألمانيا عن لعب أي دور بالمغرب مقابل تعويض حصلت عليه في الكونغو والغابون محصلة بذلك على منفذ بحري لمستعمراتها في الكامرون.

على هذا الأساس، كان الإحتكاك الألماني بالمناطق الإسلامية في المشرق والمغرب يحصل إستناداً إلى توجهات سياسية عسكرية واقتصادية وثقافية. وكان واضحاً، خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، أن المسلمين العرب إستقبلوا هذه التوجهات بعدائية أقل بكثير من عداءيتهم للفرنسيين والإنجليز. لا بل أن بعض التأييد أقل لها على المستوى الشعبي، كان قد ظهر مبكراً. وقد إزداد هذا التأييد بعد هزيمة العرب في ثورتهم التي قادها الشريف حسين وأبناؤه وسيطرة التحالف الفرنسي الإنجليزي على البلاد في فلسطين ولبنان وسوريا والعراق وفرض الإنتداب عليها.

إن حساسية المسلمين تجاه الألمان لم تظهر أبداً بمستوى حساسيتهم للإنجليز والفرنسيين. فلقد تنامت لديهم، خصوصاً بعد هزيمة الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، دوافع الحقد والكراهية ضد سياسة الفرنسيين والإنجليز. وقد إستمرت هذه الدوافع تظهر في سلوكياتهم وآرائهم تجاه هؤلاء وتتقوى أكثر فأكثر، خصوصاً بعد فرض الإحتلال عليهم، وبروز نتائج معاهدة سايكس – بيكو التي قسمت بلادهم

وظهور الخطر الصهيوني في فلسطين إثر وعد بلفور لليهود بإقامة وطن لهم هناك.. إستتبع هذا الأمر تنامي الروح الثورية الإستقلالية لدى العرب، خصوصاً في بلاد الشام وفلسطين والعراق، حيث برزت الجمعيات والتنظيمات والأحزاب التي نادت بضرورة مقاومة الإحتلالين الفرنسي والإنجليزي والخطر الصهيوني. يذكر في هذا المجال مقاومة الجيش العربي في موقعة ميسلون وإستشهاد قائده يوسف العظمة خلال تلك المعركة.

إستناداً إلى هذه المعطيات، فإن التعاطف مع الألمان كان يتفاعل متصاعداً مع إزدياد حجم التدخلات والإنتدابات الفرنسية الإنجليزية في المنطقة ومدى مقاومتها من الجانب العربي السياسي والعسكري. ولا غرابة أن يتواصل هذا التعاطف مع تطور الأمور وصولاً إلى مرحلة الحرب العالمية الثانية ومقدماتها. فقد كانت الجماهير العربية، إجمالاً، منحازة بنسبة ملحوظة إلى الجانب الألماني ضد الفرنسيين والإنجليز. ومعهم الأميركيين هذه المرة، أي الحلفاء، صحيح أن حجم التأييد لهذا الجانب كان أوسع وأشمل لدى أكثرية النخب العربية، رغم وعي بعض هذه النخب خطورة النازي وزعيمه هتلر على الإنسانية، غير أن معاداتهم المباشرة للحلفاء الأوروبيين والأميركيين كونهم محتلين جعلتهم يغضون الطرف عن مخاطر النازية وشرورها. وقد إستمر هذا الإنحياز العاطفي إلى الألمان يتصاعد حتى بعد هزيمة ألمانيا الهتلرية وبدء تشكل الخارطة السياسية الجديدة. فبرأي هذه الجماعات والنخب أن لا مشكلة إستعمارية تاريخية صارخة وفادحة مع الألمان. خصوصاً بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، وانكفائهم في مطلع القرن العشرين إلى مداواة جراحهم ولملمة خسائرهم. لكن هذا الأمر لا ينطبق تماماً على الأوروبيين الفرنسيين والإنجليز والهولنديين مشرقاً ومغرباً.

فالعلاقة معهم بدت صراعية وتنامت في وجههم دعوات التحرر من إحتلالهم، إنتدابهم وهيمنتهم.

الإحتكاك الثقافي

حصل هذا الإحتكاك قبل أن يباشر المستشرقون الأوروبيون ومنهم الألمان رحلاتهم وكتاباتهم عن الشرق. كان سحر الشرق وتأثيراته واضحاً في أعمال العديد

من الشعراء والمؤرخين والكتاب، وكتاب "ألف ليلة وليلة" وقصص رحلات السندباد البحري دليل صارخ على مدى هذا التأثير. وعندما قام المستشرق الفرنسي "أنطوان غالان" (1646 – 1715م)، بترجمة حكايات ألف ليلة وليلة إلى العربية، كان لترجمته وقعها الخاص على المجتمعات الأوروبية، وشعرائها وأدبائها، ومنهم "غوته" الذي كثيراً ما لجأ إليه، متلمساً منه العبق العربي الأصيل المتمثل في العالم الطبيعي غير المتجسد، بكل ما فيه من بساطة ورشاقة ووضوح. وعندما حصل الإستشراق بدا تأثر فئة من هؤلاء بتيارات وأساليب وأفكار فلسفية وأدبية وحتى دينية مشرقية إسلامية وعربية. ذلك أن النهوض الفكري من ترجمات وتأليف الذي عرفته المجتمعات الإسلامية العربية لحقبة زمنية محدودة في عهد الخليفة العباسي المأمون وما تلاه، حيث إزدهرت المدارس الفلسفية بشتى تياراتها ومنها الصوفية، كانت وصلت مفاعيله وتأثيراته إلى عصر التنوير الأوروبي. وقد أثر فلاسفة وشعراء ومفكرون ورجال دين مسلمين في أعمال العديد من كتاب ومفكري عصر التنوير هذا كما أن الإسلام الذي كان ملهماً ومحركاً لكل أنشطة وكتابات تلك الحقبات التاريخية، بدا فاعلاً ومؤثراً بحدود، في الأعمال اللاحقة التي صدرت عن العديد من الفلاسفة والمفكرين والشعراء الأوروبيين. إن تأثيرات الإسلام ومفكرين وشعراء مسلمين كابن عربي والحلاج والمعري وابن المقفع والجاحظ وغيرهم في فكر فيخته، وبايرون وغوته، ودانتي والعديد من المفكرين والفلاسفة، جلية وواضحة. وقد إتفق المؤرخون والنقاد في غالبيتهم على وجود تأثيرات كهذه. كما أن المستشرقين تأثروا بالإسلام، سلباً أم إيجاباً، وكان أساساً في مادة أبحاثهم وإكتشافاتهم. إن نسبة لا بأس بها نظرت إلى الدين الإسلامي والى تراث المسلمين الفكري، نظرة إزدراء وإستعلاء، ورأوا أن تخلف العرب والمسلمين في ميدان الفكر والحضارة إنما يعود إلى الإسلام الذي يشكل بعقيدته المطلقة التي تؤمن إيماناً تاماً بالقضاء والقدر، ثقافة جامدة لا تقبل التغير والتطور وأبقت المسلمين منذ نشأتهم أمة جامدة متعصبة، وما زالت تقيد حياتهم الفكرية الجامدة بقيود ثقيلة لم يعد من الممكن التحرر منها. ولم تخلُ دراسات هؤلاء، مثل جورج سيل الإنكليزي (1697 – 1736م) الذي ترجم القرآن إلى الإنكليزية وقدم له بمقدمة خطت بالكثير من الإفتراءات والمغالطات، ووليم مور الإنكليزي (1819 – 1905م) مؤلف القرآن وتعاليمه. شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية. سيرة الرسول (أربعة

مجلدات)... إلخ. وولكر أرنولد، الإنكليزي (1864 – 1930م) مؤلف كتابي: تراث الإسلام، والخلافة، وصموئيل زويمر، الأمريكي (1867 – 1952م) مؤلف كتابي: الإسلام، ويسوع إحياء الغزالي، وأرنست رنيان، الفرنسي (1823 – 1892م) مؤلف كتاب: إبن رشد والرشديين، وهرتويج هيرشفيلد، الألماني (1854 – 1934م) مؤلف كتاب العناصر اليهودية في القرآن، وكارل بيكر Karl Beker، الألماني (1876 – 1963م) الذي إهتم بدراسة الأديان وتأثير العوامل الإقتصادية والعناصر المسيحية واليونانية في الحضارة الإسلامية، وفلهم رودلف WelHelm Rodolf، الألماني، مؤلف كتاب: صلة القرآن باليهودية والمسيحية وغيرهم... أقول: لم تخلُ هذه الدراسات من الحقد والتعصب، والتحيز، والإفتراءات والمغالطات، والبعد عن الموضوعية.

بيد أنه وبالرغم من وجود العديد من المستشرقين الذين نظروا إلى الإسلام نظرة سلبية، فإننا نرى أن ثمة مستشرقين كباراً شهدهم القرن التاسع عشر والقرن العشرين، كتبوا أبحاثاً موضوعية نافعة عن العرب والإسلام، وأغنوا بها المكتبة العربية والإسلامية(***).

(***) يلعب الصهاينة واليهود المتطرفين ونماذج محددة من الإنجيليين الأميركيين المتصهينين، دوراً تآمرياً وتحريضياً ضد المسلمين والعرب. آخر هذه النماذج، قبطي مصري متعصب هاجر إلى أميركا وتأثر بأجواء كهذه، فأنتج فيلماً سينمائياً أسماه (براءة المسلمين) يسخر فيه من المسلمين ونبيهم محمد (صلعم)، ما أثار حفيظة وغضب جموع المسلمين في العالم. صاحب الفيلم يدعى، كما جاء في الصحف (السفير 2012/9/15) نقولا باسيلي نقولا وهو يعرف بإسم سام باسيل. وكان الغموض يلف هوية مخرج الفيلم بعد ما عرف عن نفسه بإسم سام باسيل وبأنه اميركي-يهودي تلقى دعماً مالياً من منظمات يهودية، إلى أن إكتشفت السلطات أن نقولا باسيلي نقولا يقف وراء إنتاج الفيلم. وتبين أن نقولا مدان بإرتكاب جرائم مالية وحكم عليه بدفع 790 ألف دولار كتعويض وبالسجن 21 شهراً، كما أمر بعدم إستخدام الكومبيوتر أو الإنترنت لمدة خمس سنوات من دون الحصول على موافقة مراقب السلوك.

لقد فجر هذا الفيلم التحريضي، الذي يشوه صورة الإسلام ويصرف النظر عما يجري في منطقة الشرق الأوسط، وخصوصاً في سوريا وفلسطين، مكامن الغضب التي إستغلها المتطرفون والإرهابيون من أنصار تنظيم "القاعدة"، للهجوم على السفارات الأميركية في العالم ومنها ما حدث للسفارة الألمانية في الخرطوم التي تتولى إدارة المصالح الأميركية. والهجوم على السفارة الأميركية في بنغازي ومقتل السفير هناك ومعه عدة أشخاص. والواقع أن السماح بعرض الفيلم،

ومن هؤلاء المستشرقين نذكر:

1- غوستان فلوغل Gustan Flugel الألماني (1802 – 1870م) الذي كان أول من أصدر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم سنة 1842م. وكل الذين قاموا من بعده بوضع فهارس للقرآن، سواء كانوا من العرب أو المسلمين إستندوا إلى عمله. وبذلك فإن عمله يُعد خدمة جليلة لكل الباحثين وعامة الناس على حد سواء. كما أنه كان أول من نشر كتاب: كشف الظنون لحاجي خليفة التركي، مع ملاحق

رغم الإقرار بالحق الديمقراطي في عرض الأفكار، أدى إلى حصول تجاوز لدى العديد من المتدينين المسلمين في مشاعرهم، الأمر الذي إستغله المتطرفون من اجل إثارة الفتنة. وهذا ما حصل بسقوط عدد من القتلى والجرحى في الصدامات التي حصلت. ولا بد في هذا المجال، من وجود تشريع أو ميثاق عالمي يمنع الفتنة طالما أنها مسألة رأي عام تطال المجتمع. صحيح أن الغضب الذي أثاره عرض، هذا الفيلم كان يجب ان لا يجنح إلى ردود فعل مأساوية تناقض في الأساس تعاليم الدين الإسلامي وكل الأديان الأخرى، وتخدم اهداف الذين انتجوا الفيلم وعرضوه، غير ان الخلفيات المماثلة في طبيعة التباينات المتوافرة تاريخياً وواقعياً في واقع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين مع التحريض المشبوه المتلازم مع الحدث، أدى إلى حصول ردود أفعال عنيفة مؤسفة. ولا يمكن بأي حال تحميل الشعب الأميركي مسؤولية عمل فردي أساء إلى صورة النبي ويخفي وراءه مقاصد وغايات دنيئة ومشبوهة. تظهر هذه الحادثة المشؤومة ضرورة أن تتوضح علاقة المسيحيين بالمسلمين كأديان سماوية وذلك من ضمن حوار شامل ودائم يسد الطريق أمام الفتن والصدامات مهما إرتدت من أشكال ومظاهر. يلعب مسلمو أوروبا والولايات المتحدة الأميركية دوراً أساسياً في تهيئة أسس هكذا حوار لنبذ جماعات التطرف وإقصائهم عن الفعل وشل مخططاتهم التخريبية. إن مسؤوليتهم في ما يحدث راهناً تتعاظم.ولا بد من وجود تنسيق تكاملي صادق بين الجمعيات والمنظمات المسيحية والإسلامية يردع جماعات الإرهاب والتطرف ويفنتهم. وعلينا أن نحترم تقديس المرء لما يقدسه. فالمقدس يبقى مقدساً. فهو كما الحرية. وأصعب ما في الحرية ان نقبل بها عند الآخر. وقد اتقن الغرب ذلك. ويجب أن يتقنه المسلمون. ولحينه علينا منع الفتن ووأدها في المهد. إن ما حصل ويحصل من إنكماش يحقق اهداف المشروع الصهيوني ولا يعارضه. إن الإنفتاح مع الأصالة هما مفتاح النجاة من التلاشي، والتلاشي حتمية محققة في الحالتين: حال الذوبان في الأوقيانوس وحال الإنغلاق والغوص الإنتحاري في كوابيس التعصب. التحدي أمام الإسلام هو القدرة على البقاء إسلاماً دون إستدراج الغرب إلى محاربته وتفادي الوقوع في فخ هذا الأمر وذلك بالأصالة المنفتحة المشرقة الراغبة في معرفة الآخر والمتطلعة بشغف إلى عالمه والمضيافة بشغف كذلك لفضول الآخر وتطلعه إلى إكتشافها.

وفهارس في سبع مجلدات، قضى فيه ثلاثة عشر عاماً، وأورد فيه عناوين خمسة عشر ألف كتاب عربي وفارسي وتركي. وهو من أهم الكتب الموسوعية في العلوم الإسلامية وأكثرها فائدة للباحثين. ومن مؤلفات فلوغل المهمة أيضاً: "المدارس النحوية عند العرب" الذي يتحدث عن مدرستي البصرة والكوفة في النحو، وسائر المدارس النحوية، مع ثبت بأسماء النحويين في كل مدرسة وترجمة لهم. وكذلك تاريخ العرب (ثلاثة مجلدات)، والكندي الملقب بفيلسوف العرب الخ...

2- رينهارت دوزي، الهولندي (1820 – 1883م) الذي إهتم بالتاريخ الأدبي والإجتماعي والسياسي للمسلمين في إسبانيا منذ سنة 711 إلى سنة 1110م، أي من بداية فتح المسلمين للأندلس حتى قيام دولة المرابطين.

فألف كتابه المشهور: تاريخ المسلمين في إسبانيا (أربعة مجلدات) حيث يعد حتى اليوم من أجل الموسوعات التاريخية عند الإسلام في إسبانيا.

3- يوليوس فلها وزن، الألماني Julus Vellhausen، (1844 – 1918م)، الذي كان عالماً في التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية. ومن أعماله المفيدة التي لا يمكن إغفالها: تحقيق تاريخ العربي، الإمبراطورية العربية وسقوطها، الأحزاب المعارضة في الإسلام، الخوارج والشيعة، تنظيم محمد للجماعة في المدينة.

4- ت.ج دي بور، الهولندي (1866 – 1942م) الذي كان عالماً في الإسلام وتاريخ الفلسفة الإسلامية. ومؤلفه: تاريخ الفلسفة في الإسلام، الذي يتناول علوم اللغة، والفقه وأصوله، والحديث، وعلم الكلام وفرقه، والتصوف الخ... وكذلك مؤلفه: الغزالي وابن رشد، الذي أصدره سنة 1894م.

5- كارل بروكلمان، Karl Brocklman، الألماني (1868 – 1956م) مؤلف موسوعة الأدب العربي (تسعة مجلدات).

6- زيغريد هونكة Zegred Huncke (مستشرقة ألمانية معاصرة) وهي معجبة جداً بالأدب العربي والحضارة العربية والأخلاق العربية والتسامح العربي. ومن مؤلفاتها شمس العرب تسطع على الغرب إثر الحضارة العربية في أوروبا ويقع في خمسمائة وثمان وثمانين صفحة، الخ...

ويبقى أخيراً، أن نشير إلى أن ثمة مستشرقين فهموا الإسلام حق الفهم، وأعجبوا به، فإتخذوه ديناً لهم، وألفوا فيه. ومن هؤلاء نذكر: المستشرق الفرنسي/ ألفونس أتيين دينيه (1861 – 1929م) الذي اعلن إعتناقه الدين الإسلامي في الجامع الجديد بمدينة الجزائر سنة 1927م، وتسمى بإسم: ناصر الدين دينييه. ودفن في بلدة بو سعادة بالجزائر بناء على وصيته. أيضاً المستشرق الفرنسي المعاصر: دنيس غريل الذي إعتنق الإسلام وإتخذ لنفسه إسم: محمد بن عبدالله، وأقام في المدينة المنورة مدة سنتين. وهو حاليا يدرس في جامعة باريس السوربون. كما نذكر المستشرق النمساوي: فليس بولد فايس: الذي أعتنق الإسلام سنة 1926م في حيدر آباد، وتسمى بإسم: محمد أسد وكان معجباً بمبادئ الإسلام وتاريخه والحضارة الإسلامية وله مؤلف مشهور بعنوان: الإسلام على مفترق الطرق.

غوته... والإسلام (Goethe)

يعول النقاد الموضوعيون كثيراً على مدى إعتراف الغرب، في دراساته الأدبية المقارنة، بوجود المثاقفة المعكوسة، والتي تقدر عالياً إسهامات الفكر العربي الإسلامي في مسيرة نظيره الأوروبي، ولا سيما تأثيره في إعلامه الكبار، وشخوصه الأفذاذ ويوهان وولفغانغ غوته (Johaun Wolfgang von Goethe) في مقدمهم.

وهناك كتب ومؤلفات عديدة صدرت تحدثت عن هذا الشأن. فمن هو هذا الشاعر والمفكر الألماني الكبير الذي قام جورج مطران بترجمة أحد أعماله، وهو رواية "آلام فرتر" من النص الفرنسي إلى اللغة العربية. ثم أعاد أحمد حسن الزيات ترجمتها مرة أخرى، كما قام محمد عوض بترجمة "فاوست" من الأصل إلى العربية. كما أن عباس محمود العقاد وضع كتاباً عنه، إضافة إلى العديد من الكتاب العرب الذين تناولوا شعره وأدبه ترجمة ودراسة.

الولادة والنشأة Frankfurt

ضمن أسرة ألمانية بفرانكفورت الواقعة على نهر الماين، وفي 28-8-1749م ولد "يوهان فون غوته Johann Wolfgang von Goethe، والذي يعد رابع عظماء الشعر والأدب الغربي، بعد الإغريقي "هوميروس"، والإيطالي "دانتي"،

والبريطاني "شكسبير". تدرج في مراحل التعليم حتى درس المحاماة، إلا أن ميوله العارمة كانت للشعر والأدب. فتبحر "غوته" في دراسة علوم وفنون كالرياضة والنبات والطب والهندسة والسياسة والرسم والشعر والموسيقى والتصوير. وعكف على تعلم لغات كاللاتينية، واليونانية، والإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية والعبرية. كما سعى للغوص متعرفاً على ثقافات وآداب أخرى، كالأدب الصيني والفارسي والعربي، فضلاً عن تعمقه في الفكر والثقافة الإسلامية. مما أهله كي يكون "شاعراً فذاً" متمكناً واسع الثقافة. ولقد ترك "غوته" إرثاً أدبيا وثقافياً وإبداعياً ضخماً، وتنوع ما بين الشعر والرواية والقصيدة والمسرحية. فمن مؤلفاته: آلام الشاب فرتر، والمتواطئون، وغوتس فون برليخنغن ذو اليد الحديدية، وكلافيغو، وايغمونت، وشتيلا، وإفيغينا في تاورس، وتوركواتو تاسو، ومن قصائده بروميثيوس، فاوست "ملحمة شعرية من جزأين"، والمرثيات الرومانية، وسيرة ذاتية بعنوان من حياتي، الشعر والحقيقة، والرحلة الإيطالية، والأنساب المختارة. هذا بالإضافة للعديد من المؤلفات الأخرى. ونظراً "الرمزيته"، ومكانته الأدبية تلك تم إطلاق اسمه على أشهر معهد لنشر الثقافة الألمانية في العالم "معهد غوته".

"فتنته" باللغة العربية، وأشعارها، ومعلقاتها، وأدبها

أبدي "غوته" "إنبهاره وتأثره" بروعة اللغة والعربية، يقول عنها: "ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط مثلما حدث في اللغة العربية، وانه تناسق غريب في ظل جسد واحد". فإنفتح علي إبداعات الشعر العربي "ديوان العرب"، حيث "تعلق" كثيراً بالمعلقات: "إنها كنوز طاغية الجمال.. ظهرت قبل الرسالة المحمدية، مما يعطي الانطباع بأن القريشيين كانوا أصحاب ثقافة عالية، وهم القبيلة التي خرج منها النبي محمد". كما قرأ لكثير من شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، عنتره بن شداد وأيضا عمرو بن كلثوم. ووقف ملياً أمام ما بث في ثنايا شعرنا العربي من قيم، وبخاصة العزة والكرامة والحرية والشجاعة والشرف الخ. كما قرأ غوته أيضاً لبعض الشعراء المسلمين فيذكر في قصائد "الديوان" أسماء: "جميل بثينة"، و"مجنون ليلى"، و"المتنبي". لم يكتفِ "غوته" بالقراءة في الشعر العربي، بل قرأ أيضاً في النحو والصرف. فقد كانت روحه متعطشة للعلم والمعرفة، حتى أنه توجد

مخطوطات حاول فيها "غوته" محاكاة وتقليد الخط العربي، وجمالياته.

Johann Gottfried Herder

كان "يوهان غوتفريد هيردر" (1744–1803م) الفيلسوف اللغوي والمستشرق الألماني العظيم شخصية فذة، منصفة ومحايدة. وهو أول من أرشد "غوته" للإطلاع على الشعر العربي والقرآن الكريم. وكان يحمل رؤى غير منحازة – مفادها: أن اللغة أساس هام لاحترام الفروق الثقافية بين الحضارات، مع أهمية البحث عن المهم "الجوهر الإنساني" لدي الشعوب، كما جسده "هوميروس" في ملاحمه الخالد. ولقد فتح عيون الأدباء الألمان على "العبقرية الدرامية" لشكسبير. كما كان من أكبر الأدباء المنصفين للإسلام وهو ما أوضحه من خلال كتابه "أفكار حول فلسفة تاريخ الإنسان" (1791م)، وقام فيه بالاطراء على شخص الرسول الكريم "محمد" صلى الله عليه وسلم، و"حماسته لعقيدة التوحيد"، كما أوضح إعجابه بتعاليم الدين الإسلامي. ولقد أثر هذا "المعلم"، وأفكاره في نفس "غوته" تأثيراً بالغًا وعميقًا. قام "غوته" – بمساعدة "هيردر" – بترجمة جملة من الأشعار العربية والمعلقات إلى الألمانية، وذلك مروراً بترجمات لاتينية وإنجليزية (وكانت المعلقات العربية قد ترجمها لأول مرة "وليم جونز" (1746–1794م)، وفي عام 1783 صدرت بالحرف العربي المطبوع باللاتينية، مرفقة بترجمة "جونز"، مما حدا بغوته إلى ترجمتها إلى الألمانية).

يقول "غوته" في رسالة لأحد أصدقائه "كارل فون كنيبل" Karl von Knebel (1744–1834م): "وهذه القصائد في جملتها تدعو للدهشة والاستغراب، كما أنها تشتمل على مقاطع بعضها محبب إلى النفس. ولقد قررنا تقديمها للمجتمع مترجمة، ومن ثم فسوف تطلع أنت أيضًا عليها". ومن القصائد التي حاول ترجمتها، معلقة "امرئ القيس".

"سحر الليالي"

بعدما قام بترجمتها المستشرق الفرنسي "أنطوان غالان" (1646 - 1715م)، كان لحكايات "ألف ليلة وليلة" وقعها الخاص على المجتمعات الأوروبية، وشعرائها وأدبائها، ومنهم "غوته". فكانت "ألف ليلة وليلة كتاب الحياة له.. كثيراً ما

يلجأ إليه، متلمّسًا فيه العبق العربي الأصيل المتمثل في العالم الطبيعي غير المتجسد، بكلّ ما فيه من بساطة ورشاقة ووضوح". تأثر غوته بشخصية المرأة الشرقية المتمثلة في "شهرزاد" تأثر بلباقتها وفطنتها: "أي حظ هذا الذي قادك إلي هنا، مباشرة من ألف ليلة وليلة؟ لو أستطعت أن تتشبه بشهر زاد في خصوبة عطاياها، لوعدتك وعدا صادقا بأسمي الهدايا. تأهب علي ادوام (لتسليتي)، فما أكثر ما تبتليني أيام دنياكم بأعظم الكروب والمنغصات".

وجذبته فكرة الراوي العربي المربي؛ والعرب المغامرون، وبهرته مدينة بغداد بثقافتها وعلمها وأدبها، وولع بها فقام بمساواتها بمدينة "فايمر" الألمانية في "الديوان". كتب في وصيته: "بمجرد أن تأتي بالترياق من بغداد، ينتقل المريض من حال إلى حال". ولقد ضم "الديوان الغربي الشرقي" / "الديوان الشرقي للشاعر الغربي" الذي نشره "غوته" عام 1819م، وقدم لترجمته العربية د. "عبد الغفار مكاوي"، الكثير من الصور المجسدة، عن حياة العرب والمسلمين، والاستشهاد بأقوال وأوصاف ونماذج من القرآن الكريم، والشعر الجاهلي والإسلامي، حتى أن "هيغل"، اعتبر هذا الديوان تحولاً للشاعر إلى الشعر الفلسفي. كما استخدم الأسلوب القصصي متأثراً بـ"ألف ليلة وليلة". كما أن في الفصل الأول من القسم الثاني من "فاوست"، يوجد كذلك الكثير من المؤثرات التي تعود أصولها إلى "ألف ليلة وليلة". ولم يظهر فيه الأثر العربي فقط على شعر غوته وإنما ظهر فيه أيضا الكثير من التشبيهات والكلمات العربية والغريبة، وأيضا الكثير من القرآن لغة ومضمونًا. ولقد ألحق "جوته" بالديوان فصلاً ضخما يتضمن معلومات شارحة لموضوعاته ومعلومات عن الشعر الفارسي والعربي حتى يستطيع القارئ الألماني فهم هذا العمل.

"غوته"، والإسلام

وإذا الإسلام كان معناه أن الله التسليم، فإننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين".

لعل اهتمام "غوته" البالغ بالإسلام والقرآن الكريم، وبسيرة الرسول صلّى الله عليه وسلم (569–632م) "ظاهرة من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة في حياة الشاعر". فقد وصف القرآن بأنه "كتاب الكتب.. أيها القرآن الكريم، أيتها الطمأنينة الخالدة"،

وكانت معرفته به – بعد الكتاب المقدس – من أوثق معارفه. ونراه يعلن على الملأ في سن السبعين عن تفكيره:

"في الاحتفال، في خشوع، بتلك الليلة المقدسة التي نزل فيها القرآن الكريم (ليلة القدر)". وهو يصف الرسول – كونه هاديًا للبشر – بأنه "النهر العظيم الذي يتدفق رفيقا هادئا، يجري معه الجداول والسواقي في طريقه إلي البحر". كما تضمنت "تراجيديا محمد" ثناءً ومديحًا عظيمين – لم يسبق لشاعر ألماني في أي عصر من العصور أن قدمها لنبي الإسلام". بل إن الدهشة لتزداد عندما نقرأ العبارة التي كتبها في إعلانه عن صدور "الديوان الشرقي" (1820–1814)، وقال فيها إنه: "لا يكره أن يقال عنه إنه مسلم"، وإنه وإن بلغ السابعة والسبعين من عمره، لم يتراخ إعجابه بالإسلام أبدًا، بل كان يتعاظم ويشتد رسوخه". بدأت علاقة "غوته" القوية بمعاني وروح القرآن الكريم، من خلال لقائه مع "هيردر" بمدينة ستراسبورج شتاء عام 1770م/1771م. ولقد قام "غوته" بالغوص في مؤلفات صدرت عن الإسلام.. عقيدة وشريعة وتاريخًا وسيرًا، قام بها مستشرقون ومفكرون غربيون منها: "الترجمة الألمانية لمعاني للقرآن الكريم" التي أنجزها "ديفيد فريدريش ميغيرلين" عام 1771م، (وكان له عليها ملاحظات وتحفظات)، و"المعجم التاريخي" لـ"بيير بايل"، و"المكتبة الشرقية" لـ"بارتيليمي داربيلو"، و"الديانة المحمدية" للمستشرق الهولندي "هارديان ريلاند"، و"حياة محمد" الذي نشر بعد وفاة صاحبه "هنري كونت بولنفيلييه"، و"كنوز الشرق" "للمستشرق النمساوي "يوسف فون هايمر". وكان احتكاكه بالمسلمين أمرًا أضاف إلى رصيد محبته للقرآن. فتعرفه على مجموعة من الضباط البشكيك المسلمين، الذين قدموا إلى فايمر في تشرين الثاني/ديسمبر 1813م من ضمن الجيش الروسي المتحالف آنذاك مع ألمانيا، ضاعف من حبه لما قرأه، حيث وصفهم قائلًا: "لديهم هيبة خاصة"؛ و"هم ضيوف أحبّاء".

تأثره البالغ بالقرآن الكريم

لاحظت الباحثة "كاتارينا" انتصاف مقاطع "غوته" الشعرية ما بين الاقتباس القرآني، وما بين كلامه هو؛ وهو ما ظهر جليًا في "ديوان الغرب والشرق" Westlisher Divan. ومن أكثر ما تأثر به "غوته" "الدعاء" في الآيات الكريمات:

"قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي" (طه: 28–25). وكان "غوته" في كثير من مؤلفاته يدون بخط يده آيات كريمات تشير صراحة إلى النبي محمد، مثل قوله تعالى: "وما محمد إلا سول قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين" (آل عمران: 144). ولقد أورد بعض أسماء الله الحسني في الديوان الشرقي. ومن أكثر ما لفت انتباه "غوته" جوهر الإسلام وحقيقته بـ"الاستسلام" الله تعالي، وعقيدة التوحيد.

إعجابه وتأثره بالرسول محمد صلي الله عليه وسلم

أبدي "غوته" إعجابا فائقاً بالرسول محمد صلي الله عليه وسلم، لكونه مزج بين عدة أمور: أسس الدين الإسلامي، ورفع مبدأ التوحيد عاليًا، وربي البشر.. إيمانيًا وروحيًا وحياتيًا، واستخدم في توصيل رسالته ودعوته وسائل كفاح دنيوية، وجاء بأفكار جديدة لنشر روح المساواة والإخاء في العالم". لذا فقد نظر إليه "غوته" كنموذجًا حيًا للإنسان المكافح المصابر الذي تعامل مع الدنيا وليس مع السماء فقط". فمن بين ما قرأ غوته عن النبي كتاب أولسنر Olsner عن السيرة النبوية، فنظم قصيدة تحت عنوان "تحدي الانبياء" تستلهم فقرات من ذاك الكتاب عن المضايقات التي عاناها الرسول الكريم من مشركي قريش، وتتمثل معنى الآية الكريمة: "من كان يظن أن لينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ" (الحج: 15)، وقد ظن غوته– ربما نتيجة الترجمة– أنها حديث، فقال: النبي يقول: "إذا اغتاظ أحد من أن الله قد شاء، أن ينعم على محمد بالرعاية والهناء. فليثبت حبلا غليظا بأقوى عارضة في قاعة بيته، وليربط نفسه فيه، فسوف يحمله ويكفيه.

يشعر بأن غيظه قد ذهب ولن يعود. وهو يستهل الشاعر مسرحيته الشعرية "تراجيديا محمد" (في فصلين: الأول عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، أما الثاني فصور معاناة الرسول أثناء تبليغه الرسالة وما لاقاه من المشركين) بمنظر للنبي وهو يقف تحت قبة السماء المرصّعة بالنجوم قائلا: "ليس بمقدوري أن أفضي اليكم بهذا الإحساس، ليس في مقدوري أن أشعركم بهذا الشعور. من يصيخ السمع

لضراعتي؟. من ينظر للعين المبتهلة؟".

وحيداً بعد موت زوجته وولده.. توفي "غوته" في 22 آذار/مارس 1832م، ودفن في "فايمر" Waimar، وكتب على شاهد قبره: "وعلى شاهد قبرك سيقرأ الناس: إنك كنت بحق إنساناً".

هل كان غوته مسلماً؟

بعد حوالي 177 عاماً على وفاة "غوته"، ما زال الجدل مستمراً، والخلاف محتدماً حول "علاقة غوته بالإسلام، وهل كان غوته مسلماً؟ سؤال ظل حائرا شاغلاً لبال الكثيرين؟ سؤال يستند علي هذا الشغف والتعاطف والإحترام الكبير الذي كنّه "غوته" للإسلام وشريعته، والقرآن الكريم وبلاغته، وتماهيه مع لغته الآسرة، وإحترامه للرسول "محمد" صلي الله عليه وسلم وهدايته، وللعربية وآدابها، وإيمانه بوظيفته التاريخية كحلقة وصل بين الشرق والغرب. كما يستند إلي "سلوكيات" هذا الشاعر الكبير مثل: صيامه رمضان مع المسلمين، وتردده على أحد المساجد للصلاة فيه، كما شوهد يصلي مع بعض الجنود الروس المسلمين، وحفظه لآيات عديدة من القرآن الكريم، وعقده جلسات في أحد قصور الامراء لتلاوة القرآن، واعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، وعزمه وهو في سن السبعين علي الاحتفال بتلك الليلة المقدسة التي نزل فيها القرآن الكريم (ليلة القدر)، وتقبله التهنئة في الأعياد الإسلامية، ورفضه فكرة الصلب المسيحية، حتى إنه نطق مرتين بالشهادتين في كتاباته، إلى جانب آلاف الصفحات التي كتبها ممجداً ومادحاً النبي محمداً صلي الله عليه وسلم. وبينما ينسب المسلمون الألمان "غوته" إليهم، حتى أن جماعة تطلق على نفسها "جماعة فايمر" نسبة إلى مدينة "فايمر" الألمانية أطلقت على "جوته" اسم "محمد" تيمناً باسم رسول الإسلام صلي الله عليه وسلم، تنشط بالمقابل مؤسسات وشخصيات ثقافية ألمانية لنفي هذا النسب عنه، والتشكيك به، ويرون إن هذا النسب هو ضرب من المبالغة.

فعلى الرغم من تلك المواقف، وهذه السلوكيات والإشارات من الشاعر الكبير، والتي تؤكدها "كاتارينا مومزن" في دراساتها عنه، إلا أنها تقول: "إن إعجاب غوته بالإسلام لا يعني بالضرورة أنه اعتنقه، وتنفي – شأنها شأن آخرين

كالمستشرقة الألمانية آنا ماري شمايل أن يكون قد تحول إليه"، وتنتهي إلي القول: "إن الإجابة على هذا السؤال: هل كان غوته مسلماً؟ ليس أمرا سهلا يمكن الإجابة عليه بنعم أو لا".

إشتباكات تاريخية تعمق الحساسيات بين الأوروبيين والعرب والمسلمين

كان الجوار الجغرافي قدر الحضارتين الإسلامية والغربية، وعوضاً عن أن يكون هذا القرب والجوار عامل تفاهم وتبادل إيجابي، كان على الدوام سبباً في تأجيج الصراعات والخلافات وإثارة الأطماع، بحيث كان توسع أي من الحضارتين وتمددها يتم على حساب الآخر. وباستمرار كان الطرف الضعيف يرى نفسه مستهدفاً، وينظر بسلبية إلى نزعة التوسع لدى الآخر القوي. لا يعني ذلك المساواة بين الطرفين في الدوافع والاعتبارات الأخلاقية، حيث أكدت التجربة العملية أن المسلمين لم يكونوا في مراحل قوتهم مستعمرين أو غاصبين، إنما كانوا حملة رسالة، ودعاة خير وهداية، وأظهروا قدرا كبيرا من التسامح، وقدموا صورة حضارية لافتة أقرّ بها المنصفون في الغرب، وشهدوا بما للحضارة الإسلامية من فضل في نهضة أوروبا وخروجها من ظلام العصور الوسطى، لكن ما رسخ في عقول الغربيين، نتيجة عوامل عديدة، هو الجانب السلبي من الصورة.

هنا لا بد من الإشارة، إلى أن المسلمين العرب، خلال حقبة الإنحطاط والتبلد التي مرت بهم، كنتيجة للصراعات السلطوية ولإجتياح المغول لحضارتهم ومهاجمتهم لبغداد، ولظهور العديد من مظاهر الإنحرافات، العقيدية في سلوكياتهم، ومسؤولياتهم طبعوا بعض مساراتهم بتلك الترسبات السلبية في مواقعهم الحكمية وثنايا مجتمعاتهم المتناحرة... ولما جاءت مرحلة الحكم التركي والسلطنة العثمانية تداخلت النمطية السلطوية الفاسدة في الإدارة والحكم مع تيارات الإصطراعات والتراجعات والرضوخ المجتمعي في الولايات والأمصار العربية الإسلامية، فكانت الممانعة كما القبول بالأمر الواقع، عاملين متضادين يتفاعلان سلباً وإيجاباً في عملية إختمار وتشكل الشخصية العربية الإسلامية في مضامينها الحضارية المشوشة.

من هنا نلحظ التشوه وعدم الإكتمال الحاصلين في بنى مجتمعاتنا أثناء إرتقائهما في مساراتها اللاحقة.

وزاد في تعقيد الأمور، أن الحضارتين الغربية والإسلامية لم تعودا في الآونة الأخيرة المعاصرة مجرد حضارتين متجاورتين جغرافيا كما كان الأمر سابقا. فللمرة الأولى يشكل المسلمون نسبة لا يستهان بها من سكان القارة الأوروبية. هذا التداخل الديموغرافي بين الحضارتين، أضفى بعداً جديداً من التعقيد على العلاقة بين الطرفين.

مدركات غربية سلبية عن الإسلام والمسلمين

في المقابل يمكن القول إن المدركات والصور النمطية السلبية لدى الغرب تجاه العرب والمسلمين، والتي تؤثر بالضرورة في نظرته إليهم وفي علاقته مع العالم العربي والإسلامي، قد نجمت عن المؤثرات التالية:

1- الفتوحات الإسلامية

فرغم مرور فترة طويلة، ما تزال الفتوحات الإسلامية حاضرة في وعي الغربيين وتؤثر في مدركاتهم، بصورة تفوق كثيراً مدى حضور الحروب الصليبية في الذاكرة العربية والإسلامية. وعوضاً عن النظر بتوازن، والإقرار بجوانب إيجابية لتلك الفتوحات، فإن معظم الغربيين يحتفظون بذاكرة سلبية تماماً إزاءها ويعتبرونها مبرراً للنظر إلى الإسلام والعالم الإسلامي كمصدر تهديد دائم للحضارة الغربية، ويبقى راسخاً في أذهانهم أن جيوش المسلمين ظلت تشكّل خطراً هائلا على أوروبا لفترة ليست قصيرة. وهم ينظرون إلى انتشار الإسلام في الشام وآسيا الصغرى ومصر والشمال الإفريقي، على أنه كان على حساب النفوذ الغربي المسيحي في تلك المناطق. ولا ينسى الغربيون أن المسلمين قاموا بفتح شبه جزيرة البلقان، وسيطروا على القسطنطينية، واتخذوا من اسطنبول منطلقا لفتح المجر ووصلت جيوشهم إلى أسوار (فيينا) مرتين.

لقد استغلت أوساط دينية وسياسية أوروبية المشاعر الغربية المشحونة ضد الفتوحات الإسلامية، لتغذية الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين. وحرصوا على تصوير المسلمين قتلة وهمجيين ووثنيين ومجرمين لا أخلاق لهم ولا رحمة في قلوبهم ولا شفقة.

المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد قال في كتابه (الاستشراق): "إن ما كان يشعر به المسيحيون تجاه الجيوش الإسلامية هو أنها تحمل مظهر سرب من النحل

له أيد ثقيلة.. تدمر كل شيء. هذا ما كتبه Erchembert الراهب في دير مونت كاسينو في القرن الحادي عشر."

2- (الإسلاموفوبيا) ونظرية مصدر الخطر

والمشكلة أن الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، بات يترجم تلقائياً إلى سياسات وممارسات عدائية وحروب استباقية يشنّها الغرب ضد العالم الإسلامي بمبرر التصدي للخطر الإسلامي المزعوم قبل وقوعه.

ظاهرة (الإسلاموفوبيا) لم تحدث بعفوية في المجتمعات الغربية. فثمة أطراف غربية عديدة تجد أنها مستفيدة من تسويق نظرية مصدر الخطر الإسلامي، وقد تورط زعماء وسياسيون ومفكرون غربيون منذ نحو عقدين من الزمن في التنظير للبحث عن عدو جديد، وفي الترويج لخطر إسلامي أخضر يهدد الحضارة الغربية بعد سقوط الإتحاد السوفياتي. وقد جاءت نظرية صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون التي بشرت بصدام حتمي قادم بين الحضارة الغربية الأنجلوسكسونية وبين الحضارة الإسلامية، في هذا السياق.

الخوف من تهديد الإسلام لأوروبا بات حاضراً بقوة في اهتمام حكومات وأحزاب وقيادات سياسية وفكرية ودينية غربية. والمثير في الأمر، أن تصاعد حملات التخويف من الإسلام يأتي في ظل حالة ضعف شديد تنتاب العالم الإسلامي وتجعله في موقع دفاع لا هجوم!

هذه المسألة لم تكن في ألمانيا حادة أو محورية. صحيح أن هناك بعض الأصوات والممارسات تؤجج التطرف ضد العرب والمسلمين، غير أنها لا تجد أرضية رسمية حكومية وتمثيلية لها، في شططها الديني أو القومي المتطرف. أما على المستوى الشعبي فالواقع أن هذه الظاهرات تبقى معزولة عن الإدراك الشعبي العام أو مؤثرة. ويتحمل العرب والمسلمون المقيمون على الأراضي الألمانية مسؤولية أساسية في توضيح صورة الإسلام السمحة والإنسانية والمواكبة لتطورات الإنسانية وحق الناس بالعدالة والمساواة في الإنتاج والعيش وتحقيق الذات المجتمعية على أسس حضارية متفاعلة مع الواقع.

3- الجهل بالإسلام

ثمة جهل فاضح بالإسلام والثقافة الإسلامية بين كثير من المتخصصين، فكيف الحال بالنسبة للمواطنين العاديين في الغرب الذين ربما لم تتح لكثيرين منهم فرصة التعرف على الإسلام. وإذا كان الجوار الجغرافي وتاريخ العلاقة الطويل بين أوروبا والعالم الإسلامي، أتاح للشعوب الأوروبية مقداراً أكبر للفهم والمعرفة والاطلاع، فإن بعد الولايات المتحدة جغرافياً عن العالم الإسلامي، وفترة التواصل الحضاري القصيرة نسبياً تبرر أن يكون جهل الأمريكيين بالإسلام أكبر.

فالشعب الأمريكي لا يعرف سوى القليل عن الإسلام، ويكاد العالم العربي والإسلامي يكون غائباً عن نظم التعليم والبرامج التربوية في الولايات المتحدة، كما أن المكتبات الأمريكية لم تنتج سوى قدر محدود من المعلومات عن العرب والمسلمين. ربما تكون بعض الجامعات الأمريكية بدأت مؤخراً بتقديم مقررات تتناول العالم العربي إلا أن ذلك ما يزال محدوداً للغاية.

لكن ينبغي الإشارة إلى أن هذا الجهل بالإسلام قد يبرر بعض الصور الخاطئة التي يحملها المواطن الغربي للعرب والمسلمين، غير أنه لا يبرر بأي حال النظرة السلبية للحكومات الغربية التي لا تصدر في مواقفها للعالم الإسلامي عن جهل وإنما عن مصالح وإنتقائية في العلاقات.

4- نزعة التميز والتفوق والاستعلاء وعدم الاعتراف بالآخر

فكثير من الغربيين لا يعترفون بالإسلام كدين سماوي، ولا يعترفون بالثقافة أو الحضارة الإسلامية كحضارة إنسانية ذات رسالة تستحق الاحترام، بل ولا يقرّون بوجود كيان سياسي مستقل للعرب والمسلمين، ويعملون على نفي هذا الكيان والغائه لصالح كيانات بديلة لا تحمل هوية عربية أو إسلامية. فالولايات المتحدة تتحدث عن "شرق أوسط كبير"، وتصر على التعامل مع دول عربية وإسلامية مجزأة وضعيفة لا مع كتلة موحدة أو عالم عربي أو إسلامي قوي وكبير.

ورافق الإنكار الغربي للإسلام كدين إلهي وللإسلام كثقافة وهوية، نزعة استعلائية قامت على الشعور بالتميز والتفوق على الآخر. صحيح أن نزعة العنصرية والتفوق العرقي تهاوت في أوروبا مع سقوط الحركات النازية والفاشية، لكننا الآن أمام

ملامح عنصرية من نوع جديد لا بد من التصدي لها وتلك مسؤولية مشتركة أوروبية، عالمية عربية وإسلامية ومسيحية.

5- القلق من تنامي الأقليات الإسلامية في أوروبا

فالوجود الإسلامي في الغرب لم يعد "وجوداً سائحاً عابراً، أو مسافراً قاصداً، بل تعدى ذلك لأن يكون مواطناً أصيلاً ورقماً مهماً" كما يرى ونيس المبروك أستاذ الفقه والعقيدة بالكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في ويلز. فمن بين نحو 432 مليون مسلم يعيشون كأقليات، يعيش نحو 50 مليوناً منهم في أوروبا، وهو رقم ينظر إليه المتعصبون الأوروبيون بكثير من الاستياء، ويتعاملون معه بعنصرية فجّة، ويرون فيه خطراً مستقبلياً داهماً ينبغي مواجهته. وفي ظل هذه الأجواء أضحت مسألة الهجرة من العالم العربي والإسلامي إلى أوروبا مصدر قلق لكثير من الحكومات الغربية. خصوصاً مع لجوء مئات آلاف من السوريين اليها، إثر ازدياد العنف داخل سوريا، وقد قصدوا ألمانيا لهذه الغاية التي استقبلت أعداداً كبيرة منهم، وشكل هذا الامر ظاهرة إيجابية.

وقد تزايدت قوة الأحزاب الغربية اليمينية المتطرفة والحركات العنصرية التي تبدي مواقف عدائية تجاه الأقليات في أوروبا، وتحرّض على وجه الخصوص ضد الأقليات الإسلامية سريعة النمو، مقابل نسب خصوبة منخفضة في المجتمعات الغربية الأصلية.

6- أحداث الحادي عشر من سبتمبر

لقد أثرت هذه الأحداث عميقاً في وعي الغربيين ونظرتهم للإسلام والمسلمين، ولا سيما أنها استغلت بأبشع صورة من قبل المروجين لنظريات مصدر الخطر الإسلامي وحتمية الصدام الحضاري مع العالم العربي والإسلامي، حيث رأوا فيها فرصة ذهبية لترويج نظرياتهم، ولاستدعاء الأحقاد التاريخية ومشاعر العداء الدفينة تجاه الحضارة الإسلامية.

وقد ذهب البعض إلى القول بأن هذه الأحداث شكلت نقطة تحول ومفصلاً مهماً في تاريخ العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، لن يكون من السهل إغفالها وتجاهلها وتجاوز تداعياتها، لا سيما أن المتهمين بالوقوف وراء التفجيرات هم

3- الجهل بالإسلام

ثمة جهل فاضح بالإسلام والثقافة الإسلامية بين كثير من المتخصصين، فكيف الحال بالنسبة للمواطنين العاديين في الغرب الذين ربما لم تتح لكثيرين منهم فرصة التعرف على الإسلام. وإذا كان الجوار الجغرافي وتاريخ العلاقة الطويل بين أوروبا والعالم الإسلامي، أتاح للشعوب الأوروبية مقداراً أكبر للفهم والمعرفة والاطلاع، فإن بعد الولايات المتحدة جغرافياً عن العالم الإسلامي، وفترة التواصل الحضاري القصيرة نسبياً تبرر أن يكون جهل الأمريكيين بالإسلام أكبر.

فالشعب الأمريكي لا يعرف سوى القليل عن الإسلام، ويكاد العالم العربي والإسلامي يكون غائباً عن نظم التعليم والبرامج التربوية في الولايات المتحدة، كما أن المكتبات الأمريكية لم تنتج سوى قدر محدود من المعلومات عن العرب والمسلمين. ربما تكون بعض الجامعات الأمريكية بدأت مؤخراً بتقديم مقررات تتناول العالم العربي إلا أن ذلك ما يزال محدوداً للغاية.

لكن ينبغي الإشارة إلى أن هذا الجهل بالإسلام قد يبرر بعض الصور الخاطئة التي يحملها المواطن الغربي للعرب والمسلمين، غير أنه لا يبرر بأي حال النظرة السلبية للحكومات الغربية التي لا تصدر في مواقفها للعالم الإسلامي عن جهل وإنما عن مصالح وانتقائية في العلاقات.

4- نزعة التميز والتفوق والاستعلاء وعدم الاعتراف بالآخر

فكثير من الغربيين لا يعترفون بالإسلام كدين سماوي، ولا يعترفون بالثقافة أو الحضارة الإسلامية كحضارة إنسانية ذات رسالة تستحق الاحترام، بل ولا يقرّون بوجود كيان سياسي مستقل للعرب والمسلمين، ويعملون على نفي هذا الكيان والغائه لصالح كيانات بديلة لا تحمل هوية عربية أو إسلامية. فالولايات المتحدة تتحدث عن "شرق أوسط كبير"، وتصر على التعامل مع دول عربية وإسلامية مجزأة وضعيفة لا مع كتلة موحدة أو عالم عربي أو إسلامي قوي وكبير.

ورافق الإنكار الغربي للإسلام كدين إلهي وللإسلام كثقافة وهوية، نزعة استعلائية قامت على الشعور بالتميز والتفوق على الآخر. صحيح أن نزعة العنصرية والتفوق العرقي تهاوت في أوروبا مع سقوط الحركات النازية والفاشية، لكننا الآن أمام

ملامح عنصرية من نوع جديد لا بد من التصدي لها وتلك مسؤولية مشتركة أوروبية، عالمية عربية وإسلامية ومسيحية.

5- القلق من تنامي الأقليات الإسلامية في أوروبا

فالوجود الإسلامي في الغرب لم يعد "وجوداً سائحاً عابراً، أو مسافراً قاصداً، بل تعدى ذلك لأن يكون مواطناً أصيلاً ورقماً مهماً" كما يرى ونيس المبروك أستاذ الفقه والعقيدة بالكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في ويلز. فمن بين نحو 432 مليون مسلم يعيشون كأقليات، يعيش نحو 50 مليوناً منهم في أوروبا، وهو رقم ينظر إليه المتعصبون الأوروبيون بكثير من الاستياء، ويتعاملون معه بعنصرية فجّة، ويرون فيه خطراً مستقبلياً داهماً ينبغي مواجهته. وفي ظل هذه الأجواء أضحت مسألة الهجرة من العالم العربي والإسلامي إلى أوروبا مصدر قلق لكثير من الحكومات الغربية. خصوصاً مع لجوء مئات آلاف من السوريين اليها، إثر ازدياد العنف داخل سوريا، وقد قصدوا ألمانيا لهذه الغاية التي استقبلت أعداداً كبيرة منهم، وشكل هذا الامر ظاهرة إيجابية.

وقد تزايدت قوة الأحزاب الغربية اليمينية المتطرفة والحركات العنصرية التي تبدي مواقف عدائية تجاه الأقليات في أوروبا، وتحرّض على وجه الخصوص ضد الأقليات الإسلامية سريعة النمو، مقابل نسب خصوبة منخفضة في المجتمعات الغربية الأصلية.

6- أحداث الحادي عشر من سبتمبر

لقد أثرت هذه الأحداث عميقاً في وعي الغربيين ونظرتهم للإسلام والمسلمين، ولا سيما أنها استغلت بأبشع صورة من قبل المروجين لنظريات مصدر الخطر الإسلامي وحتمية الصدام الحضاري مع العالم العربي والإسلامي، حيث رأوا فيها فرصة ذهبية لترويج نظرياتهم، ولاستدعاء الأحقاد التاريخية ومشاعر العداء الدفينة تجاه الحضارة الإسلامية.

وقد ذهب البعض إلى القول بأن هذه الأحداث شكلت نقطة تحول ومفصلاً مهماً في تاريخ العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، لن يكون من السهل إغفالها وتجاهلها وتجاوز تداعياتها، لا سيما أن المتهمين بالوقوف وراء التفجيرات هم

مسلمون، وأن المستهدفين بها ينتمون إلى القوة الدولية الأعظم، والمنفذون جرى تنظيمهم في "خلية هامبورغ" بألمانيا. إن تداعيات هذا الحادث الخطير جرى تجاوزها في ألمانيا بأقل الخسائر الممكنة لدى الجانبين المسلم العربي والألماني. وعلى المسلمين والعرب هناك تجييش إمكاناتهم الإعلامية والحوارية للتعريف بمبدأ محاربة الإسلام للإرهاب كمفهوم ومسار إستناداً إلى تاريخانية المسألة والتسامح المبدئي الديني.

7- الدور السلبي للمستشرقين

على الرغم من أن عدداً من المستشرقين أظهروا قدراً معقولاً من التوازن والموضوعية في دراساتهم عن الإسلام، فإن ظاهرة الاستشراق يتم تصنيفها في إطار بوصفها عملاً عدائياً سلبياً منظماً استهدف تشويه صورة العروبة والإسلام والثقافة الإسلامية. وقد ربطت صلات وثيقة بين كثير من المستشرقين وبين مؤسسات سياسية وأمنية غربية استخدمت المستشرقين لتحقيق مآربها وأهدافها الاستعمارية. ومن المؤسف أن كتابات بعض هؤلاء المستشرقين عن العرب والمسلمين أسهمت في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، وكان لها أثر بالغ السلبية في نقل صورة غير حقيقية للغربيين عن الإسلام.

كانت المجتمعات العربية في تلك المرحلة تعيش في حالة سبات وركود، جراء خضوعها لأنماط من العيش، فرضها عليها الحكم الغاشم الذي إحتل بلادنا. وقد خضعت المعرفة الثقافية في حينه، لأنواع متخلفة من السلوكية الإنسانية والإجتماعية، ما جعلنا نتلقى صدمات الحداثة التي بدأت تعصف بالمشرق مشوهة، بل متدنية من حيث مسارها ومفعولها المعرفي. وكانت عملية الإستمداد الإقتصادي والإجتماعية التي إقتبسناها من الغرب تصل الينا مبتسرة المعاني والمدلولات، مفرغة من مضامينها التي تلقاها العثمانيون الذين كانوا يحكموننا بعملية إمتصاص وتصفية رقابية لها، فأخذوا منها ما يفيدهم في تقوية جيوشهم وسلطنتهم ورفضوا مقوماتها وأبعادها التطويرية أو التنويرية المجتمعية.

في ظل تلك الحالة الملتبسة في مواجهة الحداثة الوافدة إلينا، كان المستشرقون الغربيون خلال زياراتهم إلى بلادنا لإكتساب المعرفة التاريخية يتماهون مع الحالة الماضوية السائدة بإنصرافهم إلى البحث والتنقيب في التراث القديم، مبتعدين

عن مكامن التطلعات المشتعلة في نفوس النهضويين ضد الإستعمار ورغباتهم في التغيير والتقدم. وإذا أردنا الإنصاف في القول، فإن التفاعل بين المستشرقين الوافدين، والنخب النهضوية العربية إسلامية ومسيحية كان متدنياً جداً.

8- الواقع الحالي للمجتمعات العربية والإسلامية

إذا كان الغرب يقدّس القوة، ويحترم الأقوياء، فإن ضعف المجتمعات العربية، وواقعها السياسي والاقتصادي والتكنولوجي البائس، كان سبباً في ازدراء كثير من الغربيين لهذه المجتمعات. صحيح أن أطرافاً عديدة سعت لتشويه صورة العالم العربي والإسلامي، غير أن الصحيح أيضاً أن الواقع العربي والإسلامي منح بعض المصداقية لدعاوى المحرضين وأتاح لهم فرصة تسويق مزاعمهم وأباطيلهم. ونتيجة المؤثرات في وعي ومدركات كل طرف عن الآخر، تشكلت مجموعة من الصور النمطية السالبة.

ومن هنا تقع على عاتق العرب المقيمين في أوروبا مسؤولية أساسية في تطوير نظرة سكان الدول التي يقيمون فيها إليهم وتحسين صورتها والإندماج الطوعي في تلك المجتمعات. ويبدو أن التجربة الألمانية، في هذا المجال، تعتبر من التجارب الناجحة نسبياً، فهي تتطور بخطوات متقدمة وملحوظة.

الوجود الإسلامي في ألمانيا (البدايات – التطور والمآل)

لم يكن في ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية وجود إسلامي ملحوظ. كان هناك بعض الدارسين من الطلاب المسلمين الذين وفدوا إلى الجامعات الألمانية للتعلم فيها. وقد شكلوا، في حينه، أقلية إندمج خلالها العديد من هؤلاء القادمين إلى الربوع الألمانية في ذلك المجتمع فتزوجوا من ألمانيات وإندمجوا مع السكان. كما أن بعض المسلمين الأتراك من الذين وفدوا إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى للتدرب فيها، بناء على التحالف التركي الألماني الذي برز خلال تلك الحرب، كانوا إستقروا هناك وإندمجوا مع المجتمع.

غير أن النظام الفاشي الهتلري جند فيلقاً خاصاً في جيشه من المسلمين لإعتقاده بأنهم محاربون أكفاء. وقد تمت إبادته، ومن بقي منه حياً، جرى زجه في المعتقلات التابعة للحلفاء لحين خروجه منها. وقد إستقر بعض هؤلاء في ألمانيا

واندمجوا فيها.

يوجد حالياً في ألمانيا 3,3 مليون مسلم وبعضهم يقدرهم بأربعة ملايين، ويضمن الدستور حرية هؤلاء إستناداً إلى مبدأ الإعتقاد والفكر المكرس فيه. ترجع بداية هجرة العرب الكبرى إلى ألمانيا، بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك في وقت متأخر، مقارنة بفرنسا وبريطانيا.

قبل ذلك، تواجد هناك بعض الطلبة الدارسين في جامعاتها، وقد إضطروا للبقاء فيها بسبب إنقطاع المواصلات ومنهم من إستقر فيها. حضر العرب إليها للمشاركة في إعادة الإعمار، كونها كانت بحاجة إلى الأيدي العاملة لسد النقص الشديد الذي خلفته الحرب، حيث قام أرباب العمل الألمان آنذاك، ببذل جهود متواصلة لإستقدام أعداد كبيرة من الأيدي العاملة من دول العالم الثالث، وفي مقدمتهم العرب والمسلمون إلى جانب الأتراك الذين وفدوا إليها بالآلاف، بناء على إتفاقية تركية ألمانية جرى توقيعها بين الجانبين إستناداً إلى العلاقة التي توثقت بينهما خلال الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي. وقد بلغ عدد العمال الأتراك العاملين والمهاجرين إلى ألمانيا عدة ملايين.

إزدادت أهمية الإسلام من خلال موجات الهجرة. وهناك مسلمون في ألمانيا يعيشون فيها وفدوا إليها من 50 بلداً. ويوجد فيها 2600 مسجد ومصلى ومكان تجمع للمسلمين، ومنها أكثر من 100 عبارة عن مساجد لها قبة. وقد أقيمت على ضفاف تلك المساجد عشرات المراكز الدينية والثقافية الإسلامية، كما برزت بعض الزوايا الدينية الخاصة بالسلفيين والمتصوفين، وهم يعملون بحرية تامة من ضمن القوانين الألمانية المرعية الإجراء. وأبرز هذه المراكز والمساجد والتجمعات موجودة في مدن مثل آخن Achen، هامبورغ Hamburg، برلين Berlin، بون Bonn.

ولا شك أن عمل العديد من هذه المراكز والزوايا قد تأثر بالإجراءات الأمنية التي طغت على نشاطها إثر إحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م. غير ان الأمور سرعان ما عادت إلى طبيعتها ومجراها بعد إنحسار التأثيرات التي سيطرت على الأجواء بسبب العمليات الإرهابية التي وقعت في مختلف أنحاء العالم في تلك المرحلة العصيبة.

وقد كان لإكتشاف "خلية هامبورغ" ومسؤوليتها في تلك الأحداث الأثر البالغ في تعزيز الإجراءات الأمنية.

ويلعب الإرهاب الذي يمارسه المسلمون المتشددون (جماعة القاعدة وأمثالها) أصحاب الآراء الدينية المتطرفة دوراً حال دون تطوير المناخات الصحية التي بدت مزدهرة في الأجواء الألمانية بين المسلمين والألمان. وهناك دور مهم للجمعيات والتنظيمات والمؤسسات الثقافية الإسلامية عليها أن تلعبه في سبيل إزالة الغشاوة والتأثيرات التي تسيطر على العديد من الألمان، جراء النشاطات الإرهابية التي يقوم بها هؤلاء. يجب التركيز على دور الإسلام الحضاري في التعايش بين الناس والشعوب مهما إختلفت أجناسهم ومشاربهم. كما أن لهذه المؤسسات والمراكز والجمعيات دور مهم يجب أن تلعبه في ظل تصاعد موجة اليمين الألماني المتشدد في بعض المدن والمواجهات التي حصلت بين أنصار هذا التيار المعزول شعبياً وإسلاميين سلفيين متشددين وفي ولاية شمال الراين في وستفاليا.

صحيح أن هذا التيار ضعيف ولا يمثل تنظيماً كبيراً ذا تأثير لكن جموح السلفيين يؤثر في نمو شعبيته إيجاباً. لذلك من الطبيعي أن يكون هناك مقاومة إسلامية للتطرف السلفي، كي لا يتعزز وجود هذا التيار الألماني العنصري المتشدد، ما يؤثر سلباً على أسس التعايش والإندماج الحاصل بين المهاجرين المسلمين والألمان.

الهجرة: أسس الحوار والإندماج (التطور والمآل)

منذ 2005م ينظم قانون الهجرة الجديد الهجرة الوافدة إلى ألمانيا والتي يندرج فيها دخول نسبة واسعة من المسلمين إلى البلاد. وتسعى الحكومة الألمانية لتوسيع أسس الحوار بين المهاجرين والمسلمين العرب في مقدمهم والشعب الألماني ومؤسساته وحكومته.

هناك تجارب كثيرة ومشجعة في تلك الأثناء على مختلف المستويات – بالرغم من أن الحوار بين الثقافات ليس بالمهمة الهينة. وكثيرا ما عبر الرئيس السابق لجمهورية ألمانيا الاتحادية يوهانس راو عن دعمه الواضح للحوار مع المجتمعات المسلمة، مثله مثل رومان هرتسوغ، سلفه في هذا المنصب. كما تولى رعاية عدد من

ندوات الحوار على المستويين الوطني والدولي.

ومنذ عام 1997م والحكومة الألمانية تنظم بالتداول في ألمانيا وفي أحد البلدان العربية "الحوار الإعلامي الألماني – العربي". وكانت آخر ندوتين في ربيع عام 2004 في كل من بيروت وأبو ظبي. ولقد أسس هذا البرنامج منبرا لتبادل حر وصريح للآراء بين ممثلي وسائل الإعلام العرب والألمان. وكانت وزارة الخارجية الألمانية قد قررت في كانون الأول/ديسمبر 2001م بشكل مشترك مع المؤسسات الوسيطة المعنية بالشؤون الثقافية الخارجية في أعقاب الاعتداءات الإرهابية أن تقوي من النشاطات الخاصة بالحوار بين الثقافات. كما تتبع مبادرات للحوار في كل حين من داخل المجتمع نفسه؛ فما ينظمه معهد العلاقات الخارجية (ifa) في هذا المجال أو مؤسسة التنمية والسلام (SEF)، يعد من النماذج الهامة في ألمانيا.

مؤتمر يسعى لترسيخ مفهوم الاندماج إعلامياً

تتحدث الصحف طوال الوقت عن الاندماج في ألمانيا، بوصفه واحدا من الأمور التي تشغل المجتمع كثيرا ومع ذلك يظل السؤال: هل ألمانيا بالفعل بلد الاندماج؟ الاجابة عن هذا التساؤل بالإضافة لمجموعة أخرى من التساؤلات كانت على رأس الموضوعات التي عالجها مؤتمر ألمانيا لمفوضي الحكومة والولايات والمحليات لشؤون الاندماج، والذي انعقد لمدة يومين في مدينة ميونخ.

فقد ناقش المؤتمر كيف تعرض وسائل الإعلام الاندماج؟ هل يمكن اعتبار تنوع موضوعات الاندماج محسوساً في وسائل الإعلام؟ أم هل يقتصر العرض على المجموعات التي تمثل مشكلة؟ وهل يتم اجترار الصور الإعلامية الموجودة بالفعل؟ كيف ترى ألمانيا ذلك وكيف يرى الآخرون ألمانيا؟

وقد أوضحت ماريا بومر، وزيرة الدولة ومفوضة الحكومة الألمانية لشؤون الاندماج، في افتتاح مؤتمر حمل شعار "الفهم والواقع – ألمانيا بلد الاندماج" أن هناك فجوة بين الواقع وبين ما يتم إدراكه من ذلك الواقع. وقالت أيضا بهذه المناسبة:"تبدأ اليوم، الاثنين 9 مايو/ آيار، عملية التعداد في ألمانيا ولأول مرة في بلدنا يتم السؤال عن خلفية الوطن الأصلي. هذا يعني اعتراف واضح بأن ألمانيا بلد الاندماج، وهذا أمر جيد..(...)

وعلى مدى يومين (9 و10 مايو/ أيار) كان موضوع "وسائل الإعلام والاندماج" هوالموضوع الرئيس الذي تركز عليه المؤتمر كما نوقشت بصورة مكثفة موضوعات أخرى منها: "ما الذي يعتبر ألمانياً؟" و"هل من المبرر أن يُطلق على شخص ولد في ألمانيا تسمية "مهاجر"؟" وذلك في خمسة منتديات تبعت المؤتمر.

وأكدت بومر إن اندماج المهاجرين يمثل بالنسبة للحكومة الألمانية والائتلاف أعلى الأولويات. في الوقت الذي يكتفي فيه الآخرون بالحديث نعمل نحن للاستفادة من الأشخاص المنحدرين من أسر مهاجرة في بلدنا. ويتضح ذلك أيضاً من خلال إدخال حق البقاء القانوني بالنسبة للشباب الأجانب المندمجين جيداً. وبهذا القانون يتم الاعتراف بجهود الاندماج التي يبذلها من يعمل معنا بنشاط. وهي تُعد رسالة مهمة للمهاجرين الآخرين.

وقد نجحت ماريا بومر وزيرة الدولة ومفوضة شؤون الاندماج في إنشاء المجلس الاتحادي للاندماج والذي يعمل من أجل دعم وإرساء مبدأ الحوار بمعناه الأساسي وهو: "إننا لا نتحدث عن بعضنا ولكن نتحدث مع بعضنا".

وترأس وزيرة الدولة بومر هذا المجلس، حيث أكدت أنه حان الوقت لإنشاء مجلس يطبق برنامجا للعمل المشترك انطلاقاً من اتفاق الائتلاف.ومن المقرر أن يدعم هذا المجلس التعايش والتكاتف جنباً إلى جنب في بلدنا حيث أن الاندماج كمهمة مستقبلية محورية سيظل موضوعاً أساسياً لدى الحكومة الألمانية.وفي الوقت ذاته يقوم المجلس على مبدأ الحوار بمعنى 'إننا لا نتحدث عن بعضنا ولكن نتحدث مع بعضنا'. "مما يؤكد أن مبدأ سياستي بصفتي مفوضة الحكومة الألمانية لشؤون الاندماج قد أثبت نجاحه."

سيتألف المجلس من 32 عضواً معيناً، من بينهم ممثلون عن منظمات معنية بالمهاجرين تنوي بومر تعيينهم.

كما سيضم ممثلين عن الجمعيات الأهلية والمؤسسات المانحة ومكتب العمل الاتحادي وأصحاب العمل والنقابات والقطاع الرياضي والرعاية الاجتماعية التطوعية والكنائس والجاليات الدينية وممثلين من مجال العلوم والبحوث. كما سيتم الاستعانة بأشخاص ذوي مكانة في المجتمع الألماني. أما منصب الضيف الدائم فسيتناوب عليه

كل من رئيس أو رئيسة اللجنة الداخلية للبرلمان الألماني ورئيس أو رئيسة المؤتمر الوزاري للاندماج وكذا ممثل أو ممثلة عن وزارة الداخلية الاتحادية.

وأضافت بومر أن المجلس سيهتم بالنقاط الأساسية للاندماج والتي تتمثل في اكتساب اللغة والتعليم والتدريب والتأهيل وسوق العمل.

كانت مشكلة الإندماج السبب الأهم في تعقيد إجراءات قبول المهاجرين في ألمانيا، وخصوصاً مع وجود آلاف المهاجرين الذين لا يتقنون اللغة الألمانية، ومنهم من ينعزل في ما يشبه الـ"غيتوات" المغلقة التي لا تضم سوى أبناء جاليته، إضافة إلى ضعف العامل الثقافي لدى البعض، الذي يعزز الإنطوائية وعدم قبول الآخر أو القدرة على فهمه. لذلك كان موضوع الإندماج دائماً على جدول أعمال الساسة الألمان في السنوات الأخيرة، حيث أطلقت المستشارة الحالية أنجيلا ميركل منتدى بعنوان: "حوار حول مستقبل ألمانيا" يتيح للمواطنين عبر الإنترنت أو الحديث المباشر تقديم إقتراحات للمستشارة بشأن ثلاثة أسئلة كبرى هي: "ما هي صورة التعايش التي نريدها؟ من أي شيء نريد أن نحيا؟ كيف نريد أن نحيا؟".

وقد أجرت ميركل أحاديث مع مواطنين[4] في ثلاث مدن ألمانية، وكانت غالبية هؤلاء المواطنين من الناشطين في الإتحادات الإقليمية وروابط ومنظمات المجتمع المدني وقطاع الإقتصاد والثقافة. وثمة شاهد على إمكان إنجاح سياسة الإندماج لدى البعض، هو الفتاة الفلسطينية سوسن شبلي، التي نجحت في أن نصبح أول إمرأة من أصول أجنبية تتولى رئاسة قسم حوار الثقافات لدى وزارة داخلية الحكومة المحلية في ولاية برلين.

الشباب المسلم في ألمانيا.....الغرباء في وطنهم؟

ثمة دراسة جديدة تسلط الضوء على عوالم حياة الشباب المسلم في ألمانيا. بريتا ميرش[****] تحدثت عن نتائج هذه الدراسة مع نايكا فوروتان من معهد العلوم

---

[4] صحيفة "الأخبار" اللبنانية العدد 21719.

[****] بريتا ميرش: صحفية ألمانية وقد أجرت هذا الحوار مع الدكتورة نايكا فورتان التي تعمل في معهد العلوم الإجتماعية في جامعة هومبولدت في برلين، حيث تدير مشروع أبحاث يتناول نماذج الهويات الأوروبية المسلمة المختلطة (HEYMAT) الذي تموله مؤسسة فولكسفاغن. وقد نشر الحوار في موقع: قنطرة (2012م).

الاجتماعية في جامعة هومبولدت في برلين.

- **من أين أنت؟ كيف هي أحوالك في ألمانيا؟ هل تشعرين أنك ألمانية أكثر أم تركية؟" يُطرح هذا النوع من الأسئلة على الشباب والشابات عندما يبدو مظهرهم مختلفًا عن الألمان الذين لا تنحدر أصولهم من بلدانٍ أخرى. هل تثير هذه الأسئلة حفيظة هؤلاء الشباب والشابات؟**

* **نايكا فوروتان:** عبر هذه الأسئلة يُقال لهم بالحد الأدنى إنهم يتسمون بشيءٍ أجنبي. بيد أنّ هؤلاء الشباب والشابات يعيشون غالبًا في ألمانيا وينتمون لجيل المهاجرين الثاني أو الثالث، ويتكلمون الألمانية بطلاقة، ويعرفون الحياة اليومية في ألمانيا حق معرفة، وفي المقابل ربما لا يعرف كثيرون منهم الوطن الأم إلا من خلال ما يروى لهم عنه.

هذه هي حال الأطفال ذوي الأصول الإيرانية مثلاً، ممن جاء ذويهم إلى ألمانيا لأسبابٍ سياسيةٍ في مطلع الثمانينيات، حيث لم يذهب هؤلاء في الأعوام الثلاثين الماضية إلى ما يسمى بلدهم الأصلي أبدًا، لأن آباءهم وأمهاتهم كانوا قد اضطروا للتخلي عن جوازات سفرهم بعدما تقدموا بطلبات اللجوء السياسي ولم يعد باستطاعتهم العودة ثانية إلى بلدهم. لذا تُثير أسئلةٌ كهذه حفيظة بعض الشابات والشباب بالفعل، إذ لطالما يضع السائل وعيهم بذاتهم واعتبار أنفسهم ألمانا موضع الشك والتساؤل. وثمة بعضٌ آخر اعتاد على هذه الأسئلة منذ فترةٍ طويلةٍ وشكّل لنفسه تبعًا لذلك هويةً عرقيةً.

- **ما هي معالم هذه الهوية؟**

* "تعدد الهويات": كثيرٌ من المهاجرين في ألمانيا يشعرون بانتمائهم إلى عدة ثقافات. فوروتان: غالبًا ما يكون هؤلاء الشباب والشابات قد قضوا مجمل مرحلة تشكيل هويتهم في ألمانيا، ولا يملكون معرفةً جيدةً ببلدانهم الأصلية، لأنهم لا يلمُّون بالحياة اليومية هناك. ومع ذلك شكَّل هؤلاء هويةً عرقيةً خاصةً بهم، نسميها نحن "تقليدًا مُبتكرًا" invented tradition، أي تقليدٌ مختلقٌ يتوافق مع نظرة المجتمع الألماني لهؤلاء الشباب. هم يَجمعون بين ثقافة مجتمع الأغلبية الذي يعيشون فيه وثقافة المجتمع الذي تنحدر منه أسرهم.

- هل يعني هذا أنّ الشباب يحاول الجمع بين العالم الذي يعيش فيه، والعالم الذي أتى منه آباؤه أو أجداده؟

* **فوروتـان:** لا يشعر الجيل الناشئ بأنه يقف بين عالمين، إنما يرى أنّ انتماءه إلى ثقافتين أمر بديهي، وبالتالي يطوّر شكلاً خاصًا بالوعي بالذات. أحد الزملاء وصف هذا الأمر بمصطلح "الكرسي الثالث". يجمع هؤلاء الشباب والشابات بين ثقافة مجتمع الأغلبية وثقافة المجتمع الذي تنحدر منه أسرهم وتنشأ عن ذلك هويتهم الرئيسة. أتكلم هنا عن هوياتٍ هجينةٍ، وأعني بذلك هوية الناس الذين يشعرون بانتمائهم إلى فضاءاتٍ ثقافيةٍ عديدةٍ. لم تترسخ هذه المفاهيم بعد. وغالبًا ما يجري الحديث عن مهاجرين أو عن أناس من أصولٍ مهاجرةٍ – حتى وإنْ كان المصطلح موضع خلاف.

كما أنّ استخدامه لا يجري بطريقةٍ صحيحةٍ تمامًا، حيث إنّ مصطلح مهاجر ينطبق على الجيل الأول من المهاجرين فقط. أما مصطلح "أشخاص ذوي أصول مهاجرة" فيعني أولئك الذين يعيشون بالفعل في ألمانيا وينتمون للجيل الثاني أو الثالث ويحملون الجنسية الألمانية. بيد أنّ هذا المفهوم يظهر على وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بأناسٍ من أصولٍ مهاجرةٍ معيّنةٍ، أي على سبيل المثال من أصولٍ تركيةٍ وإسلاميةٍ، وهذه تصنّف غالبًا باعتبارها إشكالية.

الاندماج بدل الانعزال

على الرغم من أوجه النقص في مجال التعليم وتطوره أوضحت دراسة للمكتب الاتحادي للمهاجرين واللاجئين تحت عنوان "حياة المسلمين في ألمانيا" أن الاندماج الاجتماعي للمسلمين أفضل كثيراً من صورته النمطية. الباحثة الإجتماعية سونيا هاوغ(*****) تلخص نتائج الدراسة.

أظهرت الدراسة أن الغالبية العظمى من المسلمين في ألمانيا متدينون إلى حد كبير، خاصة أولئك من أصول تركية أو المنحدرين من بلدان أفريقية.

(*****) سونيا هارغ: باحثة إجتماعية وأستاذة مساعدة في جامعة ماينتس الألمانية والمعهد التربوي العالي في شفبيش-غموند. وتشرف على المجال البحثي "الدراسات الإجتماعية التجريبية-الإدارة العلمية لبرنامج طلبة الدكتوراه في "المكتب الإتحادي للمهاجرين واللاجئين. نشرت هذه الدراسة في موقع: قنطرة (2010م).

بتكليف من "مؤتمر الإسلام" الألماني تم في عام 2008م استطلاع آراء أشخاص، ينحدرون من العديد من البلدان الإسلامية في إطار دراسة مثلت جميع أنحاء ألمانيا وأجريت لصالح المكتب الألماني للاندماج واللاجئين. وتستند الدراسة على معلومات عن قرابة 17 ألف شخص، كما أنه تقدم معلومات عن "حياة المسلمين في ألمانيا". ومن غير المناسب تقديم تقييم شامل لهذه المجموعة من السكان في ضوء اختلاف سياق الأصل ودوافع الهجرة ومدة الإقامة وقصص النجاح أيضاً. إن هذا الإسقاط على أساس سؤال مباشر عن الانتماء الديني قاد إلى نتيجة مفادها أن قرابة أربعة ملايين مسلم يعيشون في ألمانيا. وبذلك فإن المسلمين يشكلون جزءاً مقداره نحو خمسة في المائة من سكان ألمانيا وقرابة ربع الأشخاص المنحدرين من أصول مهاجرة في ألمانيا. أما أكبر طائفة منهم فهي من السنة بنسبة 74 في المائة، يليها العلويون بنسبة 13 في المائة، ومن ثم الشيعة بنسبة 7 في المائة.

أرقام وحقائق

وتشير الأرقام إلى أن قرابة 45 في المائة من المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا وينحدرون من أصول مهاجرة يحملون الجنسية الألمانية. وما يقرب من 2.6 مليون منهم ينحدرون من تركيا، بينما يبلغ تعداد المنحدرين من دول جنوب شرق أوروبا كالبوسنة والهرسك وبلغاريا وألبانيا 550 ألف شخص. أما ثالث أكبر جالية مسلمة في ألمانيا فيبلغ تعدادها 330 ألف مهاجر من بلدان منطقة الشرق الأوسط كلبنان والعراق ومصر وسوريا.

وعدد المهاجرين المنحدرين من بلدان شمال أفريقيا، من المغرب في المقام الأول، فيصل إلى 280 ألف مسلم يعيش في ألمانيا. أما الجزء المتبقي فيشكله المسلمون المهاجرون من دول آسيا الوسطى/ رابطة الدول المستقلة وإيران وجنوب شرق آسيا وباقي الدول الأفريقية.

إضافة إلى ذلك يتضح أن الكثير من الأشخاص من ذوي الأصول المهاجرة من هذه البلدان هم من غير المسلمين، فعلى سبيل المثال لا ينتمي 40 في المائة من المهاجرين من إيران إلى أي من الديانات. ومن بلدان أخرى تسكنها أغلبية مسلمة كالعراق، كانت هجرة الأقليات الدينية كبيرة. ولذلك السبب لا يمكن الاستدلال بشكل

تلقائي على دين المهاجرين المقيمين في ألمانيا من التركيبة الدينية لبلدانهم الأصلية.

الدين في الحياة اليومية

بالنسبة للتدين أظهرت الدراسة أن الغالبية العظمى من المسلمين متدينون إلى حد كبير، فالتدين يميز بشكل خاص المسلمين من أصول تركية أو أولئك المنحدرين من بلدان أفريقية. وفي ممارسة الشعائر الدينية اليومية كالصلاة والاحتفال بالأعياد الدينية والالتزام بالتعاليم الدينية المتعلقة بالأطعمة والصيام، توجد هناك اختلافات كبيرة بحسب المنطقة التي ينحدر منها المهاجرون المسلمون، وبحسب الطائفة. كما أظهرت الدراسة أن المسلمين يتوزعون إلى ثلاث مجموعات، الأولى تؤم المسجد بشكل متكرر والثانية بشكل نادر والثالثة لا تقصده على الإطلاق. وعلى الرغم من أن التدين والممارسات العبادية واضحة بشكل كبير عند المسلمين، إلا أن عضويتهم في الاتحادات والروابط الدينية نادرة نسبياً (20 في المائة).

إندماج هيكلي

والغالبية العظمى من المهاجرين من بلدان إسلامية (بنسبة 80 في المائة) يمتلكون دخلاً مكتسباً خاصاً بهم كدخل أساسي. أما النسبة العالية جداً في المستقلين وظيفياً، التي تتراوح بين 20 و34 في المائة– بحسب سياق الأصل–، فتظهر استعدادهم لتكفل نفقاتهم الحياتية بنفسهم.

ولكن يبقى من غير النادر أن تكون نسبة المسلمين المستفيدين من مساعدات العاطلين عن العمل والمساعدات الاجتماعية، والمنحدرين من دول جنوب وجنوب شرق آسيا (باكستان وأفغانستان) بين 32 و28 في المائة. إن الاعتماد على المساعدات الحكومية يظهر بشكل خاص في مستويات التعليم العالية والمنخفضة جداً. لكن في الوقت نفسه يتضح أنه حتى المهاجرون من دون شهادة دراسية مندمجون في سوق العمل بشكل كبير.

إندماج اجتماعي

أظهرت الدراسة إندماج المسلمين في ألمانيا في مجالات إجتماعية ورياضية متنوعة، وبشكل عام لم يُلحظ لدى المسلمين المستطلعة آراؤهم تهميش عرقي أو بين

الأديان، فلدى كل المسلمين على مختلف أصولهم لا تبلغ نسبة أولئك الذين ليس لديهم اتصال يومي بالألمان أو لا يريدون هذا النوع من التواصل أكثر من واحد في المائة. ولا يمكن القول بوجود اتجاه صريح للانعزال. إن العلاقات الاجتماعية تشكل أساس تماسك المجتمع. لذلك فإن العضوية في الاتحادات والروابط تعد مورداً للاندماج في المجتمع المستقبل. وأكثر من نصف المسلمين أعضاء في روابط واتحادات ألمانية، في أغلبها نقابات وأندية رياضية.

إن تكرار العلاقات الاجتماعية اليومية للمستطلعة آراؤهم بأشخاص من أصل ألماني مرتفعة نسبياً، كما يظهر المسلمون على اختلاف بلدانهم الأصل استعداداً عالياً لمزيد من الاتصال بالألمان.

إندماج شامل

إن نتائج الاندماج الهيكلي يجب أن تكون باعثاً للمزيد من الجهود الحكومية في سياسة الاندماج التي تنتهجها، فاندماج المسلمين وغيرهم من المهاجرين من الدول الإسلامية لا يجب أن يقتصر على المجاميع الدينية المستهدفة فحسب، بل يجب أن يستمر في يُستثمر بإطار أوسع.

غالبية كبيرة من الطلبة المسلمين يشاركون في حصص السباحة المختلطة في ألمانيا.

إلى جانب دعم المجهود في مجال تعليم اللغة من خلال دورات الاندماج في كل أنحاء ألمانيا يكمن هنا جانب مهم في الاندماج من خلال التعليم. فعلى الرغم من التطور الملحوظ عموماً في زيادة نسبة المتعلمين في الأجيال اللاحقة يشير المعدل المرتفع العالية نسبياً للذين لم يتموا تحصيلهم الدراسي من المهاجرين الذكور من بعض الدول الإسلامية إلى استمرار النقص في تعليم المهاجرين.

أهمية التعليم

تبقى مسألة التعليم بين الأجيال اللاحقة حقل عمل محوري لسياسة الاندماج. وهنا يجب أن تطبق الجوانب التي تمت مناقشتها علنياً والمتعلقة بتشجيع تعليم المهاجرين بشكل حازم في مرحلة ما قبل الدراسة والمرحلة الدراسية، إضافة إلى خارج

إطار الدراسة. ويجب أن يكون لجميع الأطفال فرصة مبكرة بقدر الإمكان لتعلم اللغة الألمانية. ومن المنطقي أيضاً أن يتم رفع حصة الكوادر التعليمية من ذوي الأصول المهاجرة وتوظيف العمل الاجتماعي المدرسي بشكل أكبر، من أجل تخفيف العبء عن الكوادر التعليمية المتخصصة وتحسين ظروف التعلم والتغلب على المشاكل المتعلقة بالطبقة الاجتماعية والخلفيات المهاجرة للتلاميذ في المجال الدراسي.

تدريس التربية الإسلامية في ألمانيا

كتاب "معاً على الطريق".......تقديم الإسلام برؤية معاصرة.

تم طرح كتاب جديد ليكون منهاجا لمادة التربية الدينية الإسلامية التي سيتم تدريسها في المدارس الابتدائية بولاية شمال الراين ويستفاليا، أكبر الولايات الألمانية. ويتطرق هذا الكتاب إلى حقائق عن الدين الإسلامي ومبادئه وقيمه. أولريكه[******] هومل تلقي ضوءاً على الكتاب فتقول:

"تم تغيير اسم المادة الدراسية التي كانت تدرس كمشروع تجريبي في بعض المدارس والمعروفة منذ 1999 باسم "الدراسات الإسلامية" إلى مادة "التربية الدينية الإسلامية". وستدرس هذه المادة في المدارس الابتدائية في ولاية شمال الراين ويستفاليا أكبر الولايات في جمهورية ألمانيا الاتحادية.

وتزامنا مع بدء العام الدراسي صدر كتاب مدرسي منهجي جديد لتدريس حصة التربية الدينية الإسلامية يحمل عنوان "معا على الطريق". وأعلنت دار النشر أن هذا الكتاب المدرسي هو الأول من نوعه، فهو لا يتطرق للحقائق فقط وإنما أيضا للمبادئ والقيم، ما يجعله كتابا دينيا منهجيا حقا". فيما يعتبر الباحث في الشؤون الإسلامية ميشائيل كيفر هذا التصريح بأنه إستراتيجية تسويقية من دار النشر لا أكثر ولا أقل.

ويضيف كيفر قائلا: "لدينا الآن عدد لا بأس به من الكتب المدرسية تقوم بشرح الدين الإسلامي من منظور ديني، على سبيل المثال "كتابي عن الإسلام" أو "المصدر الجميل". ويواصل الباحث الألماني كلامه بالقول: "هذه الكتب تُستخدم حتى

[******] اولريكه هومل (صحفية في إذاعة ألمانيا DW) والحديث مأخوذ عن موقع الإذاعة (2012م).

الآن في حصة الدراسات الإسلامية بالمدارس الابتدائية وتحتوي على حقائق دينية منهجية كذلك".

الجدير بالذكر حقا أن هذا الكتاب يشمل العديد من الصور التوضيحية بشكل مكثف، وهذا شيء مهم جدا بالنسبة لكتاب مدرسي للصف الأول وللصف الثاني، ولاسيما كذلك أن تلاميذ الصف الأول لا يجيدون القراءة في غالب الأحيان. صور هذا الكتاب لطيفة ومزركشة ومرسومة بشكل يجذب الأطفال، وأبطال قصصه هما سارة من الصف الأول وبلال من الصف الثاني. وفي هذا الكتاب الجديد يعيش التلاميذ مع بطليه المدرسي سارة وبلال حياتهما اليومية التي تعكس قدر الإمكان حياة التلاميذ أيضا. ويرى كيفر أن الفقرة المخصصة للتعايش بين الأديان سُلط عليها الضوء بنجاح ويقول: "عمل رائع للغاية، فهذا الكتاب يُطلع الأطفال كذلك على معلومات دقيقة عن الديانة اليهودية والديانة المسيحية."

بطلا الكتاب المدرسي سارة وبلال من أصول أجنبية، فهما أطفال لعائلات هاجرت إلى ألمانيا. فوالدا سارة أصلهما من السعودية بينما ينحدر والدا بلال من تركيا. ويُعقب الباحث في الشؤون الإسلامية ميشائيل كيفر على ذلك قائلا: "تمنيت لو لم يتم تصور الدين الإسلامي من وجهة نظر أنه دين أجنبي". هذا وتشكل نسبة المسلمين الذين ولدوا هنا في ألمانيا الأغلبية وينتمون إلى الجيل الرابع من المهاجرين.

الفصل الثالث

القسم الرابع

معاهدة بوتسدام (Potsdam)

لمحة تاريخية

عاشت ألمانيا، خلال تاريخها الحديث، تحت وطأة عاملين مهمين الأول: نتائج الحرب العالمية الأولى، مقدماتها ونتائجها، والصراعات السياسية الخارجية والداخلية الناتجة عنها والمسببة لها (صراعات اليمين والوسط واليسار، قوى قومية معتدلة وأخرى متطرفة فاشية ونازية وقوى ليبرالية ويسارية إشتراكية).

الثاني: الحرب العالمية الثانية، وما سببته من إحتلالات وتقسيمات والوقوع تحت سيطرتين غربية (أميركية – أوروبية) و(شرقية سوفياتية).

مقدمات هذا التاريخ الحديث بصراعاته وتقسيماته، بدأت مع الثورة الفرنسية وما تلاها من تطورات مع غزو نابليون بونابرت للبلاد الألمانية وقضائه على إستقلالية المدن الكبيرة، وقد بلغ عدد المدن الحرة حوالي 80 مدينة في ذلك الوقت، وساهم نابليون، ولو بشكل غير مقصود – في دفع تلك المدن إلى مسار للوحدة. وبعد سقوط نابليون أعيد في مؤتمر فيينا في 1814م التأكيد على هذه الوحدة، وإتفق 41 عضواً في البداية من بين هذه المدن الألمانية على عقد إتفاق بينها، فتشكلت جراءه منظومة الإتحاد الألماني وتم وضعها تحت إدارة النمسا مؤقتاً، لكنهم أصبحوا فيما بعد 33 عضواً فقط.

وكان للإتحاد هيئة وحيدة تسمى المجلس القومي ومركزه مدينة فرانكفورت وقد إستمر حتى تم حله في 1866م بسبب الحرب الألمانية – الألمانية. الخلاف مع حركة التجديد الأوروبية أدى جزئياً إلى بروز الليبرالية الألمانية التي تطالب بالوحدة والحرية.

تأثر الكثيرون من الألمان في هذه الحقبة بأفكار وتوجهات خارجية، مثل الثورة الفرنسية، والقومية التي أصبحت قوة مهمة، خاصة في أوساط الشباب والمثقفين الذين يسعون إلى الوحدة. وقد ظهرت لأول مرة – الألوان الثلاثة: الأسود والأحمر والذهبي التي إختيرت لتمثيل هذه الحركة التي تحولت فيما بعد إلى الألوان الوطنية لعلم ألمانيا الحالي. لتأثرها بالحركات الثورية في مختلف أنحاء أوروبا وخصوصاً الثورة الناجحة عام 1848م في فرنسا التي أسست الجمهورية والتي نشبت في العام 1848م في الولايات الألمانية. فرضت هذه الثورة قيام حكومات ليبرالية وإنتخابات لمجلس قومي، وقد تم وضع الدستور في كنيسة باولوس في عام 1849م بمدينة فرانكفورت، لكن جيوش النبلاء الألمان أبادوا الثورة بعدما رفض القيصر البروسي فريدريش فيلهم الرابع ملك بروسيا طلب المجلس القومي بأن يتنازل عن صفته الدينية الإلهية كقيصر لألمانيا وأن يكون حاكم بإرادة الشعب.

الصراع بين الملك الإمبراطور الألماني فيلهم الأول إمبراطور بروسيا والحركة الليبرالية البرلمانية التي كانت تزداد قوة إندلع بسبب الإصلاحات العسكرية في عام 1862م، وعين الملك أوتو فون بسمارك كرئيس وزراء بروسيا. نجح بسمارك في شن حرب على الدنمارك في عام 1864م، ثم أضيف إلى ذلك، نجاح بروسيا بالفوز في الصراع العنيف مع كبرى القوى الجرمانية النمسا في الحرب الألمانية – الألمانية في 1866م ما مكنه من تحقيق إتحاد شمال ألمانيا الكونفدرالي وإستبعاد النمسا. إنتهت حقبة منقلب القرن التاسع عشر، لتبدأ حرب جديدة، هي الحرب العالمية الأولى، وهي حرب قامت في أوروبا ثم إمتدت لباقي دول العالم خلال الأعوام بين 1914 و1918م. ألمانيا، كجزء من فشل قوات المحور (إمبراطورية النمسا والمجر وألمانيا) عانت الهزيمة في الحرب ضد قوات الحلفاء في واحدة من أعنف الصراعات على مر العصور. فرضت على ألمانيا، جراء الهزيمة معاهدة قاسية ومجحفة (معاهدة فرساي) وقد تضمنت الآتي:

- فرض غرامة مالية كبيرة على الدول المنهزمة.
- فرض قيود على تسليح الجيش الألماني.
- فقدت، الدولة العثمانية كل ممتلكاتها في أوروبا وآسيا.
- توسع الإمبراطوريتين الفرنسية والإنجليزية.

- إختفاء أربع إمبراطوريات عريقة: هي الإمبراطورية النمساوية – المجرية – الإمبراطورية الألمانية – الدولة العثمانية – الإمبراطورية الروسية.

بعد مؤتمر فرساي، تم إقتطاع العديد من المناطق الألمانية لصالح قوات الحلفاء المنتصرة.

في العام 1918م إندلعت في تشرين الثاني/نوفمبر 1918م ثورة ديمقراطية في ألمانيا أطلق عليها إسم ثورة فايمار (حكومة فايمار – تأسست رسمياً في بلدة فايمار Weimar بتوقيع رئيس ألمانيا فريدريش إيبرت (1918 – 1933م). وقد أقر فيها (11 آب/أغسطس 1919م)(*) الدستور بموافقة المجلس القومي. خلال هذه الفترة، كانت البلاد التي أطلقت عليها تسمية "الرايش الألماني" عبارة عن دولة إتحادية ديمقراطية، ذات نظام حكم يجمع بين الرئاسية والبرلمانية. أيضاً كانت هذه المحاولة الثانية لإقامة دولة ديمقراطية ليبرالية في ألمانيا حسبما يتناسب والنموذج الغربي لم يكتب لها النجاح. وقد إنتهت هذه الحقبة بتولي النازيين السلطة بعد التمزق والتشرذم الذي أصاب الجمهورية. ومن ثم إنتهى الأمر إلى ديكتاتورية فحرب عالمية ثانية مدمرة. ولم يكن من الممكن للحزب النازي الهتلري من تولي الحكم والسيطرة، لولا الإنقسام الحاد بين القوى الإشتراكية الديمقراطية والشيوعية، وإستغلال الديمقراطية الإنتخابية المتاحة للهيمنة على الحكم.

مؤتمر ومعاهدة بوتسدام (Potsdam)

كان هذا اللقاء آخر إجتماع عقده زعماء كل من بريطانيا والإتحاد السوفياتي (سابقاً) والولايات المتحدة الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية. عقد المؤتمر في

(*) تم في هذا اليوم، أيضاً، إنتخاب فريدريش إيبرت رئيساً للرايخ في جمهورية فايمار، وكان القيصر فيلهم الثاني قد وقع وثيقة التنازل عن العرش في 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1918م. يذكر أن الأحزاب التي قادت الثورة رأت أن القضاء الكامل على النخبة التي كانت تحكم في عهد القيصر المخلوع، قد يقود البلاد إلى حافة حرب اهلية، فقررت الإبقاء عليها وإقامة علاقات طبيعية معها. وهكذا فقد تحالف قادة الثورة مع قادة الجيش، مما أدى إلى نشوب صدامات دموية واسعة عرفت بإسم "إنتفاضة سبارتاكوس". كانت هذه الإنتفاضة بقيادة الشيوعيين كارل ليبنيشت وروزا لوكسمبورغ. لكن سريعاً ما تم القضاء على هذه الثورة ومقتل هذين القائدين. وما جرى كان إستمرار للخلافات والصراعات الأيديولوجية التي كانت ماثلة بين الإشتراكيين والشيوعيين منذ الإنشقاق عن الأممية الثانية وتشكيل الشيوعيين أممية خاصة بهم دعيت بـ"الأممية الثالثة".

بوتسدام(**) قرب العاصمة برلين بألمانيا من 17 تموز/يوليو حتى 2 آب/أغسطس 1945م. حضر المؤتمر الرئيس الأميركي هاري ترومان، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل (الذي خلفه كليمنت أتلي خلال المؤتمر)، ورئيس الوزراء السوفياتي جوزيف ستالين.

كانت الإتفاقيات السابقة قد قسمت ألمانيا إلى مناطق إحتلال بريطانية وفرنسية وسوفياتية وأميركية. كما فقدت ألمانيا ومن جديد العديد من المناطق بين سنوات 1945 و1949م ضُم إقليم السوديت (Sudeten Land) إلى تشيكوسلوفاكيا، بومرن وشيلزيين (Pommern und schlesien) إلى بولندا وبروسيا الشرقية (oster preussen) قسمت بين بولندا والإتحاد السوفياتي. عادت النمسا من جديد دولة مستقلة تحت إسم جمهورية النمسا (Republik Őstreich).

في بقية البلاد أنشئت مناطق وأقاليم فصلت بينها حدود جديدة، وأعطيت لكل منطقة أو إقليم صلاحيات سياسية واسعة. كما إتفق الحلفاء يوم 23 أيار/مايو 1949م تقسيم ألمانيا إلى ثلاثة مناطق ونفوذ، شكلت إحداها جمهورية ألمانيا الديمقراطية (Deutsche Demokratische Republik-DDR) والتي أصبحت منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر 1949م واقعة تحت النفوذ السوفياتي. كان هدف الخطة القضاء على أية محاولة لتوحيد القوى الألمانية من جديد. إلا أن الحرب الباردة زادت الهوة بين الشطرين، على مدى سنوات فصلت جمهورية ألمانيا الإتحادية (BRD) عن جارتها الشرقية بجدار حديدي. مع سقوط الإتحاد السوفياتي وانهياره فتحت الأبواب بين البلدين لتقوم بعد ذلك عام 1990م الوحدة بين الألمانيتين(***).

(**) بوتسدام عاصمة ولاية براندنبورغ الفيدرالية في ألمانيا، تقع على نهر هافل في المنطقة الجنوبية الغربية من برلين. هي جزء من المنطقة الحضرية لبرلين/براندنبورغ. بوتسدام معروفة بوصفها محل الإقامة السابق لملوك بروسيا حتى 1918م. تعرض المدينة سلسلة من البحيرات المترابطة والمناظر الطبيعية الثقافية الفريدة، بشكل خاص، المنتزهات وقصور سانسوسي، وهي مواقع الميراث العالمية الأكبر في ألمانيا. تعدّ منطقة بوتسدام بابلسبيرغ إحدى المراكز الرائدة أيضاً في إنتاج الأفلام الأوروبية. تطورت المدينة لتصبح مركزاً للعلوم في ألمانيا، إبتداء من القرن التاسع عشر. واليوم هناك 3 كليات عامة وأكثر من 30 معهد بحث في بوتسدام.

(***) منذ إعادة توحيد ألمانيا، إضطلعت هذه الدولة بدور أكثر نشاطاً في الإتحاد الأوروبي والناتو. وأرسلت قوة لحفظ السلام لضمان الإستقرار في منطقة البلقان وأرسلت قوة من قواتها إلى أفغانستان المضطرب كجزء من عمل حلف شمال الأطلسي لتوفير الأمن بعد الإطاحة بطالبان. وقد أثار هذا الإجراء شيئاً من الجدل الداخلي لحين تصويت البرلمان عليه وإقراره.

إتفق المؤتمرون في بوتسدام على معاملة الأجزاء الألمانية على أنها بلد واحد، فيما يتعلق بالنواحي الإقتصادية وبذلك حصل الإتحاد السوفياتي على ثلث السفن الألمانية، وبعض المعدات الصناعية تعويضاً عن أضرار الحرب..

كما إتفق المؤتمرون على مقاضاة القادة الألمان بتهمة إرتكاب جرائم حرب.

وبينما كان المؤتمرون في بوتسدام، تناهى إلى علم الرئيس الأميركي ترومان نبأ نجاح أول إختبار للقنبلة الذرية، الأمر الذي أدى إلى صدور إعلان بوتسدام الذي هدد بتدمير اليابان ما لم تتوقف عن حربها مع دول الحلفاء، وأن تستسلم بدون شروط.

إلا أن رئيس الوزراء الياباني سوزوكي رفض هذا التقرير وتجاهله، فكان محتماً ان يتم إسقاط القنبلة.

نظام سياسي جديد يتشكل

عاشت ألمانيا الغربية، بعيد الحرب العاملية الثانية، في ظل نظام سياسي مقيد بإتفاقيات مؤتمر بوتسدام، وكان أول مستشار للجمهورية كونراد أديناور (عضو الحزب الديمقراطي المسيحي). لقد ترأس الحكومة من عام 1949م حتى عام 1963م. ومن خلال سياسة حازمة ذات ميول غربية تمكن من إعادة ألمانيا للعب دورها في المجتمع الدولي، ومن ضمها إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) والى التجمع الإقتصادي الأوروبي (EWG) ومن اعماله الكبيرة أيضاً عقد المصالحة مع فرنسا وإرساء قواعد تحالف ثنائي سياسي. خلال فترة حكم أديناور الأولى، لم تكن هناك إمكانية لوجود سياسة خارجية خاصة بألمانيا، وكانت المصالح الألمانية إلى حد بعيد محاصرة وممنوع عليها التمدد والتأثير. لقد قيدت بسلسلة من الشروط، العسكرية والإقتصادية، حتمت عليها وضعها خارج المسرح الدولي بالمعنى السياسي المؤثر. إبتعادها عن مواقع التأثير الدولية، منحتها فرصة الإهتمام بأوضاعها الداخلية وتنظيم أمورها من أجل إعادة بناء ما دمرته الحرب... كانت فترة عصيبة ولا شك فالبداية جاءت من الصفر تقريباً. كل شيء كان محطماً ومدمراً. وقد ركز الساسة الألمان، في تلك المرحلة، على إرساء القواعد التنظيمية السياسية الداخلية، بإعتبارها، الأساس الديمقراطي للإنطلاقة الإقتصادية والإجتماعية. وقد إتخذ المجلس البرلماني الذي صاغ الدستور في العام 1949م من صورة الرئيس البريطاني مثالاً له عندما قرر منصب المستشار الإتحادي، حيث يتمتع رئيس الوزراء البريطاني بذات الصلاحيات

التي يتمتع بها المستشار، بل وتزيد صلاحياته عن صلاحيات المستشار. ففي النظام البرلماني البريطاني يقوم حزب واحد بحكم البلاد، حيث يمنح نظام الأغلبية حق الحكم للحزب الأقوى في البرلمان.

أما في البوندستاغ (البرلمان) فلا يتمتع عادة حزب واحد بالأغلبية. ولهذا فإنه لا مفر من تشكيل إئتلاف بين الأحزاب المختلفة من أجل أن يتم إنتخاب المستشار ويسبق إنتخاب المستشار مشاورات بين الأحزاب التي ستشكل الحكومة. وهنا يدور الحوار حول توزيع المناصب الوزارية بين الأحزاب، وحول إنشاء وزارات جديدة أو إلغاء وزارات معينة، ويتمتع الحزب الأقوى من هذا التحالف بحق تسمية المستشار الاتحادي. بالإضافة إلى ذلك تتشاور الأحزاب حول برنامج عملها في السنوات القادمة. ويتم تثبيت نتيجة مشاورات الائتلاف هذه من خلال التوقيع على ما يسمى "اتفاقية الائتلاف". وبعد الانتهاء من هذه الخطوات يتم إنتخاب المستشار..

ولم يسبق أن حصل في تاريخ ألمانيا الاتحادية فشل حقيقي ذريع في نيل الثقة البرلمانية. ولكن كان هناك ثلاث خسارات للثقة: حيث أحجم أعضاء برلمانيون من الأحزاب الحاكمة أو أعضاء من الحكومة عن التصويت، وذلك بهدف إسقاط الحكومة والعمل على تشكيل حكومة جديدة، وكان ذلك في الأعوام (1972، 1982، 2005م). وقد تم اللجوء إلى هذه الطريقة لأنها الوحيدة التي تضمن فرض عملية الانتخابات المبكرة التي لا يسمح بها الدستور إلا في مثل هذه الحال. وهذه العملية تتطلب موافقة رئيس الجمهورية على أية حال، وهي موضع خلاف قانوني.

منح الإستقرار السياسي الداخلي، الساسة الألمان، فرصة التركيز على الإقتصاد ومنحه الأولوية في عملية البناء. لقد أزاحوا عن كاهلهم عبء تاريخهم المؤرق فقطعوا، نهائياً مع الهتلرية النازية التي أصبحت من المحرمات ومنعوا أولادهم والأجيال الصاعدة من تذكرها والإقتداء بها، فألغوها من برامجهم التعليمية والثقافية والإجتماعية، واستحدثوا برامج تركز على الفرد بإعتباره قيمة إنسانية وإجتماعية.

لقد تماشوا مع سياسة الغرب في ما يتعلق بالحرب الباردة التي نشأت مع دول الشرق بقيادة الإتحاد السوفياتي... لكنهم، بالمقابل، وضعوا مسافة لهم في سياق هذه الحرب، أتاحت لهم التميز عن تلك الدول الغربية من أجل الإهتمام والتفرغ لعملية

البناء الإقتصادية وكانت "المعجزة الإقتصادية" في زمن المستشار إيرهارد سبباً في تقدمهم أشواطاً بعيدة في هذا الميدان عن غيرهم.

لقد حرص السياسيون الألمان، الذي تعاقبوا على تولي مقاليد الأمور، أن يكونوا أمينين على منطلقات تأسيس دولتهم، من حيث الحرص على السلم العالمي والإقليمي، وعدم التفكير بإيجاد ركائز ومنطلقات لأي أرضية عسكرية إنتقامية، أو مشاريع إقتصادية يكون مآلها عسكرة الدولة بهدف التوسع والإنتقام(****). وقد ثبتوا لهذا الغرض، كل وسائل حماية الدستور والقانون، عبر المؤسسات التي كرسوها رقيباً ومحاسباً لأي شطط قد يحصل في المسار السياسي.

وتعتبر المحكمة الدستورية العليا إحدى المؤسسات الألمانية(*****) التي نشأت في النظام الديمقراطي لما بعد الحرب. وقد منحها الدستور حق إلغاء القوانين التي يتم اتخاذها بطريقة ديمقراطية إذا ما توصلت إلى الانطباع بأن هذه القوانين تتعارض مع الدستور. وتتدخل المحكمة الدستورية فقط عندما يطلب منها ذلك من خلال طلب أو دعوى. أما الهيئات التي يحق لها اللجوء إلى المحكمة الدستورية فهي محددة بالهيئات الاتحادية: رئيس الجمهورية والبوندستاغ ومجلس الولايات والحكومة الاتحادية وبعناصر هذه الهيئات كأعضاء البرلمان والكتل البرلمانية وحكومات الولايات. وتعمل المحكمة الدستورية في إطار هذه "الخلافات الدستورية" على حماية توزيع سلطة الدولة الاتحادية بالطريقة التي ضمنها الدستور. ومن أجل إتاحة المجال أمام الأقليات

(****) أخيراً، سمحت المحكمة الدستورية الألمانية (السفير 18 آب/أغسطس 2012) للجيش بإستخدام وسائل عسكرية على الأراضي الألمانية، في مواجهة تهديدات إرهابية محتملة بشروط صارمة. وحتى الآن كان التدخل على الأراضي الألمانية، في حال حصول تهديدات إرهابية، منوطاً بقوات الشرطة، للفصل بوضوح بين عمليات الدفاع الوطني للجيش وعمليات الأمن الداخلي. وهذا الفصل يعكس التخوف في إقحام الجيش ضد المدنيين، وهو موروث من تجاوز النظام النازي. وذكرت المحكمة الدستورية التي تتخذ من مدينة كارلسروهي مقراً لها، في قرار أن الجيش أصبح يستطيع التدخل على الأراضي الألمانية "في حال وقوع حدث إستثنائي ذات طبيعة كارثية"، إلا أن هذا التصريح يستثني "المخاطر التي قد تنجم عن حشد يتظاهر". ومن غير المسموح للجيش كذلك إسقاط طائرة تقل مدنيين وخطفها "إرهابيون" لكنه يمكنه إستخدام طلقات تحذيرية لإجبار الطائرة على الهبوط.

(*****) مثال حديث على ذلك، إعطاء هذه المحكمة موافقتها على إستراتيجية الأوروبيين لتدارك أزمة الديون في منطقة "اليورو"، فأمنت بذلك إنتصاراً شخصياً للمستشارة أنجيلا ميركل. وقالت أمام النواب الألمان في الدورة الأولى بعد العطلة الصيفية "هذا يوم رائع لأوروبا" (صحيفة السفير 2012/9/11م).

البرلمانية للجوء إلى المحكمة الدستورية، فإنه يكفي مصادقة ثلث أعضاء البرلمان على اقتراح ضد قانون ما.

إضافة إلى ذلك فإن الدستور يتيح للمواطن الفرد إمكانية "رفع شكوى دستورية" إذا ما رأى اعتداء على حقوقه الأساسية من قبل أية سلطة حكومية.

أحزاب البرلمان الألماني (بوندستاغ)

تشكل في البوندستاغ الألماني منذ عودة الوحدة في العام 1990م نظام جديد قائم على خمس كتل برلمانية:

SPD وCDU/CSU وFDP تدخل هذه الأحزاب البوندستاغ منذ تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية. يشكل حزبا CDU وCSU كتلة برلمانية مشتركة. حزب CSU يدخل الانتخابات في ولاية بايرن (بافاريا)، بينما يدخل حزب CDU الانتخابات في كافة الولايات الأخرى .

في عام 1984 دخل حزب الخضر البرلمان لأول مرة. وبعد عودة الوحدة الألمانية توحد الحزب مع حزب بوندنيس (تعاضد) 90 الذي كان متواجدا في ألمانيا الشرقية.

وفي عام 1990 تمكن الحزب اليساري، الذي خلف حزب الوحدة الشيوعي (الألماني الشرقي SED (من دخول البرلمان بعد أن تبنى تسمية حزب الاشتراكية الديمقراطية (PDS).

SPD

الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني

رئيس الحزب: Sigmar Gabriel

التأسيس: 1875/1863م

عدد الأعضاء: 513000

CDU

الاتحاد الديمقراطي المسيحي

رئيسة الحزب: أنجيلا ميركل

التأسيس: 1945م

1950 على المستوى الاتحادي

عدد الأعضاء: 531000

CSU

الاتحاد المسيحي الاجتماعي

رئيس الحزب: إرفين هوبر

التأسيس: 1945م

عدد الأعضاء: 162000

FDP

الحزب الديمقراطي الحر

رئيس الحزب: غيدو فيسترفيلة

التأسيس: 1948م

عدد الأعضاء: 70000

بوندنيس 90/الخضر

حزب الخضر

بوندنيس 90/الخضر

رئيسا الحزب: كلاوديا روت،

شيم أوزديمير

التأسيس: 1980م

عدد الأعضاء: 45000

الحزب اليساري

الحزب اليساري

رئيسا الحزب: البروفيسور د.

لوتر بيسكي، أوسكار لافونتين

رئيس الحزب: لوتر بيسكي

التأسيس: 1989م

عدد الأعضاء: 76000

دولتان على الأراضي الألمانية

موقع ألمانيا الشرقية والتنافس بين الألمانيتين، في ضوء زعامة جمال عبد الناصر المصرية والعربية، وتأثير المشكلة الفلسطينية على مسار الصراع على الشرق الأوسط

في السابع من أيار/مايو 1945م أمركارل دوينتس، خليفة هتلر، قائد القوات العسكرية الألمانية الجنرال الفريد يودل بتوقيع صك الإستسلام الألماني الكامل غير المشروط في مركز قيادة الحلفاء في رايم بفرنسا. وبإستسلام الجيش الألماني إنتهت الحرب العالمية الثانية في أوروبا. وقامت القوى المنتصرة بتقسيم البلاد إلى أربع مناطق نفوذ إضافة إلى برلين.

تبني المارك الألماني في المناطق الغربية من الأقاليم المحتلة كانت الحافز للسوفيات الذين قاموا بسد المعابر نحو منطقة غرب برلين. رد فعل الحلفاء إتخذ شكل بناء "جسر جوي" تم من خلاله تموين سكان برلين الغربية حتى شهر أيلو/سبتمبر 1949م.

في 23 أيار/مايو 1949م تمت صياغة ونشر دستور جمهورية ألمانيا الإتحادية. وفي 14 آب/أغسطس جرت أول إنتخابات للبرلمان الإتحادي، وتم تعيين كونراد أديناور (من الحزب الديمقراطي المسيحي) مستشاراً إتحادياً.

وفي العام 1949م تأسست في المناطق الخاضعة للإحتلال السوفياتي وفي شرق برلين جمهورية ألمانيا الديمقراطية (القسم الشرقي). وكانت التجزئة قد ترسخت بين الشرق والغرب من خلال إقرار دستور ألمانيا الديمقراطية، التي شكلت جزءا من دول الكتلة الشرقية التي كانت خاضعة للسيطرة السوفياتية. رئيس الجمهورية الأول لهذه الدولة كان فيلهلم بيك. في 13 آب/أغسطس 1961م قامت ألمانيا الديمقراطية بعزل نفسها، لأسباب إقتصادية، من خلال "خط الموت" على طول الحدود بين الدولتين الألمانيتين وفي إطار برلين المقسمة شرقاً وغرباً.

عاشت ألمانيا الديمقراطية عند التأسيس أياماً صعبة، فقد قامت في عام 1953م إنتفاضة شعبية عمت خلالها التظاهرات في المدن الألمانية الرئيسية تم

إسكاتها بالقوة والعنف من قبل الشرطة الشعبية والجيش السوفياتي. كما جرى، قبيل إنشاء الجدار العازل في آب/أغسطس 1961م، التركيز إقتصادياً عليها من جانب الطرف الغربي، لإضعاف مقوماتها بهدف خلخلتها وإسقاطها.

في خريف 1989م تمكن مواطنو ألمانيا الشرقية من السيطرة خلال أسابيع قليلة على مقاليد الأمور في البلاد من خلال ثورة عفوية سلمية.

في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر إنهار جدار برلين، الذي كان رمز التجزئة بالنسبة لألمانيا وشعاراً للحرب الباردة. وقد سبق إنهيار الجدار، الذي سقط فيه خلال سنوات مديدة عشرات القتلى من الألمان الساعين للفرار إلى الغرب، فرار جماعي للمواطنين الألمان الشرقيين عن طريق براغ، وارسو، وعن طريق الحدود الهنغارية النمساوية التي كان قد تم فتحها في ذلك الوقت. كما سبق إنهيار الجدار تظاهرات كبيرة، وخاصة في لايبزيغ، إضافة إلى إحتجاجات علنية لشخصيات مرموقة من المطالبين بالحريات، والمطالبات المتكررة للمزيد من الحرية في ما يتعلق بالسفر ومغادرة البلاد.

مع الإنهيار السلمي لجمهورية ألمانيا الديمقراطية 1989م عادت وحدة الألمانيتين تلوح في الأفق. وفي صيف 1990م بدأت في برلين المباحثات حول إتفاقية الوحدة. في الثالث من تشرين الأول/أكتوبر 1990م إنضمت ألمانيا الديمقراطية إلى جمهورية ألمانيا الإتحادية، على أساس الفقرة 23 من الدستور الألماني. وفي الثاني من كانون الأول/ديسمبر 1990م جرت أول إنتخابات برلمانية لألمانيا الموحدة، وغدا هيلموت كول (الديمقراطي المسيحي) أول مستشار لألمانيا بعد التوحيد.

كان الصراع بين الألمانيتين، قبيل إنهيار ألمانيا الديمقراطية وإختفائها عن الخارطة السياسية شديداً، وشهدت ألمانيا المقسمة في عز إحتدام الحرب الباردة بين الشرق والغرب ذروة في التنافس لكسب ود دول العالم الثالث والمنطقة العربية. وكان للعلاقات الإسرائيلية الألمانية الغربية دور في تأزيم عملية التقارب مع العرب. وكانت علاقة ألمانيا الإتحادية بمصر قد مرت في أزمة عام 1965م. إستوجبت قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما وأيضاً مع عدد من الدول العربية. فما هي خليفة تلك

الأزمة وما هو دور إسرائيل وألمانيا الديمقراطية في نشوبها؟

أزمة العلاقات بين القاهرة وبون عام 1965م: إسرائيل وألمانيا الديمقراطية

عندما تناقلت الصحافة الدولية منذ تشرين الأول/أكتوبر عام 1964م أنباء صفقات الأسلحة من ألمانيا الإتحادية إلى إسرائيل ورد الحكومة المصرية عليها بالإعلان عن عزمها إستقبال فالتر أولبرشت (Water Ulbricht)، رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية، ضاربة بذلك إدعاءات ألمانيا الإتحادية بتمثيلها المنفرد للشعب الألماني، بدأت تتفاعل على الفور أزمة سياسية بين القاهرة وبون، سرعان ما تحولت إلى أزمة كبيرة ما بين الدول العربية وألمانيا الإتحادية وصلت إلى درجة القطيعة الدبلوماسية بينهما، وذلك بعد إقدام الدولة الأخيرة على الإعتراف بتل أبيب رداً على زيارة أولبرشت إلى مصر أواخر شباط/فبراير 1965م، وقيام دول عربية بقطع علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الإتحادية.

وحتى إندلاع تلك الأزمة، كانت العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية قد وصلت إلى ذروتها في كافة الميادين الإقتصادية والتجارية والتقنية والثقافية والعلمية. ففي السنوات ما بين عامي 1951 و1964م، إستطاعت ألمانيا الإتحادية أن تبقى الدولة المفضلة لدى مصر وأن تستجيب بنجاح لمتطلبات صناعتها وتشارك في مشاريع التنمية وتقدم لها القروض والخبرة الفنية في المجالات المدنية والعسكرية. كما كانت ألمانيا الإتحادية على الصعيد السياسي البوابة التي حاول كل من مصر والغرب إبقاءها مفتوحة كقناة للإتصال فيما بينهما. وعلى الرغم من إنقسام ألمانيا إلى دولتين مختلفتي النظم الإجتماعية والسياسية منذ الحرب العالمية الثانية، فقد كانت مصر تدعم إعادة توحيد الشعب الألماني وتنظر إلى حكومة بون على أنها الممثل الشرعي الوحيد له. وفي الوقت نفسه، كانت حكومة بون ترى في عبد الناصر أقوى زعيم عربي وعليه تتوقف علاقات الغرب والشرق مع المنطقة وتسربه إليها. لكن دخول كل من ألمانيا الديمقراطية وإسرائيل على خط العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية، كان وراء اضطراب دائم بين دولتين، ما لبث أن تحول إلى أزمة خطيرة عام 1965م[1].

---

[1] أوروبا والشرق الأدنى (1920-1973م) الجزء الأول، مجموعة باحثين دراسة: عبد الرؤوف سنو، منشورات الجامعة اللبنانية (45) بيروت 1999م، ص352.

حتى عام 1965م، ظلت العلاقات بين ألمانيا الإتحادية من جهة، والدول العربية من جهة أخرى، ترتكز على قاعدة توازن دقيق تمثلت في عدم إقدام حكومة بون على إقامة علاقات دبلوماسية مع تل أبيب خشية من أن يرد العرب على ذلك بالإعتراف ببرلين الشرقية. وبالمقابل، لم تشأ مصر ومن خلفها الدول العربية الإعتراف بألمانيا الديمقراطية، أي بوجود دولتين ألمانيتين على الساحة الدولية، خشية أن تطبق عليها حكومة بون مبدأ هالشتاين – (Die Hallstein Doktrin) الذي إبتدعته ليكون سوطاً موجهاً ضدها وضد دول العالم الثالث كي لا تعترف بألمانيا الديمقراطية وتخسر بالتالي مساعدات التنمية التي كانت تقدمها إليها. لكن "عقدة الذنب" تجاه جرائم النازية بحق اليهود من جهة، وقرارها الإندماج في الغرب ودخول الأمم المتحدة من جهة أخرى، إستلزما من ألمانيا الإتحادية "مصالحة مع الماضي". ومن هنا جاءت تعويضاتها المالية إلى إسرائيل وصفقات الأسلحة المجانية السرية إليها بضغوط أمريكية. وقد إستخدمت إسرائيل صفقات الأسلحة هذه والإعلان عنها في خريف عام 1964م لتأزيم العلاقات بين ألمانيا الإتحادية ومصر والحؤول دون تمتينها من خلال الزيارة التي كان من المتوقع أن يقوم بها الرئيس عبد الناصر إلى ألمانيا الإتحادية قبل ربيع عام 1965. وكللت إسرائيل القطيعة بين بون من جهة، والدول العربية بزعامة مصر من جهة اخرى، بتوتير العلاقات بينهما ودفع بون إلى الإعتراف الدبلوماسي بها وبالتالي سحب علمائها وخبرائها العاملين في النشاطات العسكرية المصرية.

وبدورها، إنصبّت سياسة برلين الشرقية ومن خلفها موسكو على ضرب مبدأ هالشتاين، الذي إعتبرته مرتبطاً بإبتزاز إقتصادي. وقد جعلت ألمانيا الديمقراطية من دول العالم الثالث، وخصوصاً البلدان العربية وفي مقدمها مصر، ميداناً لتحطيم المبدأ المذكور والحصول بالتالي على إعتراف دولها بها كدولة ألمانية ثانية إلى جانب منافستها ألمانيا الإتحادية. وكانت التناقضات بين مصر وألمانيا الإتحادية بشأن علاقات الدولة الثانية بإسرائيل أنجح وسيلة لبرلين الشرقية لإختراق مبدأ هالشتاين وتثبيت نفسها في العالم العربي. وبين خريف عام 1964م وبيع عام 1965م كان كل شيء يدل على أن مصالح تل أبيب وبرلين الشرقية قد تقاطعت على إحداث قطيعة

بين العرب وألمانيا الإتحادية[2].

بعد هذه المقدمة، تطرح هذه الدراسة أربع فرضيات:

1- إن صلات ألمانيا الإتحادية بإسرائيل (مسألة التعويضات وصفقات الأسلحة)، لم تؤثر بتاتاً على علاقات مصر بها، طالما ظلت هذه الصلات في نطاق السرية، وطالما كانت بون تجد تسوية مقبولة من جانب مصر بحصولها على مساعداتها في مجالات التنمية والقروض وإستخدامها العلماء والخبراء الألمان في صناعاتها العسكرية. لكن الإعلان عن صفقات الأسلحة الألمانية إلى إسرائيل في الصحافة الدولية في خريف 1964م، أحرج عبد الناصر أمام الجماهير العربية، ومن هنا نفذت الدبلوماسيتين الألمانية والشرقية والإسرائيلية، على كل حدة لأهدافها الخاصة، لتعكير العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية وإيصالها إلى درجة القطيعة.

2- إن إسرائيل كان لها مصلحة أساسية في توتير العلاقات بين القاهرة وبون، وغن الكشف عن علاقاتها العسكرية مع ألمانيا الإتحادية في تشرين الأول/أكتوبر 1964م كان يخدم اهدافها في ضرب التقارب بين العاصمتين المصرية والألمانية الغربية وتعطيل زيارة الرئيس عبد الناصر إلى ألمانيا الاتحادية في ربع عام 1965م وسحب الحكومة الألمانية للعملاء الألمان العاملين في حقل النشاطات العسكرية ي مصر. وأخيرا، إلحاق الأذى بسمعة ألمانيا الإتحادية في العالم العربي من جهة وتبادل العلاقات الدبلوماسية معها من جهة أخرى.

3- إن ألمانيا الديمقراطية كنت تخطط عمليا منذ خريف 1963م لإسقاط مبدأ هالشتاين وجعلت من عام 1965م توقيتاً لتنفيذ ذلك، وأن الخيار وقع على مصر لتكون المنطقة التي يخرف بها هذا المبدأ وينطلق منه.

4- إن السبب الرئيسي وراء دعوة الرئيس عبد الناصر أولبرشت لزيارة مصر، لم يكن في الحقيقة ردّ على صفقا الأسلحة من ألمانيا الإتحادية إلى إسرائيل، بقدر ما خضع هذا القرار – نتيجة للضائقة الإقتصادية والمالية المصرية لمستلزمات السياسة السوفياتية الخارجية والقضاء بتثبيت شرعية ألمانيا الديمقراطية على الصعيد

(2) المرجع السابق، ص 253.

الدولي[3].

5- السياسة المصرية تجاه العلاقات بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل:

أ- علاقات بون بتل بيب: إشكاليتها ومجرياتها لا يمكن في الواقع فهم علاقات ألمانية الإتحادية بإسرائيل بمعزل عن النتائج التي أدت ليها الحرب العالمية الثانية بإنقسام ألمانيا إلى دولتين متنافستين (ألمانيا الإتحادية وألمانية الديمقراطية) وتباعية سياسية لكل من القطبين، الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفياتي. وبناء عليه، وضع كونراد أديناو مستشار ألمانيا الإتحادية، فأولويات سياسته مسلتين بالغي لأهمية: الإندماج في الغرب سياسياً وإقتصادياً وعسكرياً، وطرح حكومته نفسها على أنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الألماني.

كانت المسألة الأولى من ألمانيا الإتحادية قبل ي شيء "مصالحة مع الماضي" والتخلص من "عقدة الذنب" من جراء جرائم النازية خلال الحرب العالمية الثانية بحق اليهود. أما مسألة التفرد بتمثيل الشعب الألماني، فكانت تتطلب منه منع الصفة الشرعية عن ألمانيا الديمقراطية وعزلها دولياً. إن إستعجال بون المصالحة مع إسرائيل ولدخول معها لأجل ذلك في مفاوضات أدت إلى تقديم تعويضات مالية إلهيا عن جرائم النازية بحق اليهود (آذار/مارس 1952م)، كان يعود إلى أنها كانت ستوقع في أيار/مايو من العام نفسه على إتفاق مع الحلفاء يعيدها إلى الحالف الغربي من خلال (مجموعة الدفاع الأوروبي).

كانت هذه المصالحة تضع ألمانيا الإتحادية في إشكالية صعبة تجاه العالم العربي. كيف يمكنها تقدم تعويضات مالية إلى إسرائيل، والحفاظ في الوقت نفسه على علاقتها التاريخية الجيدة مع العرب، في وقت كانت فيه المشكلة الفلسطينية لا تزال تشكل عاملاً موحداً للعرب ضد أية خطوة تؤدي إلى الإعتراف بإسرائيل أو تقويتها وحول هذه الإشكالية عبر إيرهارد بالقول: "لدينا في العالم العربي سجل تقليدي وهادئ... إن علاقاتنا مع إسرائيل من جهة أخرى كانت موضع إتهام ثقيل. إن ألمانيا كانت ولا تزال مذنبة تجاه الجرائم التي إرتكبتها الرايس وعليها نتيجة ذلك إلتزام أخلاقي

(3) المرجع السابق، ص 254.

كبير"[4].

وبسبب هذا الإلتزام "الأخلاقي" تجاه اليهود، وقعت بون مع تل أبيب في العاشر من أيلول 1952م و1963م أكثر من 3,4 مليار مارك ألماني ثم بدأت في[5] الأعوام التالية تقدم لها قروضاً سنوية. وقد كان لهذه التعويضات والقروض تأثيراً على تخطي إسرائيل الصعوبات الإقتصادية التي واجهتها في مرحلة بناء الدولة. وبالإضافة إلى ما منحته ألمانيا الإتحادية من تعويضات إلى إسرائيل، قدمت ما بين عامي 1953 و1965م إلى جمعيات وأفرد يهود مبالغ وصلت إلى 970 مليون دولار. وعلى الرغم من أن هذه التعويضات ذهبت في معظمها إلى إسرائيل كانت ألمانيا الإتحادية تؤكد على حيادها على النزاع العربي – الإسرائيلي وعلى عدم وجود مصالح سياسية مباشرة لها في الشرق الأوسط، وأنها تقف من الأحداث السياسية في المنطقة موقف "المراقب" مع التعاطف مع الغرب في الوقت نفسه.

وكما كانت مسألة التعويضات ذات تأثير شديد على العلاقات بين مصر وألمانيا لإتحادية. كذلك شكلت التسليمات الأسحلة من بون إلى تل أبيت مسألة خرى أشد خطورة من لمسألة الأول ودفعت بعلاقات مصر مع ألمانيا الإتحادية نحو الهاوية.

بداية، إتخذ التعاون العسكري بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل شكل شراء الدولة الأولى من الدولة الثانية عتاداً وأسلحة فردية خفيفة، وتزويد الثانية الدولة الأولى بالذخائر بنسبة 2% من قيمة التعويضات المالية المقررة لها وفقاً لإتفاق لوكسمبورغ(******). وفي 1 آذار/مارس 16م إجتمع أديناور وبن غوريون معاً سرّ في

---

[4] المرجع السابق، ص 255.

[5] المرجع السابق، ص 256.

(******) نص إتفاق لوكسمبورغ على تقديم ألمانيا تعويضات مالية لإسرائيل حتى عام 1965/1964م على الشكل التالي: أن تدفع بون ثلاث أقساط إلى إسرائيل من تاريخ توقيع الإتفاق وحتى آذار/مارس 1954م بمعدل 200 مليون مارك سنوياً. يعقب ذلك تسع دفعات، كل واحدة بقيمة 310 ملايين مارك، ودفعة بقيمة 260 مليون مارك. أنظر مذكرة بعنوان "إسرائيل وجمهورية ألمانيا الإتحادية"

PAA, IB 4/110 "Israel und die Bundes-republik Deutschland-Einez wishem-bilanz, Tel-Aviv Mitte, Juli 1964

نيويورك ووقعا على عقد يقضي بتسليم الدولة العبرية أسلحة حربية. وبين ذلك التاريخ وصيف عام 164م، تسلمت إسرائيل طائرات نقل وتدريب ومروحيات ودبابات م 4 وصواريخ مضادة للدبابات ومدافع وغواصات وزوارق حراسة، وتم تدريب ضباطها عل إستخدام صواريخ هوك. وكان معظم هذه الأسلحة ي الأساس أميركي الصنع ويصدر من الولايات المتحدة إلى ألمانيا الإتحادية ومنها سراً إلى إسرائيل. ويعود السبب في إعتماد السرية، إلى رغبة المستشار أديناور في عدم تعكير علاقات بلاده مع العرب. وسوف تتحول هذه "السرية" إلى سلاح تستخدمه إسرائل لإبتزاز الألمان الغربيين وتهديد مركزهم في العالم العربي، أو الضغط عليهم في سبيل الحصول على مزيد من لأسحلة والمساعدات الإقتصادية. ومنذ مطلع عام 12، بدأ يظهر عنوان "مساعدات تسلح" في موازنة ألمانيا الإتحادية بقيمة 240 مليون مارك مخصّصة لتسليح إسرائيل لمدة خمس سنوات. وكان هذا المبلغ يؤمن تسليم إسرائيل 5 طائرة حربية ومروحيات وصواريخ مضادة للدبابات وأجهزة الكترونية، فضلاً عن تدريب ضباط إسرائيليين ي القواعد الجوية الألمانية[6].

حتى الكشف عن صفقات الأسلحة في خريف 1964م، بلغت قيمة هذه الأسلحة 200 مليون مارك من أصل 320 مليون مارك. أما سبب موافقة ألمانيا الإتحادية على لعب دور الوسيط في تلك الصفقات، فيعود إلى شعور أخلاقي بعقدة الذنب تجاه اليهود، والى خضوعها للإحتلال الأميركي. وكان الدور الألماني هذا يساعد الولايات المتحدة في الإبتعاد عن تلك الصفقات مباشرة، كي لا تظهر أمام العرب بمظهر المؤيد للدولة العبرية وتسبب غضبهم وتتهم بالتالي بتصدير الأسلحة إلى مناطق التوتر في الشرق الأوسط. وهناك سبب آخر لسياسة واشنطن هذه، وهي أنها تحاول آنذاك إستمالة العرب وراء مشاريع الأحلاف في الشرق الأوسط الموجهة

كما قدمت ألمانيا الإتحادية لإسرئيل عام 1962 قرضاً بقيمة 200 مليون مارك، (أنظر وجيه عتيق، السياسة الدولية وخفايا العلاقات المصرية الألمانية 1952م-1965م، القاهرة، 1990، ص221-223)سونيا هارغ: باحثة إجتماعية وأستاذة مساعدة في جامعة ماينتس الألمانية والمعهد التربوي العالي في شفيبش-غموند. وتشرف على المجال البحثي "الدراسات الإجتماعية التجريبية-الإدارة العلمية لبرنامج طلبة الدكتوراه في "المكتب الإتحادي للمهاجرين واللاجئين. نشرت هذه الدراسة في موقع: قنطرة (2010م).

[6] المرجع السابق، ص 257.

ضد الكتلة الشرقية وترى بالتالي ضرورة عدم إغضابهم. ومن خلال صفقات الأسلحة الألمانية إلى إسرائيل، كانت واشنطن تسعى إلى تحقيق "توازن" عسكري بين مصر وإسرائيل، بعد صفقات الأسلحة من الإتحاد السوفياتي إلى الدولة الأولى. كيف تعاملت مصر مع مسألتي التعويضات المالية وصفقات الأسلحة إلى إسرائيل وكيف ضمنت بون سكوت القاهرة عن علاقاتها بتل أبيب؟

ب- موقف مصر من علاقات ألمانيا الإتحادية بإسرائيل

تشير كل الدلائل على أن مصر قد تعاملت بواقعية مع مسألتي التعويضات وصفقات الأسلحة. فقد أدركت أن بون لا تستطيع التراجع عن مسألة التعويضات، بعدما أبرمت إتفاق عام 1952م، وأنها تخضع في هذه المسألة للوبي الصهيوني والضغوط الأميركية وكونها دولة محتلة. وقد جاء إتفاق التعويضات في وقت كانت فيه مصر تتطلع لتعزيز علاقاتها ببون والإستفادة من قدراتها الإقتصادية والفنية، وتطوير هذه العلاقات التي تزامنت مع مفاوضاتها مع بريطانيا حول الجلاء، والخشية من ان تستخدم لندن مشترياتها من القطن المصري لأجل إبتزازها. ولهذا السبب، كانت مصر تريد أن تنفتح على ألمانيا الإتحادية لتسويق قطنها والإستفادة منها كدولة صناعية بدلاً من بريطانيا. وفي هذا الإتجاه، جاء إفتتاحها سفارة لها في بون في 14 تشرين الأول 1952م.

أدركت ألمانيا الإتحادية أن بإمكانها إمتصاص ردود الفعل العربية على صفقة التعويضات من خلال "رشوة" الأنظمة العربية بمساعداتها الإقتصادية. وبالنسبة لمصر، تمكنت من شراء سكوتها من خلال الإعلان عن إستعدادها لتقديم مساعدات للتنمية الإقتصادية إليها إذا ما تجاوزت هذه المسألة، دون أن تتوان في الوقت نفسه عن إفهامها "بكل وضوح" بأنها غير مستعدة تحت أي ظرف من الظروف لوقف إتفاق التعويضات إلى إسرائيل. وفي شباط/فبراير 1953م قدمت ألمانيا الإتحادية إلى مصر منحة مالية لا ترد بقيمة 400 مليون مارك. كما بحثت في إحتياجاتها الصناعية، وأرسلت إليها سيلاً من البعثات الفنية. وقد رحب محمد نجيب بالتعاون مع بون وصرح بالقول: "إن التعويضات قد تؤذي المشاعر المصرية ولكنها لن تهز جذور الصداقة بين مصر وألمانيا".

عندما تكشف التعاون العسكري السري بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل بين عامي 1960 و1964م، كانت مصر على علم به. ويذكر محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر كان بين عامي 1957 و1960م على علم بالتعاون العسكري بين بون وتل أبيب، وأنه أبلغ ذلك مرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة همرشولد في كانون الثاني/يناير 1958م، ومرة أخرى إلى أرهاد بصفته نائب مستشار ألمانيا الإتحادية عندما زار مصر في كانون الثاني/يناير 1960م.

وفي 15 حزيران/يونيو 1963م، أصبح التعاون العسكري بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل في متناول الرأي العام الألماني، بعدما نشرت "صحيفة الراين الجديدة" تصريحاً لأحد نواب الحزب الإشتراكي الديمقراطي في لجنة الدفاع حول تدريب طيارين إسرائيليين في ألمانيا الإتحادية، مما جعل الحكومة الألمانية تنفي ذلك، مقابل غياب أي إحتجاج عربي. كما يذكر محمد حسنين هيكل أن محمد صادق الملحق العسكري في السفارة المصرية ببون أبلغ الحكومة المصرية مطلع عام 1964م بتقرير مفصل حول حجم التعاون العسكري الألماني-الإسرائيلي وأن الرئيس عبد الناصر لم يعره الأهمية الكافية.

وعلى الرغم من التقارير العديدة حول التعاون العسكري الألماني-الإسرائيلي وخصوصاً تلك المقدمة من ألمانيا الديمقراطية إليها، حافظت الحكومة المصرية على موقفها السابق من المسألة، والقاضي بغضها الطرف عنها، والإكتفاء بالإحتجاج الدبلوماسي فقط. وهناك أسباب عدة لهذا الموقف. اما السبب المباشر، فيعود إلى الزعامة المصرية فضلت إبقاء صفقات الأسلحة بعيدة عن متناول الرأي العام العربي، كي لا يسبب ذلك إحراجاً لعبد الناصر أمام الجماهير العربية، ويفرض عليه موقفاً متشدداً. كما وجدت مصر أن مصلحتها تكمن في عدم توتير علاقاتها ببون، حيث كانت هي بدورها تستفيد من المساعدات الإقتصادية الألمانية وتسويق قطنها في أسواق ألمانيا الإتحادية. كان عبد الناصر يدرك بحق أنه لا يمكنه إستبدال ألمانيا الديمقراطية بألمانيا الإتحادية كممول للمشاريع المصرية وخطط التنمية، ولا كشريك تجاري يشتري الأقطان المصرية. فبين عامي 1958 و1964م، قدمت ألمانيا الإتحادية إلى مصر مساعدات مالية بقيمة 1,158 مليار مارك. لقد كان الرئيس المصري على إستعداد لتطوير العلاقات بين بلاده وألمانيا الديمقراطية خارج إطار

الإعتراف الدبلوماسي بها، وهو ما أكده مرة أخرى أمام غروتفول، رئيس وزراء ألمانيا الديمقراطية، عندما زار مصر مطلع كانون الثاني/يناير عام 1959م[7].

وبالإضافة إلى مساعدات التنمية، كانت مصر تستفيد من الخبرة العلمية الألمانية في مجالات التصنيع العسكري لديها – هذه النشاطات التي لم تحظ على رضى السوفيات. فبين عامي 1958 و1964م كان الخبراء الألمان الغربيون ناشطين في مجالات تصنيع الطائرات الحربية والصواريخ في مصر بمعرفة حكومتهم. وفي أيار/مايو 1964م، أي قبل أن تتداول وسائل الإعلام الدولية مسألة صفقات الأسلحة، بعث فيبر، سفير ألمانيا الإتحادية في القاهرة، إلى رؤسائه في بون، يقول أن شخصيات مصرية رفيعة أبلغته عن عدم معارضتها للعلاقات بين بون وتل أبيب مقابل سكوت الحكومة الألمانية عن نشاطات خبراء الصواريخ من رعاياها في مصر.

وبوصول صفقة الأسلحة إلى نهايتها في خريف عام 1964م، قامت إحدى الصحف الألمانية في 26 تشرين الأول/أكتوبر بالكشف عنها كاملة. وكان هذا النبأ بداية سلسلة من لخطوات الإسرائيلية أدت في نهاية الأمر إلى القطيعة بين مصر وثمانية دول عربية من جهة، وبين ألمانيا الإتحادية بعد إعترافها بتل أبيب من جهة أخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هو، من يتحمل مسؤولية الكشف عن صفقات الأسلحة، ولماذا أختير هذا التوقيت؟

ج- إستهداف إسرائيل للعلاقات بين القاهرة وبون

لا تبدأ سياسة إسرائيل في تأزيم العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية بالكشف عن صفقات الأسلحة الألمانية إليها، بل سبقها أو ترافق معها محاولات أخرى لإلحاق الأذى بعلاقات القاهرة ببون. والمتتبع لسياسة إسرائيل ودبلوماسيتها، يستطيع أن يلحظ بوضوح أن تلك الدولة قد سلكت أربعة مداخل لتأزيم العلاقات العربية الألمانية عموماً، والمصرية-الألمانية خصوصاً. وهذه المداخل هي: العلماء والخبراء الألمان الغربيون الناشطون في مصر، الحصول على الإعتراف الدبلوماسي بها من قبل بون، الإساءة إلى سمعة الرئيس المصري في العالم العربي، وأخيراً، تعطيل زيارته

(7) المرجع السابق، ص 359.

لبون. فكيف نفذت إسرائيل خطتها الرباعية هذه؟

منذ عام 1962م، بدأت إسرائيل تشن حملة إعلامية ضد ألمانيا الإتحادية لإجبارها على سحب علمائها وخبرائها من مصر العاملين في الصناعات العسكرية، والذين وصل عددهم إلى حوالي 500 شخص. وقد توسلت إسرائيل ذلك من خلال تهديدهم وتنفيذ عمليات إرهابية وإغتيال ضدهم عام 1962م. كما هدفت إسرائيل من وراء إرهابها إبتزاز الحكومة الألمانية للإستمرار في تسليماتها من الأسلحة إليها، بعدما أظهرت تردداً في هذه المسألة. وبين عاملي 1963 و1964م، أخذت الدولة العبرية تعرض مسألة العلماء في مصر على أنها مشاركة ألمانية "في تحضير حرب عربية لتدمير...(ها)"[8]. وللتأثير على الرأيين العام الألماني والغربي، ربطت غولدا مائير، وزيرة خارجية إسرائيل، أمام الكنيست بين إنتاج مصر أسلحة الدمار الشامل لإستخدامها ضد بلادها، وبين جرائم النازية في الرايخ الثالث، في ما أعلن رئيس الوزراء أشكول أن عبد الناصر يسعى من خلال تطوير ترسانته العسكرية إلى تدمير بلاده.

ومن ناحية حكومة بون، فقد نفى متحدث بإسمها علمها بمشاركة علماء ألمان غربيين في صنع أسلحة الدمار الشامل، وأعلن أن الأمر يقتصر على إنتاج الطائرات والصواريخ فحسب. أما السفارة المصرية في بون، فنفت بدورها أي نشاط عسكري للعلماء الألمان الغربيين، وتحدثت مذكرة لها إلى وزارة الخارجية في بون عن عمل هؤلاء العلماء في مجالات "... التنمية الثقافية والفنية" في سبيل "اللحاق بركب التقدم...".

وهكذا، أصبحت مسألة إبقاء العلماء الألمان في مصر بالنسبة لألمانيا الإتحادية شديدة التأثير على العلاقات بينها وبين تل أبيب وبون، وعلى قدم المساواة مع مسألة التبادل الدبلوماسي مع تل أبيب. ولكل هذه الأسباب، فكر أديناور القيام بخطوة مزدوجة: عدم تجديد التزامات بلاده العسكرية تجاه إسرائيل، وسحب العلماء الألمان الغربيين من مصر في الوقت نفسه. لكن تل أبيب شنت حملة دبلوماسية في الولايات المتحدة ضد بون ونشاطات علمائها في مصر، وإستطاعت ان ترغمها على

(8) المرجع السابق، ص 360.

تسليمها صفقة دبابات م48. أما بالنسبة لنشاط علماء الصواريخ الألمان في مصر، فتبين للحكومة الألمانية أن إعادتهم إلى بلادهم دون موافقتهم على ذلك هي مخالفة للدستور وسوف تجعل الدول العربية توجه الإتهام إليها بأنها رضخت للضغط الإسرائيلي وتدفع بالتالي عبد الناصر لأن يستبدل بهم علماء آخرين من ألمانيا الشرقية، مما يقوي في النهاية من مركز برلين وموسكو في المنطقة العربية.

وفي تشرين الأول/أكتوبر 1963م، عندما وصل أرهارد إلى منصب المستشارية، قام بخطوتين رئيسيتين في هذا المجال: عرض موضوع الخبراء الألمان في مصر على لجنة برلمانية تضم كل الأحزاب، ورفض كذلك أن تستمر بلاده بلعب دور الوسيط في تزويد إسرائيل بالأسلحة. وما لبث ارهارد ان توصل إلى تسوية مع إسرائيل عبر الولايات المتحدة قامت على إتمام بلاده صفقة دبابات م48، على أن تكون الأخيرة، وألا تسلم مباشرة من بلاده إلى إسرائيل، بل عبر إيطاليا.

وهكذا حافظت ألمانيا الإتحادية في الفترة اللاحقة على سياستها السابقة. فغضت النظر عن نشاط علمائها في مصر،متجاهلة الحملة الإسرائيلية ضدها لدى الرأي العام الألماني وفي الولايات المتحدة الأميركية، والتي إستمرت من عام 1963 إلى عام 1965م، مروراً ببدء عودة العلماء الألمان من مصر منذ نهاية عام 1964م. كما إستمرت في الوقت نفسه بإمداد إسرائيل بالأسلحة ودفع التعويضات إليها، حيث شكلا بنظرها "أهمية فائقة جداً لإسرائيل تجاوزت مسألة الخبراء الألمان الذين كانوا يعملون لدى الجمهورية العربية المتحدة". هذا فضلاً عن سماحها لـ52 من علمائها و400 خبير بالعمل في الأبحاث النووية الإسرائيلية وتقديمها 81,5 مليون مارك لدعم هذه الأبحاث.

بفشل محاولاتها في إرغام الحكومة الألمانية على سحب العلماء من مصر وبالتالي تأزيم العلاقات بين القاهرة وبون بعدما توطدت ما بين عام 1961 (إتفاق البغدادي الإقتصادي مع ألمانيا الإتحادية) وعام 1964م (تاريخ بدء تدهور العلاقات بين الدولتين)، بدأت إسرائيل من جديد تطرق وسيلة أخرى لتنفيذ مآربها. ومن هنا جاء الإعلان عن صفقات الأسلحة الألمانية إليها لأول مرة بتاريخ 26 تشرين الأول/أكتوبر 1964م عبر صحيفة "فرانكفورتر روند شاو" "المعروفة بولائها لإسرائيل"[9].

(9) المرجع السابق، ص 362.

لم يكن إفشاء المعلومات عن الصفقات التي لم يتبق منها في صيف 1964 سوى 20%، يصيب المصالح الإسرائيلية بالضرر، بعدما تحولت الدولة العبرية مباشرة إلى السلاح الأميركي الذي كان يعطيها تفوقاً بنسبة 3 إلى 1 على الدول العربية المحيطة بها، بل كان يصيب مصداقية ألمانيا الإتحادية تجاه مصر والدول العربية، وذلك من جراء تقديمها الأسلحة المجانية إلى إسرائيل على مر السنوات الماضية ونفيها ذلك على الدوام. كمان أن الكشف عن الصفقات سيورط الطرفين، المصري والألماني، في سلسلة من المواقف المتشنجة تؤدي إلى إستكمال إسرائيل خطتها في قمة العلاقات الدبلوماسية مع بون. وكللت إسرائيل خطتها بتعطيل زيارة الرئيس المصري إلى بون في شباط/فبراير 1965م.

في رسالة بعث بها جمال منصور، سفير مصر في بون، في 6 تشرين الثاني/أكتوبر 1964م ذكر فيها أن شيرمر، رئيس قسم الشرق الأدنى في الخارجية ببون، أبلغه أن إسرائيل تقف وراء إفشاء المعلومات عن صفقات الأسلحة بسبب رغبتها في إفتعال أزمة بين مصر وألمانيا الإتحادية ووقف كل أشكال التعاون بينهما. كما أكد شيرمر أن إسرائيل كانت تريد من وراء إفتعال الأزمة دفع بون إلى الإعتراف الدبلوماسي بها، بعدما وجدت في السابق فتوراً من جانبها.

يعود "فتور" بون تجاه إقامة علاقات دبلوماسية مع تل أبيب إلى إعتبارات جوهرية تدخل ضمن الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي والأوضاع في الشرق الأوسط ومسألة تمثيل الشعب الألماني. فبعد دعوة بن غوريون حكومة بون في 25 أيار/مايو 1957م إلى إقامة العلاقات الدبلوماسية مع بلاده، إعتبرت الحكومة الألمانية أنه طالما "... هذا الخطر قائم (الرد العربي بالإعتراف ببرلين الشرقية) علينا إرجاء المسألة ولمصلحة الغرب كله أيضاً".

حافظت بون على موقفها هذا حتى إندلاع أزمتها مع مصر في خريف عام 1964م. ففي أيار/مايو 1963م، صرح ارهارد امام البرلمان الإتحادي بأن الإعتراف بإسرائيل يجب أن يدرس بعناية فائقة ومعرفة مدى تأثيره على الشرق والغرب. وفي إجتماع لثمانية سفراء ألمان غربيين، بما فيهم سفير بون في واشنطن، نهاية أيار/مايو 1964م لبحث مسألة الإعتراف بحكومة تل أبيب بناء طالب هؤلاء حكومتهم "...

بتأجيل إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل في الوقت الراهن". وأضافوا، أن قرارهم لا يعود إلى الخشية من إعتراف عربي بألمانيا الديمقراطية، بل "... من خسارة الغرب نفوذه في الكتلة الأفرو – آسيوية" حيث تلعب مصر دوراً بارزاً. لقد كانت ألمانيا الإتحادية النافذة التي يطل منها الغرب على العالم العربية ويتم من خلالها (المساعدات الإقتصادية والثقافية) مناهضة نفوذ الإتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط، هذا في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة بنظر العرب رأس الإمبريالية في العالم، فيما فرنسا وبريطانيا زعيمتا الإستعمار القديم. كما عبر مسؤولون ألمان غربيون آخرون عن مخاطر الإعتراف الدبلوماسي بتل أبيب، مما قد يدفع العرب للإعتراف بألمانيا الديمقراطية.

ومقابل تردد بون في الإقدام على إقامة العلاقات الدبلوماسية مع تل أبيب، إشتد إلحاح إسرائيل عليها لتبادل السفراء بشكل خاص بين نهاية عام 1964م ومطلع العام التالي متزامناً مع تدهور العلاقات المصرية–الألمانية الغربية بشأن صفقات الأسلحة. ولم يكن هذا الإلحاح بريئاً في أي حال من الأحوال. ومن ناحية حكومة بون، فقد ظلت تؤجل الإقدام على هذه الخطوة إلى أن قام ألبرشت رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية بزيارته التاريخية إلى مصر.

بالإضافة إلى ذلك، كان الكشف عن صفقات الأسلحة يصيب العلاقات المصرية الألمانية في الصميم ويهز زعامة عبد الناصر لدى الجماهير العربية ويجعله في موقف متناقض أمامها: بين طروحاته القومية الداعية في أولوياتها لإستعادة الحقوق الفلسطينية، أي مجابهة إسرائيل ومن يقف وراءها، وبين سياسته بالتعامل مع مسألة صفقات الأسلحة بواقعية ودبلوماسية تخدم مصالح بلاده الإقتصادية. وعلى ما يبدو، فقد إعتقدت إسرائيل أن "إحراج" عبد الناصر إلى هذه الدرجة سوف يدفعه إلى إتخاذ موقف متشنج تجاه بون لحفظ ماء الوجه يؤدي إلى تدهور العلاقات بين القاهرة وبون ويخدم بالتالي مصالحها. فالكشف عن صفقات الأسلحة كان الشق الأول من الخطة الإسرائيلية، في ما كان منع التقارب بين مصر وألمانيا الإتحادية بتعطيل زيارة الرئيس المصري إلى العاصمة الألمانية الشق الثاني منها.

أثناء الخمسينات، كان هناك أكثر من مرة حديث عن زيارة يقوم بها عبد

الناصر إلى بون تؤدي إلى تعزيز العلاقات بين البلدين. لكنها تعطلت في أجواء الحرب الباردة والصراع الألماني– الألماني وضرورة حصولها بموافقة الحلفاء الغربيين. وفي أيار/مايو 1964م، عادت الأنباء مرة أخرى لتتحدث عن زيارة مرتقبة للرئيس المصري عبد الناصر إلى بون قبل ربيع العام التالي، ثم بعد ذلك في شباط/فبراير 1965م، وعن ترحيب المستشار ارهارد في حينه بهذه الزيارة وإعتبار أنه سيكون لها وقع طيب في نفوس الشعب الألماني وحكومته، وذلك لما يكنه هذا الشعب من إحترام وتقدير لشخص الرئيس المصري. وقد كان عبد الناصر يريد في ضوء ضائقته المالية والإقتصادية أن تشارك ألمانيا الإتحادية في الخطة الخمسية الثانية بتنفيذ مشروعات في بلاده، والحصول منها على تسهيلات في التسديد بفوائد منخفضة. وكان من الطبيعي أن تسبب زيارة الزعيم العربي إلى بون فيما لو حصلت إنزعاج إسرائيل، لأنها كانت ستدعم مركزه، ليس لدى ألمانيا الإتحادية وتمكنه من تنفيذ خطته الخمسية الثانية فحسب، بل قد تفتح الباب لـ"مصالحة" بينه وبيه الغرب أيضاً، مما تعطل في الوقت نفسه مخططاتها لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع بون.

فعلى هامش المحادثات التي أجراها مع الرئيس المصري في القاهرة في 23 تشرين الثاني/نوفمبر 1964م. بعيد الكشف عن صفقات الأسلحة لتلافي تدهور العلاقات بين بلاده ومصر، جدد أويغن غرستنماير، رئيس البرلمان في ألمانيا الإتحادية، دعوة حكومته إلى الرئيس عبد الناصر لزيارة بون. كما أدت زيارة غرستنماير إلى تفاهم مع عبد الناصر على كيفية حل الأزمة بين الدولتين عبر إصدار البرلمان الألماني حظراً على تصدير الأسلحة إلى خارج الحلف الأطلسي، وموافقة الرئيس المصري على علاقات قنصلية بين بون وتل أبيب، وتقديم ألمانيا الإتحادية مساعدة إقتصادية عاجلة إلى مصر لا ترد في حدود 300 مليون مارك، وأخيراً تعهد الحكومة المصرية بعدم الإعتراف بألمانيا الديمقراطية.

لقد بإمكان إتفاق غرستنماير– ناصر أن يعيد العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية إلى مسارها الطبيعي. لكن الإنقسام السياسي الداخلي في ألمانيا الإتحادية حول الخطوات التي يجب إتخاذها لمعالجة الأزمة، وتأخر حكومة بون في إصدار قرار حظر تصدير الأسلحة حتى 12 شباط/فبراير 1965م، مكن إسرائيل وألمانيا الديمقراطية، كل على إنفراد، من إستغلال الوقت الضائع لضرب أية محاولات للتسوية

بين الدولتين. فكيف عطلت إسرائيل زيارة ناصر إلى بون،التي وصفها الزعيم المصري فيما بعد بالـ"رشوة"، وكيف إستغلت الدولة العبرية مسألة حظر ألمانيا الإتحادية صادراتها من الأسلحة إلى الشرق الأوسط لتدفع بالعلاقات المصرية–الألمانية نحو الهاوية؟

بعد أسبوع على إنتهاء زيارة غرستنماير للقاهرة وعودته إلى بلاده والبحث مع ارهارد في تحديد موعد لزيارة ناصر المرتقبة إلى بون، أعلن أشكول، رئيس وزراء إسرائيل، عن نيته في زيارة بون ولقاء المستشار ارهارد في شباط/فبراير 1965م، وهو موعد زيارة عبد الناصر أصلاً إلى ألمانيا الإتحادية. وكان أشكول قد سبق له وأعلن في أواخر تموز/يوليو ومطلع أيلول/سبتمبر 1964م عن رغبته في الإجتماع بالمستشار الألماني والبحث معه في ثلاث مسائل وهي: إستمرار بون بتقديم التعويضات المالية إلى بلاده، وسحب العلماء الألمان من مصر، وأخيراً إقامة العلاقات الدبلوماسية بين بون وتل أبيب.

كان تجديد أشكول عزمه على لقاء مستشار ألمانيا والبحث معه في تلك المسائل الحساسة بالنسبة لكل من مصر وألمانيا الإتحادية في آن، كاف لإرباك حكومة بون. فحاولت ان تطمئن الدول العربية بأن اللقاء المزمع بين ارهارد وأشكول سيحدث خارج ألمانيا، وأنه سيخدم سياستها في الشرق الأوسط بتوضيح وجهة نظرها إلى إسرائيل حول الأسباب التي تحملها على عدم الإعتراف بها. لكن دخول إسرائيل على خط زيارة الرئيس المصري لبون، جعل الحكومة الألمانية تتراجع في منتصف كانون الأول عن توجيه الدعوة الرسمية إلى الرئيس المصري، ثم عادت لتتحدث عن إستقبال أشكول ثم عبد الناصر في فترة زمنية متقاربة، وهو ما سبب إستياء عميقاً لدى القيادة المصرية بأن هناك أطرافاً أخرى لا تحتمل رؤية عبد الناصر في ألمانيا الإتحادية.

وفي الوقت نفسه، وفي سبيل دفع العلاقات إلى مزيد من التدهور، رفضت إسرائيل ما كان يدور في الدوائر السياسية الألمانية الغربية عن رغبة حكومة بون في عدم تصدير الأسلحة إلى مناطق التوتر في العالم وإستبدال الشحنات المتبقية إليها، بتعويضات مالية، معتبرة ذلك "إنتصاراً للعدو" (=مصر). كما رفضت إسرائيل إعتبارها

منطقة توتر في الشرق الأوسط. فأصرت على إكمال الصفقات حتى آخرها، مدعومة في ذلك من قبل شركات في الولايات المتحدة عملت على مقاطعة السلع الألمانية. لقد كانت حجة إسرائيل أنها تحتاج إلى بقية الأسلحة بسبب تأزم الموقف بينها وبين العرب حول تحويل مياه نهر الأردن. ومع ذلك، فتأخر حكومة بون في إصدار قانون حظر تصدير الأسلحة حتى 12 شباط/فبراير 1965م، أفسح في المجال أمام ألمانيا الديمقراطية للدخول على خط العلاقات بين القاهرة وبون من خلال زيارة أولبرشت، رئيس مجلس دولتها، إلى مصر أواخر شباط/فبراير 1965م.

إستغلال ألمانيا الديمقراطية لعلاقات بون بتل أبيب

كان تكثيف ألمانيا الإتحادية صلاتها بإسرائيل هو ما أعطى ألمانيا الديمقراطية سلاحاً فعالاً لإستعماله في خرق مبدأ هالشتاين بإتهام بون أنها تنتهج سياسة موالية لإسرائيل ومعادية للعرب، وإظهار نفسها حليفة هؤلاء الآخرين والمدافعة عن حقوقهم القومية. وقد لاحظ شيرمر، رئيس دائرة الشرق الأدنى في الخارجية ببون، "أن العامل المزعج الأكبر لعلاقات (بلاده) مع الدول العربية هي الدعاية المضادة لإسرائيل من قبل ألمانيا الديمقراطية، التي تظهر نفسها مراراً وتكراراً مؤيدة للموقف العربي ضد إسرائيل، وتتهم ألمانيا الإتحادية بممارسة سياسة ضد العرب ومؤيدة لإسرائيل". وقد ركزت ألمانيا الديمقراطية في هذا الشأن على مصر بالذات في مسألتين لإعتقادها أنها أكثر الدول العربية المؤهلة لإقامة علاقات دبلوماسية معها: مسألة التعويضات الألمانية إلى إسرائيل منذ عام 1952م وصفقات الأسلحة من بون إلى تل أبيب[10].

وبالنسبة للمسألة الأولى، إعتبرت حكومة برلين الشرقية أن التعويضات إلى إسرائيل ومدها بالمساعدات من قبل حكومة بون تخدم سياستها في زيادة التناقضات بين العرب وألمانيا الإتحادية. وتجعل الدول العربية تميل إلى إقامة علاقات أقوى معها. فبعيد التوقيع على إتفاق التعويضات عام 1952م، أخذت برلين الشرقية تشهر بسياسة بون المعادية للعرب، معتبرة أن "... إستغلال التناقضات بين ألمانيا الإتحادية والدول العربية بشأن التعويضات إلى إسرائيل" هي وسيلة ضرورية لتحقيق هدف

[10] المرجع السابق، ص 371.

مصيري لها وهو التسرب إلى المنطقة العربية. وفي 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1952م، أي بعد حوالي عشرة أسابيع على توقيع إتفاق التعويضات، نشرت صحيفة "ألمانيا الجديدة"، الناطقة بإسم الحزب الحاكم في ألمانيا الديمقراطية، مقالاً بعنوان "تعويضات-لمن؟"، إعتبرت فيه أن هذه التعويضات ليست لها علاقة بجرائم النازية بحق اليهود، وأن موقف برلين الشرقية الرافض لدفع التعويضات هو تعبير عن صداقتها للشعوب العربية. وقد كررت برلين الشرقية إدانتها للتعويضات في مذكرات إلى الدول العربية، والى مؤتمرات القمة العربية، والترويج لذلك في الإعلام العربي. كما كانت في الوقت نفسه، تذكر الدول العربية بأنها لم تدفع أية تعويضات لإسرائيل ولا تقيم أية علاقات دبلوماسية أو تجارية معها ولا تسعى إلى ذلك، حيث إقتصرت العلاقات فيما بينهما على الإتصالات بين الحزب الإشتراكي الموحد والحزب الشيوعي الإسرائيلي.

وبالإضافة إلى اللعب على مسألة التعويضات إلى إسرائيل، وضعت ألمانيا الديمقراطية تزويد ألمانيا الإتحادية إسرائيل بالأسلحة مطلع الستينات ضمن إستراتيجيتها لإلحاق الأذى بالعلاقات بين العرب وألمانيا الإتحادية. وهناك إشارات متفرقة في الوثائق الألمانية "الشرقية" إلى التعاون العسكري بين بون وتل أبيب خلال الخمسينات. وعلى كل حال، يعتبر عام 1963م بداية سياسة منهجية لألمانيا الديمقراطية لإستغلال مسألة صفقات الأسلحة من بون إلى تل أبيب بهدف القضاء على مبدأ هالشتاين. وبفضل وثائق أرشيف وزارة الخارجية في ألمانيا الشرقية (السابقة)، أصبح بإستطاعتنا الآن تتبع محاولات تلك الدولة لإختراق مبدأ هالشتاين، وكيف أن إقامة علاقات دبلوماسية بين بون وتل أبيب كما يصب إيجاباً في إستراتيجيتها الهادفة للحصول على الإعتراف الدبلوماسي من الدول العربية، وخصوصاً من مصر.

مساعي ألمانيا الديمقراطية للقضاء على "مبدأ هالشتاين"

- **مصر حقل التنفيذ**

بعد إتفاق ألمانيا الإتحادية مع إسرائيل عام 1962م برعاية أميركية بشأن صفقة الأسلحة ومنها دبابات م 48، كشفت برلين الشرقية في مذكرة لها إنتباه الدول

العربية إلى تلك المساعدات، معتبرة أن ما يحصل هو تهديد لأمن تلك الدول وللسلام في المنطقة. كما ركزت المذكرة على دور فرانز جوزيف شتراوس، وزير الدفاع الألماني الغربي، في تدعيم تعاون بلاده العسكري مع الدولة العبرية بالتنسيق مع حلف الناتو. كذلك، عمدت ألمانيا الديمقراطية إلى التركيز على مصر لتنفيذ هدفها في تحطيم مبدأ هالشتاين، حيث كانت تزودها بإستمرار بمعلومات حول التعاون العسكري بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل. لكن الحكومة المصرية، لم تأخذ هذه المعلومات على محمل الجد، وإعتبرتها نوعاً الحرب الدعائية بين الألمانيتين.

أما لماذا جرى التركيز على مصر بالذات لتكون ساحة لتنفيذ هذه المخططات؟ تضيف المذكرة السابقة الذكر، إلى أن إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الإتحادية وإسرائيل سوف يدفع مصر، والجزائر أيضاً، اللتين لديهما الإستعداد لإقامة علاقات دبلوماسية طبيعية مع ألمانيا الديمقراطية، إلى أن تقدما على ذلك. ولهذا، طالبت المذكرة "بضرورة تطوير العلاقات الواقعية مع هاتين الدولتين (مصر والجزائر) إلى أقصى الدرجات، وإستخدام كل الوسائل المتاحة (لألمانيا الديمقراطية) في البلدان العربية لأجل التركيز عليهما". أخيراً، خلصت المذكرة إلى وجوب العمل على "تغيير موقف الجمهورية العربية المتحدة (=مصر) في إتجاه تقارب أكثر إلى دول مجموعة [مجلس تبادل المساعدات الإقتصادية]، وعلى زيادة حدة التوتر بين مصر ودول عربية أخرى (محافزة)، وكذلك (بين مصر) والدول الإمبريالية"[11].

وفي أعقاب هذه المذكرة، تشكل فريق عمل بإشراف "الدائرة الثالثة لخارج أوروبا" مهمته تنسيق العمل تحت شعار "خرق مبدأ هالشتاين". وفي 17 تشرين الثاني 1964م، أي بعد إندلاع الأزمة بين مصر وألمانيا الإتحادية بشأن صفقات الأسلحة إلى إسرائيل، وضعت "هيئة مجلس الخارجية" ما سمي بـ"الخطة الأفريقية" التي اعتبرت أن الوقت قد حان "لزيادة تفويض مبدأ هالشتاين والترويج بقوة لسياسة ألمانيا الديمقراطية (من خلال) إستغلال التناقضات المتنامية بين الدول العربية... وألمانيا الغربية والكشف بقوة عن السياسة الإستعمارية الإنتقامية الجديدة للإمبريالية الألمانية الغربية ومكائدها". وبالنسبة إلى مصر، لحظت الخطة أن تكون هذه الدولة، ونتيجة

(11) المرجع السابق، ص 373.

لتطورها الداخلي وأهميتها ونفوذها في المجالين العربي والإفريقي ولدى دول عدم الإنحياز، "مركز ثقل للسياسة الخارجية لألمانيا الديمقراطية"، وأن يتم تطوير العلاقات معها من خلال تقديم القروض إليها في مشاريع التنمية والتعاون الثقافي وتوسيع تمثيلها في برلين الشرقية وإجراء المحادثات السياسية وتبادل الوفود بين البلدين على مستويات عليا.

وسبق وضع "الخطة الأفريقية"، بأسبوعين إثنين، إرسال أوتو فينتزر Otto Winzer، وزير خارجية ألمانيا الديمقراطية، كتاباً إلى هرمان أكسن Hermann Axen، رئيس تحرير جريدة "ألمانيا الجديدة" (Neus Deutschland) الناطقة بإسم "الحزب الإشتراكي الموحد" (SED) يبلغه فيه بأن حكومته قد خططت لأن يكون عام 1965 "عام خرق مبدأ هالشتاين، رداً على تشديد ألمانيا الإتحادية في الآونة الخيرة من ضغطها في مسألة تمثيلها المنفرد للشعب الألماني". وأضاف فنتزر قائلاً: "أنه مهم جداً وصحيح ان يتم ضرب مبدأ هالشتاين في عام 1965". وطلب من أكسن أن يعطيه ملاحظاته حول كيفية تحقيق هذا الهدف.

- **زيارة أولبرشت إلى مصر والدور السوفياتي**

توجت خطة القضاء على "مبدأ هالشتاين" التي بدأت، كما ذكرنا، بتشكيل فريق العمل في وزارة الخارجية في برلين الشرقية في أيلول 1963م مروراً بإستيضاح فينتزر لأكسن في 3 تشرين الثاني من عام 1964م عن رأيه في آلية ضرب المبدأ المذكور، ثم وضع "الخطة الإفريقية" بعد أسبوعين على هذا التاريخ، بدعوة فالتر أولبرشت نفسه لزيارة القاهرة في مطلع عام 1965م، أي إختراق مبدأ هالشتاين في ذلك العام، كما جاء في رسالة فينتزر إلى أكسن. ويستنتج من الأوراق السرية للرئيس عبد الناصر التي نشرها محمد حسنين هيكل، أن رسالة أولبرشت إلى ناصر بشأن السماح له بقضاء فترة نقاهة في مصر خلال شهر شباط/فبراير 1965م بناءً على نصيحة الأطباء، إنما جاءت متزامنة مع إستكمال ألمانيا الديمقراطية تحضيراتها للقضاء على مبدأ هالشتاين، وبعد أيام قليلة فقط على مغادرة غرستنماير القاهرة. لم تكن هذه الزيارة التي كانت ألبرشت يعتزم القيام بها إلى مصر بريئة، بل كانت "خطة ذكية من ألمانيا الشرقية" للإيقاع بينها وبين بون، على حد قول المؤرخ المصري وجيه عتيق.

وبعد إنتهاء رحلة أولبرشت إلى مصر، كشف تقييم لـ"هيئة مجلس الخارجية" عما كانت تخططه ألمانيا الديمقراطية منذ سنوات لتثبيت مركزها في مصر على حساب ألمانيا الإتحادية، بدءاً بزيارة غروتفول إلى مصر نطلع عام 1959م، ويقول التقرير: "إن الدعوة ونجاح الزيارة (التي قام أولبرشت إلى مصر) هما نتيجة عمل سنوات طويلة وعمل مخطط هادف إلى تطوير العلاقات مع جمهورية مصر العربية. وهو (المخطط) وإن تأخر تحقيقه وعانى من نكسات في بعض المراحل، فقد جرى العمل بإستمرار على تنفيذ أهدافه الرئيسية".

وإستكمالاً لمخطط إختراق مبدأ هالشتاين في مصر، لحظت مذكرة أخرى للهيئة نفسها ضرورة أن يعقب زيارة أولبرشت إلى مصر، محاولة تأمين زيارة له إلى كل من سوريا ولبنان. إلا أن الحكومة اللبنانية قابلت إندفاع برلين بفتور وتحفظ شديدين[12]. أما سوريا، فتجنبت الزيارة أو تحديد موعد لتطوير العلاقات الدبلوماسية مع برلين.

عندما وافق ناصر على زيارة أولبرشت، إتخذت الأزمة بين القاهرة وبون بعداً تجاوز مسألة صفقات الأسلحة إلى إسرائيل، حيث إعتبرتها بون "ضربة قاصمة لجهود(ها) في فرض حق التمثيل المنفرد (للشعب الألماني) في العالم الثالث". وقد أبلغ سفير بون في القاهرة الرئيس المصري، أنه عندما "... تفتح لأولبريخت أبواب القاهرة، إن العالم الثالث كله قد فتح بابه لألمانيا الشرقية وهذا موضوع خطير بالنسبة لنا" (=ألمانيا الإتحادية). أما الزعيم العربي، فإعتبر أن إسرائيل تشكل مائة مرة خطراً على العالم العربي مما تشكله ألمانيا الشرقية بالنسبة لألمانيا الغربية[13].

وفي بون، ظل المسؤولون يأملون بأن يقدم الرئيس عبد الناصر على إلغاء رحلة أولبرشت إلى بلاده في اللحظة الأخيرة، ملوحين له بسياسة "العصا والجزرة": قطع المساعدات الإقتصادية عنه فيما لو أصر على إستقبال زعيم ألمانيا الشرقية، وتذكيره بأن التحضيرات لزيارته إلى بون قد قطعت شوطاً أكثر مما يخطط للقاء أرهارد- أشكول. وسوف تؤدي هذه "الدبلوماسية" إلى عكس ما كان يومل منها، إذ

(12) المرجع السابق، ص 376.

(13) المرجع السابق، ص 377.

زادت من تدهور العلاقات بين مصر وألمانيا الإتحادية. هل كان بإستطاعة الرئيس عبد الناصر ان يلغي زيارة أولبرشت، في وقت كان فيه السوفيات يدفعونه لإتمامها؟[14]

بعد سقوط خورتشيف في منتصف تشرين الأول 1964م، أصبح من أولويات القيادة السوفياتية الجديدة المتشددة بقيادة الثالوث كوسيغن – برجنيف – بودغورني تثبيت شرعية ألمانيا الديمقراطية على الساحة الدولية، جاعلة من مصر ميداناً لتحقيق سياستها هذه. فبعد أسابيع قليلة على زيارة غرستمابر إلى مصر، حضر إلى القاهرة ألكسندر شليبين، نائب رئيس الوزراء في الإتحاد السوفياتي، وتحادث مع الرئيس عبد الناصر في مسألة علاقات بلاده مع ألمانيا الديمقراطية. ولما كانت القيادة السوفياتية الجديدة لا تود تقديم مساعدات لمصر لإنقاذها من أعبائها المالية والإقتصادية نتيجة لحرب اليمن دون مقابل، إستغل الزائر السوفياتي أزمة مصر الإقتصادية وتدهور علاقاتها مع الولايات المتحدة الأميركية (هجوم عبد الناصر على الولايات المتحدة في بور سعيد بتاريخ 23 كانون الأول/ديسمبر 1964م أثناء زيارة الوفد السوفياتي لمصر) ومخاوفها.

بروز ملامح تبادل لعلاقات سياسية وإقتصادية عربية – ألمانية، بدأت خجولة ثم تطورت، رغم العداء السياسي بسبب الموقف من إسرائيل والمشكلة الفلسطينية. تاريخ وخلفيات تلك العلاقة، تطورها ومآلها

يمكننا إدراج السياسة الخارجية الألمانية حيال القضية الفلسطينية تحت مستويين: الأول، المستوى الوطني المتأثر بالعامل الإسرائيلي والمرتبط بالمحرقة، وترتبط ملامحه الأساسية بدعم ألمانيا لإسرائيل وتقديم المساعدات العسكرية والثقافية والمادية إليها، فألمانيا هي الشريك الثاني الأكبر الداعم لإسرائيل بعد الولايات المتحدة ولا تترك محفلاً دولياً إلا تعلن فيه دعمها لإسرائيل[15].

أما المستوى الثاني للسياسة الخارجية الألمانية فيتقاطع مع سياسة الإتحاد

---

(14) المرجع السابق، ص 379.

(15) المرجع السابق، ص 381.

الأوروبي، وقد بدأت هذا التوجه منذ وثيقة شومان العام 1971م والتي بلورت موقفاً أوروبياً مشتركاً حيال القضية الفلسطينية. صحيح أن هذه الوثيقة لم تلب الطموح الفلسطيني، لكنها عبرت عن أول موقف أوروبي موحد تجاه القضية الفلسطينية لجهة حق تقرير المصير ومطالبة إسرائيل بالإنسحاب إلى حدود 1967م[16].

وتشهد السياسة الخارجية الألمانية تغيرات هامة منذ الوحدة عام 1990م، فقد وسعت التحولات الأساسية في العلاقات الدولية التي أعقبت الحرب الباردة الإطار الأساسي للسياسة الخارجية الألمانية، فلم تعد هذه السياسة تتمحور حول خدمة وتعزيز المصالح السياسية والاقتصادية الوطني على المستوى القومي، وتوسيع الاتحاد الأوروبي على المستوى الإقليمي، وتطوير التحالف عبر الأطلسي على المستوى الدولي، وإنما أيضا تعداه ليشمل المشاركة المباشرة فيما تسمى " الحرب على الإرهاب" والانخراط في الأنشطة الدبلوماسية للمساهمة في حل بعض النزاعات الدولية والإقليمية، بالإضافة إلى توسيع دائرة المساهمة في الترويج للقيم الغربية كتشجيع للحرية ودعم للديمقراطية والدعوة لاحترام حقوق الإنسان على أساس أن انتشارها مثل هذه القيم أو عولمتها يخدم المصالح القومية لألمانيا ويعزز مكانة أوروبا عالميا، إلا أن التغيرات الملحوظة المتنامية في السياسة الخارجية الألمانية على المستوى الأوروبي والدولي، لم تكن بنفس المستوى تجاه المنطقة العربية خاصة فيما يتعلق بالصراع العربي – الإسرائيلي والقضية الفلسطينية على الرغم من أهمية هذه القضية وانعكاساتها على الأمن الأوروبي والعالمي، فربما لا يوجد منطقة ولا قضية في العالم تواجه فيها السياسة الخارجية الألمانية تعقيدات وإشكاليات متشعبة كمنطقة الشرق الأوسط وكالقضية الفلسطينية، فيما بين العلاقة الخاصة بإسرائيل والتي ترتبط تاريخيا بما اصطلح على تسميته بالهولوكوست، والمصالح الاقتصادية والسياسية المتنامية مع الدول العربية أصبح البحث على نقطة التقاء أو حتى موقف وسط بين الفلسطينيين وإسرائيل وأمريكا يسيطر على تفكير النخب وصناع السياسة الألمانية الدولية لحلحلة

---

(16) Kinan Jaber, Quadratur des Dreiks, Die deutsche Israelischen Beziehungen, und die palastinenser 1967-1989 Schwalbach/Ts, 1997, Fran Waxel 2006, Das Nahost Dilemma Deutschlandsaussen politische Eliten und ihreRolle in Konflikt management während der ersten und zweiten Inifada. Johan wolfgang Geothe Universitat Frankfurt

عقد الصراع خاصة في عهد الائتلاف الاشتراكي – الخضر – والذي واكب اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م– فقد بقيت السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية خاصة في إطارها الوطني الثنائي دون المستوى المطلوب داخليا، وحتى المأمول خارجياً لدولة كبرى تطمع بعلاقات قوية مع إسرائيل من جهة، وتعتبر أكبر مانح أوروبي وثالث عالمي للسلطة الفلسطينية من جهة أخرى، ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى، كما نفترض هنا وكما يرى الكثير من المحللين والمراقبين، إلى العلاقة الخاصة بإسرائيل، ومن ثم بالدرجة الثانية إلى زيادة انخراط السياسة الألمانية الخاصة بهذه القضية في إطار الاتحاد الأوروبي.

الخلفية والسياق التاريخي

إن فهم السياسة الخارجية الألمانية ومحدداتها تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي– الإسرائيلي يتطلب أولا معرفة التطور التاريخي لهذه السياسة، ويمكن تقسيم هذا السياق التاريخي إلى مرحلتين واجهت خلالهما السياسة الألمانية عقد وإشكاليات من نوع خاص: في الأول كان عليها التوفيق بين التخلص من اليهود بالهجرة (قبل بلورة الحل النهائي) "لتنظيف ألمانيا وتطهيرها" وبين إرضاء العرب لضمان دعمهم في الحرب ضد بريطانيا، وفي الثانية كان عليها الموازنة بين دعم إسرائيل شبه المطلق من جهة، وبين مصالحها المتنامية مع العالم العربي من جهة أخرى، فكيف تطورت هذه السياسة في مراحلها المختلفة وكيف نشأت هذه العقد والإشكاليات؟

السياسة الألمانية في فلسطين من الوحدة وحتى نهاية الحرب الثانية

ارتبطت السياسة الألمانية تجاه فلسطين منذ البداية بالمسألة اليهودية، وكان لها وجهين مترابطين: الأول يتمثل في سياسة تهجير اليهود الألمان إلى الخارج، وقد تم التعبير عنه بدعم جهود الحركة الصهيونية الرامية إلى تشجيع هذه الهجرة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم هناك، ولم تتغير هذه السياسة طوال الفترة الممتدة من عهد الإمبراطورية التي نشأة مع الوحدة الألمانية الأولى مرورا بالحرب العالمية الأولى، وحتى جمهورية فايمر التي انتهت على يد الحزب الوطني الاشتراكي المعروف اختصارا بالحزب النازي عام 1933، ومع هذا العهد الجديد بدأت تتبلور

تدريجيا سياسة أكثر وضوحا وإصرارا على "تنظيف ألمانيا" من اليهود.

وبالرغم من محافظة الحكومة النازية خلال الثلاثينات على هذه السياسية من خلال السعي إلى استغلال الحركة الصهيونية وإرضاء البريطانيين لتحييدهم في الحرب، فقد تميزت هذه الفترة على وجه الخصوص بظهور المسألة اليهودية ليس فقط كمشكلة داخلية، وإنما أيضا كمسألة أولوية في السياسة الخارجية الألمانية، وقد سعت الحكومة الألمانية في بداية عهدها إلى تحقيق هذه هذا بوسائل الإقناع والتحفيز، فتعاونت مع الحركة الصهيونية في قضية تنظيم وتشجيع الهجرة إلى الخارج وما تجدر الإشارة إليه هنا النظر ولم يتم الحديث عنه بشكل واضح من قبل الكثير من المؤرخين والباحثين هو استغلال هذه المسألة أيضا لتحقيق أهداف اقتصادية داخلية وخارجية، ففي عام 1933م وقعت الحكومة النازية اتفاقا مع الوكالة اليهودية لفلسطين والمعروب بـ"هافارا" أو اتفاق التسفير، والذي يربط السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين بشراء البضائع الألمانية من قبل اليهود.

وتبرز أهمية هذا الاتفاق ليس فقط في فوائده الاقتصادية حيث أصبحت ألمانيا بحلول عام 1937م المصدر الأول للسلع إلى فلسطين، ولا أيضا دوره " المأمول" في تقويض المقاطعة الاقتصادية لألمانيا، وإنما أيضا في حقيقة أنه أوجد لأول مرة إجماعا في الحكومة الألمانية على أن تكون فلسطين هي الوجهة الأساسية لليهود الألمان، واستمر هذه الأمر كذلك حتى ثورة 1936م حيث بدأ يتغير الإجماع، ولكن سياسة تشجيع الهجرة بقيت كما هي.

الوجه الآخر للسياسة الألمانية تجاه فلسطين خلال هذه الفترة تمثل في علاقة ألمانيا بالشعب العربي الفلسطيني، فمنذ 1933م سعى العرب للحصول على مساعدة ألمانيا ضد تدفق اليهود إلى فلسطين من منطلق الشعور بأن سياسة هتلر المعلنة ضد اليهود يمكن أن توظف في نضال العرب من أجل الاستقلال عن بريطانيا، ويشير القنصل الألماني العام في فلسطين هاينريش فولف Heinrich Wolff إلى أن الشيخ المفتي أمين الحسيني ورجال دين آخرين إلتقوه وأعربوا عن رغبتهم بالتعاون مع النظام الجديد وطالبوه بعدم إرسال أي مهاجرين جدد إلى فلسطين، وهي المطالب التي لم يتعامل معها الحكم في برلين خوفا على العلاقات البريطانية الألمانية ويبدو من السياق أن هناك سوء فهم فيما يتعلق بربط العرب بين سياسية ألمانية لتهجير اليهود

وبين قضيتهم في فلسطين.

فسياسة ألمانيا في الثلاثينات كانت تقوم بالأساس على قبول أمرين: الصهيونية والمواقف البريطانية، وأي تشجيع أو دعم رسمي أو علني للحركة العربية سيؤدي إلى تغيير حالة الأمر الواقع في المنطقة، وهي الحالة التي لم تكن ألمانيا لتغيرها ما دامت تضمن تحييد بريطانيا في أي حرب قادمة في أوروبا. وكنتيجة، وبعيدا عن شحنات الأسلحة التي قدمتها ألمانيا للثوار العرب في أواخر الثلاثينات لم يتم عمل أي شيء جوهري لتغيير هذه السياسة. ولا يقلل هذا من أهمية الثورة الفلسطينية عام 1936م في تغير الموقف الألماني فقد دفعت القادة الألمان إلى إعادة التفكير بسياستهم تجاه فلسطين، وهو ما ساعد على ظهور حوار حقيقي حول إعادة التفكير في اعتبار فلسطين أولوية لهجرة اليهود الألمان.

ثم جاءت توصيات لجنة بيل 1937م لتحدث نقاش حقيقي في برلين حول سياستها في فلسطين، وكادت تؤدي إلى إعادة النظر كليا في اتفاق هافارا وسياسة ألمانيا تجاه العرب، ومع ذلك فإن هناك أدلة على أن هتلر وافق على استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالرغم من خطة التقسيم ومن احتمالية أن تقود هذه الخطة إلى قيام دولة يهودية مستقلة هناك وهنا تجدر الإشارة إلى أن معارضة الحزب النازي لإقامة الدولة اليهودية التي دعت إليها الخطة لم تكن ببساطة لأسباب أيديولوجية، وإنما بسبب الخوف من أن تجعل سياسات هتلر " المعادية للسامية" من أية دولة يهودية عدوا طبيعيا للرايخ وحليفا لأعداء ألمانيا ومع ذلك، ومع تضائل فرص قيام مثل هذه الدولة، فقد أعاد هتلر التأكيد على دعمه لفكرة فلسطين كوطن لليهود الألمان. ومع البحث بجدية عن بدائل مثل مدغشقر وذلك بسبب زيادة الشعور بأن فلسطين ليست كافية لامتصاص العدد المتنامي من المهاجرين اليهود، وخاصة مع زيادة المقاومة العربية التي أجبرت السلطات البريطانية على تقييد هذه الهجرة إلى حدها الأدنى.

ومن الواضح هنا أن موقف هتلر من الإمبراطورية البريطانية كان عاملا حاسما في سياسته تجاه المسألة اليهودية، فسياسة ألمانيا البريطانية خلال الثلاثينيات تكاد تكون العامل الأكثر تأثيرا في سياسة الحكم النازي تجاه العرب بشكل عام والحركة القومية العربية في فلسطين بشكل خاص فما دام هتلر يأمل بتجنب الحرب

مع بريطانيا وتحييدها لم يكن ليقدم شيئا مهما لدعم وتشجيع المقاومة العربية للاحتلال في فلسطين، وقد استمر الموقف الداعم للهجرة اليهودية حتى عام 1941م عندما ظهرت فكرة "الحل النهائي" ورتبتها حكومة هتلر كسياسة منظمة لإنهاء الوجود اليهودي ليس فقط في ألمانيا، وإنما أيضا في أوروبا كاملة، وقد تزامن هذا مع بداية تحول واضح في سياسة ألمانيا تجاه فلسطين حيث بدأت حكومة هتلر – وربما لأول مرة– تنظر إلى العرب ليس فقط "كوسيلة" لتحييد بريطانيا في الحرب وإنما كحركة يمكن أن تساعد على إضعاف القوة البريطانية وهزيمتها.

وقد كانت زيارة المفتي إلى برلين عام 1941م إشارة مهمة على هذا التغير وإعلانا واضحا لسياسة ألمانية جديدة تمثلت في دعمها للحقوق العربية الفلسطينية في الاستقلال، وهي السياسة التي استمرت كذلك حتى نهاية الحرب عام 1945م، ولكن مع هزيمة ألمانيا واحتلالها عام 1945م انتهت تماما السياسة الألمانية في فلسطين.

السياسة الألمانية في فلسطين منذ النشأة 1949م وحتى الوحدة 1990م

منذ إنشاءها بعد الحرب الثانية عام 1949م وحتى الوحدة 1990م مرت السياسة الألمانية بعدة مراحل، ولكن ما ميزها بشكل عام هو أنها كانت دائما تحاول الوقوف في موقف وسط بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية من جانب والولايات المتحدة وروسيا أو الاتحاد السوفيتي من جانب آخر، ففي السنوات الأولى بعد نهاية الحرب وخلال الخمسينات كانت ألمانيا تعمل جاهدة على دعم الدولة العربية الجديدة بهدف المصالحة معها. وقد كان هذا الموقف متأثرا إلى حد ما بالنظرة الواقعية؛ فدعم إسرائيل يتوافق مع سياسة الولايات المتحدة، الحليف الرئيس للألمان والغرب، خلال الحرب الباردة، ثم حافظ المستشار الأول كونراد اديناوار Konrad Adenaure والذي لم يكن نازيا ولا بطل مقاومة، وكما يشير كاتب سيرته الشخصية Henning Kohler على علاقات ودية مع رئيس وزراء إسرائيل آنذاك بن غوريون، وبتوقيعها اتفاقية لوكسمبورغ أيلول/ سبتمبر 1952م التزمت حكومة بون بدفع تعويضات قيمتها 3 بليون مارك ألماني للناجين من المحارق. وعلى الرغم من أن ألمانيا الغربية لم تقم علاقات مع إسرائيل حتى 12 أيار/مايو 1965م فقد كان هناك جميع أنواع الاتصالات القوية على المستوى غير الرسمي.

إلا أن النزعة العامة للحكومات الفدرالية المتعاقبة حتى 1969م كانت تتمثل في تجنب – ما أمكن – الإشارة في كل بيان تصدره إلى النزاع العربي الإسرائيلي، بينما تؤكد الالتزام بما يمكن تسميته الخيار الإسرائيلي بشكل واضح فقد كانت السياسية الألمانية خلال هذه الفترة– ولا زالت بالطبع ولكن بصورة مختلفة– محكومة أو ربما موجهة بالعامل الأخلاقي المرتبط أساسا بما تعرض له اليهود من اضطهاد وربما " إبادة" في أوروبا ومن ثم تبعات ذلك من مستحقات كتقديم التعويضات لإسرائيل، حتى عندما احتلت إسرائيل الأراضي العربية المتبقية من فلسطين عام 1967م– وبعيدا عن الرأي العام الألماني– فقد كان موقف الحكومة الألمانية يتميز إلى حد ما بما يمكن تسمية " بالحياد الناعم". فالتغير المحلي في السياسة الداخلية الألمانية أدى بدوره إلى تغيير واضح في سياسة ألمانيا الشرق أوسطية، فالتحالف الليبرالي الاشتراكي بين فيلي براندت وهيلموت شميت Willy Brandt and late Helmut Shmidt كان بداية التحول التدريجي في الموقف الألماني من النزاع العربي – الإسرائيلي، حيث بدا يتزايد الاهتمام وحتى الالتزام بالبحث عن حل للصراع بشكل أوضح، وقد ساعد على هذا الالتزام إلى حد كبير انخراط ألمانيا ودول السوق الأوروبية المشتركة EEC في بداية 1970م بجهود حقيقة لتنسيق سياساتها الخارجية ضمن إطار التعاون السياسي الأوروبي، فمع الإعلان عن الورقة السرية (Schumann Document) لدول المجموعة الأوروبية في أيار/مايو 1971م والتي طالبت بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلت عام 1967م وحل مشكلة اللاجئين، فقد حدث تغيير ملموس في سياسة ألمانيا الشرق أوسطية، وبدأت حكومة براندت إعادة النظر في مبدأ هالشتاين Hallstein Doctrine وواكب ذلك أيضا إعادة التفكير في المنهج المتبع في التعامل مع العالم العربي حيث بدأت ألمانيا تتبنى وإن كان علنا سياسة أكثر توازنا وحيادية في الصراع، وقد عملت سياسة "التوازن الجديدة" إلى تقسيم تدريجي لمحددات السياسة الألمانية بين العامل الأخلاقي والسياسة البرغماتية العلمية: أمن إسرائيل و"حقها في الوجود من جهة، والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني من جهة أخرى، ولعل هذا التغير لم يأتي من فراغ، ولا من صحوة ضميره، وإنما جاء في سياق تأثيرات قرار أوبك بحظر النفط عن الدول الغربية الداعمة للدولة المتعدية في أعقاب حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام 1973م، وعليه

فقد أصدرت ألمانيا الفدرالية بيانا في تشرين الثاني/نوفمبر 1973م لتوضيح موقفها من الصراع في الشرق الأوسط في سياق السياسة الأوروبية EPZ والذي تم فيه ليس فقط تأكيد مبدأ وثيقة شومان، ولكن أيضا الإقرار بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

فقد قامت المجموعة الأوروبية بما فيها ألمانيا وفي إطار EPZ بتقديم مشروعها الخاص للسلام والذي جاء معارضاً لاتفاقيات كامب ديفيد وكانت النقطة الرئيسية في البيان هي اعتراف أوروبي صريح لأول مرة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، والدعوة إلى حل شامل، ومطالبة إسرائيل بالانسحاب من الأراضي المحتلة بما فيها القدس الشرقية ومع ذلك فقد كان موقف ألمانيا متردد إلى حد ما، حيث كانت تريد معارضة ما اعتبرته سياسة أوروبية داعمة للفلسطينيين بقيادة فرنسا. وأعلنت عن دعمها لسياسة حماية أمريكا وإسرائيل بشكل علني وصريح، ولهذا بقيت سياسة ألمانيا بشكل عام تحت عنوان التوازن هذا داعمة لإسرائيل إلا أن هذا لا ينفي أن دعم ألمانيا لإعلان فينيس ودورها في الحوار العربي– الأوروبي أظهر تقاربا أكبر للسياسة الألمانية الشرق أوسطية مع المستوى الأوروبي EPZ وكنتيجة فقد تأثر الموقف التاريخي الألماني من الصراع بشكل تدريجي كما تأثرت العلاقة الألمانية الإسرائيلية على الرغم من تقوية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بشكل كبير، وعلى الرغم من الحملة الإسرائيلية على لبنان وغزوها في صيف العام التالي 1982م فقد تحسنت العلاقات الألمانية الإسرائيلية، خاصة بعد تولي التحالف المسيحي الليبرالي بقيادة هيلموت كول السلطة، بل وقويت علاقة ألمانيا مع إسرائيلي من جديد وأصبحت المصالح الإسرائيلية مرتبطة بسياسة ألمانيا الشرق أوسطية.

وتميزت السياسة الأوروبية ومن ضمنها السياسة الألمانية الخاصة بالقضية الفلسطينية حتى اندلاع الانتفاضة الأولى 1987م بعدم الفعالية: فالتعاون الأوروبي السياسي لم يحقق شيئاً وانحصر دوره تقريباً في جهود متفرقة للتوفيق بين المبادرات المختلفة التي تعاقبت بشكل متسارع من خطة ريغان أيلول/سبتمبر 1982م إلى مقترحات فيز في 9 أيلول/سبتمبر إلى اتفاق الحسين عرفات 11 شباط/فبراير 1985م وفي النتيجة فإن العلاقة بين السياسة الألمانية والسياسية الأوروبية الشرق أوسطية في الثمانينات يمكن وصفها بالكلمات التي عبر عنها: Junnemann أن

نجاح الاندماج المؤسساتي الأوروبي في إطار EEC لم يمنع أو يحد من التوجهات الفردية أو السياسات الوطنية الخارجية لأعضائه".

وفي شباط/فبراير 1987م قام وزراء خارجية المجموعة الأوروبية بالدعوة إلى مؤتمر سلام تحت رعاية الأمم المتحدة، وقد كان هذا ردة فعل لاحتدام الصراع خاصة بعد اندلاع الانتفاضة الأولى، ثم انعقد في صيف 1988م الحوار الأوروبي – العربي والذي ساهم فيما بعد بالتزام المجموعة الأوروبية في حزيران/يونيو 1989م بيان مدريد وفي نفس العام جاء انهيار جدار برلين ليمثل بداية حقبة جديدة لألمانيا. والقضية الفلسطينية وللمنطقة.. وللعالم أيضا.

ميركل في السلطة

لقد كان واضحا منذ البداية وحتى قبل أن تصبح مستشارة لألمانيا أن ميركل سوف تتبنى سياسة خارجية مختلفة في الأسلوب عن سابقها شرودر، فالأخير تبنى نهجا مختلفا عن التقاليد التي ميزت السياسة الخارجية الألمانية منذ الحرب العالمية الثانية، فقد كان يعطي الأولوية للمصالح الألمانية الأوروبية، بينما يحاول أن يحرر ألمانيا من التزاماتها التقليدية عن تحالفها مع الولايات المتحدة، بل وتبنى سياسة معارضة بقوة للسياسات الأمريكية خاصة غزو العراق، ما حدث بعد شرودر هو أن ميركل عادت بالسياسة الخارجية الألمانية التقليدية لما كانت عليه قبل شرودر، والتي من أهم ملامحها دور ألمانيا فعال في أوروبا، وعلاقات متينة مع الولايات المتحدة، وتوازن نسبي بين السياسات التي تقوم على المصالح وتلك التي تقوم على القيم، وأخيرا منهج في التعامل أكثر هدوءاً.

فميركل ووزير خارجيتها فرانك شتاين ماير لم يبتعدوا كثيرا عن المسار المستقل الذي بدأه شرودو، وما حصل هو أن نموذج التحدي والمواجهة الذي ميز فترة شرودر استبدل بنموذج استقلالي آخر يقوم على التقارب مع الولايات المتحدة ولكن بصورة متكافئة نسبيا، ويتبنى مواقف أكثر صراحة في دعم إسرائيل، وقد ظهر هذا بشكل خاصة في الحروب الهمجية التي شنتها إسرائيل على لبنان صيف 2006م، وعلى غزة شتاء 2008م.

لقد كان كل من ميركل وشتايمر يدركان حقيقة أن الموقف الأوروبي الموحد

هو فقط الذي سيمكن الاتحاد الأوروبي من ممارسة النفوذ في المنطقة، وحتى الآن فإن الاختلاف داخل الاتحاد الذي ظهر إلى السطح خلال أزمة لبنان وحرب غزة والسمة الهشة للسياسة الخارجية والدفاعية الأوروبية (كما كان الأمر في حالة العراق 2003م) لا تعطي مؤشرات حقيقية، عداك عن انشغال ألمانيا والدول الأوروبية بقضايا ومسائل أخرى اقتصادية كنزاع الطاقة بين روسيا وأوكرانيا، وكذلك أزمة الركود العالمية وغيرها من القضايا ذات الأهمية للأمن والاقتصاد الأوروبي.

في ضوء الأوضاع المتدهورة خاصة بعد الحرب على لبنان وما نتج عنها من ضعف واضح للحكومة الإسرائيلية لم يحسن العرب استغلاله، عملت ألمانيا تحت قيادة ميركل ومن خلال رئاستها الاتحاد الأوروبي على إتّباع إستراتيجية تتناغم إلى حد واضح مع الرغبة الأمريكية في تشجيع ما يسمى الدول العربية المعتدلة للعب دور أكبر في تسوية الصراع العربي الإسرائيلي فبسبب فشل المحاولات المتكررة لإحياء المفاوضات المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين نتيجة للسلوك الإسرائيلي العدواني المتكرر على الشعب الفلسطيني وكذلك الاستيطان، فإن الأوروبيين يحاولون من خلال التركيز على مفهوم الدول المعتدلة للتأكيد على منهجهم ودورهم الرامي إلى تحقيق السلام في المنطقة وفي هذا السياق عملت ألمانيا خاصة خلال رئاستها الاتحاد على تحقيق توافق بين مصالح الدول الأعضاء في الاتحاد والتي لا زالت حتى اليوم تتخذ مواقف متباينة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والأوضاع في الأراضي الفلسطينية، ولم يكن من السهل تحقيق مثل هذا الهدف خاصة في ضوء التجارب السابقة، وعلى الرغم من الجهود الدبلوماسية التي بذلتها ألمانيا لم تتمكن – وكما كان متوقعا من تحقيق شيء جديد أو اختراق حقيقي يساعد على تخفيف معاناة الشعب الفلسطيني أو استعادة حقوقه المشروعة، وذلك لأسباب من أهمها: أولا، استمرار تأثير العلاقة الخاصة بإسرائيل والتي تحد من هامش مناورات الجانب الألماني للحصول على تنازلات إسرائيلية؛ وثانيا: عدم الرغبة الأمريكية لقيام ألمانيا أو الاتحاد الأوروبي بمثل هذا الدور؛ وثالثا بسبب مشاركة ألمانيا والاتحاد الأوروبي في سياسة عزل دول أساسية كسوريا، وأطراف فلسطينية محورية كحماس.

محددات السياسة الألمانية تجاه فلسطين والعرب

يمكننا القول أن المصالح الألمانية في المنطقة تتمحور بشكل عام حول

الأبعاد الثلاث التالية: الأول، المصالح الاقتصادية، والتي من أهمها الوصول الآمن إلى مصادر الطاقة وزيادة الصادرات إلى أسواق المنطقة. ومن الملاحظ هنا أن هناك تزايد في حجم التجارة والصادرات بين الطرفين. فقد ارتفعت على سبيل المثال الصادرات الألمانية إلى الأسواق العربية من حوالي 15 مليار دولار عام 2001م إلى حوالي 22 مليار دولار عام 2006م، وهناك مؤشرات على زيادة الاستثمارات المباشرة في العديد من الدول العربية من ضمنها الخليج وليبيا.

والبعد الثاني وهو الأمن، والذي يتمثل في تجنب أية مخاطر قد تنجم عن النزاع العربي الإسرائيلي الممتد على مدى ستين عاماً، أو تلك المحتملة من إمكانية الانتشار النووي، وخاصة مع تزايد الاهتمام بالمسالة النووية الإيرانية. وهذا لا يعني تخوف ألمانيا من الدخول في نزاع مسلح مع دول المنطقة، بل إن ألمانيا كانت دائما وأبدا ترفض وتنأ بنفسها عن أي تدخل عسكري أيا كان شكله في المنطقة إلى أن قررت الحكومة الألمانية بقيادة ميركل المشاركة في قوات "اليونفيل" في لبنان، في خطوة هي الأولى من نوعها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإنما القلق ناجم عن أن يكون للنزاعات القائمة هنا تأثيراً على الداخل الألماني، أو على الأمن الأوروبي، بحكم المتاخمة الجغرافية من جهة، والخوف المتزايد مما يسمونه هنا الإسلام المتشدد أو "الإرهاب" من جهة أخرى.

أما البعد الثالث للمصالح الألمانية في المنطقة فهو سياسي بحت، ويتعلق بشكل خاص بما يسمى بعملية السلام بين العرب وإسرائيل. فمن الواضح أن هناك مصلحة لألمانيا في هذه العملية، ولهذا فقد أعطت السياسة الألمانية اهتمام خاص لحل النزاع العربي الإسرائيلي. ومصلحة ألمانيا في تسوية هذا النزاع لا يرتبط فقط بالاعتبارات الإنسانية، أو بالمصلحة الأوروبية العامة في استقرار المنطقة، وإنما تعكس أيضا العلاقة الخاصة بإسرائيل سياسيا وتاريخيا من جهة، والعلاقات المتنامية بين المجتمعين الإسرائيلي والألماني علميا وثقافيا من جهة أخرى.

وبالتالي فإن تسوية الصراع بين العرب والإسرائيلي سوف يعمل أولا على "حلحلة" عقدة الذنب التاريخية، ثم ثانيا سيضع حداً لمخاوف ألمانيا المستمرة من التنازع بين علاقتها الخاصة بإسرائيل من جهة، ومصلحتها في تقوية علاقاتها التجارية والاقتصادية مع الدول العربية ودول المنطقة الأخرى من جهة أخرى.

هذه هي الأبعاد الرئيسية للمصالح الألمانية في المنطقة، فكيف تتحدد السياسة الخارجية الألمانية تجاه القضية الفلسطينية في ضوء هذه المصالح؟

ثانيا: ما هي محددات السياسة الخارجية الألمانية تجاه المنطقة العربية؟

على الرغم من تنامي مفهوم المصالح الألمانية الوطنية في المنطقة العربية وبروز ملامح سياسة ألمانية جديدة في المنطقة خاصة بعد الحرب الإسرائيلية على لبنان، إلا أنه لا يمكننا القول بوجود سياسة خارجية ألمانية مستقلة تجاه المنطقة أو القضية الفلسطينية، وذلك بسبب علاقة ألمانيا الخاصة بإسرائيل من جهة، وانخراطها المتزايد في سياسة الاتحاد الاتحاد الأوروبي في هذا السياق، من جهة أخرى. إلا أن هذا الواقع لا يعني عدم وجود محددات خاصة للسياسة الخارجية الألمانية تجاه المنطقة، تميزها عن السياسة العامة للاتحاد. فصحيح أن ألمانيا لم يكن لها في السابق سياسة معلنة تجاه الشرق الأوسط، وصحيح أيضا أن المدى المتاح لألمانيا وحتى لدول الاتحاد الأوروبي الأخرى لتبني سياسة مستقلة فيما يتعلق بالمنطقة محدودا إلى حد ما، إلا أن لألمانيا، كما سبق وأشرنا، علاقات اقتصادية وأمنية وسياسة في المنطقة ربما لا يتعارض مع، وإنما تختلف إلى حد ما عن مصالح دول الاتحاد الأخرى، على الأقل عندما يتعلق الأمر بالأولويات.

وهنا نكون أمام محددين اثنين للسياسة الخارجية الألمانية تجاه المنطقة: الأول هو المحدد المستقل، والذي يتمثل في العلاقة الخاصة بإسرائيل (العامل التاريخي الأخلاقي)، والثاني هو العامل التابع والمتمثل في المصالح الاقتصادية مع الدول العربية خاصة النفطية منها (المنهج البرغماتي).

الإطار الأوروبي للسياسة الألمانية في المنطقة

كانت ألمانيا تقليديا تلحق موقفها من الصراع العربي الإسرائيلي بالإطار الأوروبي بينما تعمل في الوقت نفسه على كبح أو على الأقل الحد من المواقف والسياسات الأوروبية التي تبدوا منتقدة لإسرائيل. فمنذ إعلان فينس 1980م مرورا بإعلان برلين 1999م وانتهاء بإعلان برشلونة 2002م التزمت ألمانيا على المستوى السياسي تحديدا بدعوة الاتحاد الأوروبي إلى إقامة دولة فلسطينية، والاعتراف العربي والفلسطيني بإسرائيل، وانسحاب إسرائيل من حدود ما قبل 6 حزيران/يونيو 1967م،

وإنهاء سياسة الاستيطان، ووقف " العنف".

كما دعمت الجهود المبذولة في السنوات القليلة الماضية والرامية إلى عدم التصعيد واللجوء إلى المفاوضات كسبيل أوحد لحل النزاع، فدعمت في إطار الاتحاد الأوروبي المبادرة العربية وخطة خريطة الطريق. ولا زالت ألمانيا تحافظ على التزاماتها وتوجهاتها ضمن هذا الإطار بشكل قوي وواضح، بل إن محور برلين – باريس لا زال يشكل الضامن الأقوى لهذا الإطار.

ومع ذلك – ولعل في هذا مفارقة – فإن ألمانيا وبسبب علاقتها الخاصة بالكيان الإسرائيلي لا زالت تحد من التوجهات الأوروبية والتي قد تتضمن أحيان انتقادا صريحا للعدوان والممارسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني. فكما كان التدخل الألماني سببا في عدم الإشارة إلى منظمة التحرير في إعلان فينيس 1980م إرضاء لإسرائيل، فقد كان للموقف الألماني من قضية الحرب على لبنان أثرا في الحد من التوجه الأوروبي العام لانتقاد إسرائيل، وحتى تبني الشروط الإسرائيلي لوقف الحرب.

مع ذلك، ربما تمتعت ألمانيا في هذا السياق بموقع أكثر ديناميكية قد يمكنها من لعب دور أكثر فاعلية وقبولا مما هو الحال بالنسبة للدول الكبرى الأخرى الفاعلية في المنطقة، وللأسباب التالية:

أولا: بالنسبة لإسرائيل تختلف ألمانيا عن باقي الدول الأوروبية، فهي لا تواجه بتحفظ مبدأي، بل وينظر إليها كشريك محايد أو مستقل.

ثانيا: بالنسبة للدول العربية فإن ألمانيا لم تكن دولة استعمارية في المنطقة، وصورتها تتمثل في الشريط الاقتصادي الهام خاصة مع وجود روابط قوية مع شركات النفط العربية، والأكثر أهمية هو أن الحكومة الألمانية هي أهم داعم اقتصادي للسلطة الفلسطينية.

وهي تحاول من خلال هذه العلاقات أن تحقق نوعا من التوازن مقابل تحيزها السياسي لإسرائيل.

وعليه يبدو وكأن الحذر الألماني من الانخراط السياسي المباشر في المنطقة أو التردد في لعب دور الوسيط الفعال أحد الأسباب التي ساهمت في تشكيل صورة

أكثر إيجابية لدى الأطراف في إمكانية أن تكون ألمانيا شريكا مستقلا أو على الأقل أكثر حيادية في النزاع، ولهذا بدأت تبرز بعض مظاهر التغيير في السياسة الألمانية التي تمثلت في ما سمي مبادرة فشر التي عبرت عن الحاجة إلى موقف متوازن تجاه الفلسطينيين والإسرائيليين، وعقد مؤتمر دولي لإحياء ما زال يسمى بعملية السلام وتفعيل دور اللجنة الرباعية وعلى الرغم من التوجهات اليمينية للحكومة التي يقودها الحزب المسيحي، فلا يبدو أن هناك تراجعا في التوجه نحو دور أكثر فعالية في المنطقة ولكن دون المساس بعلاقات التحالف الإستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ألمانيا والأراضي الفلسطينية وعملية السلام

يعتبر السعي من أجل إحلال سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط محور من محاور نشاط السياسية الخارجية الألمانية. حيث تشكل هنا خطة خارطة الطريق قاعدة للعمل، تلك الخطة التي أعدتها اللجنة الرباعية (الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة)، وهي خطة سلام ينبغي أن يقود السير عليها إلى تحقيق حل الدولتين، دولة ديمقراطية فلسطينية تعيش جنباً إلى جنب مع إسرائيل. وقد قام مجلس الأمن الدولي في 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2003م في قراره 1515 بالإعلان رسمياً عن خطة السلام هذه. ويعود نص الخطة إلى تحضيرات تمت في إطار سياسة الخارجية والأمن المشتركة الخاصة بالاتحاد الأوروبي، وقد كانت مشاركة ألمانيا في هذه التحضيرات مشاركة حاسمة.

التطورات بعد إستشهاد ياسر عرفات

ويسود منذ بداية العام 2005م هدوء في الأوضاع، وقد إنتخب الفلسطينيون في 9 كانون الثاني/يناير 2005م في إنتخابات ديمقراطية محمود عباس رئيسا لهم. إلى ذلك إتفق الإسرائيليون والفلسطينيون خلال لقاء قمة عقد في منتجع شرم الشيخ المصري في شهر شباط/فبراير على خطوات تقارب متبادلة. كما إتفقت جميع المجموعات الفلسطينية في شهر آذار/مارس في القاهرة على التخلي عن العنف. كما جرى في شهر آب الإنسحاب الإسرائيلي من 21 مستوطنة إسرائيلية في قطاع غزة وأربع مستوطنات أخرى في الضفة الغربية، ولم يشب هذا الإنسحاب أية مشاكل تذكر.

لقد دعمت ألمانيا منذ البداية إنشاء السلطة الفلسطينية بهدف تشكيل إدارة شفافة وديمقراطية من أجل تقوية ثقة المواطنين في الدولة لكي يشكل ذلك قاعدة لبناء الدولة في المستقبل. وتعتبر الأراضي الفلسطينية أحد مرتكزات التعاون التنموي الألماني، حيث يقدر مجمل قيمة الدعم الثنائي حتى الآن بـ532 مليون يورو. إلى ذلك تأتي المساهمات الألمانية المدفوعة في برامج التنمية التي تنفذها الأمم المتحدة وكذلك البنك الدولي. كما تساهم ألمانيا بما قيمته 23% بميزانية التنمية الخاصة بالمفوضية الأوروبية. ويكون التركيز في برنامج التنمية في قطاعات المياه والمياه العادمة وكذلك دعم الاقتصاد وبناء المؤسسات. في هذا الإطار يجري إعادة تأهيل وبناء محطات تنقية المياه العادمة ومكبات نفايات تحافظ على جودة البيئة وكذلك مدارس ودعم البنية التحتية على مستوى البلديات. وتساهم برامج التشغيل المختلفة بالقضاء على الفقر. كما يدعم التعاون التنموي الألماني إنشاء نظام تعليم مهني وكذلك تحسين إدارة البلديات ويساعد الشركات الصغيرة والمتوسطة. كما قام عدة مستشارين ألمان في السنين الماضية بتقديم المساعدة لمجموعة من المؤسسات الفلسطينية في مجال تحسين طريقة العمل داخل المؤسسات، ومن بين هذه المؤسسات ديوان رئاسة الوزراء، وكذلك وزارة الاقتصاد الوطني ووزارة الخارجية إلى جانب البرلمان – المجلس التشريعي الفلسطيني. إلى ذلك تعمل مؤسسة الخدمة المدنية للسلام بشكل حثيث مع عدد من المنظمات غير الحكومية بهدف المساهمة في التقليل من حدة الصراع.

ويعمل في الوقت الحاضر الرئيس السابق للبنك الدولي السيد جيمز ولفنسون، المكلف من اللجنة الرباعية لشؤون الإنسحاب من غزة، على وضع الظروف الإطارية لتحسن مستدام للإقتصاد الفلسطيني وتأمين التنسيق بين الجهات المانحة. وتعمل في طاقم السيد ولفنسون خبيرة ألمانية.

ألمانيا تدعم بناء الدولة الفلسطينية

إن بناء الهياكل الحكومية في الأراضي الفلسطينية يُعتبر شرطاً لتحقيق حل الدولتين، هذا ما أكده وزير الخارجية الألمانية جيدو فسترفيلى أثناء أولى جلسات لجنة التسيير الألمانية الفلسطينية (اللجنة التوجيهية المشتركة) يوم الثلاثاء

الموافق18مايو/أيار 2010م.وتُعد هذه اللجنة شيئاً جديداً على الساحة الدولية وليس هناك أي بلد لديه مثل هذا المنتدى مع الفلسطينيين.

وتعمل لجنة التسيير المشتركة على تعميق وترسيخ الإسهام الألماني في الأراضي الفلسطينية. وبعد محادثات متخصصة مكثفة اتفق الجانبان الألماني والفلسطيني على نتائج ملموسة من بينها:

- توفير 20 مليون يورو إضافية كمخصصات تنمية ومليون يورو كمساعدات إنسانية لأفراد الشعب المحتاجين في الأراضي الفلسطينية.
- مواصلة بناء جهاز الشرطة في الضفة الغربية
- تعزيز العلاقات الاقتصادية على المستوى الثنائي
- تعزيز دعم العلماء الفلسطينيين

ومن جانبه وصف رئيس الوزراء الفلسطيني فياض اللقاء بأنه "يوم تاريخي" وأكد على الشخصية النموذجية التي تتمتع بها اللجنة. وتعطي لجنة التسيير الفلسطينيين الأمل عند بناء دولتهم الخاصة بهم.

وقد رحب وزير الخارجية الألمانية فسترفيلى بمحادثات السلام غير المباشرة التي يؤيدها الاتحاد الأوروبي بموقف جماعي وثابت. وقال فسترفيلى أن الاتحاد الأوروبي يسهم بقوة في بناء الدولة الفلسطينية وهو أمر يدعو للامتنان أن هناك آلية بالاتحاد الأوروبي تعمل على توثيق أوجه التقدم التي تحرزها السلطة الفلسطينية وجهود البناء الأوروبية وتكون بذلك بمثابة "موثق" لعملية بناء الدولة.

بعد موت عرفات إغتيالاً بطيئاً بالسم كما دلت التحقيقات أثناء حصاره في مخيم فلسطيني من قبل الإسرائيليين، حدثت تطورات على طول مسار ولاية خلفه (أبو مازن) محمود عباس وداخل بنية السلطة الفلسطينية، وأيضاً في العلاقات مع حركة حماس في غزة. كانت ألمانيا خلال تلك الفترة المديدة منسجمة مع مسارات دول الإتحاد الأوروبي، إزاء الوضع الفلسطيني والسلوك الإسرائيلي والتناقضات الحاصلة بينهما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية. وكانت زيارات المسؤولين الألمان إلى الشرق الأوسط والأراضي المحتلة تكاد لا تنقطع لمتابعة الأوضاع والتطورات الحاصلة،

خصوصاً خلال وبعد حروب إسرائيل ضد قطاع غزة، كما أن متابعات هؤلاء، لآلية الحكم في السلطة الفلسطينية وتعاقب تولي رؤساء الوزارات فيها أصبحت موضع إهتمام وعناية كبيرتين.

على هامش لقاء الاتحاد الأوروبي في مايوركا حول موضوع مستقبل أوروبا صرح وزير الخارجية الألمانية جيدو فسترفيلى في 2013/07/21 بشأن عملية السلام في الشرق الأوسط بما يلي:

"إنني أرحب بالاتفاق على استئناف محادثات السلام في الشرق الأوسط؛ وهذا نتاج جيد لجهود الوساطة المكثفة من جانب وزير الخارجية الأمريكية جون كيري.

ويمكن أن يكون ذلك بمثابة خطوة أولى نحو تحقيق انفراجة بعد الجمود الذي أصاب عملية السلام في الشرق الأوسط.

وإنني أتمنى أن تبدأ المفاوضات حقاً بصورة سريعة، حيث إنها لفرصة تاريخية وعلى الجانبين أن يستغلاها بشجاعة وتصميم.

ومن جانبها فإن ألمانيا ستدعم بقوة عملية المفاوضات بالتعاون مع شركائها الأوروبيين".

تحرك هائل من كلا الطرفين

وصف وزير الخارجية الألماني فسترفيلى الاتفاق الذي تم التوصل إليه في 19 يوليو/ تموز بين الإسرائيليين والفلسطينيين – من خلال جهود الوساطة من جانب وزير الخارجية الأمريكية جون كيري – بشأن استئناف مفاوضات السلام بأنه خطوة كبيرة. ويرى فسترفيلى حسب قوله عقب إعلان نظيره الأمريكي أن ذلك يُعد بمثابة تحرك هائل لكلا الطرفين تجاه بعضهما البعض.

كما رحب كل من الممثلة العليا للاتحاد الأوروبي كاثرين أشتون والأمين العام للأمم المتحدة بان كي- مون على الفور بالإعلان عن المحادثات المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين. (الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام)

وعندما بدأت مفاوضات السلام حول الشرق الأوسط صرح بتاريخ 2013/07/31 بما يلي: أجريت في واشنطن أولى المحادثات المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين بشأن استئناف عملية السلام في الشرق الأوسط. وعلى هذه

الخلفية صرح وزير الخارجية الألماني فسترفيلى في 30 يوليو/ تموز 2013 من برلين بما يلي: "إنني أرحب ببدء المحادثات المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين في واشنطن. إنها لأنباء جيدة جداً أن تُستأنف المفاوضات. ويحدوني أمل كبير أن تؤدي هذه العملية إلى اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين. ويظل حل الدولتين هدفاً لإنهاء الصراع. وعلى الطرفين كليهما بذل كل شيء حتى تسير المفاوضات بشكل سريع وبنّاء .أود أن أعبر عن تقديري الكبير لوزير الخارجية الأمريكي جون كيري، الذي أدى نشاطه الشخصي الهائل إلى إنهاء الجمود الذي استمر لثلاث سنوات وعودة الطرفين إلى طاولة المفاوضات مرة أخرى. ومن جانبها ستدعم ألمانيا وكذلك الاتحاد الأوروبي عملية التفاوض بكل قوة".

صرح المتحدث باسم الحكومة الألمانية شتيفن زايبرت بشأن المصالحة الفلسطينية بما يلي: ترحب الحكومة الألمانية بالمساعي التي تتم بقيادة الرئيس عباس لتحقيق المصالحة بين الطرفين الفلسطينيين المنقسمين من سنوات. وقد يكون تجاوز الانقسام السياسي بين الضفة الغربية وقطاع غزة إسهاما مهما على طريق تحقيق حل الدولتين في المنطقة.

والآن ننتظر من الحكومة الفلسطينية المشكلة حاليا أن تلتزم بوضوح بمبادئ رباعي الشرق الأوسط، أي أولا التخلي عن العنف، وثانيا الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود وثالثا الاعتراف بكل الاتفاقات المبرمة بين الطرفين. وقد أكد الرئيس عباس أن الحكومة الموحدة ستقبل هذه المبادئ وستطبقها. وستكون هذه الموافقة هي المعيار لكل من الحكومة الألمانية وكذا الاتحاد الأوروبي في تقييم حكومته.

إننا ندعو الطرفين إلى استئناف المفاوضات بشأن حل الدولتين الذي سيظل الخيار الوحيد لتحقيق سلام دائم بين إسرائيل والفلسطينيين. (مصدر النص: الحكومة الألمانية).

لقاء وزراء الخارجية بشأن أزمة الشرق الأوسط بتاريخ 2014/07/27

شارك وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يوم 26 يوليو/ تموز في لقاء وزراء الخارجية بشأن الأزمة في الشرق الأوسط الذي عُقد في باريس، حيث اتفق وزراء الخارجية على مطالبة طرفي الصراع بمد فترة الهدنة الإنسانية وقد شارك في اللقاء

الذي جاء بناء على مبادرة من وزير الخارجية الأمريكي جون كيري وزراء خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا وإيطاليا وقطر وتركيا وغيرهم، حيث تشاوروا بشأن إمكانات تحقيق تقدم للوصول إلى وقف إطلاق نار بالنسبة لغزة وإسرائيل.

تصريح وزير الخارجية الألمانية بمناسبة المؤتمر الدولي لإعادة إعمار غزة بتاريخ 2014/10/12

أعلنت الحكومة الألمانية في أثناء المؤتمر الدولي لإعادة إعمار غزة المنعقد يوم 12 أكتوبر/ تشرين الأول بالقاهرة عن تقديمها مبلغ 50 مليون يورو مشاركةً في إعادة إعمار غزة. وبهذه المناسبة صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير في برلين بما يلي:

"بعد خمسة أسابيع من الحرب والدمار أصبح الناس في غزة في أمس الحاجة إلى مساعدتنا لإعادة إعمار القطاع. يجب علينا الآن أن نقوم بواجبنا الإنساني من خلال ضمان توافر متطلبات الحياة الأساسية. يجب ألا نترك الناس في غزة يقعون فريسة لليأس. كما نرغب في دعم السلطة الفلسطينية في استعادة قيامها بمسؤولياتها في غزة.

كما يجب عدم السماح بالرجوع إلى سياسة الأمر الواقع. لا يرغب أحد في تشييد بنية تحتية يتم تدميرها بعد ذلك بفترة وجيزة. لذلك يجب أن يتحقق وقف لإطلاق النار بصورة مستدامة يضمن أمرين: يجب ألا نسمح باستغلال غزة من قِبل حماس وغيرها من المتطرفين كمخزن للسلاح مجددًا. كما يجب أن يتوافر لسكان غزة المستقبل الاقتصادي وحرية التنقل. وهذا ما يجب على الطرفين العمل على تحقيق مقوماته من خلال محادثاتهما في القاهرة. وعندها فقط سيقوم المجتمع الدولي بالاستثمار في إعادة الإعمار بالقدر الذي نتمناه".

ويرأس الوفد الألماني المشارك في المؤتمر وزير الدولة لشؤون أوروبا لدى وزارة الخارجية الألمانية السيد/ ميشائيل روت، الذي صرح عقب وصوله إلى القاهرة بما يلي:

إن مؤتمر اليوم بمثابة إشارة على التضامن الفعلي مع السكان في غزة،

"الذين طال تمنيهم لوجود رؤية ملموسة لمستقبل أفضل. إننا نوضح بإسهامنا استعدادنا للمساعدة وعدم ترك غزة وحدها. ولكننا نقوم بذلك أيضًا ولدينا توقع واضح: يجب أن يصمت السلاح الآن وإلى الأبد!" [17].

شتاينماير يأمل في مبادرة أمريكية من أجل الشرق الأوسط بتاريخ 2014/11/16

أعرب وزير الخارجية الألمانية فرانك- فالتر شتاينماير عن أمله في مبادرة جديدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لإجراء مباحثات ثنائية بشأن النزاع القائم في الشرق الأوسط.

قال وزير الخارجية الألمانية فرانك-فالتر شتاينماير اليوم الاثنين (17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014) على هامش اجتماع وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي في بروكسل: "لأول مرة يكون الوضع هادئا، ولكن لم تنته الأوضاع المتوترة بعد". وأشار وزير الخارجية الألماني إلى أن الأمر يتوقف حاليا على مدى استغلال هدوء الوضع من أجل العودة إلى المباحثات التي جرت في القاهرة بشأن الهدنة بين إسرائيل والفلسطينيين.

وأضاف شتاينماير أنه يأمل في مبادرة أمريكية أخرى من أجل استئناف المباحثات الثنائية. ووصف شتاينماير الوضع في المنطقة بعد رحلته إلى الشرق الأوسط في نهاية الأسبوع الماضي بأنه متوتر. وقال الوزير الألماني: "الاضطراب كان ملحوظا من قبل كلا الجانبين، سواء في رام الله في الأراضي الفلسطينية أو في القدس". وحذر شتاينماير من تفاقم الأوضاع المتوترة حاليا بين إسرائيل والفلسطينيين.

شتاينماير قبل جولته للشرق الأوسط: استغلال زخم التطورات السياسية الراهنة بتاريخ 2014/01/09

وقبيل مغادرته بيوم واحد إلى باريس لحضور لقاء مجموعة أصدقاء سوريا ثم سفره إلى الشرق الأوسط قال شتاينماير يوم 11 يناير/ كانون ثان في برلين ما يلي:

"يوجد حراك في الأزمة ذات الأضلاع الثلاثة المتشابكة مع بعضها البعض

---

[17] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

وهي الحرب الأهلية في سوريا والعلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين والبرنامج النووي الإيراني. ولدينا ما يدفعنا للتفاؤل الحذر حول الاحتمالات المطروحة وذلك بالرغم من كل الشكوك الموجودة، حيث أنه قد تم إحراز تطورات في كل تلك الصراعات وهو ما يجعل الطريق للتوصل إلى حلول سلمية وحدوث توازن أمرا ممكنا. وأود أن ألتقط الخيط من هناك وأن أتحرى من خلال المحادثات المباشرة كيفية إسهام السياسة الخارجية الألمانية والأوروبية حتى لا تختفي تلك اللحظة السانحة.

وتوجد للمرة الأولى منذ سنوات فرصة حقيقية أمام حل تفاوضي سلمي في الشرق الأوسط، وذلك بفضل المبادرة الأميركية والإسهام الكبير لجون كيري. إننا ندعم ذلك وبقوة ونعتزم أن نقف بكامل ثقل أوروبا وألمانيا خلفه.

يعد تدمير الأسلحة الكيماوية السورية تقدما في طريق شاق. إن ألمانيا تتحمل نصيبها من المسؤولية في المجتمع الدولي من أجل تحسين الظروف المحيطة بإنهاء الحرب الأهلية البشعة في سوريا. ولا مناص من إجراء محادثات مباشرة بين الحكومة السورية والمعارضة. لذا فإن مشاركة المعارضة المعتدلة في مؤتمر مونترو الدولي الخاص بسوريا يمثل أهمية كبيرة"[18].

وزير الخارجية الألمانية يعلن عن تقديم 8,5 مليون يورو مساعدات إنسانية إضافية لغزة بتاريخ 2014/07/31

صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يوم 30 يوليو/ تموز بشأن تخصيص وزارة الخارجية الألمانية مبلغ 8,5 مليون يورو إضافية كمساعدات إنسانية لغزة بما يلي: "إن تصعيد العنف في غزة يؤدي مجددًا إلى نزوح ومعاناة كثير من الناس. وكما هو معتاد فإن أكثر المتضررين هم أولئك الأشخاص الذين يعيشون بالفعل تحت وطأة وضع متأزم. يجب علينا ألا ننسى هؤلاء الأشخاص في هذه الأزمة الحالية".

قامت وزارة الخارجية الألمانية بتخصيص مبلغ 8,5 مليون يورو إضافية مساعدات إنسانية للمتضررين في غزة. سيتم بهذا المبلغ دعم إجراءات عاجلة متنوعة

---

(18) المرجع السابق.

خصوصًا ما تقوم به وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى "الأونروا" وكذلك جهود المنظمات غير الحكومية في مجالات المساعدات الغذائية وإمدادات الرعاية الصحية.

وبهذا يصل إجمالي المبلغ الذي خصصته الحكومة الألمانية للمساعدات الإنسانية في غزة منذ بداية الأزمة إلى 9 ملايين يورو[19].

محادثات في إسرائيل والمناطق الفلسطينية

واصل وزير الخارجية الألمانية فرانكفالتر شتاينماير رحلته الخارجية متوجها إلى الشرق الأوسط قادما من أوكرانيا، حيث تتركز مباحثاته مع القيادة السياسية في رحلته ذات الأيام الثلاثة في كل من إسرائيل والمناطق الفلسطينية على عملية السلام في المنطقة التي تشهد نزاعات عنيفة.

وقبل توجهه إلى الشرق الأوسط صرح شتاينماير بما يلي:

"الشرق الأدنى والأوسط منطقة أزمات ونزاعات تتطلب الاهتمام الكامل من جانب سياستنا الخارجية، فكل ما في المنطقة من حرب أهلية في سوريا، ومفاوضاتنا بشأن البرنامج النووي الإيراني والصراع ضد داعش وكذا النزاع في الشرق الأوسط يرتبط ببعضه البعض ارتباطا وثيقا".

مباحثات مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة

أضاف شتاينماير أن هدف رحلته يتمثل في مد جسور الحوار مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وغيره من السياسيين، حيث شدد شتاينماير قبل قيامه برحلته على ما تتميز به العلاقات مع إسرائيل، مشيرا إلى حلول الذكرى الخمسين لبدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين والتي تم الاحتفال بها في يوم 12 مايو/ آيار وكان من بين حضورها الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين والرئيس الاتحادي يوآخيم جاوك. وبهذا الصدد صرح شتاينماير بما يلي:

"علاقاتنا مع إسرائيل جيدة وقائمة على الثقة. إنني أرغب الآن بعد إجراء الانتخابات هناك في استئناف الاتصالات مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة".

---

(19) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

فتح الأفق أمام أهل غزة

في يوم الأحد والاثنين سيلتقي شتاينماير مع القيادة السياسية في المناطق الفلسطينية لتبادل الرأي، على أن يكون التركيز على غزة بصفة خاصة، حيث "يتصف الوضع بتعقيد شديد". وأضاف شتاينماير:

"يجب أن نمضي قدما سريعا في إعادة البناء والتنمية. ولا يجوز أن تتحول غزة مرة أخرى إلى منصة للهجوم على إسرائيل".

استكشاف آفاق السلام في الشرق الأوسط

من بين أهداف رحلة شتاينماير إلى الشرق الأوسط تكوين صورة عن آفاق عملية السلام في الشرق الأوسط في المستقبل القريب على خلفية الوضع السياسي الجديد – بعد الانتخابات وتشكيل الحكومة في إسرائيل – سواء في القدس أو في رام الله، حيث شدد شتاينماير على ما يلي تشديدا واضحاً:

"إن تحقيق أوجه للنجاح في عملية السلام في الشرق الأوسط سيمثل كما هو الحال دائما أحد المفاتيح المهمة لتحقيق الهدوء في المنطقة بأسرها".

تمثل الزيارة التي توجه فيها شتاينماير إلى أوكرانيا والشرق الأوسط جزءا من رحلة تستمر لمدة خمسة أيام، حيث وصل شتاينماير في محطته الأخيرة في يوم الثلاثاء 2 يونيو /حزيران 2015 إلى باريس، حيث تلقى دعوة من نظيره الفرنسي لوران فابيوس للقاء الائتلاف المناهض لداعش، ومن المقرر أن يتم بعد تسعة شهور من أنشطة هذا الائتلاف استعراض أوجه النجاح المتحققة في الصراع ضد داعش والتحديات القائمة[20].

تعليق وزارة الخارجية الألمانية على الإعلان عن بناء مستوطنات إسرائيلية جديدة في الضفة الغربية بتاريخ 2015/02/01

وتعليقا على ما أعلنته الحكومة الإسرائيلية مؤخرا من خطط لبناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية صرحت متحدثة باسم وزارة الخارجية الألمانية في يوم 31

(20) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

يناير/ كانون الثاني في برلين بما يلي:

"تعرب الحكومة الألمانية عن شديد قلقها من الإعلان الجديد عن بناء 450 وحدة استيطانية في أماكن عديدة من الضفة الغربية وكذا مما نُشر من خطط لبناء 93 وحدة استيطانية أخرى في القدس الشرقية. هذه الخطوات تمثل صعوبة جديدة على طريق حل الدولتين وتبعث برسالة سياسية خاطئة على خلفية عملية التفاوض المعلقة. لقد طلبنا من الطرفين مرارا وتكرارا التوقف عن اتخاذ خطوات أحادية الجانب قد تسهم في تصعيد الموقف المتوتر بالفعل في المنطقة، وخاصة في القدس وغزة".

- مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (إطلالة جديدة على العرب والمسلمين ثقافية وإقتصادية في إطار حسابات الحرب الباردة بين الغرب الأمريكي والشرق السوفياتي)

كانت الحرب العالمية الثانية بنتائجها الصارخة، حيث هزمت ألمانيا الهتلرية شر هزيمة ودمرت بناها وهياكلها الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وقتل الملايين من الشعب الألماني إيذاناً بولادة عالم جديد واصطفافات دولية جديدة ووسائل عيش مختلفة ومتطورة. فقد خرج الحلفاء في الحرب، وهم الأمريكيون ودول الغرب الأوروبي والسوفيات ومعهم دول أوروبية شرقية، منتصرين على دول المحور المكونة أساساً من ألمانيا واليابان. وبرز على سطح السياسة الدولية الجديدة حلفان عسكرياً: حلف شمال الأطلسي (الأمريكي الغربي) وحلف وارسو السوفياتي (الشرقي).

كان من نتائج الحرب، منع الألمان من الإنضمام إلى أي من الحلفين وغيرهما من الأحلاف، كما منعوا من إمتلاك أسلحة ثقيلة ومتطورة وغيرها من الشروط التي تتيح لهم إمكانية أن يفكروا مرة أخرى بالتسبب في حرب عالمية جديدة.

لم تدخل ألمانيا الأمم المتحدة إلا في العام 1973م، غير انها سمح لها في العام 1955م أن تصبح عضواً في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، كما انضمت إلى منظمة التنمية والتعاون الإقتصادي (OECD)، وفي منظمة الأمن والتعاون الأوروبية (OSZE) وفي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (IWF).

وسريعاً ما أصبحت ألمانيا الإتحادية من الأعضاء المؤسسين لمنظمة الوحدة

الأوروبية (EU)، وهي تعتبر بالميزانية التي تساهم فيها، أكبر الممولين لهذه المنظمة، حيث تعادل مساهمتها 20% من إجمالي الموازنة. وكان لمشروع "مارشال" الذي إستفادت ألمانيا منه في نهوضها الإقتصادي وإنجاز ما سمي بـ"المعجزة الألمانية" أكبر الأثر على إستعادة نشاطها وقوتها الإقتصادية ومن ثم الإنطلاق في عالم التنمية والتطوير الإنساني.

إن منجزات فترة حكم المستشار أديناور – إيرهارد (أبو المعجزة الإقتصادية) كما شميدت، كول، وصولاً إلى ميركل، أدت بتراكماتها، رغم التعثرات والمصاعب، إلى بروز ألمانيا كقاطرة إقتصادية رئيسية لأوروبا، ليس فقط لكونها أكبر دول الإتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان الذي يبلغ 82 مليون نسمة وإنما أيضاً لمكانتها الإقتصادية فهي تعد ثالث أقوى الدول الإقتصادية في العالم حيث بلغ دخلها القومي في عام 2006م حوالي 2302,7 مليار يورو.

كان القرن العشرين المنصرم، قرن التغيرات بشكل لا مثيل له. ثلاث أزمات دولية كبيرة: حربان عالميتان ثم حرب باردة، إضافة إلى سلسلة من التغيرات الثورية، تركت جميعها آثاراً عميقة في حياة البلاد المختلفة والشعوب على تنوع ألوانها. وهذا ينطبق بشكل خاص على ألمانيا. حيث أن هذا البلد الواقع في وسط أوروبا، كان له دور أساسي في التغيرات المتنوعة، ودور رئيسي في إندلاع الحربين العالميتين على السواء. أو لأنه أيضاً كان الأشد تأثراً بالتطورات المختلفة، كالحرب الباردة (حصار برلين وبناء الجدار فيها) وبداية إنهيار النظام العالمي الثنائي القطبي في أواخر الثمانينات (كان لإنهيار نظام الحكم في ألمانيا الشرقية أبلغ الأثر في إنهيار المعسكر الشرقي السوفياتي).

ومع إنهيار النظام العالمي الذي ساد بعد الحرب وجد الألمان أنفسهم في مواجهة حالة جديدة من السياسة الداخلية والخارجية، وقد إستفادوا في ظل هذه الظروف من التطورات السياسية التي إنتهت بإنهيار الإتحاد السوفياتي أواخر عام 1991م. هذه التطورات لم تجلب لهم في العام 1990م عودة الوحدة بين شطري البلد الممزق فحسب، (وجود ألمانيتين ألمانيا الإتحادية وألمانيا الديمقراطية الأولى عاصمتها بون والثانية برلين الشرقية)، وإنما عودة السيادة الذاتية المطلقة التي إفتقدوها ما يقرب من نصف قرن من الزمن.

إزاء كل هذه التطورات التي عصفت بألمانيا الإتحادية أولاً ثم ألمانيا الموحدة ثانياً، كيف كان موقع العرب والمسلمين في إطار كل ما حصل؟ الإجابة على هذا السؤال تتطلب اولاً، توضيح مسألة مهمة كانت تلقي بظلالها دائماً على مجمل حركة تطوير العلاقات الألمانية العربية، وأيضاً على حركة الإقتراب السياسي والثقافي والإقتصادي من قبل المجتمع الألماني برمته.

كانت المسألة الفلسطينية ودور إسرائيل في حروبها مع العرب والنظرة الألمانية لطبيعة العلاقة مع إسرائيل في أساس المكون المانع لقيام علاقات طبيعية واسعة بين العرب والألمان.

لقد شكلت التعويضات الألمانية التي كان على ألمانيا أن تدفعها لإسرائيل، جراء الضرر التاريخي الذي سببته الحقبة الهتلرية لليهود، إضافة إلى "المحرقة" والإختلاف في مسار السياسات ين عدد من الدول العربية والحكومات الألمانية المتعاقبة في مرحلة الخمسينات والستينات وحتى السبعينات من القرن العشرين المنصرم تجاه العلاقة مع إسرائيل وحروبها ودورها السياسي، كلها شكلت عائقاً أمام تطوير العلاقات الألمانية العربية على نحو طبيعي ومتلازم في المسارين.

كما أن إندراج ألمانيا الإتحادية، في مرحلة الحرب الباردة، في سياسة تضامنية متكاملة مع الولايات المتحدة ودول اوروبا، شكلت في عدد من المحطات الزمنية السياسية كابحاً لإنطلاقة واسعة بوجه علاقات شاملة بين العديد من الدول العربية، وفي مقدمها مصر ومن يؤيدها في زمن حكم جمال عبد الناصر وما مثله من خط سياسي مغاير لسياسات الغرب وحلفائه.

مع ذلك، فإن هذه العلاقات، وبخاصة على المستوى الشعبي، فكانت تُخترق لصالح تطويرها وعلى نحو واضح من جانب الطرف العربي. فلم يتوقف يوماً، سبل الهجرة والسفر إلى ألمانيا والتواصل معها، كما لم تتوقف معدلات التبادل الإقتصادي من الإرتفاع، وبخاصة من قبل الطرف العربي.

وقد شهدت العلاقات العربية الألمانية وتحديداً الإقتصادية فيها خلال العقد الماضي تقدماً ملموساً إلا أن هذا التقدم ما زال متواضعاً جداً مقارنة بكل معطيات وأسباب النجاح المتوفرة لكلا الجانبين على ارض الواقع ومنها العرض المتمثل في

المنتج الألماني الذي يتمتع بسمعة حسنة في الأسواق العربية من جهة والطلب المتمثل في حاجة هذه الأسواق لمشاريع كبيرة وخاصة في مجالات تحديث البنية التحتية والصناعية من جهة أخرى. ويتضح هذا التواضع في حجم التبادل التجاري بين الطرفين حيث أن قيمة الصادرات الألمانية إلى الدول العربية مجتمعة لم تتعد 21,5 مليار يورو عام 2006م ويتضح تواضع هذا الرقم إذا أخذنا بعين الإعتبار أن القيمة الإجمالية للصادرات الألمانية في هذه الفترة يزيد على 893 مليار يورو. على الجانب الآخر فإن قيمة الواردات الألمانية من العالم العربي ليست أحسن حالاً من الصادرات حيث أن قيمتها 12 مليار يورو من قيمة إجمالية قدرها 734 مليار يورو.

والملاحظ أن طبيعة هذه العلاقات شهدت نمواً غير مسبوق، بعد بروز عاملين: توقيع معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل وما تلاها من تطورات، ومن ثم توقيع إتفاقية السلام بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية عام 1994م.

بداية، كان للعامل الأول آثره السلبي. لكن الأمر سرعان ما تغير، بعد بدء التحول والتباينات داخل الصف العربي. كما أن التحول إيجاباً بالنسبة لموقف الألمان من القضية الفلسطينية، بدا واضحاً منذ وقت مبكر، أي منذ وثيقة "شومان" الأوروبية، التي وقعتها ألمانيا والتي بلورت موقفاً أوروبياً مشتركاً حيال هذه المسألة: صحيح أن هذه الوثيقة لم تلب الطموح الفلسطيني، لكنها عبرت عن أول موقف أوروبي موحد تجاه القضية الفلسطينية لجهة حق تقرير المصير ومطالبة إسرائيل بالإنسحاب إلى حدود 1967م. وشهدت الساحة الخارجية الألمانية تغيرات هامة منذ الوحدة عام 1990م، فقد وسعت التحولات الأساسية في العلاقات الدولية التي أعقبت الحرب الباردة الإطار السياسي للسياسة الخارجية الألمانية، فلم تعد هذه السياسة تتمحور حول خدمة وتعزيز المصالح السياسية والإقتصادية الوطني على المستوى القومي، وتوسيع الإتحاد الأوروبي على المستوى الإقليمي، وتطوير التحالف عبر الأطلسي على المستوى الدولي، وإنما أيضاً ليشمل المشاركة المباشرة فيما تسمى "الحرب على الإرهاب" والإنخراط في الأنشطة الدبلوماسية للمساهمة في حل بعض النزاعات الدولية والإقليمية، بالإضافة إلى توسيع دائرة المساهمة في حل بعض النزاعات الدولية والإقليمية، بالإضافة إلى توسيع دائرة المساهمة في الترويج للقيم الغربية كتشجيع للحرية ودعم الديمقراطية والدعوة لإحترام حقوق الإنسان على أساس أن إنتشار مثل

هذه القيم أو عولمتها يخدم المصالح القومية لألمانيا ويعزز مكانة أوروبا عالمياً، إلا أن التغيرات الملحوظة المتنامية في السياسة الخارجية الألمانية على المستوى الأوروبي والدولي، لم تكن بالمستوى المطلوب تجاه المنطقة العربية وخاصة في ما يتعلق بالصراع العربي – الإسرائيلي والقضية الفلسطينية على الرغم من أهمية هذه القضية وإنعكاساتها على الأمن الأوروبي والعالمي.

عودة إلى إطلالة ألمانيا الجديدة على العرب والمسلمين. لقد سعت ألمانيا وجهدت لتطوير هذه العلاقات. وسأبرز بعض محطات هذه المحاولات

على المستوى السعودي: لعبت الدبلوماسية الألمانية دورا اساسياً في الزيارة التي قام بها الملك الراحل سعود بن عبد العزيز إلى بون عام 1959م كذلك زيارة الملك الراحل خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز في حزيران/يونيو 1978م التي إلتقى خلالها بالمستشار الألماني هيلموت شميدت وأيضاً زيارته إلى ألمانيا في أيار/مايو 1979م حيث أجرى خلالها مباحثات أيضاً مع المستشار الألماني هلموت شميدت. وفي السادس عشر من حزيران/يونيو 1980م قام الملك خالد بن عبد العزيز بزيارة إلى ألمانيا تلبية لدعوة من الرئيس الألماني كارل كارستنز.

وفي الثامن والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر 1981م زار الملك فهد بن عبد العزيز، بون وإجتمع إلى مستشار ألمانيا هيلموت شميدت...

وفي التاسع عشر من حزيران/يونيو 1989م قام الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام بزيارة لألمانيا. أما في الجانب الألماني فتأتي زيارة المستشار هيلموت شميدت مستشار ألمانيا للمملكة عام 1976م واجتماعه مع الملك الراحل خالد بن عبد العزيز، كذلك زيارة المستشار هيلموت شميدت للمملكة في عام 1981م.

وفي تشرين الأول/أكتوبر عام 1983م قام المستشار هيلموت كول مستشار ألمانيا الاتحادية بزيارة رسمية للمملكة التقى خلالها بالملك فهد بن عبد العزيز والملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد. كما قام المستشار الألماني هيلموت كول بزيارة أخرى للمملكة العربية السعودية عام 1985م وفي تشرين الأول/أكتوبر من عام 2003م قام المستشار غيرهارد شرودر مستشار ألمانيا بزيارة للمملكة.

كذلك قام المستشار الألماني غيرهارد شرودر في شباط/فبراير عام 2005م بزيارة للمملكة تم خلالها افتتاح الملتقى الاقتصادي السعودي الألماني الذي نظمته الغرفة التجارية الصناعية بالرياض ومعرض العلاقات السعودية الألمانية خلال 75 عاماً.

وفي شباط/فبراير عام 2007م قامت مستشارة جمهورية ألمانيا الاتحادية أنجيلا ميركل بزيارة للمملكة اجتمعت خلالها بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز والأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

وقد أسهمت هذه الزيارات المتبادلة في تدعيم العلاقات القائمة وفتح آفاق جديدة للتعاون بين البلدين الصديقين في جميع المجالات لتحقيق الأهداف المنشودة.

وشهد التعاون الاقتصادي بين البلدين تطوراً كبيراً إذ ترتبط المملكة مع ألمانيا بالعديد من الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية والفنية المهمة. وبحث الجانبان السعودي والألماني مؤخراً اتفاقية تفادي الازدواج الضريبي واتفاقية النقل البحري اللتين سيدعم توقيعهما العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين كما ترتبط بعض الجهات الحكومية باتفاقيات فنية قطاعية مع بعض الجهات الألمانية مما يدعم نقل التقنية إلى المملكة والمساعدة في تنفيذ المشاريع التنموية. ومن هذه الاتفاقيات التي تم التوقيع عليها بين البلدين اتفاقية التعاون عام 1966م تلاها عام 1985م اتفاقية التعاون العلمي والفني بين البلدين. وفي عام 1977م تم توقيع مذكرة التفاهم للتعاون الفني والصناعي والاقتصادي بين البلدين التي شكلت بموجبها اللجنة السعودية الألمانية المشتركة ممثلة بوزارة المالية وكان لهذه اللجنة الأثر الواضح في ترسيخ وتعزيز العلاقات الاقتصادية بين البلدين.

كما تم في عام 1997م توقيع اتفاقية تشجيع وحماية الاستثمارات بين البلدين وفي 9 كانون الأول/ديسمبر 1998م تم بمقر وزارة الخارجية الألمانية في بون التوقيع على البروتوكول الخاص بتبادل وثائق التصديق على اتفاقية تشجيع الحماية المتبادلة لاستثمارات رؤوس الأموال بين المملكة العربية السعودية وجمهورية ألمانيا الاتحادية وتم تحديد يوم التاسع عشر من كانون الثاني/يناير عام 1999م موعدا لبدء سريان الاتفاقية.

ولتدعيم العلاقات الاقتصادية بين البلدين أقامت الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية في 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2000م نشاطات الحوار السعودي الألماني الذي حضره أكثر من مئة رجل أعمال من المملكة العربية السعودية وألمانيا وناقش سبل التعاون الاقتصادي بين البلدين في العديد من المجالات أبرزها الهندسة الميكانيكية والتعدين والطاقة والخدمات التي تشمل تمويل المشاريع وصناديق الاستثمار والكيماويات والبتروكيماويات والغاز والأجهزة الطبية وإدارة المستشفيات وتشغيلها وصيانتها وصناعة الأدوية والسياحة. ويهدف هذا الحوار الذي ينظم سنويا بين ألمانيا والمملكة العربية السعودية إلى تنمية الاستثمارات الألمانية في المملكة بتشجيع قيام الشركات المشتركة منخلال تقديم بعض الخدمات المساعدة.

وفي 3 حزيران/يونيو 2003م افتتح في ولاية بادن فورتمبيرغ الألمانية ملتقى سعودي ألماني بحضور وفد مؤلف من 36 شخصاً من كبار رجال الأعمال في المملكة وألمانيا ودارت أعمال الملتقى حول العلاقات الاقتصادية بين البلدين بهدف تشجيع رجال الأعمال الألمان للاستثمار في المملكة وتقوية علاقاتهم الاقتصادية والصناعية مع نظرائهم السعوديين من خلال خطط يضعونها مع رجال الأعمال في المملكة.

ويعد مجلس إدارة حوار رجال الأعمال السعودي الألماني المنبثق عن اللجنة السعودية الألمانية المشتركة داعماً أساسيا لتطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين ولتحسين فرص النمو الاقتصادية، فمن خلال زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد عام 2001م لجمهورية ألمانيا الاتحادية ولقائه بأعضاء المجلس أشاد بدور المجلس في تعزيز هذه العلاقة داعياً إلى استمرار تحسين هذه العلاقة وتطويرها لدعم وترسيخ العلاقة بين البلدين وتشجيع الاستثمارات الألمانية في المملكة وتشجيع الشركات الألمانية الكبرى على زيادة حجم الاستثمار بالمملكة حيث يوجد 120 مشروعاً ألمانيا بالمملكة تقدر استثماراتها بأربعة مليارات دولار. لاسيما في المشاريع البترولية والبتروكيميائية والصناعية.

كما أن هناك اتفاقيات مهمة بين البلدين مثل اتفاقية تفادي الازدواج الضريبي وكذلك اتفاقية للإعفاء المتبادل على ضرائب شركات الطيران في البلدين وآليات ترمي

إلى الكثير من التقدم والتطور للسياسات الإستراتيجية بين البلدين ولدعم جهود التكامل الاقتصادي.

وتشير الأرقام إلى حجم التبادل التجاري حيث بلغ عام 2005م نحو 4.6 مليار يورو، وبلغت الصادرات السعودية لألمانيا حوالي 837 مليون يورو فيما بلغت الواردات السعودية من ألمانيا أكثر من 3.7 مليار يورو.

وتتبوأ ألمانيا المرتبة الثالثة في العلاقات التجارية الصناعية مع المملكة بعد أميركا واليابان وبصدور قانون الاستثمار الأجنبي الجديد أصبح الجو الاستثماري بالمملكة مهيئاً لتطوير الشراكة الألمانية السعودية ونتيجة لتلك الفرص الكبيرة هناك العديد من الشركات الألمانية ترغب في توسيع أعمالها بالمملكة العربية السعودية.

وفي ما يتعلق بالاستثمار بين البلدين بلغت المشاريع المشتركة السعودية الألمانية عام 2005م نحو 115 مشروعاً بلغ رأس المال المستثمر فيها حوالي 845 مليون يورو.

وترسّخت العلاقات الثقافية والتعليمية من خلال الاتفاقات واللقاءات والمعارض التي تمت بين البلدين الصديقين.

- بتاريخ 29 أيار/مايو 2011م قام وفد من لجنة الصداقة البرلمانية السعودية - الألمانية في مجلس الشورى بزيارة ألمانيا حيث إجتمع من لجنة الشؤون الصحية بمجلس النواب الألماني (البوندستاغ) وبحث معها في العلاقات الودية بين المملكة وألمانيا.

العلاقات على المستوى المصري: الإقتصادية، السياسية والثقافية

شهدت هذه العلاقات تاريخياً مداً وجذراً وفقاً لتطور الواقع السياسي.

ففي مرحلة الحرب الباردة والرئيس الراحل عبد الناصر تردت هذه العلاقات، خصوصاً بعد إعتراف مصر بألمانيا الشرقية، إثر حرب عام 1967م مع إسرائيل، وقبلها قطع العلاقات عام 1965م وفقاً لمبدأ هالشتاين الألماني وكانت المسألة الفلسطينية وقتها في عز تظهيرها وإبرازها على سطح الأحداث العربية والدولية، وإنطلاقة المقاومة الفلسطينية على صعيد المسرح العربي - الإسرائيلي.

في مرحلة حكم الرئيس الراحل أنور السادات، وأثر حرب تشرين/أكتوبر عام 1973م وما تلاها من تطورات، تحركت الدبلوماسية الألمانية في إتجاه مصر، وبخاصة بعد توقيعها إتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل عام 1978م، فتلقفتها الدبلوماسية المصرية وسهلت لها تحركها لتنمية العلاقات على الصعيدين السياسي والإقتصادي، كما تطورت علاقات البلدين الثقافية والسياحية.

حالياً، وعلى الرغم من أن العلاقات الثنائية بين مصر وألمانيا تتسم بالتميز والتنوع الواسع على كافة الأصعدة، إلا إن حركة التبادل التجاري، وحجم الاستثمارات الألمانية في مصر، لا يعبران عن الإمكانيات المتاحة بين البلدين.. إلا أنه في المقابل من ذلك تتعدد المعارض التي تشارك فيها مصر في مدن ألمانيا الرئيسية "برلين وفرانكفورت وميونيخ وشتوتجارت وهانوفر"، كما تشارك ألمانيا في معرض القاهرة الدولي.

وانطلاقاً من اهتمام ألمانيا بدعم جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مصر في إطار علاقتهما، تقدم ألمانيا مساعدات تنموية سنويًا في شكل قروض ومنح ومعونات فنية، حيث يرتكز التعاون الحكومي بين الدولتين على عدد من المحاور والآليات، أهمها تمويل إقامة محطات الرياح، ونشاطات المركز الإقليمي للطاقة المتجددة وترشيد الطاقة، فضلاً عن أعمال اللجنة الحكومية المشتركة.

ومن خلال الاستفادة من الخبرة الألمانية على المستوى العالمي في مجال التنمية وفقًا للاحتياجات النوعية المصرية فقد اتفقت الحكومتان على تركيز جهود التعاون الثنائي للتغلب على المشكلات التي تواجه قطاعات ثلاث تتمتع بالأولوية، وهي: المياه والبيئة.

العلاقات السياسية

- تقوم العلاقات السياسية بين مصر وألمانيا على أسس تحكمها المصالح المشتركة ويعززها تنوع واسع لمجالات التعاون بين الجانبين، وتفهم لمكانة ودور كلا البلدين في إطار موقعهما الجيواستراتيجي، ويؤكد الجانب الألماني دائمًا على أن مصر تُعد من أهم الشركاء في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي، والذي يظهر جلياً في التأييد الألماني للموقف المصري إزاء قضية الشرق الأوسط ودعوتها إلى

إقامة الدولتين "الفلسطينية والإسرائيلية"، علاوة على أنها تدعم مصر في سعيها نحو تحقيق وفاق بين الفرقاء الفلسطينيين.

– إضافة إلى ذلك يوجد تقارب في وجهات نظر البلدين حيال المجالات التي تتناولها اللجنة المشتركة، وهى: الحوار السياسي . التجارة والصناعة . البيئة . البحث العلمي . الثقافة . القضاء . الهجرة.

العلاقات الثقافية

يعتبر بروتوكول التعاون الثقافي والذي تم توقيعه عام 1959م هو الإطار الرئيسي الذي ينظم العلاقات الثقافية المصرية الألمانية، كما تم فيما بعد توقيع اتفاقيتين ثقافيتين عامي 1979 1981م للتعاون العلمي والثقافي بين الدولتين، وتتعدد أوجه التعاون بين البلدين وفى مقدمة ذلك الأنشطة التالية:

- معهد غوته بالقاهرة والإسكندرية؛ ويلعب دوراً مهمًا في أدارة الأنشطة الثقافية بمصر في تعليم اللغة الألمانية وعقد الندوات وعرض الأفلام والكتب ويضم مكتبة ثقافية كبيرة.

هيئة التبادل العلمي الألمانية DAAD بالقاهرة

- تقوم بتقديم العديد من المنح الدراسية للباحثين المصريين للدراسة بألمانيا.

الجامعة الألمانية بالقاهرة

- تم افتتاحها في شهر تشرين الأول/أكتوبر 2003 وتعتبر جسراً للتعاون بين الدولتين ويدرس بها 6 آلاف طالب مصري في فروع العلوم المختلفة

معهد الآثار الألمانى: DAI

- ويقوم هذا المعهد بأجراء الدراسات الأثرية في مصر ويهتم بأجراء الدراسات والأبحاث على التاريخ الفرعونى والرومانى والإسلامى واحتفل المعهد في عام 2007 بمرور 100 عام على إنشائه.

المدرسة الألمانية بالقاهرة

- ويوجد ثلاث مدارس ألمانية بالقاهرة والإسكندرية وتأسست في الأعوام 1873م، 1884م، 1904م وتؤهل هذه المدارس الطلاب المصريين لدخول

الجامعات المصرية الألمانية.

مبادرة (المدارس وشراكة للمستقبل)

- تم وضع هذا المشروع في عام 2008م كأحد أهداف السياسة الخارجية الألمانية فى مجال التعليم والثقافة لإنشاء تعاون وشراكة ما بين المدارس الألمانية والمدارس المصرية ولدعم تدريس اللغة الألمانية بالمدارس المصرية ودعم النشاط الطلابي المشترك بما يعمق فهم الأخر ويتضمن هذا المشروع إنشاء شبكة معلومات تجمع الثلاثة مدارس الألمانية و6 مدارس ألمانية خاصة والعديد من المدارس المصرية الأخرى.

توأمة المدن الألمانية – المصرية

- تهدف إلى تعزيز التعاون الثقافي والاقتصادي وتبادل المعرفة والخبرة بين المدينتين وعلى سبيل المثال توجد شراكة توأمة بين مدينتي القاهرة وشتوتجارت، ومدينتي المنيا وهيدلسهيم وأيضاً مدينتي القاهرة وفرانكفورت.

العلاقات الإعلامية

شهدت السنوات الماضية توقيع العديد من الاتفاقيات بين أجهزة الإعلام المصرية ونظيرتها الألمانية ومنها:

- اتفاق التعاون بين إتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري وهيئة الإذاعة الألماني الموجه D.W دويتشة فيله)[21] لتبادل التعاون بين الشباب والتليفزيون لزيادة الخبرات والتدريب في مجالات الإعلام المختلفة بين مصر وألمانيا.
- اتفاق التعاون بين الهيئة العامة للأستعلامات المصرية ومؤسسة "هانز سايدل" حول تعليم الكبار وإنشاء مراكز النيل للإعلام والتعليم والتدريب وإعداد القادة الإعلاميين والكوادر المتخصصة في الهيئة، وفى مجالات التنمية المستدامة والبيئة والموروثات الثقافية والتنمية الريفية.
- اتفاقية التبادل الإخباري والتعاون بين وكالتي أنباء الشرق الأوسط المصرية "MENA" ووكالة الأنباء الألمانية "D.P.A".

[21] دويتشه فيله Deutsche welle (DW).

ألمانيا وإشكالية التعامل مع ثورة لم تكتمل بعد

عندما إندلعت ثورة 25 كانون الثاني/يناير كانت ألمانيا – بعد فترة صدمة وارتباك أصابت الغرب عموما– من بين أولى الدول الكبرى التي أعلنت دعمها السياسي لمصر الثورة وخصص وزير الخارجية الألماني غيدو فيسترفيله وهو الوزير الغربي الوحيد الذي زار القاهرة مرتين منذ الثورة، مبلغا لدعم عملية التحول الديموقراطي في مصر وتونس كما أعلنت المستشارة أنجيلا ميركل عن إسقاط ديون مصرية بقيمة 240 مليون يورو إضافة إلي إستثمارات ألمانية بقيمة 150مليون يورو خلال عامين وغيرها من المساعدات بشرط أن تسير مصر قدما علي طريق الإصلاحات الديموقراطية.

غير أنه مع مرور الوقت دون وضع جدول زمني واضح لنقل السلطة في مصر وإطالة الفترة الإنتقالية وما أرتبط بذلك من أحداث عنف في ماسبيرو وفي محيط مجلس الوزراء وشارع محمد محمود تغيرت اللهجة الألمانية وأعلنت ميركل صراحة انه لا مفر من إنتظار ما ستسفر عنه عملية نقل السلطة في مصر قبل تقديم أي دعم إقتصادي وازدادت إنتقادات المسؤولين الألمان تدريجيا للمجلس العسكري لتتضمن تشكيكا في رغبته في التنازل عن السلطة لحكومة ديموقراطية ورئيس منتخب وبات هناك تركيز إعلامي وسياسي شديد في ألمانيا علي قضايا إطلاق الحريات وحماية الأقليات والمحاكمات العسكرية للمدنيين حتى كاد الإعلام الألماني في فترة ما أن يختزل الثورة المصرية في قضيتي مايكل منير وعلاء عبد الفتاح. وأخيرا بلغت الإنتقادات الألمانية الرسمية والإعلامية للمجلس العسكري الحاكم ذروتها بعد تفتيش مقر مؤسسة كونراد اديناور الألمانية في القاهرة وهي مؤسسة سياسية أهلية قريبة من الحزب المسيحي الديموقراطي الحاكم في ألمانيا الذي ترأسه المستشارة انجيلا ميركل ذات نشاط واسع وقديم في مصر منذ عقود ونشطت بعد الثورة تحت شعار دعم الديموقراطية. وفي تصريحات لأندرياس ياكوبس رئيس فرع المؤسسة في القاهرة لوسائل الإعلام الألمانية قال: "أن المؤسسة تعمل في مصر من 30 عاما خارج إطار التعاون التنموي الرسمي وفي وضع قانوني غير واضح "علي حد تعبيره، غير أن أحدا لم يعترض علي ذلك في مصر طيلة السنوات الماضية لذا فإن تفتيش مقر المؤسسة والتحفظ علي أجهزة الكمبيوتر والمستندات بها تسبب باستياء كبير في

ألمانيا. وفسر الإعلام الألماني ما حدث بأنه رد فعل المجلس العسكري في مصر علي تسليط المؤسسة وغيرها من المنظمات غير الحكومية الضوء علي ملفات شائكة مثل وضع الأقباط وإستخدام العنف ضد المتظاهرين[22].

واليوم وبعد مرور عام وأكثر علي الثورة المصرية يمكن القول بأن النظرة الألمانية لمستقبل مصر اصبح يسودها الكثير من التشاؤم في ظل إستمرار الفترة الإنتقالية تحت قيادة المجلس العسكري إلي اليوم ما دعا الإعلام الألماني لإطلاق وصف الثورة غير المكتملة علي الثورة المصرية. وينتقد هذا الأمر بشدة مسؤولون ألمان بارزون مثل هيرمان غروهه سكرتير عام الحزب المسيحي الديموقراطي الذي وصف المؤسسة العسكرية في مصر[23] بأنها لا تريد ديموقراطية حقيقية أو مثل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البوندستاغ روبرشت بولنس الذي يري أن المجلس العسكري سيتخلي في نهاية المطاف عن السلطة ولكنه لا يتعامل بشفافية مع هذا الأمر مما يستلزم ضغطا ألمانيا ودوليا علي مصر بإستخدام ورقة المعونات والمساعدات الإقتصادية.

ولكن من ناحية أخري فإن ألمانيا الرسمية والإعلامية لا تري في البديل الذي ستأتي أو أتت به بالفعل الإنتخابات البرلمانية الديموقراطية في مصر وهي القوي الإسلامية حلا مطمئنا، وتوجد حيرة حقيقية في كيفية التعامل مع هذه القوي الصاعدة. فهناك رأي سائد يعبر عنه سياسيون محافظون في الإئتلاف الحاكم وعبر عنه المحلل السياسي المعروف غيدو شتاينبرغ بأن سقوط نظام مبارك لم يخدم القوي الديموقراطية والليبرالية وإنما خدم الإخوان المسلمين الأكثر تنظيما وتمويلا لذلك يري اصحاب هذا الرأي في حالة الإحباط والمخاوف التي يثيرها فوز حزبي الحرية والعدالة والنور لدي القوي الليبرالية المصرية والشباب والمثقفين دليلا علي صحة المخاوف الغربية بأن المجتمع المصري لن يكون تعدّديا في ظل وجود التيار الإسلامي علي رأس السلطة، بل أن إستبعاد القوي الأخرى من المشاركة السياسية في ظل حكومة ذات مرجعية

---

[22] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

[23] المرجع السابق.

إسلامية سيكون حتميا. غير أن هناك رأي آخر يؤكد علي ضرورة إتاحة الفرصة للقوي الإسلامية وعدم التخويف أو الخوف منها بل أن وصولها للسلطة من خلال قبولها بقواعد اللعبة الديموقراطية يعني انها ستضطر لممارستها حتى النهاية بل أن رئيس البرلمان الألماني نوربرت لامرت يري أن إمكانيات بلاده للتأثير والدفع نحو الديموقراطية ستزداد في ظل إقامة علاقات قوية[24] بالبرلمان المصري المنتخب حتى لو كان ذا أغلبية إسلامية.

شراكة مع مصر من أجل التحول

أكد وزير الخارجية الألمانية غيدو فسترفيلى في أثناء لقائه مع نظيره المصري الجديد بعد الثورة محمد كامل عمرو في برلين على القيمة الرفيعة للتعاون بين البلدين. وقال فسترفيلى إن ألمانيا تشعر بترابط من نوع خاص بالتحولات التي تجري في مصر، حيث أن ألمانيا ذاتها قد شهدت ثورة سلمية. إن هذه العقود الطويلة من الشراكة الوثيقة تثبت نفسها الآن، حيث تسير مصر في طريقها لإنشاء هياكل مستقرة ومستدامة.

وأضاف فسترفيلى: "إننا الألمان معجبون بالشعب المصري لشجاعته لاتخاذ هذه الخطوة على طريق الديمقراطية". كما أعرب عن شكره للاستقبال الحار من جانب الشعب المصري خلال زيارتيه لمصر بعد الثورة، ثم واصل حديثه قائلاً إن ألمانيا واقفة إلى جانب مصر حتى يجني الناس في مصر ثمار عملية التحول الديمقراطي.

المستشارة الألمانية ميركل تتصل هاتفيا بالرئيس المصري السيسي

صرح المتحدث باسم الحكومة الألمانية شتيفن زايبرت بما يلي:

"أجرت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في 8 سبتمبر/ أيلول اتصالاً هاتفياً مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، حيث تركز حديثهما على تنمية مصر والوضع في المنطقة. ووجهت المستشارة الألمانية الدعوة إلى السيسي لزيارة ألمانيا بعد الانتخابات البرلمانية المصرية"[25].

---

[24] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

[25] المرجع السابق.

العلاقات الألمانية على المستوى الإماراتي تحتكم إلى قناعات حسن التعاون والمنفعة المشتركة

ألمانيا والإمارات.. شراكة إستراتيجية قوية

من السهل على أي متابع لمسيرة تطور العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية ودولة الإمارات العربية المتحدة أن يلاحظ متانة هذه العلاقات واهتمام الطرفين بالمحافظة على التعاون بينهما وتعزيزه بشكل مستمر بالشكل الذي يضمن مصلحة ومنفعة شعبي البلدين الصديقين. ويظهر مدى التعاون الاقتصادي والنشاط الاستثماري المتنامي بين ألمانيا والإمارات من خلال الاتفاقيات الثنائية المبرمة بينهما والزيارات المتبادلة التي قام بها مسؤولون من الجانبين على مختلف المستويات في السنوات الماضية، والتي ساهمت بلا شك في تعميق أواصر التعاون والصداقة.

علاقات نموذجية وشراكة استراتيجية

ترتبط ألمانيا بعلاقات اقتصادية وثيقة مع العالم العربي، لاسيما مع دولة الإمارات. ولم تؤثر الأزمة المالية الراهنة على متانة هذه العلاقات، بل إن تدعيم مفهوم التعاون والتنسيق بين البلدين يساهم دوماً في تطويرها وتعميقها، بحيث يمكننا اليوم وصف الإمارات بأنها أهم شريك اقتصادي لألمانيا في المنطقة العربية برمتها. ويدرك المتابع للعلاقات الألمانية الإماراتية أنها علاقات تحتكم إلى قناعات حسن التعاون والمنفعة المشتركة، بحيث باتت مثالاً نموذجياً للعلاقات الاقتصادية الجيدة بين الدول، نظراً لشفافيتها وقوتها وأهدافها النبيلة الساعية إلى تحقيق مصلحة الشعبين الصديقين. فألمانيا ومنذ العام 1972 ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع دولة الإمارات، تبعها علاقات اقتصادية قائمة على التعاون والمنفعة المتبادلة.

ويأتي الاهتمام الإماراتي بتعزيز التعاون مع ألمانيا، من كون الأخيرة دولة مهمة وتمثل ثقلاً على المستوى الاقتصادي العالمي ولديها خبرة واسعة وتقنيات متطورة وتمتلك تأثيراً كبيراً في القرارات العالمية وتلعب دوراً ريادياً في الإتحاد الأوروبي. وفي المقابل فإن الاهتمام الألماني بالمنطقة والتوجه للعمل في منطقة الخليج يعتمد أيضاً على مكانة دولة الإمارات وما تحتله من موقع استراتيجي يجذب المستثمرين وكونها تمثل مركزاً مالياً مهماً وتعتبر منفذاً تجارياً إلى العالم العربي

والشرق الأقصى، كما تتميز الإمارات بالاستقرار السياسي وبسمعة عالمية طيبة وتقدم تسهيلات متميزة ومناخ استثماري جيد، استطاعت من خلاله جذب الشركات الأجنبية التي تعمل انطلاقاً منها في عموم منطقة الشرق الأوسط. وتساهم مقومات التبادل التجاري والاستثماري الذي تتصف به العلاقة بين ألمانيا والإمارات في تحويل الأخيرة إلى بوابة لألمانيا في الخليج العربي ومن ألمانيا بوابة للخليج في أوروبا.

ولقد أصبح جلياً اليوم أن التجارة والارتباط الاقتصادي يخلقان جواً من الثقة ويدعمان العلاقات الدولية، لذلك فإن السياسة الألمانية الخارجية تأخذ على عاتقها مهمة تشجيع المصالح الاقتصادية الألمانية بالإضافة إلى الإسهام في مواصلة تنمية التعاون الاقتصادي العالمي على أساس عادل وثابت. وتساهم الكفاءة العالية لأسواق رأس المال وكذلك التأمين القانوني في احتلال ألمانيا مكاناً متقدماً في الكثير من مواقع الأعمال الدولية، خصوصاً مع ما تتميز به ألمانيا من كونها بلداً متسامحاً وشريكاً موثوقاً به يحظى بالتقدير في جميع أنحاء العالم.

ومن الواضح أن جودة المنتج الألماني وضمان التسليم والثقة والمعايير التكنولوجية عالية الجودة والابتكار المستمر ساهمت جميعها في جعل ألمانيا شريكاً استراتيجياً لدولة الإمارات. وبناء على رغبة كل من الحكومة الألمانية والإماراتية في تعميق العلاقات الاقتصادية بينهما، فقد تكللت جهودهما بشراكة استراتيجية بدأت في أبريل من العام 2004. وأصبحت العلاقات الاقتصادية الثنائية مبنية على شبكة مقدمي الخدمة والندوات الاقتصادية وغيرها، كما تُدعم باستمرار عبر زيارات سياسية رفيعة الشأن، ففي السنوات القليلة الماضية حدثت زيارات هامة بين الطرفين لتعزيز التعاون، نذكر منها: الزيارات التي قامت بها المستشارة أنجيلا ميركل إلى دولة الإمارات في عام 2007 و2010، وزيارة صاحب سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي إلى ألمانيا في عام 2008، وكذلك زيارة ولي عهد أبوظبي سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي في عام 2009. وهناك أيضاً الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الألمانية، غيدو فيسترفيله، إلى الإمارات هذا العام، بالإضافة إلى زيارة سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية الإماراتي إلى العاصمة الألمانية برلين وتوقيعه مع نظيره الألماني مؤخراً على اتفاقية منع الازدواج الضريبي. يضاف إلى ذلك زيارة عشرات

الوفود الألمانية إلى دولة الإمارات سنوياً، وقيام الحكومة الألمانية بدعوة أصحاب القرار في دولة الإمارات إلى ألمانيا بصفة منتظمة لدراسة وبحث آخر التطورات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية.

15 مليار يورو تجارة الإمارات وألمانيا نهاية 2015

البيان 27/06/2015 -

قال عدنان بن عبدالله رئيس العلاقات العامة والدعم التسويقي في المجلس الألماني الإماراتي المشترك للصناعة والتجارة في دبي لـ«البيان الاقتصادي» إن الإحصائيات الألمانية تشير إلى نمو متوقع في التجارة بين ألمانيا والإمارات بنسبة 20% للعام 2015 مما سيرفع إجمالي التبادل التجاري بين البلدين إلى 15 مليار يورو بنهاية العام من 13.9 مليار يورو المسجلة العام 2014.

وأضاف بن عبدالله أن التبادل التجاري بين الإمارات وألمانيا نما 21% بين 2013 2014 – موضحاً إن الشركات الألمانية تبدي اهتماماً كبيراً بمعرض إكسبو 2020 دبي والذي من المتوقع أن يخلق فرصا هائلة للشركات الأجنبية

وأشار إلى أن 500 شركة في عضوية المجلس الألماني الإماراتي المشترك للصناعة والتجارة في دبي نصفها من الشركات الإماراتية والنصف الآخر من الشركات الألمانية موضحاً أن هناك ألف شركة ألمانية تنشط في أسواق الإمارات و10 آلاف ألماني ما بين خبراء وتجار ومستثمرين ينشطون في أسواق الإمارات في شتى القطاعات.

العلاقات الألمانية على المستوى التونسي

كانت تونس في مرحلة الحرب الباردة، تقاد من قبل رئيسها الراحل زعيم الحركة الإستقلالية الحبيب بورقيبة، وقد نهج هذا الرئيس، عربياً، نهجاً خاصاً به، أبعده عن تجاذبات المحاور العربية المتصارعة، ما أتاح له المجال الإستفادة من مصالحته للغرب والإقتراب من مكامن الدعم المقدمة إليه من جانبه. وكان بهذا المعنى صديقاً للغرب فرنسا، ألمانيا، أمريكا، وقد منحه هذا الواقع إمتيازاً سياسياً وإقتصادياً ومن ثم سياحياً تمكن، عبر سياسته المنفتحة إجتماعياً، من تطوير هذا

القطاع وتكبير حجمه معتمداً، بشكل أساسي على حركة الأوروبيين والألمان مقدمهم.

وعندما حدث التغيير السياسي عام 1987م وتولي زين العابدين بن علي، مقاليد الأمور، إستمر هذا النهج الغربي وأيضاً الإعتماد على القطاع السياحي. وكان للألمان الدور الأساسي في إنجاح هذا القطاع وتوسيع إستثماراته.

بتاريخ 18-06-2005م إنعقدت في تونس ندوة حول مستقبل العلاقات التونسية الألمانية في ظل توسع الإتحاد الأوروبي.

وقد حلّت بتونس السيدة كلوديا نولت الوزيرة السابقة لشؤون المرأة والأسرة والعضو الحالي بلجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الألماني، وأشرفت كلوديا في نيسان/أبريل على ندوة حوار حول موضوع: «توسع الاتحاد الأوروبي وسياسة الحوار: آفاق المتوسط» في إطار التفاعل مع الحدث الكبير الذي ستعيشه أوروبا بداية من يوم 1 أيار/مايو 2004م القادم وهو اليوم الذي قيل عنه إنه سيكون تاريخيا بحكم التوسع الذي سيعرفه الاتحاد الأوروبي تجاه 10 دول جديدة وهو الحدث الذي يمثل في نظر الاقتصاديين والسياسيين تحديا كبيرا لكامل المنطقة بما فيها الدول المتوسطية وهو الأمر الذي يتطلب البحث عن السبل الناجعة لتحقيق المكتسبات والحد من التأثيرات.

مكنت الزيارة للسياسية الألمانية من طرح ملف التعاون التونسي الألماني من كل جوانبه ورصد كل التفاعلات المنتظرة بحكم التوسع المرتقب للاتحاد الأوروبي وفي هذا الإطار وإلى جانب ندوة الحوار التي إحتضنها أحد نزل الضاحية الشمالية كان للسيدة كلوديا نولت جملة من اللقاءات الهامة أبرزها مع: السيدة سعيدة الشتيوي كاتبة الدولة في وزارة الشؤون الخارجية. رئيس لجنة العلاقات الخارجية والشؤون الخارجية بمجلس النواب السيد: التيجاني الحداد. الكاتب العام المساعد للتجمع الدستوري الديمقراطي.

وبتاريخ 16-18 كانون الأول/ديسمبر 2007م أتاح إنعقاد المنتدى الاقتصادي التونسي الألماني "نقطة 4" في دورته الرابعة التي التأمت بتوزر تقييم وضع مناخ الاستثمار في تونس وفرص الشراكة المتوفرة في المجالات ذات القيمة المضافة العالية، وخاصة الصناعات الميكانيكية والالكترونية.

بتاريخ 28 نيسان/أبريل 2011م - وات - تحادثت السيدة حبيبة الزاهي بن رمضان وزيرة الصحة العمومية في مقر الوزارة مع السيدة كلاوديا روث النائبة بالبرلمان الألماني ورئيسة حزب الخضر التي كانت مرفقة بالنائبة في البرلمان الأوروبي السيدة باربارا لوشبلر.

وأعربت روث عن دعمها لما تشهده تونس مؤكدة استعدادها لحشد كل الطاقات المتوفرة في بلادها من أجل دعم فاعل للمسار السياسي والاقتصادي الذي انخرطت فيه تونس ولمجمل برامج المساعدة لفائدة اللاجئين الوافدين من القطر الليبي.

وقدمت السيدة حبيبة بن رمضان لضيوفها عرضا حول مكونات النظام الصحي الوطني الذي تعتمده تونس منذ ثورة 14 كانون الثاني/يناير والذي يرتكز على الحد من الفوارق بين الجهات.

وأعربت الوزيرة عن الأمل في أن تشهد العلاقات التونسية الألمانية مزيدا من الدعم في المجال الطبي والصحي مؤكدة على أهمية نقل الخبرات والمعارف الألمانية في هذا المجال إلى بلادنا وخاصة في ما يتعلق باعتماد اللامركزية بما يتيح للجماعات المحلية الاضطلاع بدور اكبر في توفير مقومات العيش السليم.

بتاريخ 2011/06/11م انضمت خمسون مؤسسة جديدة إلى الغرفة التونسية الألمانية للصناعة والتجارة منذ الثورة التونسية في كانون الثاني/يناير المنصرم ليصل إلى ستمائة العدد الإجمالي للمؤسسات المنتسبة لهذه الغرفة التي تهدف إلى تنمية العلاقات التجارية والاقتصادية بين الجانبين التونسي والألماني. وقد عقدت الغرفة التونسية الألمانية للصناعة والتجارة جلسة عامة في العاصمة التونسية لدراسة نتائج نشاطات العام الماضي وتوقعات السنة الحالية تم خلالها انتخاب التونسي رؤوف بن دبة رئيساً جديداً للغرفة. ووفق دراسات عرضت نتائجها أمام الجلسة فان 58 بالمائة من المؤسسات المنتسبة للغرفة تونسية و22 بالمائة ألمانية و17 بالمائة تونسية ألمانية مشتركة و3 بالمائة من دول أخرى.

وتشير الدراسات إلى أن 46 بالمائة من المؤسسات المنتسبة تتوقع ارتفاع أرقام معاملاتها عند التصدير خلال العام الحالي مقابل 26 بالمائة تتوقع تراجعاً و23

بالمائة تنتظر بقاء رقم معاملاتها دون تغيير. ولفتت إلى أن غياب الأمن في تونس وتحديداً في بعض مواقع الإنتاج يبقى الهاجس الأول لحوالي 74 بالمائة من المؤسسات المنخرطة في الغرفة. يذكر أن الغرفة التونسية الألمانية للصناعة والتجارة تعمل في تونس منذ نحو 30 عاماً ويتعلق نشاطها أساساً بالاستثمارات الألمانية أو ذات المساهمة الألمانية في تونس.. وتعد ألمانيا ثالث شريك اقتصادي لتونس بعد فرنسا وإيطاليا. على صعيد ذي صلة قام وزير الدولة الألماني للسياحة ارنست بورياخر بزيارة عمل لتونس رافقه عدد من رؤساء المؤسسات الألمانية بهدف تنمية السياحة بين البلدين.

سفير جديد لألمانيا بعد تغيير الحكم وصعود الإسلاميين للسلطة

كانت ألمانيا مرنة في مسألة إقصاء رئيس الجمهورية السابق زين العابدين بن علي عن الحكم ومجيء قوى جديدة إلى السلطة، في مقدمتها قوى إسلامية تمثلت بحزب "النهضة". وعندما حضر السفير الألماني الجديد إلى تونس صرح للصحافة بالآتي:

"لقد كنت وعائلتي سعداء جدا بمباشرة العمل في تونس بعد ما لقيته من استقبال حار من الحكومة ومن مختلف السياسيين ومن المعارضة ومن كل الناس في الشارع. الشعب الألماني تابع بإعجاب الثورة التونسية واستحسنها ويستحسن الآن بناء المسار الانتقالي لتونس الجديدة. وأوكد أيضا أن ألمانيا مستعدة لمرافقة تونس في «رحلتها» نحو الديمقراطية والتعددية وتتمسك بمساعدتها في مختلف المجالات"[26].

وقال: "لدى زيارة الوزير الأول حمادي الجبالي لألمانيا في مارس/آذار الماضي ولقائه مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل اتفقا على احداث شراكة استراتيجية بين البلدين تكون متمحورة حول عدة أولويات أهمها التكوين المهني وكل ما هو مساعد على تأسيس الديمقراطية ودولة القانون والتعاون في مجال الطاقة لا سيما الطاقات البديلة.

أعتقد أنه على التونسيين تحديد مصيرهم ومصير بلدهم ومجتمعهم ونظامهم

(26) صحيفة الشروق.

السياسي بأنفسهم، وهي قاعدة عالمية. وهذا ما لمسته في تونس منذ قدومي من خلال النقاشات التي تجري بين مختلف الكتل النيابية في المجلس التأسيسي ومن خلال ما أسمعه في المنابر الإعلامية وفي الشارع وفي المقاهي. وهذا يدل على تحلي الشعب التونسي بالمعرفة السياسية وبروح المسؤولية الديمقراطية التي ستمكنه حتما من رسم معالم توجهاته السياسية بنفسه"[27].

وختم بالقول: "قابلت وزير السياحة الذي اعلمني ان عدد السياح الألمان الذين قدموا هذا العام ارتفع بـ80 بالمائة مقارنة بالعام الماضي. اليوم سجلنا قدوم ما يقارب 200 الف سائح ألماني لتونس منذ بداية العام وننتظر تجاوز 400 الف مع نهاية العام. وكل هذا في انتظار تطوير السياحة الثقافية التي يهتم بها عادة السائح الألماني خاصة ان تونس تزخر بمخزون تراثي وثقافي وتاريخي هام وهذا النوع من السياحة يوفر مداخيل كبرى تتجاوز مداخيل السياحة الشاطئية التقليدية".[25]

تصريح وزير الخارجية الألماني شتاينماير بشأن المصادقة على الدستور التونسي الجديد

بمناسبة مصادقة المجلس التأسيسي على الدستور التونسي الجديد بأغلبية كبيرة صرح وزير الخارجية الألماني فرانك- فالتر شتاينماير يوم 27 يناير/ كانون الثاني 2014 بما يلي:

"أتوجه بالتهنئة إلى التونسيين بمناسبة دستورهم الجديد؛ إنه لحدث سياسي بالغ الدلالة كلل بالنجاح الآن .بدأت في تونس صحوة العالم العربي منذ ما يزيد على ثلاث سنوات. ومنذ ذلك التاريخ مرت الآمال التونسية بمحطات من الإحباط، غير أن تونس أظهرت اليوم للعالم إنه من الممكن تحقيق تقدم حقيقي في اتجاه الديمقراطية ودولة القانون والتسامح والحقوق المدنية. لقد كانت العملية الدستورية – التي اتّسمت بالاحتوائية وبالديمقراطية – نموذجاً يحتذى به، لم تستطع الانتكاسات الصعبة أن تجعلها تحيد عن الطريق الذي قطعته الثورة.

ومن الحتمي الآن مواصلة تنفيذ خارطة الطريق المتفق عليها بعزم لا يلين،

(27) المرجع السابق.

وتشكيل سريع لحكومة انتقالية معبرة عن الطيف الحزبي التونسي وتنظيم انتخابات جديدة.

وستواصل ألمانيا دعم شريكتها تونس في طريقها نحو مستقبل ديمقراطي مستقر بهمة وعزم ".

تصريح وزير الخارجية الألماني فسترفيلى عقب استقالة رئيس الوزراء التونسي الجبالي

في أعقاب استقالة رئيس الوزراء الجبالي من منصبه صرح وزير الخارجية الألماني فسترفيلى في 20 فبراير/ شباط 2013 من برلين بشأن الوضع في تونس بما يلي:

"إننا نراقب باهتمام بالغ الوضع في تونس في هذه الأيام الحرجة التي يمر بها التطور الديمقراطي هناك. وإنني أثني بشدة على مساعي عديد من الأطراف السياسية الفاعلة في تونس والتي تقدم إسهاماً بناءً من أجل إتمام العملية الانتقالية الديمقراطية بنجاح.

وفي هذا السياق أبدي احترامي لرئيس الوزراء الجبالي.

وإنني أدعوا كافة القوى السياسية هناك إلى التقارب متحلين بروح الحوار ورأب الصدع الذي يشق البلاد حالياً"[28].

وزير الخارجية الألمانية حول مقتل السياسي التونسي شكري بلعيد

بتاريخ 2013/02/07 أعرب وزير الخارجية الألماني جيدو فيسترفيله عن "حزنه" لمقتل المعارض التونسي شكري بلعيد الذي قضى بالرصاص واصفا هذا العمل بأنه "فظيع"، ودعا المسؤولين السياسيين التونسيين إلى "حماية إرث" الثورة. وقال الوزير الألماني في بيان "غمرنا خبر مقتل السياسي المعارض شكري بلعيد بمشاعر من الاشمئزاز والحزن". وأضاف فيسترفيله "في هذه اللحظة الحرجة، ندعو كل

[28] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

المسؤولين السياسيين في تونس إلى حماية ارث الثورة السلمية وإلى العمل بغض النظر عن الانتماءات السياسية، من أجل مصلحة البلد"[29].

العلاقات الألمانية على المستوى السوري

عرفت العلاقات الألمانية السورية تاريخاً من المد والجزر وذلك وفقاً للحالة السياسة القائمة بينهما في كل مرحلة من مراحل ذلك المد أو الجزر.

ففي الخمسينات وفي زمن الوحدة بين مصر وسوريا (1958-1961م) أصبحت سوريا في عهدة قيادة عبد الناصر لها. وبدأ هذا الأخير، عبر سياسته المعادية للغرب، في مد الجسور مع ألمانيا الشرقية، وصولا إلى قطع العلاقات مع بون، ومن ثم الإعتراف بألمانيا الشرقية، إثر حرب 1967م.

في زمن الرئيس حافظ الأسد (1970 – 2000م) عرفت العلاقات تحسناً مع ألمانيا الإتحادية، وفي بعض الأحيان ترتيباً، ومن ثم إزدهاراً في محطات معينة. تم خلال تلك المراحل، تنمية العلاقات على الصعيد الثقافي، تبادل طلاب وخبرات، وأيضاً الإنفتاح إقتصادياً، لا سيما بعد تحرير بعض القطاعات السورية الإقتصادية.

وقد إرتبطت سوريا مع ألمانيا الإتحادية بإتفاقية لتشجيع وحماية الإستثمارات المتبادلة تم توقيعها بدمشق بتاريخ 1977/08/02م.

واهم النقاط التي تضمنتها تلك الإتفاقية ما يلي:

أ- تعمل الحكومتان على تشجيع الإستثمارات بين البلدين بالنسبة لرعايا وشركات كل منهما.

ب -تتمتع الاستثمارات التابعة لرعايا وشركات إحدى الدولتين بالحماية التامة في أراضي كل منهما.

ج – عدم مصادرة استثمارات رؤوس أموال الرعايا والشركات وفي حالة المصلحة العامة يتم دفع تعويض عادل وفوري وقابل للتحويل الحر.

[29] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

د – حرية تحويل الأرباح وكافة المبالغ المتعلقة بالاستثمارات.

هـ – يتم تسوية الخلافات الناشئة عن تفسير الاتفاقية وتطبيقها عن طريق الحكومتين فإن تعذر ذلك فيتم طرح هذا الخلاف على هيئة تحكيم.

و – مدة هذه الاتفاقية خمس سنوات وتمدد تلقائياً بعد ذلك إلا إذا طلب أحد البلدين إيقافها.

كما تساهم ألمانيا في تمويل عدد من المشاريع الإنتاجية ومشاريع البنية التحتية في سورية عبر القروض الميسرة التي تمنحها مؤسسة قروض الإعمار الألمانية.

– ألمانيا دولة عضو في الاتحاد الأوربي.

من خلال دراسة الميزان التجاري بين البلدين يلاحظ وجود عجز مستمر لصالح ألمانيا وصل إلى (8800.8) مليون ليرة سورية عام /2006/.

ويرجع أسباب العجز إلى:

أ – ضعف حجم الصادرات السورية واعتمادها على المواد الخام أو المنتجات الزراعية، وبالتالي عدم الاستفادة من تحقيق أي قيمة مضافة.

ب – ارتفاع حجم المستوردات الألمانية وتنوعها.

- بلغت قيمة الصادرات السورية إلى ألمانيا (6624.6) مليون ليرة سورية أي ما نسبته (3.2%) من حجم الصادرات السورية إلى دول الاتحاد الأوروبي و(1.31%) من إجمالي الصادرات السورية (وهي نسبة متواضعة).
- بلغت قيمة المستوردات السورية من ألمانيا (15425.4) مليون ليرة سورية أي ما نسبته (9.0%) من حجم المستوردات السورية من دول الاتحاد الأوروبي و(2.9%) من إجمالي المستوردات السورية.
- بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين خلال عام /2006/ حوالي (22050) مليون ليرة سورية.

مع تولي الرئيس بشار الأسد مقاليد الحكم بعد وفاة والده عام 2000م، حدث

إنفتاح إقتصادي، بدأت معه ألمانيا وسوريا بتنمية علاقاتهما السياسية والإقتصادية المشتركة وإعداد ندوات خاصة من أجل هذا الهدف. (تعرضت العلاقة في مطلع عهد الرئيس بشار إلى توتر بسبب إصدار المدعي العام في برلين مذكرة إيقاف دولية ضد سفير سوريا السابق في ألمانيا الشرقية فيصل السماك).

وزادت اهمية سوريا بالنسبة إلى ألمانيا خصوصاً والغرب عموماً بعد إنضمامها إلى الحرب المناهضة للإرهاب بعد هجوم 11 أيلول/سبتمبر 2001م وقامت سوريا بإعتقال أحد المواطنين الألمان من أصل سوري يدعى محمد حيدر الزمار فور وصوله إلى الأراضي السورية، كان قادماً من باكستان. وهو بحسب بيانات البوليس السري الألماني كان يعمل في تجنيد الطلبة العرب الدارسين في الجامعة التقنية بمدينة هامبورغ وتنظيم سفرهم إلى أفغانستان للتدرب في قواعد تابعة لتنظيم "القاعدة".

بتاريخ 2006/11/29م جرى تنظيم ورشة عمل سياسية، كانت الأولى بين منتدى الشرق الأوسط في ألمانيا (برلين) وكلية العلوم السياسية في دمشق... وصدرت توصيات ومقترحات لتعميق قنوات التعاون.

محاور الندوة تلخصت في تحليل الأهداف الإستراتيجية للسياسة الخارجية الألمانية، وموقف رجال الفكر والسياسة من تطورات القضايا السياسية في الشرق الأوسط, ودور مراكز الأبحاث والجمعيات والهيئات المدنية المستقلة في التأثير على صنع القرار الألماني، وضرورة فتح قنوات عديدة للتعاون بين سورية وألمانيا من أجل توفير الاستقرار في الشرق الأوسط, الأمر الذي يعني بالمحصلة استقرار المتوسط وأوروبا والمساهمة في معادلة السلم الدولي.

أعضاء المنتدى الألماني، والذي تشكل في عام 1996م بمشاركة عدد كبير من الدبلوماسيين السابقين, والإعلاميين ولرجال سياسة ودين وفكر وجنرالات متقاعدين ساهموا بشكل فعال في إصدار بيانات تنديد وإدانة للعدوان الإسرائيلي على لبنان تموز/يوليو 2006 وقدموا وثيقة للحكومة الألمانية, مطالبين بالتعاون مع سورية, وشرح وجهات نظر السوريين وإيصالها إلى الرأي العام في أوروبا, خاصة إثر حدوث حملات معادية تهدف للإساءة إلى سورية والعرب والإسلام.

ومن أجل إيجاد آليات فاعلة لتبادل المواقف والتأثير حضر الوفد الألماني المكون من السفير السابق هانيتس كنويه والسفير أرنه زايفرت والبرفسور يوغن شوخارت إلى دمشق, وأجرى لقاءات مهمة مع نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية د. نجاح العطار، ووزير الإعلام د. محسن بلال ونائب وزير الخارجية د. فيصل المقداد وإدارة مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق وإدارة كلية العلوم السياسية وطلاب الدراسات العليا ومجموعة من الباحثين.

جلسة الحوار بين الباحثين الألمان والسوريين، تميزت بالجديد والتفاعل الإيجابي، وطرحت أوراق عمل ومداخلات مهمة لكلا الطرفين.

تعاون ثقافي تربوي

كانت العلاقات الإقتصادية الألمانية-السورية هي المفصل الأساسي في طبيعة هذه العلاقات وأهميتها. لكن ذلك لم يحجب دور العلاقات الأدبية والثقافية. وتأتي أهمية هذه العلاقات من حقيقة أن إستقبال أعمال من الأدب الأجنبي يقدم للطرف المستقبل صورة عن الشعب الأجنبي وأوضاعه وقضاياه. ويتم ذلك بوسائل جمالية تؤثر في المتلقين الأجانب فكرياً وعاطفياً، وتساهم بفاعلية في تكوين موقفهم من الشعب الأجنبي. إن الأعمال الأدبية المترجمة إلى اللغات الأجنبية هي سفراء شعوبها إلى الشعوب الأخرى، فهذا النوع من التبادل الثقافي يعد بحق أرقى أشكال حوار الحضارات. وينطبق هذا على إستقبال الأدب الألماني في الوطن العربي وعلى إستقبال الأدب العربي في ألمانيا.

وإذا أمعنا النظر في ما ترجم في سوريا إلى العربية من أعمال أدبية ألمانية خلال نصف القرن الأخير، نجد أن أدب الرواية والقصة القصيرة قد فاز بحصة الأسد من ذلك الإستقبال الترجمي فالرواية هي بإمتياز الجنس الأدبي الأكثر صلاحية للترجمة إلى اللغات الأجنبية وذلك لأسباب كثيرة، منها أن تلقي هذا الجنس الأدبي يتم عبر القراءة، وانها تزود المتلقي بمعلومات غزيرة عن المجتمع الأجنبي وحضارته، وأنها تحافظ عند الترجمة على كثير من أدبيتها إلا أن ضخامة الأعمال الروائية قد تجعل المترجمين يترددون في ترجمتها، وتجعل الناشرين يترددون في نشرها وعلى الرغم من ذلك تحتفظ الرواية بالمكان الأول في العلاقات الأدبية الدولية وهذا ينطبق

على إستقبال الأدب الألماني في سوريا وللقصة القصيرة أيضاً نصيب كبير من ذلك الإستقبال فهي تستقبل أيضاً عبر القراءة، كالرواية، وهي خلافاً للرواية تغري المترجمين بترجمتها، وذلك لصغر حجمها ومما يزيد في فرص إستقبالها إمكانية نشرها في المجلات والصحف وبالفعل فإن مجلة الآداب الأجنبية قد نشرت عدداً كبيراً من القصص القصيرة الألمانية المترجمة، وتلك فرصة غير متاحة للرواية الألمانية.

أما الشعر الغنائي والوجداني فإن فرص ترجمته إلى اللغات الأجنبية أصغر بكثير من الفرص التي تتاح للرواية والقصة القصيرة صحيح أن قصر النصوص الشعرية قد يغري المترجمين بالإقدام على ترجمتها، ويجعل إمكانية نشرها في مجلة أو جريدة أمراً ممكناً، إلا أن الخسارة الأسلوبية والجمالية التي يتعرض لها النص الشعري عند الترجمة كبيرة جداً، مما يجعل متعة تلقيه ضئيلة وعلى الرغم من ذلك بذلت في سوريا جهود ومحاولات لترجمة نصوص شعرية ألمانيا إلى العربية، وهي جهود بذلها مترجمون كثر كالدكتور شاكر مطلق والدكتور فؤاد رفقه والسيدة إيرينا داوود والسيد عدنان حبال والدكتوران أحمد حيدر وأحمد الحمو أما الشعراء الألمان الذين تمحورت حولهم هذه الجهود فهم ريلكه وهلدرلين وهاينه وبريشت وهيسه وإريش فريد وفونتانه إلا أن تلك الجهود كانت محدودة وجزئية، ولم تبلغ إلا في حالات قليلة درجة ترجمة مجموعات شعرية بأكملها.

وكان لأدب المسرح الألماني نصيب جيد من إستقبال الأدب الألماني في سوريا، وقد تمحورت تلك الجهود في المقام الأول حول المسرحي برتولت بريشت، الذي قام الدكتور نبيل حفار بتعريب عدد من مسرحياته، وقام قيس الزبيدي والدكتور أحمد الحمو بتعريب جانب من كتاباته النظرية، وكتب الكثير من مسرحه وإستقباله عربياً [27] ومن أدباء المسرح للألمان الذين عرب المترجم إبراهيم وطفي إثنتين من مسرحياته هما حديث فيتنام والقضية، وترجم الدكتور نبيل حفار مسرحيته تخليص السيد موكينبوت من آلامه ولم يقتصر إستقبال مسرحيات بيتر فايس على الجانب الترجمي، بل عرضت مسرحياً، وكانت من المسرحيات المفضلة في مهرجانات المسرح الطلابي، وذلك بسبب مضمونها المعادي للإستعمار، وقام المسرحي السوري سعدالله ونوس بإقتباس إحداها، ألا وهي مسرحية موكينبوت التي حولها إلى أنشودة أنغولا وثمة مسرحي ألماني آخر، حظيت أعماله بتلق ترجمي ملحوظ، ألا وهو هاينر

كيبهاردت فقد ترجم الدكتور نبيل حفار مسرحيته قضية أوبنهايمر، وترجم غبراهيم وطفي مسرحيتي ليلة جمعة ومرتس حياة فنان.

لقد إتخذ مسار التعاون الألماني السوري الثقافي والتعليمي مساراً تصاعدياً نحو التطوير والإرتقاء بهما نحو مستويات عالية، لولا بروز التطورات الأمنية والسياسية السورية، التي جمدت سبل هذا التعاون التصاعدي ومساره.

تدهور العلاقات وسحب السفراء

بعد بدء الأحداث الدامية في سوريا في آذار/مارس 2011م، جراء قيام المعارضة الداخلية والخارجية بأعمال إحتجاجية وتظاهرات ضد النظام الحكم تحولت سريعاً إلى مواجهات مسلحة بين الجانبين، أخذت الأمور تتفاعل وتتطور على المستويين العربي والدولي، وسحبت الدول الأوروبية ومنها ألمانيا سفرائها من دمشق. وتحولت العلاقات إلى قطيعة ودعوة لتنحي الرئيس بشار الأسد عن سدة الرئاسة.

بتاريخ 2011/04/06م إستدعت الخارجية الألمانية السفير السوري للتنديد باستخدام السلطات السورية العنف تجاه المتظاهرين كما أدانت فرنسا مجددا "أعمال العنف" وطالبت بإجراء "تحقيق شفاف" حول هذه الأحداث. وقد عبرت ألمانيا، عن أسفها الشديد لما يحدث وطلبت وقف العنف وأعلنت تأييدها للموقف الأوروبي في مجلس الأمن والأمم المتحدة، ونددت بسياسة العنف التي يمارسها النظام السوري ضد المعارضة.

مع تطور أعمال العنف، دعا وزير الخارجية الألماني غيدو فسترفيله في مقابلة مع صحيفة "بيلد تسايتونغ" (202/8/12م) إلى إحالة الرئيس السوري بشار الأسد أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي. وقال الوزير في هذه المقابلة التي نشرت مقاطع منها "من المفضل أن يمثل الأسد أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي". مضيفاً أن مسألة النفي الطوعي للرئيس السوري لحقن الدماء تبقى واردة. وقال "في حال تمكنا من تجنب وقوع مزيد من القتلى عبر نفي طوعي للأسد فإن الملاحقات القضائية لن تكون عندها النقطة الأهم".

أضاف فسترفيله "هذا بالطبع لا يتناسب مع نظرتي إلى العدالة، إلا أن الأهم بالنسبة لي هو وقف سقوط القتلى وإفساح في المجال أمام مستقبل ديمقراطي وهادئ

في سوريا".

ومرة جديدة رفض الوزير الألماني فكرة التدخل العسكري في سوريا، وقال فسترفيله إن "التدخل العسكري يزيد المشاكل بدلاً من أن يخفض عددها لأن هناك إحتمالاً لتفشي العنف".

في حوار صحفي أجرته سفيرة ألمانيا في لبنان بريجيتا سينكر أيبرلي مع جريدة "السفير" اللبنانية (24 شباط/فبراير 2012م) قالت السفيرة: "إن ألمانيا تدعم مؤتمر أصدقاء سوريا الذي ينعقد في تونس وهي ترحب به وتشارك فيه، وأتمنى أن يشكل هذا المؤتمر فاتحة حل للأزمة الإنسانية في سوريا. وما نتوقعه من هذا المؤتمر دول فاعل من قبل جامعة الدول العربية ومن تركيا لأنهما لاعبان إقليميان ومشاركة اللاعبين الإقليميين مهمة جداً. إن هدف "مجموعة أصدقاء سوريا هو إبطال "الفيتو" في مجلس الأمن، لكن من دون تدخل عسكري. الوضع في ليبيا مختلف وكان التدخل ممكناً بسبب الوضع الميداني هناك، في حين أن الأمر ليس مشابهاً في سوريا حيث لا يمكن للتدخل العسكري أن يحصل".

ورأت السفيرة أنه "لو بدأ الأسد الإصلاحات في بداية الإنتفاضة لكان وجد الكثير من الدعم لكنه تأخر كثيراً".

ألمانيا تطرد دبلوماسيين سوريين

بناء على تعليمات وزير الخارجية الألمانية فسترفيلي تم يوم 10 ديسمبر/ كانون أول 2012 طرد أربعة دبلوماسيين سوريين يعملون في سفارة سوريا في برلين. وقد صرح فسترفيلي في هذا الصدد بما يلي:

"ترغب من خلال طرد موظفي السفارة السورية في برلين اليوم في إرسال رسالة واضحة مُفادها إننا نقلص العلاقات مع نظام الأسد إلى أدنى حد ممكن. كما نعوّل على اكتساب التحالف الوطني مزيد من التماسك وعلى قدرته في أسرع وقت ممكن على بناء مؤسسة انتقالية قادرة على العمل."

أعلن القرار اليوم أمام القائمة بأعمال السفير السوري، على أن يقوم الموظفون المطرودون بمغادرة أماكن عملهم في موعد أقصاه يوم الخميس.

فسترفيلى بشأن انتخاب المعارضة "غسان هيتو" رئيسًا للحكومة الانتقالية

تعليقًا على انتخاب المعارضة "غسان هيتو" رئيسًا لحكومة الائتلاف الوطني الانتقالية صرح فسترفيلى يوم 19 مارس/ آذار 2013 من تونس بما يلي:

"أرحب بانتخاب "غسان هيتو" رئيسًا لحكومة المعارضة الانتقالية السورية، الذي أعتبره خطوة جديدة على طريق توحيد المعارضة السورية وتثبيت دعائمها. إن انتخاب هذا الرجل المتخصص يعزز فرص تحقيق تقدم في عملية إعادة إعمار المناطق السورية التي لم تعد خاضعة لسيطرة النظام السوري. تدعم ألمانيا الجهود المبذولة من أجل تحسين وضع الناس هناك"[30].

"على الأسد أن يفسح الطريق"

لا يزال العنف مستمراً أيضاً بعد حلول العام الجديد، حيث بدا صاحب السلطة السوري بشار الأسد في خطاب نُقل تلفزيونيا أمام أتباعه في 6 يناير/ كانون الثاني 2013 غير مستعداً للحوار مع القوى المعارضة.

ومن جانبه عبر وزير الخارجية الألمانية جيدو فسترفيلى عن إحباطه الشديد، حيث قال في حوار صحفي له نُشر في 7 يناير/ كانون الأول 2013: "إن خطاب الأسد جاء بما لا يدع مجالاً للشك معبراً عن إخفاء الحقيقة". وكان فسترفيلى قد انتقد قبل ذلك قائلاً إن الأسد اتبع لغة عسكرية عدوانية جداً. "وللأسف لم يكن ذلك إسهاماً من أجل استقرار سوريا." كما أن النظام يتفتت؛ ورغم أنه لم يتم التغلب عليه حتى الآن، إلا أن عملية التلاشي تخطو بسرعة متزايدة إلى الأمام، حسب قول فسترفيلى.

ضرورة بداية جديدة تتسم بالديمقراطية والتعددية

صرح فسترفيلى بقوله: "إن مُضي إنهيار النظام قدماً يبعث بالأمل لدينا وفي المقام الأول لدى الناس هناك، بأن زمن الأسد قد أوشك على الانتهاء وأن البداية الجديدة ستكون ممكنة تحت قيادة الائتلاف الوطني." تشكل الائتلاف الوطني للمعارضة السورية في 11 نوفمبر/ تشرين الثاني في العاصمة القطرية الدوحة. كما قال فسترفيلى: "على الأسد أن يفسح الطريق لبداية ديمقراطية جديدة تُدعى فيها كافة

[30] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

القوى في البلاد للمشاركة بشكل فعال. وبهدف تحقيق هذه البداية الجديدة تدعم ألمانيا الائتلاف الوطني للقوى المعارضة."

فضلاً عن ذلك نُقل عن الممثلة العليا للسياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي كاترين أشتون طلبها بتخلي الأسد عن منصبه وتسليم السلطة لحكومة جديدة[31].

فسترفيلى حول انتخاب الرئيس الجديد للائتلاف الوطني السوري

بمناسبة انتخاب الرئيس الجديد للائتلاف الوطني للمعارضة السورية صرح المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الألمانية باسم وزير الخارجية الألمانية فسترفيلى يوم 8 يوليو/ تموز 2013 بما يلي:

"رحب وزير الخارجية الألمانية بتوافق الائتلاف الوطني السوري على قيادة جديدة، وهنأ الرئيس الجديد أحمد الجربا ونوابه على نجاحهم في الانتخابات التي أجريت في عطلة نهاية الأسبوع، مؤكدًا أنه يجب الآن العمل على الاستمرار في تقوية وحدة المعارضة وتوسيع القاعدة التي يقوم عليها الائتلاف الوطني السوري.

كما ننتظر من القيادة الجديدة للائتلاف الوطني للمعارضة السورية إشارة واضحة على استعدادها المشاركة في عملية جنيف للسلام.

يجب على نظام الأسد أن يفسح الطريق أمام حل سياسي. كما نطالب النظام بأن يُنهي الأعمال القتالية الموجهة ضد شعبه. وطالب وزير الخارجية الألمانية فسترفيلى بصفة خاصة وبإلحاح النظام السوري، أن يُتيح توصيل المساعدات الطبية والإنسانية للسكان المدنيين المحاصرين في مدينة حمص"[32].

وزير الخارجية الألمانية فسترفيلى يرحب بالاتفاق الروسي الأمريكي حول سوريا

تفاهم وزيرا الخارجية الروسي والأمريكي في مدينة جنيف بشأن الخطوات المقبلة فيما يتعلق بمراقبة وتدمير الأسلحة الكيميائية السورية، وقد عقب وزير

[31] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

[32] مصدر المعلومات www.auswaertiges-amt.de : الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

الخارجية الألمانية فسترفيلي يوم 14 سبتمبر/ أيلول 2014 على ذلك قائلاً:

"إنني أرحب باتفاق الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على الكشف دون إبطاء عن الأسلحة الكيميائية في سوريا. وإذا ما تحولت الآن الأقوال إلى أفعال فإن ذلك سوف يعزز بشدة من فرص التوصل إلى حل سياسي.

إن التوصل إلى سلام دائم في سوريا لن يتحقق من خلال الحل العسكري ولكن من خلال الحل السياسي"[33].

شتاينماير يستقبل رئيس حكومة الائتلاف السوري المعارض

استقبل وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر شتاينماير في برلين يوم الأربعاء (26 شباط/ فبراير 2014) أحمد طعمة، رئيس الحكومة السورية المؤقتة التابعة للائتلاف السوري المعارض. واستقبل شتاينماير طعمة والوفد المرافق له بمقر وزارة الخارجية في برلين وأجرى معهم محادثات تناولت عدة موضوعات منها محادثات السلام أو ما بات يعرف بمؤتمر جنيف 2. كما ناقش مع طعمة ملف إعادة إعمار المناطق التي تخضع لسيطرة المعارضة السورية.

وناقش الطرفان خلال الاجتماع سبل تحسين الوضع الإنساني لسكان مناطق الصراع بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي يوم السبت (22 شباط/ فبراير 2014) الذي يقضي بتسهيل وصول المساعدات للمتضررين في مناطق القتال داخل سوريا. ويهدد القرار باتخاذ "خطوات إضافية" في حالة عدم الالتزام بتطبيقه.

ودعا شتاينماير في بيان صدر بعد الاجتماع الرئيس السوري بشار الأسد إلى تنفيذ ما ورد في القرار والسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى مناطق الصراع. وقال وزير الخارجية الألماني إن بلده ستواصل دعم المعارضة السورية مشيرا إلى أن برلين أسست صندوقا بقيمة 50 مليون يورو لتمويل مشروعات إنسانية في سوريا. وأعرب شتاينماير عن سعادته بقيام اليابان بتقديم عشرة ملايين يورو لهذا الصندوق بمناسبة زيارة طعمة لبرلين. وكان الائتلاف الوطني السوري المعارض قد اختار طعمة رئيسا لحكومة مؤقتة في أيلول/ سبتمبر الماضي وعهد إليه بمهمة استعادة النظام في

[33] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

المناطق التي لم تعد تحت سيطرة الحكومة السورية[34].

شتاينماير: بات مُلحًا أن يتوقف حمام الدم في سوريا

بمناسبة الذكرى الثالثة لاندلاع الاحتجاجات في سوريا صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يوم 15 مارس/ آذار 2014 في بما يلي:

"بالنظر إلى عدد القتلى الذين يزيد عددهم الآن على 140 ألف نتذكر اليوم بعد مرور ثلاثة أعوام على اندلاع الحرب الأهلية في سوريا ما حدث في البداية، ألا وهو سعي السوريين السلمي للحصول على الحرية والكرامة الذي واجهه نظام الأسد بالعنف.

اليوم نناشد نظام الأسد بشدة أن يُوقف استخدام العنف ضد شعبه وأن ينتهي عن تعطيل مساعي الوساطة التي يقوم بها المجتمع الدولي.

كما أن مناشدتنا إعطاء فرصة لجهود المبعوث الأممي الخاص الاخضر الابراهيمي من أجل تحقيق السلم في سوريا نوجهها أيضًا للقوى المتشددة في داخل المعارضة، التي لم تعتمد حتى الآن سوى آلية استخدام العنف والإرهاب. بات مُلحًا أن يتوقف حمام الدم في سوريا"[35].

الحكومة الألمانية تخصص سبعة ملايين يورو للاجئين السوريين والمهجرين داخلياً

أدت الحرب الأهلية الدائرة في سوريا إلى تهجير عدد كبير من السوريين داخلياً وكذلك اندفاع موجة هائلة من اللاجئين إلى بلدان أخرى، مما شكل عبئاً كبيراً على هذه البلدان؛ حيث اتجه إلى لبنان على سبيل المثال حسب إحصاء مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ما يقرب من مليون لاجئ؛ في حين أن عدد السكان هناك حوالي 4 ملايين فقط، هذا إلى جانب الأعداد الأخرى التي اتجهت إلى العراق

[34] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

[35] مصدر النص: Auswärtiges Amt – المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو almania info)

والأردن ومصر وأيضاً تركيا.

وفي هذا السياق وافقت الحكومة الألمانية على تخصيص مبلغ مالي لدعم السوريين المهجرين داخلياً واللاجئين السوريين في كل من مصر والعراق ولبنان والأردن وتركيا قدره 7 ملايين يورو. ويسلم المبلغ المالي لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ على أن يتم تسليم ثلاثة ملايين يورو في النصف الأول من عام 2014 وأربعة ملايين يورو في النصف الثاني من العام نفسه. ويأتي ذلك في إطار المشروع المقترح من قبل مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بهدف تلبية الاحتياجات والخدمات الأساسية لهؤلاء السوريين[36].

تصريح متحدث باسم الخارجية الألمانية بمناسبة اختيار هادي البحرة رئيساً للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية:

"إننا نهنئ هادي البحرة على انتخابه رئيسا للائتلاف الوطني السوري. لقد حظي هادي البحرة كمفاوض للمعارضة في محادثات السلام بجنيف باحترام كبير. وفي دوره الجديد تقع على عاتق البحرة مجدداً المهمة الصعبة المتمثلة في البحث عن طرق جديدة لإيجاد حل سياسي في سوريا.

وتدعم الحكومة الاتحادية الائتلاف الوطني من خلال الصندوق الاستئماني الخاص بسوريا لضمان رعاية السكان في المناطق التي لم تعد تخضع لسيطرة النظام".

وزير الخارجية الألمانية شتاينماير: ألمانيا تطلق حزمة منح دراسية جديدة للطلاب السوريين

يُداهم سوريا جراء النزاع الدائر هناك خطر فقدان جيل كامل من الأكاديميين والقوى المتخصصة والقيادية المستقبلية؛ ولذلك أطلقت وزارة الخارجية الألمانية حزمة تدابير تستمر لأعوام عديدة من أجل الدارسين السوريين، بذلك يكون عدد المنح الدراسية المقدمة للسوريين الشباب في ألمانيا وفي المنطقة (مثل مصر وتركيا والأردن ولبنان) قد زاد بشكل كبير.

(36) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

وفي هذا السياق صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير في 22 سبتمبر/ أيلول من برلين بما يلي:

"يجب ألا نسمح بأن ينمو جيل ضائع جراء النزاع الدائر في سوريا، خاصةً وأن الشباب السوري له دور حاسم في إعادة إعمار سوريا ومستقبلها بعد تسوية هذا الصراع الرهيب. وإننا نريد أن نسهم في أن يكون لهذا الجيل الشاب آفاق مستقبلية؛ وبناءً على ذلك فإننا نطلق حزمة جديدة من المنح الدراسية للدارسين السوريين".

بحزمة المنح الدراسية الجديدة هذه توسع وزارة الخارجية الألمانية من دعمها لسوريا في المجال الأكاديمي بشكل هائل، وستقدم في الأعوام القادمة اعتباراً من 2015 مبلغاً مالياً يصل إلى 3 مليون يورو سنوياً؛ وهكذا تقدم وزارة الخارجية الألمانية في الوقت ذاته إسهاماً لدعم دول الجوار التي تستقبل السوريين.

ومن المقرر أن يقوم 100 من الدارسين السوريين بإنهاء دراستهم في ألمانيا من خلال البرنامج الجديد "قيادة من أجل سوريا" التابع للهيئة الألمانية للتبادل العلمي (الداد)، الذي يصل إجمالي تمويله إلى 7،8 مليون يورو، كما سيشاركون في برنامج سياسي إجتماعي إضافي. فضلاً عن ذلك سيتم مضاعفة عدد المنح الدراسية الاعتيادية التي يقدمها الداد إضافةً إلى فتح برنامج الداد للطلاب الجامعيين.

بعد أكثر من ثلاثة أعوام من النزاع المسلح في سوريا أصبح نصف السوريين في حالة فرار. وأصبح عدد اللاجئين أكثر من 9 ملايين، من بينهم أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ في البلدان المجاورة[37].

وزارة الخارجية الألمانية تزيد من المعونات الغذائية لسوريا

بمناسبة قيام وزارة الخارجية الألمانية بزيادة المعونات الغذائية بمبلغ إضافي قدره 40 مليون يورو صرح وزير الخارجية شتاينماير في 3 ديسمبر/ كانون الأول 2014 على هامش لقاء وزراء خارجية الناتو في بروكسل بما يلي:

"هناك ملايين من الناس، الذين اضطروا إلى الفرار من الحرب الدموية الدائرة في سوريا، يعتمدون على المعونات من أجل بقائهم على قيد الحياة، وخاصةً مع

(37) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

اقتراب فصل الشتاء. ويجب ألا نترك الأسر تعاني الجوع والبرد لأن منظمات الإغاثة لا تملك مزيداً من المال لرعايتهم. وقد أوضح المجتمع الدولي في إعلان برلين المؤرخ في 28 أكتوبر/ تشرين الثاني التزامه بالمسؤولية التي تقتضي عدم ترك اللاجئين السوريين والدول المضيفة لهم في وضع حرج. وعلينا أن نتبع ذلك بالعمل.

ولذلك فقد قدمنا لبرنامج الأغذية العالمي 15 مليون يورو إضافية من الاحتياطات الأخيرة الخاصة بميزانية عام 2014، وذلك من أجل المعونات الغذائية في سوريا والأردن وتركيا.

فضلاً عن ذلك فقد قررنا توفير 25 مليون يورو إضافية للجنة الدولية للصليب الأحمر من أجل معونات الشتاء وحملات التطعيم ضد شلل الأطفال وتدابير الطوارئ الأخرى الخاصة بالأمم المتحدة"[38].

العلاقات اللبنانية – الألمانية

عرفت هذه العلاقات تطوراً ملحوظاً بعد إنحسار تأثير الحرب الباردة عليها. فقد تأثرت خلال تلك المرحلة بمعطيات ووقائع ونتائج هذه الحرب.

لقد كان لبنان خلال الستينيات والسبعينيات يعيش ضمن توازن سياسي وأمني فرضته عليه وقائع المحاور العربية المتصارعة، ومؤثرات المسألة الفلسطينية وإرهاصات الحرب الأهلية التي عصفت به وما تلاها من بداية إستقرار في مرحلة ما بعد الطائف. كانت علاقة لبنان أثناء وجود ألمانيا الشرقية بألمانيا الإتحادية علاقة تجارية إقتصادية أكثر من سياسية. لقد طبعها هذا الواقع بطابعه فتقدمت السياسة على الإقتصاد وذلك بتأثير العوامل التي كانت مهيمنة على مسار تلك المرحلة.

مع ذلك، فإن ألمانيا الإتحادية تساهلت مع اللبنانيين خلال الحرب الأهلية وسمحت لهم بالهجرة إليها وتغاضت عن وصول آلف منهم إلى أراضيها بشكل غير شرعي. حالياً، يبلغ عدد اللبنانيين في ألمانيا ما يقارب مئة وخمسين آلاف لبناني، يتمركز خمسون ألفاً منهم في العاصمة برلين، والباقون موزعون في غرب ألمانيا والشمال والجنوب، وعلى وجه الخصوص في منطقة هانوفر، نوردن، شتوتغرت،

(38) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

ميونيخ، إلا أن العدد الأكبر منهم يتمركز في هانوفر. ويمارس هؤلاء شعائرهم الدينية بكل حرية ولهم جوامعهم ومؤسساتهم ومراكزهم ومدارسهم لتعليم اللغة العربية وأصول الدين الإسلامي كما المسيحي.

في المقابل، أظهر لبنان ميلاً شديداً للإستيراد من ألمانيا وإختل ميزانه الإقتصادي لصالحها على نحو كبير. وقد حرصت ألمانيا على تعزيز علاقاتها الثقافية مع لبنان فكثفت من دعمها للمراكز التي كانت أقامتها (غوته، المركز الشرقي الألماني وغيرها) في ربوعه.

بعد حرب تموز/يوليو 2006م شاركت ألمانيا في قوات "اليونيفيل" التابعة للأمم المتحدة.

وقد إستقبل وزير الدولة فيرنر هوير رئيس الوزراء اللبناني السابق فؤاد السنيورة يوم 16 يونيو / حزيران في برلين.

وكان محور المحادثات المشاركة اللمانية في قوات اليونيفيل البحرية قبالة الساحل اللبناني وذلك في ضوء قرار البرلمان الألماني (البوندستاغ) المزمع اتخاذه في هذا الشأن يوم 17 يونيو / حزيران. كما تبادل الطرفان وجهات النظر حول الوضع في لبنان وعملية السلم في الشرق الوسط والقضايا الإقليمية.

وأعرب فؤاد السنيورة عن شكره للمساهمة الألمانية السابقة على الصعيد الثنائي وفي إطار قوات اليونيفيل التابعة للأمم المتحدة. كما أعرب السنيورة عن رغبة الحكومة اللبنانية في استمرار ذلك الإسهام. وأكد هوير وزير الدولة استعداد الحكومة الألمانية الإستمرار في تعزيز استقرار وسيادة لبنان 2011/06/17.

كما قام وزير الخارجية الألمانية فسترفيلي في مستهل زيارته في الشرق الوسط بزيارة بيروت حيث التقى رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري. وقال فسترفيلي أن لدى ألمانيا "اهتمام كبير بأن يتطور لبنان في مناخ من الإستقرار والسلم".

وتشارك ألمانيا في جهود تأمين الحدود البحرية والبرية اللبنانية وكذلك في إعادة بناء لبنان وتحسين ظروف الحياة في معسكرات اللاجئين الفلسطينيين.

فضلاً عن ذلك كان موضوع عملية السلم في الشرق الوسط أحد الموضوعات

السياسية للمحادثات. ومن جانبه ثمن رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري الدور الذي تقوم به ألمانيا في المنطقة، حيث قال أن ألمانيا تتمتع "بمصداقية كبيرة جداً" لدى جميع أطراف النزاع، ولذلك يمكن للحكومة الألمانية أن تقوم بدور مهم في مساعي تحقيق السلم والاستقرار في الشرق الوسط.

أكد فسترفيلى على أن تحقيق تطور سلمي في لبنان يعني أيضا تحقيق الإستقرار في منطقة الشرق الوسط بأسرها وبذلك يكون بمثابة "إسهام في تحقيق السلم على مستوى العالم". لذلك تهتم ألمانيا "اهتماماً خاصا" بأن يتحقق السلم في الشرق الوسط.

أضاف فسترفيلى قائلاً أن حقيقة نجاح رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري في تشكيل حكومة وحدة وطنية تعتبر بمثابة "إشارة جيدة" للبنان وللمنطقة.

لقد تحقق الإستقرار في لبنان بعد فترة من الصراعات السياسية الداخلية منذ مايو/ أيار 2008، وهو لا يزال يقف في نقطة تقاطع نزاعات إقليمية. جاءت محادثات فسترفيلى والحريري في بيروت إستكمالاً للمحادثات التي جرت بينهما في برلين يوم 15 مارس/ آذار.

كما تبادل فسترفيلي والحريري وجهات النظر حول مهمة اليونيفيل التابعة للأمم المتحدة. وكانت ألمانيا قدمت، منذ بداية المهمة، إسهاماً كبيراً في تشكيل إتحاد الأساطيل البحرية. وقد أكد وزير الخارجية الألماني للحريري ان حكومته ستتخذ جميع القرارات المتعلقة بمستقبل الإسهام في هذه المهمة بصورة تتسم "بالمسؤولية ومع مراعاة عملية تحقيق الإستقرار في لبنان".

ومن المقرر ان يتركز عمل مهمة اليونيفيل وكذلك المساعدات الألمانية الثنائية على تحسين تجهيز وتدريب القوات البحرية اللبنانية، حتى يتسنى نقل مسؤولية تأمين الحدود البحرية إلى الحكومة اللبنانية. تدريجياً أثناء إجراء الإنتخابات النيابية في حزيران/يونيو 2009م دعمت ألمانيا عملية الإعداد لهذه الإنتخابات من خلال توفير 12 جهازاً، للمسح الضوئي للبصمات وطابعات وحزم من البرمجيات، وفي 11 ديسمبر/كانون الأول وقع وزير العدل زياد بارود والممثلة الدائمة لسفير جمهورية ألمانيا الإتحادية في لبنان إيريني بلنك إتفاقاً في هذا الشأن على أن تشمل مجموعة

الإجراءات الجديدة ما يلي:

تسجيل البصمات بصورة غير قابلة للتزوير.

المسح الضوئي للصور الفوتوغرافية.

تسجيل وطباعة بيانات المواطنين بصورة غير قابلة للتزوير.

إصدار البطاقات على ورق خاص بعد جمع البيانات وتسجيلها.

مساعدة أجهزة المسح الضوئي في مضاعفة إصدار البطاقات غير القابلة للتزوير في 3500 إلى 7000 يومياً.

خلال وجود رئيس الجمهورية اللبنانية ميشال سليمان في الأمم المتحدة بنيويورك، أثناء مشاركته في الدورة الثالثة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة،

زاره وزير الخارجية الألمانية شتاينمير في مقر إقامته ودعاه إلى زيارة ألمانيا للبحث في سلسلة ملفات تصب في إطار تعزيز العلاقات بين البلدين .

بدوره، شكر الرئيس سليمان لألمانيا مساهمتها في تجهيز القوات الدولية المولجة مراقبة الحدود الدولية والبحرية، ونوّه بدور ألمانيا على مستوى المنطقة خصوصاً في أعمال تبادل الأسرى.

شتاينماير حول تشكيل الحكومة في لبنان

صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يوم 15 فبراير /شباط 2014 في برلين بشأن تشكيل حكومة وحدة وطنية بقيادة رئيس الوزراء المُكلف تمام سلام في لبنان بما يلي:

"بعد مفاوضات طويلة تمت في ظروف كانت بالتأكيد صعبة نجحت لبنان في تشكيل حكومة وحدة وطنية .ومهما كلف ذلك من وقت، فإن قدرة الحركات السياسية في لبنان على بذل الجهد وتوحيد الهدف رغم ما تعانيه بلدهم بسبب أزمة اللاجئين والحرب الأهلية في سوريا، يُعد بارقة أمل في منطقة تعاني بشدة من الحرب والإرهاب وعدم الاستقرار.

يجب على القوى السياسية في الحكومة الجديدة أن تبذل قصارى جهدها من

أجل الحفاظ على تماسك لبنان. كما أشكر رئيس الوزراء ميقاتي على ما قام به من عمل وأثمن مجهوداته وما حققه من أجل تماسك لبنان.

ولتحقيق مزيد من الاستقرار فإن لبنان يحتاج إلى استمرار المجتمع الدولي في تقديم المساعدة، ومن جانبنا سنستمر في دعم لبنان بكل قوة، وبصفة خاصة فيما يتعلق بمواجهة مشكلة الأعداد الكبيرة من اللاجئين السوريين"[39].

العلاقات الأردنية الألمانية

عاش الأردن في تاريخه الحديث، أثناء الحرب الباردة، مستنداً إلى العلاقة المميزة التي تجمعه مع الولايات المتحدة ودول الغرب الأوروبي. فهو، سياسيا، كان في مواجهة محورية مع عبد الناصر وسوريا والدول والأنظمة التي ساندتهما في تلك المواجهة (اليمن الديمقراطي، ليبيا). هذا الواقع السياسي أفاد الأردن. فقد تلقى معونات دائمة من تلك الدول الداعمة له ومنها ألمانيا. لكن مجريات الأمور دلّت على أنه لم يستفد من تلك المساعدات لتطوير بنيته الإقتصادية والإجتماعية. فلم يتمكن من تنظيم تلك المساعدات على نحو يتلقى جرائها نتائج تسهم في تطوير بناه. والأسباب عديدة. والأمثلة على ذلك تبدو جلية من خلال قراءة المعطيات الإقتصادية التبادلية المشتركة.

خلال زيارة وفد صناعي تجاري ألماني المملكة الأردنية دعا رئيس الغرفة التجارية الأردنية القطاعان الصناعي والتجاري والوفد الألماني الزائر للمملكة برئاسة رئيس وزراء ولاية سكسونيا الألمانية البروفيسور فولفغانغ بومر إلى ضرورة الارتقاء بالعلاقات الاردنية الألمانية إلى مستويات تعكس عمق العلاقة بين البلدين الصديقين، وتوسيعها في المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والتعليمية والفنية والطاقة المتجددة.

ووفقا لما ورد بجريدة "الدستور" الأردنية، أشار القطاعان إلى العلاقات التجارية بين البلدين تعود إلى عام 1960م حيث وقعت اتفاقية للتعاون الفني

(39) مصدر النص www.auswaertiges-amt.de.

الاقتصادي استبدلت فيما بعد باتفاقية الشراكة الأوروبية، وفي عام 2007 تم على هامش زيارة الملك عبدالله الثاني إلى ألمانيا التوقيع على اتفاقية جديدة لتشجيع وحماية الاستثمارات ورؤوس الأموال لتحل مكان الاتفاقية الموقعة عام 1974م، وبرغم ذلك يعاني الميزان التجاري بين البلدين من خلل كبير لصالح ألمانيا، حيث بلغت المستوردات الأردنية ما يزيد على مليار دولار اميركي خلال العام الماضي فيما بلغت المستوردات نحو 13 مليون دولار.

وقال المهندس عامر الحديدي وزير الصناعة والتجارة لدى افتتاحه اللقاء: "إن المملكة تسعى جاهدة للانفتاح على مختلف دول العالم وتعزيز العلاقات الاقتصادية معها عملا بتوجهات الملك عبدالله الثاني" .

ودعا الحديدي إلى تعزيز الإستثمارات الألمانية في الأردن من منطلق شراكة الأردن مع دول الاتحاد الاوروبي، إذ أنها دون الطموحات، فمنذ منذ 1996م ولغاية الآن لم تتجاوز الـ(30) مليون دولار في 18 مشروعا.

وأكد الجانبان خلال اللقاء الذي عقد في غرفة صناعة عمان على توسيع التبادل والتعاون الإقتصادي وبخاصة في مجال الطاقة المتجددة والاستفادة من خبرات سكسونيا التي تنتج نحو 16% من الطاقة الشمسية في العالم وبنحو "5" مليارات دولار بالإضافة لقطاعات البنى التحتية واعادة تدوير النفايات وتنقية المياه وانشاء الطرق.

وأشاد الحديدي والقطاعان الصناعي والتجاري بالبرامج الألمانية لتطوير الصناعة الاردنية كبرنامج بريما لإدارة البيئة والطاقة وخفض كلف التصنيع في المصانع، بالإضافة للجامعة الألمانية الاردنية الهادفة إلى تخريج الشباب الاردنيين المؤهلين في المجالات الفنية والحرفية، وعقد دورات تطبيقية لهم في ألمانيا.

من جهة ثانية، إلتقى رئيس الوزراء سمير الرفاعي في دار رئاسة الوزراء ومعه وزير الخارجية وفد مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية واعضاء من مجلس النواب الألماني عن الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذين زاروا المملكة.

واكد رئيس الوزراء عمق العلاقات القائمة بين الأردن وألمانيا وأهمية تعزيزها في مختلف المجالات، معربا عن تقدير الاردن للمساعدات والخبرات التي تقدمها

ألمانيا للاردن والتي تسهم في تنفيذ العديد من المشروعات التنموية والخدمية.

وعرض رئيس الوزراء جهود وبرامج الحكومة الطموحة في مجالات التطوير والاصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، موضحاً ان هذه البرامج تتضمن تحفيز بيئة الاعمال والاستثمار وتوسيع قاعدة الطبقة الوسطى ودعم الشرائح الفقيرة.

واشار إلى مواقف الاردن بقيادة جلالة الملك عبدالله الثاني حيال الأوضاع والتطورات في منطقة الشرق الأوسط وبخاصة جهود تحقيق السلام والاستقرار فيها ،لافتا إلى اهمية الدور الذي تلعبه ألمانيا في اطار الاتحاد الأوروبي لدعم جهود السلام والاستقرار في المنطقة.

ومن جهتهم عبر اعضاء الوفد عن تقديرهم لمستوى العلاقات الاردنية الألمانية، مؤكدين اهمية تعزيزها خدمة لمصالح البلدين والشعبين الصديقين.

وكان وزير الخارجية ناصر جودة، مندوبا عن جلالة الملك عبدالله الثاني التقى في وزارة الخارجية وفد مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية واعضاء من مجلس النواب الألماني.

واكد وزير الخارجية خلال اللقاء الموقف الاردني بقيادة جلالة الملك عبدالله الثاني بضرورة تكثيف جهود إطلاق مفاوضات جادة وفاعلة تحقق تقدما ملموسا نحو حل الدولتين الذي يحظى بإجماع دولي وفي اطار خطة عمل واضحة وجدول زمني محدد وصولا إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على حدود الرابع من حزيران/يونيو عام 1967م تعيش بأمن وسلام إلى جانب اسرائيل.

واطلع جودة الوفد على الحراك السياسي المكثف الذي قام ويقوم به جلالته مع قادة العالم وبلدانهم لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة على اساس حل الدولتين والمرجعيات الدولية المتفق عليها ومبادرة السلام العربية بما يضمن اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة القابلة للحياة وعاصمتها القدس الشرقية وفي سياق اقليمي يحقق السلام الشامل في منطقة الشرق الاوسط.

واكد وزير الخارجية على دور ألمانيا الهام ومكانتها على الساحة والدولية وفي اطار الاتحاد الاوروبي في دفع جهود تحقيق السلام والاستقرار في المنطقة مؤكدا في

هذا الاطار على اهمية الدور القيادي المطلوب للولايات المتحدة الاميركية في دفع هذه الجهود إلى غاياتها المنشودة وتكثيف الجهود لتجاوز العقبات التي تعترض اطلاق المفاوضات.

وزير الخارجية الألمانية شتاينماير معقباً من عمان على الوضع في الشرق الأوسط

بتاريخ15/07/2014 عقّب وزير الخارجية الألمانية شتاينماير في يوم 14 يوليو/ تموز في أثناء المؤتمر الصحفي المشترك مع نظيره الأردني على الوضع في الشرق الأوسط بما يلي:

"لا بد أن يتوقف إطلاق حماس للصواريخ على إسرائيل فوراً. هذا من ناحية. لكن من ناحية أخرى يجب أن يكون هناك طريق يؤدي في نهايته إلى توقف دائرة العنف. يجب علينا وبشكل ملح أن نبحث عن طرق للخروج من دوامة العنف. وإنني إذ أقول هذا فإنني على علم بأن الحلول التي نبحث عنها ربما تكون في اللحظة الحالية أبعد عما كانت عليه من عام مضى.

ومع ذلك فإنه ليس هناك على المدى الطويل أمام الإسرائيليين والفلسطينيين أي بديل آخر سوى العودة إلى طاولة المفاوضات. وَبدون طرح أفق لحل الدولتين يتم التوصل إليه عبر التفاوض فإن منطق العنف سيكون له مجددا اليد العليا، وهو ما لا يمكن أن يخدم مصالحنا. على ألمانيا في مثل هذا الموقف ألا تشق على نفسها. ولسنا هنا للقيام بمهمة الوساطة، وخاصة في مثل هذا الموقف الذي بلغ أقصى درجات التعقيد في الأزمة الحالية التي تبدو فيها دائرة التصعيد آخذة في التمدد.

ولهذا فإن الهدف من هذه الزيارة يتمثل في أن نبحث من خلال محادثاتنا مع الأصدقاء الذين ينشدون إلى تحقيق مصالح شبيهة بما نطمح إليه في البحث عن وسائل لإيقاف تطور دائرة العنف .

لن يكون هذا الأمر سهلا ولا يكفي أن أتفق في الرأي مع نظيري الأردني، بل أن ما نحتاج إليه في الشرق الأوسط هو ما أطلقت عليه في ألمانيا "تحالف العقل"، من جانب المسئولين عن السياسية الخارجية، ورؤساء الوزراء، ورؤساء الحكومات ممن يستشعرون مسئولية ألا تستمر تطورات الأيام الأخيرة بلا نهاية".

العلاقات الألمانية العراقية

شهدت العلاقات الألمانية العراقية إنطلاقة جديدة بعد دخول الأميركيين إلى بغداد في نيسان 2003 وسقوط حكم صدام حسين. ولم تشارك عسكرياً في التحالف الذي أنجز مهمة تغيير الحكم. وكان لحكومتها رأي مميز في مسألة مجابهة العمليات العسكرية من قبل المقاومين والإرهابيين. ودعمت بشدة الأمم المتحدة وقراراتها الصادرة وحركة مندوبيها إلى بغداد.

خلال عام 2012 تم نقل أكثر من 3100 قاطن لمعسكر أشرف تحت إشراف بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق(UNAMI) إلى معسكر انتقالي ("معسكر الحرية") القريب من العاصمة بغداد .كان من المفترض أن يمكن هذا النقل مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) من تحديد وضع اللجوء للسكان وتمكينهم من السفر إلى دول ثالثة أينما كان ذلك متاحاً. تساهم ألمانيا قدر إمكانياتها في حل النزاع حول معسكر أشرف وسوف تستقبل سكان المعسكر الذين يستطيعون إثبات مطالبتهم القائمة من قبل باللجوء[40].

الحكومة الاتحادية الألمانية تستنكر أحداث العنف القاتلة في معسكر أشرف

في يوم1 أيلول/سبتمبر 2013 كان هناك حسب معلومات بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق(UNAMI) أحداث عنف لم تتضح ملابساتها حتى الآن في معسكر أشرف الذي يسكنه أعضاء مجاهدي خلق الإيرانية أدت إلى مقتل ما يزيد عن أربعين شخصا.

في هذا الصدد أعلن متحدث باسم وزارة الخارجية الاتحادية التالي:

"تستنكر الحكومة الاتحادية الألمانية بكل وضوح أحداث العنف القاتلة التي اندلعت في معسكر أشرف. نأسف لهذه الخسارة الفادحة لحياة الكثير من الناس. يجب بكل الطرق توضيح ملابسات هذه الأحداث.

إن الحكومة الاتحادية تدعم جهود بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (UNAMI) من أجل توضيح ملابسات الأحداث .كما نحيي إعلان الحكومة

[40] مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام.

العراقية عن تمكينها من إعادة تتبع سريعة لسير التطورات التي أدت إلى الأحداث القاتلة. كما نرجو من السلطات العراقية أن تساهم في التوضيح الكامل لخلفية الأحداث وأن تتعاون بشكل وثيق في هذا الشأن مع بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (UNAMI).

إننا ندعو قيادة مجاهدي خلق الإيرانية إلى ضمان حقوق جميع السكان تحت رعايتها بشكل كامل. وفي هذا السياق تطالب الجهات الحكومية العراقية بتقديم المساعدة الطبية العاجلة للمصابين وحماية عناصر مجاهدي خلق الإيرانية من اعتداءات أخرى.

إن الحكومة الاتحادية يساورها قلق بالغ حول الوضع العام في العراق خاصة بالنظر إلى الاعتداءات الجسيمة التي هزت البلد في هذه الأشهر. لا يجب أن يسمح البلد لهذه الأعمال الإرهابية أن تحيده عن الدفع بعجلة الأمام بالمصالحة الاجتماعية والسياسية الضرورية. من هذا المنطلق نرجو من المسؤولين في العراق أن يعملوا بشكل بناء ومسؤول على إرساء الاستقرار في بلدهم لكي تجفف بذلك منابع الإرهاب."

وزير الخارجية الألماني فسترفيلي: لا محيد عن الحوار الوطني في العراق

بتاريخ 2013/06/01 تحدث وزير الخارجية الألماني جيدو فسترفيلي أثناء إقامته في كندا خلال ومكالمة هاتفية مع وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري حول الوضع في العراق وخطر التوسع الإقليمي للصراع السوري. وقد صرّح الوزير فسترفيلي بالآتي بعد محادثته الهاتفية" :إن الهجمات الدموية العنيفة التي هزّت العراق في الأيام والأسابيع الأخيرة تُظهر مدى التعسّف القاسي لأعداء الديمقراطية. لا ينبغي لهذه القوى التي تريد إيقاف عجلة الدمقرطة في العراق بالقوة أن تحقق غاياتها. يبقى طريق الحوار الوطني الصادق والجدير بالثقة الذي يُمكّن مشاركة جميع فئات المجتمع طريقاً لا مناص منه لتطور العراق". أكّدَ وزير الخارجية فسترفيلي أن العراق تقع على عاتقه مسؤولية خاصة تكمن في تجنيب البلد الإمتداد الأقليمي للصراع السوري بحكم كونه جاراً لسوريا. وخصّ فسترفيلي بالذكر الأهمية المركزية لمؤتمر سوريا الوطني المزمع إقامته كفرصة للانتقال إلى العملية السياسية.

شتاينماير يحذر من "حرب إقليمية بالوكالة" في العراق

بتاريخ 2014/06/16، وفي مقابلة صحفية، حذر وزير الخارجية الألماني شتاينماير من أن النزاع في العراق قد يتحول إلى "حرب إقليمية بالوكالة"، وانتقد الحكومة العراقية لعدم إدماج مجموعات إقليمية وعرقية ودينية. لكنه استبعد تدخلاً عسكرياً ألمانياً.

حذر وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر شتاينماير (15 يونيو/ حزيران 2014) من أن النزاع الدامي في العراق قد يتحول بسرعة إلى "حرب إقليمية بالوكالة". ودعا الوزير، في حديث لصحيفة "دي فيلت أم زونتاغ"، تركيا والدول الخليجية للمساهمة في استقرار العراق.

وقال شتاينماير إن هذه الدول "ليست لديها مصلحة في قيام منطقة مجاورة تعمها الفوضى تسيطر عليها مجموعات من المرتزقة والإسلاميين والإرهابيين". لكنه استبعد تدخلاً عسكرياً ألمانياً في النزاع وانتقد الحكومة العراقية لإخفاقها في دمج المجموعات الإقليمية والعرقية والدينية المنافسة.

وأضاف وزير الخارجية الألماني موضحاً أن ألمانيا منحت 400 مليون يورو لمساعدة العراق خلال العقد الأخير.

ويسيطر مسلحون ينتمون إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، إلى جانب تنظيمات أخرى وعناصر من حزب البعث المنحل، على محافظة نينوى ومناطق في محافظتي صلاح الدين وديالى شمال شرق بغداد وعلى مدينة الفلوجة الواقعة على بعد 60 كيلومتر غرب بغداد.

الحكومة الألمانية ترسل طائرة إضافية محملة بمواد الإغاثة إلى شمال العراق

بتاريخ 20014/08/19، وصلت إلى إربيل الموافق 18 أغسطس/ آب 2014 طائرة نقل تابعة للحكومة الألمانية محملة بمواد الإغاثة لتقديمها إلى النازحين في شمال العراق، وتحمل الطائرة مواد إغاثة ومعدات طبية لتقديم الرعاية لعشرين ألف شخص لمدة ثلاثة أشهر، كما تحمل الطائرة أيضاً الخيام والأغطية وحاويات مياه ولوازم إعداد الطعام. وتُسلم مواد الإغاثة لمكتب تنسيق الأمم المتحدة للمساعدات

الإنسانية والذي يعمل بدوره على تنسيق عملية التوزيع.

وتوجه إلى إربيل على متن الطائرة ذاتها مفوض الحكومة الألمانية لسياسة حقوق الإنسان والمساعدات الإنسانية كريستوف شتريسر، وذلك لمناقشة الاحتياجات ونقاط الانطلاق نحو مزيد من المساعدات الألمانية مع ممثلين عن الحكومة هناك وعن منظمات الإغاثة الألمانية والدولية. كما سيسافر شتريسر أيضاً محافظة دهوك في أقصى شمال البلاد، وهي المحافظة التي تشهد أكبر حشد من النازحين.

ومن جانبها قدمت وزارة الخارجية الألمانية منذ بداية الأزمة مبلغاً قدره 4،4 مليون يورو من أجل المساعدات الإنسانية، ثم قررت الحكومة الألمانية زيادة المساعدات الفورية بقيمة 20 مليون يورو قدمتها الوزارة الاتحادية للتعاون الاقتصادي والتنمية[41].

حظر ميليشيا داعش الإرهابية في ألمانيا

بتاريخ 2014/09/15، تم حظر أنشطة المنظمة الإرهابية "الدولة الإسلامية" داخل ألمانيا بدأ من تاريخه. وأشار وزير الداخلية الألمانية دي ميزيير في برلين أن الحظر يشمل كافة أوجه المشاركة في المنظمة على غرار المشاركة عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو في تظاهرات وكذا العمل على جمع الأموال والتبرعات أو تجنيد المقاتلين.

وقال الوزير: "كذلك فقد أصبح الحظر على الفور ساريا فيما يتعلق باستخدام علامات تخص "الدولة الإسلامية" في المجال العام، وأصبح محظوراً الدعاية لداعش والإشارة برموزها وكافة الأفعال المؤيدة لها مثل جلب الأموال أو الأشياء العينية أو تجنيد المقاتلين." ويعد خرق حظر تلك الأفعال جريمة.

وأضاف الوزير أن المنظمة الإرهابية "الدولة الإسلامية "تعد تهديدا للأمن العام في ألمانيا، كما قال: "واليوم نواجه بكل حزم هذا التهديد".

---

(41) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

قال دي ميزيير: "إن منظمة "الدولة الإسلامية" الإرهابية تستهدف وتستقطب الأشخاص أيضا باللغة الألمانية بشكل سافر، حيث تطالب الشباب والشابات باللغة الألمانية بالانتقال إلى مناطق الجهاد وإلى القتال والقتل. ونحن قلقون منذ فترة طويلة بشأن تحركات لشباب وشابات تطرفوا (جهاديين) وسافروا من ألمانيا وأوروبا باتجاه سوريا والعراق".

العودة بخبرة قتالية

وأشار الوزير إلى أن أكثر من مائة متأسلم قد عادوا وكثير منهم محبطون ولكنهم مروا أيضا بتجارب قتالية. وقال: "لقد تعلموا أن يكرهوا ويقتلوا." وأكد قائلا: "علينا أن نتجنب أن يحارب رجال ونساء من ألمانيا في صفوف منظمة "الدولة الإسلامية "الإرهابية ضد الأكراد واليزيديين والمسيحيين والمسلمين".

إدراك التطرف مبكرا

وقال ديميزيير: "إن ألمانيا دولة ديمقراطية دفاعية، فلا يوجد هنا مكان لمنظمة إرهابية على شاكلة "الدولة الإسلامية"، حيث أن توجهاتها ضد نظامنا الدستوري." وأكد على أن الحظر ليس بديلا للتناول الفكري لأسباب تطرف هؤلاء الشباب والشابات، وأشار إلى أن الجهات الأمنية ليس بوسعها أن تكسب منفردة الحرب ضد التطرف الإسلامي[42].

مؤتمر باريس حول العراق: استراتيجية مشتركة ضد داعش

بتاريخ 2014/09/16، شارك وزير الخارجية الألمانية شتاينماير في مؤتمر باريس حول دعم العراق يوم الاثنين 15 سبتمبر/ أيلول.

كان شتاينماير قد دعي قبل انعقاد المؤتمر إلى "بناء استراتيجية سياسية واسعة في المنطقة" لمواجهة تهديدات الميليشيات المسلحة، مؤكدًا أن الدعم الإنساني للعراق وحده لن يكون كافيًا، كما أن الأسلوب العسكري لن يكون حلاً للوضع الراهن أيضاً.

(42) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

أوضح شتاينماير في نهاية المشاورات في باريس مجددًا مدى أهمية التحرك المشترك ضد داعش، حيث قال: "يجب أن يشارك أكبر عدد ممكن من الدول. وليس فقط من الغرب أو من أوروبا أو أعضاء مجلس الأمن الدولي، بل أيضًا دول جوار العراق ودول العالم العربي."

وصرح شتاينماير إنه من المهم بالتوافق مع دول جوار العراق العربية التفكير في الخطوات اللازمة لمنع مزيد من زعزعة الاستقرار بسبب داعش. كما أبدى سعادته بقبول كثيرٍ من ممثلي الدول العربية القيام بعمل مشترك ضد داعش.

ويُعد تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي من النقاط المهمة للتحرك الدولي المشترك، وذلك من خلال وقف تدفق المقاتلين والأموال إلى داعش بصورة فعالة. وقد ساد الحاضرين في مؤتمر باريس توافق حول هذه النقطة أيضاً، حسب قول شتاينماير.

يجب الآن تحويل "التوافق المتنامي إلى أهداف إجرائية". ولهذا سيتم في الأيام القادمة عقد عدة لقاءات دولية حول العراق. وبمبادرة ألمانية سيكون من بينها لقاء في نيويورك، حسب قول شتاينماير[43].

الحكومة الألمانية توافق على إرسال مهمة تدريب للبشمركة الأكراد

في يوم الأربعاء 17 ديسمبر/ كانون الأول 2014 وافقت الحكومة الألمانية على الاقتراح المقدم من وزير الخارجية شتاينماير ووزيرة الدفاع فون دير لاين بإرسال عدد يصل إلى 100 من الجنود الألمان في مهمة تدريبية للقوات المسلحة العراقية ومقاتلي البشمركة الأكراد، وتبقى موافقة مجلس الشعب الألماني. كما أكد الوزيران على إلتزام ألمانيا بمسؤولياتها تجاه مكافحة همجية تنظيم داعش الإسلاماوي.

وما زال الوضع في العراق وسوريا صعبًا، حيث تمارس ميليشيات داعش الإرهابية ضغطًا عسكريًا كبيرًا على الدولتين، ويعاني السكان وخصوصًا في شمال العراق وفي سوريا منذ بداية الصيف من أعمال العنف الفظيعة التي تمارسها داعش،

(43) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو almania info).

حيث تم قتل الكثيرين وإجبار مئات الآلاف على الهرب، وخصوصًا من المنتمين للأقليات الدينية مثل اليزيديين والمسيحيين.

وفي هذا السياق وافق مجلس الوزراء الاتحادي على الاقتراح المقدم من وزير الخارجية شتاينماير ووزيرة الدفاع فون دير لاين بإرسال عدد يصل إلى 100 من الجنود الألمان في مهمة تدريبية للقوات المسلحة العراقية ومقاتلي البشمركة في كردستان العراق، بغرض رفع مستوى جهوزيتهم لمواجهة داعش. صرح شتاينماير في أعقاب انعقاد جلسة مجلس الوزراء الألماني بأن داعش هي رمز الهمجية، ولذلك فإن الحكومة الألمانية تقوم بناء على طلب الحكومة العراقية المركزية في بغداد وكذلك الحكومة الإقليمية لكردستان العراق في إربيل بتقديم مساعدات متنوعة لمكافحة تنظيم داعش.

وقد أكد شتاينماير على أن الأمر لا يتعلق بمهمة قتالية. لن تقتصر مهمة التدريب على دعم من يقاتلون ضد داعش على الأرض وإنما يجب أن تكون شاملة وتتجنب المغامرات. كما تم الاتفاق على أنه يمكن التراجع عن المهمة إذا تغير الوضع الأمني هناك (...)[44].

وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يفتتح لقاء مجموعة العمل الخاصة بالتحالف الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية (داعش)"

بتاريخ 2015/03/18، إفتتح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير اليوم (18 مارس/ آذار (في وزارة الخارجية الألمانية اللقاء الأول لمجموعة العمل "الاستقرار في إطار التحالف الدولي ضد ميليشيات الدولة الإسلامية (داعش) الإرهابية".

وقد حضر موظفون رفيعي المستوى أي ما يقرب من 30 موظفا دولة شريكة . الجدير بالذكر أن ألمانيا تتولى بالاشتراك مع دولة الإمارات العربية المتحدة رئاسة تلك المجموعة.

تهدف مجموعة العمل إلى تسهيل وتسريع الإجراءات المدنية الفاعلة بعد

(44) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

تحرير المناطق التي كانت تحتلها داعش، حيث تهدف سرعة استعادة الأمن العام والاحتياجات الأساسية إلى تحسين أوضاع السكان على نحو سريع.

وقبل اللقاء يستقبل وزير الخارجية شتاينماير المفوض الخاص للرئيس الأمريكي أوباما للتحالف الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية (داعش)" الجنرال جون آلن لإجراء بعض المباحثات.

العلاقات الليبية الألمانية

العلاقات الألمانية الليبية، هي العلاقات الثنائية بين ألمانيا وليبيا. ألمانيا لديها سفارة في طرابلس، وليبيا لديها سفارة في برلين. وقد توترت العلاقات بين البلدين في أواخر الثمانينات بعد حادث تفجير ملهى ليلي في برلين.

من ناحية تاريخية وبعد أن فرضت الولايات المتحدة حصاراً على ليبيا بعد أن أمر الرئيس الأمريكي رونالد ريغان عام 1986م بوقف العلاقات الاقتصادية والتجارية مع ليبيا وتجميد الأصول الليبية في الولايات المتحدة, كما فرضت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية أخرى استمرت من 1992م إلى غاية 2003م وألحقت ضرراً بالغاً بالتطلعات الليبية على الصعيد الاقتصادي, انعكس ذلك على استغلال الموارد البترولية التي طمحت إليه ليبيا في بناء اقتصادها, وبعد أن جرب الليبيون طوق العزلة الاقتصادية على مدار عدة عقود, جاءت توصيات البنك الدولي برفع الدولة أيديها عن الاقتصاد وتركه للقطاع الخاص كقطاعات خدمات التعليم والصحة والماء والكهرباء والغاز والإسكان والخبز حتى يتسنى شراء الاحتياجات بالأسعار العالمية والمرتبات المحلية، أو ربما المطالبة ضمنيا برفع الدعم عن المواد الأولية نتيجة لازدياد الواقع الاجتماعي تأزما واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء وارتفاع نسب البطالة وصعوبة إيجاد السكن الملائم بسهولة, بعدئذ أذعنت ليبيا وقبلت بتحمل مسؤوليتها عن حادث طائرة لوكربي ودفعت تعويضات لأهالي الضحايا بمليارات الدولارات, ثم أعلنت تخليها عن برامج إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وسلمت ضابط المخابرات السابق لديها عبد الباسط المقراحي الذي أطلق سراحه أخيرا بسبب إصابته بسرطان البروستاتا، حسبما جاء في الصحف ووسائل الإعلام المختلفة. في عام 2004م رفعت الولايات المتحدة العقوبات الاقتصادية المفروضة على ليبيا منذ عام

1986م وعادت شركات النفط الأمريكية إلى ليبيا بعد أن ثبت أن ليبيا واصلت التعاون مع الولايات المتحدة والمجتمع الدولي، بعدها تلقت طرابلس كثيراً من الوعود التي شملت مساعدات اقتصادية وتحويل ليبيا إلى قاعدة صناعية كبرى في المنطقة وإتاحة الاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة. أما في ما يتعلق بالمصالح والدوافع الليبية نجد أن هدف التطبيع الكامل للعلاقات الليبية – الأوروبية هو إتاحة وصول المنتجات الزراعية الليبية وصادرات الأسماك إلى أوروبا بعد أن حققت ليبيا مكاسب من وراء هذه القضية منها اتفاقيات الشراكة مع دول الاتحاد الأوروبي وتسهيل دخول المنتجات الليبية للأسواق الأوروبية وصفقات الأسلحة، لكن اللافت للنظر أنّ الانفتاح الليبيّ نحو الغرب لم يواكبه انفتاح في الحريات العامة من حرية الصحافة والتعبير وحقوق الإنسان, كما أن ليبيا سلكت مسارا مختلفا وتخلت تدريجيا عن حماسها القومي العربي واتجهت نحو إفريقيا خشية سقوطها على غرار النظام العراقي.

وبعد الخطوات الليبية المتسارعة لتطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا التي فتحت الباب لتعزيز النشاط التجاري بين الجانبين ومهدت الطريق أمام الشركات الأمريكية والأوروبية للاستثمار في قطاعات النفط والاتصالات والسياحة. وسعت الحكومات الأوروبية بما فيها بريطانيا إلى مغازلة طرابلس وأشادت بالعلاقات الليبية – البريطانية المتميزة في شتى المجالات المالية والاستثمارية سعيا وراء الحصول على أعمال في ليبيا التي أخذت تخرج من عزلتها, هذه الاستثمارات البريطانية التي على غرار شركات النفط مثل "بريتش بتروليم" و"شل" من بين عدة شركات بريطانية تأمل في الحصول على أرباح كبيرة بعد اقتسام الكعكة الليبية, ووصل الأمر بالفرنسيين إلى تقديم الدعم التقنيّ لتوظيف الطاقة النووية في الأغراض السلمية, وازدادت وتيرة التوقعات لأن تصبح ليبيا من أكبر الدول المزودة للنفط والغاز الطبيعي لفرنسا والعمل على تزويد ليبيا بمفاعل نووي لتحلية مياه البحر. وكذلك اتفاق إطاري لشراكة شاملة في قطاعات الصحة والتعليم والسعي إلى تحقيق مشروع ساركوزي بإنشاء اتحاد متوسطي لضمان تأييد ليبيا هذا المشروع, وبلغ معدل التبادل التجاري أكثر من ثلاثة مليارات دولار بين البلدين. أما ألمانيا فقد أعربت عن استعدادها لتصدير خبراتها وتقنياتها للاقتصاد الليبي النامي وزيادة حصة شركاتها في الاستثمارات المختلفة في ليبيا وعقدت شركات ألمانية عديدة الآمال على تطوير العلاقات الاقتصادية الليبية –

الألمانية في مجال النفط والغاز, وأن شركات ألمانية مثل RWE وSAF و"فينترشال" التي تعمل في ليبيا منذ فترة طويلة ولم تنجح في الجولة الأولى من المناقصات في الحصول على امتيازات في قطاعي النفط والغاز كون عروضها لم تكن الأنسب, في حين ناشدت السلطات الليبية الشركات الألمانية تقديم عروض أكثر جرأة من أجل منافسة الشركات الأجنبية الأخرى، خاصة الأميركية منها، إلى ذلك فقد أعلن رئيس الوزراء البلغاري أن بلاده تنوي إلغاء الديون الليبية المستحقة لها والتي تقدر بنحو 45 مليوناً وذلك للمشاركة في صندوق بنغازي الخاص بتقديم تعويضات لعائلات الأطفال الليبيين المصابين بالإيدز.

كل هذه المستجدات والأمور الخاصة بالتنازلات التي قدمت لم تجد نفعاً. فقد تسارعت الأحداث وإزداد الضغط الشعبي الداخلي على نظام القذافي وكانت شرارة تظاهرات اهل بنغازي في مسألة سجن "أبو سليم"، إيذاناً ببدء إنتفاضة غيرت النظام، بفعل الدعم الذي قدمه حلف شمال الأطلسي وتنامي الثورة وإستفحالها ضد النظام.

بعد قيام الثورة الليبية 2011م تأسس المجلس الانتقالي الوطني واعترف به بعض الدول الغربية ومن بينها ألمانيا كسلطة ممثلة لليبيا. وفي 24 تموز/يوليو 2011م وافقت الحكومة الألمانية على منح قرض قيمته 100 مليون يورو، أي حوالي 144 مليون دولار، إلى ثوار ليبيا، لاستخدامها في أغراض مدنية وإنسانية، في خطوة من شأنها دعم سيطرة الثوار على مناطق واسعة في شرق ليبيا. وفي الوقت نفسه رفضت ألمانيا مشاركة قوات الناتو في عملياتها العسكرية على القوات الموالية لمعمر القذافي بموجب قرار مجلس الأمن بفرض منطقة حظر جوي على ليبيا.

تصريح وزير الخارجية الألماني فسترفيلى حول ليبيا: يجب تحقيق الآمال المرتبطة بالثورة وكذلك حماية المتظاهرين السلميين

في أعقاب قيام مليشيات ليبية بهجوم دموي على المتظاهرين صرح وزير الخارجية الألماني فسترفيلى في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2013 بما يلي:

"أشعر بالصدمة إزاء أعمال القتال الدموية الأخيرة في العاصمة الليبية طرابلس، والتي خلفت وراءها عدد من القتلى والمصابين. إن هذه الأحداث تمثل إشارة جدية منذرة. إنني أدعو بشدة الحكومة وكافة القوى السياسية للعمل من أجل عملية

انتقالية تتسم بالسلمية والديمقراطية في ليبيا الملائمة.

يتوقع الناس في ليبيا، وهم محقون في ذلك، أن يتم تحقيق آمالهم المرتبطة بالثورة، والتي يأتي ضمنها بشكل خاص الحق في حرية التعبير وحماية الاحتجاجات السلمية"[45].

تصريح وزارة الخارجية الألمانية حول استمرار العنف في ليبيا

حول العنف المستمر في ليبيا صرحت متحدثة باسم الخارجية الألمانية في 13 يوليو/ تموز 2014 بما يلي:

"تعرب الحكومة الاتحادية عن قلقها العميق إزاء العنف في ليبيا، وبوجه خاص الصدامات التي اندلعت بالقرب من المطار منذ 13 يوليو/ تموز.

لا يمكن حل انعدام الثقة بين الجماعات المتحاربة بالقوة، ولكن فقط من خلال الحوار الوطني. إن انتخاب برلمان جديد والعمل على وضع دستور جديد من الأمور الأساسية لإقامة نظام سلمي في ليبيا يوفر لجميع الليبيين مكاناً تحت سمائه.

وتناشد الحكومة الألمانية جميع الليبيين ضرورة وقف العنف والبدء في حوار حقيقي، علماً بأن ألمانيا والمجتمع الدولي على استعداد لدعم ليبيا في ذلك".

فسترفيلي يدين قتل الناشط الحقوقي الليبي

في أعقاب التطورات الراهنة في ليبيا صرح وزير الخارجية الألماني فسترفيلي يوم 28 يوليو/ تموز 2013 بما يلي: "إنني أدين قتل المحامي والناشط الحقوقي عبد السلام المسماري في بنغازي أشد الإدانة. يجب ألا يكون العنف وسيلة للجدل السياسي؛ ولا بد أن يكون هناك كشف كامل لهذا العمل الدامي. كما أنني أتابع بقلق بالغ كيف تحول الأمر إلى صدامات عنيفة على هامش التظاهرات السلمية التضامنية مع الضحايا وذويهم. على جميع القوى في ليبيا المضي قدماً في بناء الدولة والاقتصاد بشكل سلمي بغض النظر عن الاختلافات السياسية".

---

(45) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

معلومات إضافية: كان المحامي والناشط الحقوقي الليبي عبد السلام المسماري قد قُتل في 26 يوليو/ تموز 2013 في بنغازي عقب صلاة الجمعة على يد مجهولين. وشهدت المظاهرات التي كانت سلمية إلى حد بعيد يوم 27 يوليو/ تموز في مدن مختلفة من البلاد هجوماً على مقر الإخوان المسلمين وذراعها السياسي حزب البناء والتنمية.

العلاقات المغربية الألمانية

هي علاقات ثنائية بين المغرب وألمانيا. وكانت بدأت سنة 1506م، حيث أنشئت فروع تجارية ألمانية في ميناء آسفي بالمغرب. ومنذ عام 1781م بدأت المحادثات بين المغرب ومدينة بريمن الألمانية من أجل عقد اتفاقية تجارية وفي العام 1784م عين الإمبراطور فريدريك الأكبر قنصلة في المغرب خلال فترة حكم محمد الثالث.. أما التوقيع على أول اتفاقية بين المغرب ومدينة هامبورج لتنظيم سير السفن في الموانئ المغربية فكان في عام 1802م، تبعه بعدها بعدة أعوام إبرام اتفاقية مشابهة مع مدينة لوبك. وكانت التجارة أول الطريق الذي جذب الأكاديميون بعد ذلك لاستكشاف المنطقة، فبدأت الرحلات الاستكشافية والسياحية الغربية تتجه إلى مدن المغرب منذ مطلع القرن التاسع عشر. كان لتلك الرحلات دوراً كبيراً في التعريف بالثقافة المغربية بين الألمان عبر ما نشره العائدون من البعثات. من بين هذه الرحلات، بعثة معهد "يوستوس بيرتس فون غوتا" عام 1854م ورحلة الأطباء التي شارك فيها غيرهارد ورلفز، ونشر في عام 1873م كتابه رحلتي الأولى إلى المغرب. اتسع الاهتمام الأكاديمي بالمغرب ليجذب معه الاهتمام السياسي والاقتصادي بالمنطقة، فقد أدركت ألمانيا ضرورة إرسال ممثل دبلوماسي لها بالمغرب. وبادر المستشار الألماني بسمارك باتخاذ قرار بفتح القنصلية الألمانية بطنجة. لكن قرار تعيين فون غوليش بمهمة تمثيل ألمانيا لدى البلاط الملكي المغربي، صادفه وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن، فتأجل إرسال قنصلها في انتظار تنصيب السلطان الحسن الأول. عندها عرض كوليش على السلطان مساعدة ألمانيا لتكوين جيش مغربي عصري وتزويده بالعتاد الحربي والقيام بإصلاحات أخرى تهم خطوط السكك الحديدية والتلغراف، بيد أنه تغير وجاء بدلاً منه تيودور ويبر الذي يجيد اللغة العربية في شهر تشرين أول/أكتوبر من نفس العام، ووجه اهتمامه الأكبر

إلى تنظيم القنصلية الألمانية في طنجة وتزويدها بأطر جديدة وكتاب ومساعدين.

قرر السلطان الحسن إنشاء قنصلية مغربية بألمانيا في أيار/مايو 1878م، وبدأت تتزايد المصالح الألمانية بالمغرب، وبدأ المغرب بدوره يحتاج إلى بعض المواد المصنعة والأسلحة اللازمة لتحديث جيشه، وكانت أسلحة كروب الألمانية أشهر المدفعيات في ذلك الوقت، فانتقلت القنصلية إلى مدينة بريمن، حيث يوجد مصنع كروب. وسعت القنصلية المغربية إلى إبرام معاهدات تجارية مع ألمانيا وإرسال بعثة عسكرية، ولبى المبعوث التجاري الألماني احتياجات المغرب. ورداً على هذا الاهتمام المغربي أرسل الإمبراطور فيلهلم الثاني السفير تاتنباخ، صاحب الدور البارز في إعطاء بعد جديد للعلاقات الألمانية المغربية، عبر اتفاقية فاس- أول اتفاقية تجارية ألمانية مغربية - التي أبرمها في عام 1890م. وبعد انتهاء مهمة تاتنباخ سنة 1896م تبعه شنك ثم فون مانتزينجن. وتوجت العلاقات المغربية الألمانية خلال هذه الحقبة بزيارة الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني لطنجة فيما 31 أيار/مايو 1905م، إبان الجولة التي كان يعتزم القيام بها في البحر الأبيض المتوسط بهدف التعبير عن انشغال ألمانيا بالقضية المغربية وتوصيل تلك الرسالة للقوى الاستعمارية خاصة مع تزايد الأطماع الفرنسية والبريطانية حول المغرب. لكن هذا لم يمنع احتلال فرنسا للمغرب الذي استمر حتى عام 1956م.

في سنة 1937م نددت ألمانيا بالأساليب الفرنسية لقمع الحركة الوطنية المغربية، كما استطاعت الجمعيات الإسلامية في ألمانيا أن تجذب الطلبة المغاربة إليها قصد الدراسة في ألمانيا والتنسيق بين أعضاء الحركة الوطنية محمد الوزاني ومحمد الناصري وعبد السلام بنونة الذين تعاطفوا مع ألمانيا حيث أعرب أحمد بلفريج مثلا عن ذلك.

وفي 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1942م أعرب القنصل الألماني في تطوان بعد ثلاثة أيام من إنزال قوات الحلفاء في المغرب عن نوايا ألمانيا تجاه المغرب، حيث رفضت الحكومة الألمانية أن تصدر بيانا بشأن استقلال المغرب على غرار البيان الذي صدر عن دولتي المحور بشأن استقلال دول المشرق العربي، وفي هذه الأثناء أبدى "الغلاوي" باشا مراكش استعداده للتحالف مع خليفة السلطان في الريف والتعاون

مع ألمانيا، كما اتصل السلطان المغربي المخلوع المولى عبد العزيز بأحد ضباط الاستخبارات الألمانية في طنجة وأبلغه أن ألمانيا أصبحت تتمتع بتعاطف قوي من الشعب المغربي محفزا إياها للخروج عن تحفظها وتصدر تصريحا تعترف بموجبه باستقلال المغرب، وقد أكد عبد الخالق الطريس نفس الملتمس للقنصل الألماني في تطوان في تشرين الثاني/نوفمبر 1942م مبديا استعداده للتعاون مع ألمانيا والسفر إلى برلين لتأسيس لجنة مغربية تتعاون مع الزعماء العرب المقيمين هناك.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

بعد حصول المغرب على استقلاله، سرعان ما عادت العلاقات الثنائية بين ألمانيا والمغرب، وتوسعت لتخرج عن النطاق التجاري وتشمل التعاون السياسي والدبلوماسي. يتمثل التعاون اليوم في جوانب كثيرة من بينها التعاون الثقافي، كما يتمثل أيضاً في الجالية المغربية الكبيرة التي تحيى في ألمانيا.

قيام ألمانيا الإتحادية بالموافقة على تحمل المسؤوليات القانونية المترتبة على ألمانيا النازية بغية التكفير عن "خطيئة" النازية تجاه اليهود، ترك تأثيرات سلبية كبيرة على الجانب العربي. وللإشارة فإن ألمانيا الإتحادية التي قامت إثر انهيار ألمانيا النازية سنة 1949م ظلت تحت سيطرة القوى الحليفة الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، وكانت حرية الحركة السياسية والقانونية للسلطة الألمانية الإتحادية محدودة جدا وبخاصة ضمن مجال العمل في الشؤون السياسية الخارجية المرتبط بالقوات الحليفة. وقد حدد كونراد أديناور عقب انتخابه مستشاراً إتحادياً في أيلول/سبتمبر 1949م في البيان الحكومي الأول لجمهورية ألمانيا الإتحادية هدفين مهمين ستعمل حكومته على تحقيقهما، وهما: الاندماج بالغرب، وإعادة توحيد ألمانيا. كما أن سياسة عدم الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية كانت إحدى الأولويات السياسية لألمانيا الإتحادية حتى عام 1965م، وقد أقرت من أجل ذلك مبدأ "هالشتاين" Hal Stein- الذي يعتبر إقامة أي علاقة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية من قبل أي دولة ثالثة بأنه عمل غير ودي ويعطي لألمانيا الإتحادية الحق في فرض عقوبات تصل إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع تلك الدولة الثالثة.

عرفت هذه العلاقات خلال فترة الاستقلال انتعاشا ملموسا، وذلك بعد فترة

الجمود التي عرفتها انطلاقا من سنة 1919م وتجسد هذا الانتعاش من خلال عودة التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، ويعتبر فان دريش أول سفير ألماني بالمغرب وذلك في 26 آذار/مارس 1957م، كما سجلت هذه المرحلة توقيع العديد من الاتفاقيات ما بين البلدين. وكان الحدث السياسي البارز خلال هذه المرحلة هو الزيارة الملكية في 5 شعبان 1985 هـ الموافق 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1965م إلى العاصمة الألمانية بون.

الهجرة

عقدت ألمانيا مع المغرب أول اتفاقية تتعلق باليد العاملة في 21 أيار/مايو 1963م تشمل مجال التشغيل والتوظيف، وقد جاءت هذه المبادرة الألمانية في إطار المنافسة مع فرنسا على جلب القوة البشرية المغربية، حيث عملت ألمانيا ابتداء من سنة 1973م على إقامة لجنة دائمة في الدار البيضاء. انطلاقا من هذه الاتفاقية يمكن القول أنها كانت موجهة أساسا نحو استقطاب العمالة المغربية، وهي تشبه في مضمونها معظم المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع دول الإتحاد الأوربي.

العلاقات المغربية الألمانية سنة 2010م

إذا كانت العلاقات المغربية الألمانية قد اكتسبت، خلال السنوات الماضية، حيوية واضحة في كافة المجالات، فإنها شهدت، في سنة 2010م، قفزة نوعية كبيرة جسدها اللقاء الذي جرى في نيويورك، خلال أيلول/سبتمبر، بين صاحب الجلالة الملك محمد السادس والمستشارة الألمانية أنغيلا ميركل.

وجاء اللقاء بين جلالة الملك والمستشارة الألمانية، الذي انعقد على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة، ليؤكد رغبة البلدين في المضي بعلاقاتهما السياسية والاقتصادية إلى مستويات أرقى، تنسجم مع العمق التاريخي لروابطهما، التي تعود بدايتها إلى القرن السابع عشر (زيارة أول بعثة تجارية ألمانية إلى المغرب سنة 1605م)، والتي ترسّخت في القرن الثامن عشر بإبرام أول معاهدة تجارية بين البلدين (سنة 1890م).

وإضافة إلى الطاقات المتجددة، التي تشكل أحد المجالات الحيوية للتعاون الثنائي، في الحاضر والمستقبل، أبدى البلدان سنة 2010م حرصا كبيرا على تطوير

آليات التعاون في القطاع الفلاحي، ومن ثم كانت مشاركة ألمانيا كـ«ضيف شرف» في الدورة الأخيرة للملتقى الدولي للفلاحة بمكناس، مناسبة لتجسيد هذا الحرص من خلال التوقيع على اتفاقية بين الجانبين تهم التعاون الثنائي في مجال السلامة الصحية للأغذية. واعتبرت ألمانيا، على لسان كاتب الدولة لدى وزيرة التغذية والفلاحة وحماية المستهلك، غيرد مولر، أن المغرب يعتبر «شريكا مركزيا» لألمانيا في القطاع الفلاحي على مستوى منطقة شمال أفريقيا، مشيدا بالجهود التي بذلتها المملكة من أجل تحديث وعصرنة القطاع الفلاحي، والتي أتاحت توفير مؤهلات كبيرة تمكن من الرفع من حجم التبادل التجاري بين البلدين خلال السنوات المقبلة.

وشكل إطلاق خطين جويين مباشرين بين برلين والدار البيضاء، بواقع ثلاث رحلات في الأسبوع، وبين ميونيخ ومراكش برحلتين أسبوعيا، حدثاً بارزاً خلال سنة 2010م، بالنظر إلى الانعكاسات الإيجابية التي من المنتظر أن تنعكس على العلاقات الثنائية في كافة المجالات على المدَيَيْن المتوسط والبعيد، خاصة على مستوى تدفق السياح الألمان نحو المغرب، لاكتشاف بلد يخطو نحو المستقبل بإصرار وثقة.

العلاقات الألمانية المغربية – دخول "إعلان الرباط" حيز التنفيذ

بتاريخ 2013/09/12، صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الألمانية بما يلي:

"اليوم (12 سبتمبر/ أيلول 2013) يدخل "إعلان الرباط" الخاص بالعلاقات الألمانية المغربية حيز التنفيذ. وفي هذا السياق يقوم مفوض وزارة الخارجية الألمانية للشرق الأوسط والمغرب في الرباط بتسليم وزير الخارجية المغربي سعد الدين العثماني خطاباً من وزير خارجية ألمانيا جيدو فسترفيلي.

يضع إعلان الرباط تصوراً لمواصلة تطور العلاقات بين ألمانيا والمغرب. ومن المقرر أن يشمل ذلك أيضاً تعزيز للتعاون في مجالات الديمقراطية وسيادة القانون وحماية الإنسان إلى جانب التوسع في أوجه التواصل الاقتصادي والثقافي. وفي الوقت ذاته سيعمل هذا الإعلان بدوره على ترسيخ الحوار السياسي بين وزارتي خارجية البلدين والوزارات الأخرى التي تلعب دوراً في إطار العلاقات الثنائية.

ويعتبر دعم خطوات الإصلاح التي بدأت في المغرب مطلباً مهماً بالنسبة

لوزير الخارجية الألماني فسترفيلى وللحكومة الألمانية؛ علماً بأن ألمانيا على استعداد للإسهام بخبراتها في مواكبة الإصلاحات المؤسسية للديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان والمجتمع المدني.

ويرى وزير الخارجية الألماني فسترفيلى أنه ينبغي توسيع أوجه الاتصال بين المجتمعات المدنية. وفي هذا الخصوص تؤدي المؤسسات السياسية عملاً قيّماً"[46].

استمرار دعم ألمانيا للمغرب في خطوات الإصلاح

بتاريخ 2013/12/11، أكدت جودرون كوب وكيلة الوزارة البرلمانية لدى وزير التعاون الدولي والتنمية لدى إختتام زيارتها إلى المغرب على استمرار دعم ألمانيا للمغرب في خطوات الإصلاح التي استمرت يوماً واحداً إلى المغرب بمناسبة العيد الخمسين للتعاون التنموي بين جمهورية ألمانيا الاتحادية والمملكة المغربية.

وقامت السفارة الألمانية في الرباط بالاشتراك مع وزارة الخارجية المغربية بتنظيم الاحتفال المقام بهذه المناسبة. في ختام الزيارة حيث التقت وزيرة الدولة لدي وزارة الخارجية المغربية مباركه بوعيده أبدت جودرون كروب تأثرها بالإرادة التي أظهرتها المغرب من أجل استمرار الاستقرار وأكدت قائلةً: "تعتبر المغرب في إطار الربيع العربي نموذجاً للاستقرار ومثالاً يحتذى للبلاد المحيطة. وإنني أحث المغرب على المضي بكل عزيمة في طريق التجديد الذي بدأ بالإصلاح الدستوري".

كانت ألمانيا قد وافقت على تقديم دعماً مالياً للمغرب مقداره 670 مليون يورو للتعاون التنموي لعامي 2012 و2013. الجزء الأكبر من هذا التمويل مخصص للطاقات المتجددة، وذلك لمساعدة المغرب لتحقيق هدفها في الوصول حتى عام 2020 إلى حصة تبلغ 42% من الطاقات المتجددة من إجمالى مزيج الطاقات. الموافقة التي صدرت قبل عدة أيام على مبلغ يزيد على 200 مليون يورو يشمل المشروعات الخاصة بمجالات الطاقات وإدارة الموارد المائية. وقالت جودرون كروب: "أن وصول الطاقة والماء إلى غالبية السكان اليوم هو بفضل الدعم الألماني. وسوف تواصل الحكومة الألمانية دعمها للمغرب"[47].

---

(46) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

(47) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير.

رحلة وزير الخارجية الألماني شتاينماير إلى دول المغرب

بتاريخ 2015/01/25، قام وزير الخارجية الألماني بزيارة المغرب العربي مستهلاً الزيارة بالمغرب.

وقد صرح وزير الخارجية الألماني قبل جولته في دول المغرب العربي قائلاً: "تعد دول شمال أفريقيا شريكاً مهماً لألمانيا في قضايا الاستقرار والأمن على جانبي البحر المتوسط وكذلك في مجالات الاقتصاد وسياسة الطاقة". ويقول شتاينماير أن الهدف من الزيارة الحصول على انطباع خاص عن حال المجتمعات في المغرب وتونس والجزائر الآن من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية.

العلاقات الكويتية الألمانية

يرى سفير الكويت السابق في ألمانيا فيصل الغيص أن العلاقات بين الكويت وألمانيا وثيقة وهي تعود إلى مطلع الستينات، حيث إرتبطا بعلاقات صداقة وتعاون في مختلف المجالات وأصبح البلدان يلتقيان بتصورات ومواقف مشتركة. إزاء العديد من القضايا الدولية الراهنة. وأوضح الغيص أنه منذ العدوان العراقي الغاشم على الكويت تضاعفت الإتصالات واللقاءات الثنائية ولا سيما في الميدان السياسي حيث جاء الموقف الألماني المؤيد للحق الكويتي والشرعية الدولية ليدعم العلاقات الثنائية بإطراد. ولفت الغيص الإنتباه إلى أن ألمانيا لا تزال تطالب العراق بالتطبيق الكامل لكافة القرارات الدولية ذات الصلة بعدوانه على الكويت "وتجلى ذلك عبر ترحيب الحكومة الألمانية بقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1441 وإعتباره فرصة أخيرة لتجنب عمل عسكري"[48].

أما السفير الألماني لدى البلاد د. ميشائيل فوربيس فيرى ان تاريخ سقوط جدار برلين قد اسهم في تغيير العالم ووحد قطبي الصراع.

وفي حديثه للصحافة المحلية بمناسبة الاحتفال بعيد الوحدة الألمانية تطرق فوربيس إلى طموح بلاده في تطوير العلاقات الثقافية مع الكويت.

---

(48) وكالة الأنباء الكويتية كونا.

وفي ما يلي نص الحوار[49]:

- **كيف تصفون العلاقات الكويتية – الألمانية؟**

* ان العلاقات الكويتية – الألمانية جيدة وبصراحة هي أكثر من ممتازة، فهي من أهم شركاء الكويت التجاريين، حتى وان تراجعت الأرقام بسبب الأزمة الاقتصادية والتي أصابت جميع دول العالم.

ففي العام الماضي تجاوزت التبادلات التجارية أكثر من بليون دولار أميركي، أما على مستوى الزيارات الرسمية فقد زارت الشيخة فريحة الأحمد ألمانيا في شهر ابريل الماضي ونأمل ان يزور سمو الأمير المانيا في العام المقبل.

- **هذا يعني إنكم وجهتم الدعوة لصاحب السمو لزيارة ألمانيا؟**

* نعم ونأمل أن تتم هذه الزيارة العام المقبل وذلك حسب جدول صاحب السمو.

- **لقد وصفتم العلاقات الكويتية – الألمانية بالجيدة في المجالين الاقتصادي والسياسي، فماذا عن المجال الثقافي؟**

* صحيح ان العلاقات بين البلدين في المجالين الاقتصادي والسياسي أكثر من ممتازة لكن للأسف فالعلاقات الثقافية تحتاج إلى الكثير من الجهود، حيث ان الكويت تفتقر إلى مركز لتعليم اللغة الألمانية، إضافة إلى أن عدداً قليلاً من الطلبة الكويتيين يذهبون إلى ألمانيا للدراسة بجامعاتها وذلك راجع كذلك لمشكلة اللغة، والجديد أن وزارة التعليم العالي قامت بضم جامعات ألمانية إلى برنامج المنح الدراسية لهذا العام. وهذا شيء جميل وجيد.

- **ماذا عن التعاون التعليمي بين البلدين؟**

* أصبحت مدرسة الكويت الانكليزية «BSK» اعتبارا من 4 حزيران/يونيو الماضي أول مدرسة في منطقة الخليج تنضم إلى مبادرة المدارس: «شركاء المستقبل» التي تهدف إلى بناء شبكة عالمية من 1000 مدرسة شريكة من اجل جذب اهتمام

[49] وكالة الأنباء الكويتية (كونا).

الشباب وتعريفهم بألمانيا الحديثة ومجتمعها.

وهذا الاختيار كان لوزارة الخارجية الألمانية ونحن نسعى إلى بناء مدرسة ألمانية في الكويت حيث اننا بصدد اجراء مفاوضات مع وزارة التعليم العالي ونأمل ان نتوصل إلى توقيع الاتفاق قبل شهر نوفمبر المقبل.

لقد وقعنا نيابة عن الهيئة الألمانية للتبادل الأكاديمي «DAAD» مع وكيلة وزارة التعليم العالي السابقة د. رشا الصباح في فبراير الماضي على مذكرة تفاهم حول برنامج منح دراسية في ألمانيا لطلبة الدراسات العليا للكويتيين وسوف تقوم الوزارة بإدراج الجامعات الألمانية في برنامج المنح الرسمية لديها هذا العام بحيث سيكون باستطاعة الطلاب التقدم عن طريق الوزارة للدراسة في جامعة برلين الحرة أو جامعة اخن للعلوم التطبيقية التي تعد جامعة دولية التوجه تهدف إلى إعداد وتأهيل الطلبة لمواجهة تحديات العولمة، حيث يوجد أكثر من 21 من 8000 طالب بالجامعة اجانب، والدراسة في العامين الأول والثاني ستكون باللغة الانكليزية بالإضافة إلى دورات مكثفة للغة الألمانية على ان تصبح الألمانية لغة التدريس اعتبارا من العام الدراسي الثالث في مجالات الكيمياء التطبيقية والهندسة الكيمائية الحيوية والميكانيكية والكهربائية والفيزيائية.

كما ان جامعة برلين الحرة تعد من الجامعات الألمانية الرائدة في البحث العلمي وتتمتع بعلاقات دولية متميزة منذ تأسيسها في عام 1948م، والطلبة الكويتيون سينخرطون لمدة عام واحد في برنامج إعدادي ثم يكملون دراستهم للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الاجتماعية والإنسانية وادارة الاعمال والاقتصاد، البيطرة، الصيدلة، الكيمياء الحيوية، المعلوماتية والأحياء. وتكاليف الدراسة في الجامعات الألمانية تعد رخيصة نسبيا مقارنة مع الكثير من الجامعات الاميركية والانكليزية، واصبحت الدراسة الآن في ألمانيا أكثر جاذبية بعد اعتمادها للغة الانكليزية.

- **هل هناك مشاريع لاقامة فروع لجامعات ألمانية في الكويت؟**

* نعم، هناك مبادرة كويتية لإنشاء فرع لجامعة شتوتغارت في الكويت، وسنناقش هذا الموضوع مع عمدة شتوتغارت الذي يزور الكويت بمناسبة العيد الوطني الألماني، غير ان القانون الكويتي لا يسمح للسفارة بفتح هذا الفرع بمفردها دون وجود

كفيل كويتي، ونحن بصدد الاتفاق مع مستثمر كويتي وسيتم هذا الموضوع خلال الايام القليلة المقبلة.

كما اقمنا في شهر فبراير الماضي معرض «كويت اديو 2009م» بمشاركة جامعات ألمانية والجمعية الألمانية للتعاون العلمي والاقتصادي بالنيابة عن جامعات وهيئات علمية أخرى في ولاية بادن – فورتمبرغ، حيث تم تزويد زائري المعرض من الطلاب بمعلومات عن التخصصات الدراسية المتاحة في ألمانيا وفرص المنح الدراسية التي تقدمها الجامعات الألمانية.

من جهة ثانية، كشف الكساندر تتنبورن، مسؤول شؤون الشرق الأوسط في وزارة الاقتصاد والتكنولوجيا الألمانية الذي زار الكويت، عن نمو في حجم التبادل التجاري مع دولة الكويت بنسبة وصلت إلى 76 بالمئة مقارنة بالعام الماضي، حيث تجاوزت قيمتها المليار يورو (1.4 مليار دولار)[50].

وقال المسؤول الألماني خلال لقائه في غرفة تجارة وصناعة الكويت مع ممثلين عن القطاع الخاص المحلي، إن الهدف من زيارته تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين، مشيراً إلى أنه سيقوم بتوقيع اتفاقية مشتركة مع وزارة التجارة والصناعة اليوم في هذا السياق، إضافة إلى مجموعة من اتفاقات التفاهم.

وأضاف تتنبورن «إن زيارته تأتي في إطار الاجتماع الثاني للجنة الوزارية المشتركة الألمانية الكويتية»، مبيناً في الوقت نفسه أن الاجتماعات شهدت مناقشة الفرص الاقتصادية المتاحة في القطاعات الاقتصادية المختلفة لاسيما التكنولوجيا والطاقة والصحة ومعالجة النفايات.

العلاقات السودانية الألمانية

وصف مهتمون العلاقات العربية الألمانية بالمتطورة في جانبها الإقتصادي، وبالضعف في جانبها السياسي (راجع ما كتب أحمد عبد الرحيم في جريدة الصحافة) نتيجة المواقف التاريخية التي تبنتها ألمانيا منذ الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى مواقفها المتعاطفة مع السياسات الإسرائيلية الأمر الذي أحدث فجوة بينها وبين العرب

---

[50] المرجع السابق.

في الكثير من المواقف. مشيراً في ندوة حول "طبيعة العلاقات الثقافية بين ألمانيا والعالم العربي" التي نظمها المركز الثقافي الألماني بالخرطوم، إلى وجود مشتركات بين ألمانيا والعالم العربي يمكن ان تطور لصالح الشعوب، كما انها يمكن ان تنعكس ايجاباً على العلاقات العربية الألمانية التي كثيرا ما تتقاطع بسبب مواقف ألمانيا الداعمه للقرار الأمريكي والإسرائيلي.

المتحدثون في الندوة استعرضوا طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الشعوب العربية والألمانية وتبيان العناصر المشتركة والاختلافات التي تحملها الثقافة الألمانية عن العربية، كما أوضحوا طبيعة الدور الذي يلعبه مركز «غوته» في دعم مسيرة العلاقات السودانية الألمانية من خلال أنشطته وفعالياته التي تحاول ان تربط الشعبين الألماني والسوداني من خلال برامج التفاعل المشترك بين الدولتين.

في مستهل الندوة تحدث احمد حسو، الخبير الاعلامي بألمانيا «زائر السودان» ومحرر مجلة «فكر وفن» عن طبيعة العلاقات بين ألمانيا والعالم العربي من خلال تجربته بالعمل في ألمانيا، واشار إلى انها ليست لها وجود سياسي كبير، بالرغم من الوجود الاقتصادي الكبير للمنتجات الألمانية بالوطن العربي ومعرفته بمنتجاته الجيدة، وارجع ذلك للصورة النمطية في ذهنية المجتمع العربي بأن الألمان عنصريون، والعكس يرى الألمان بان العرب يضطهدون النساء ويجهلون كثيراً من القضايا الانسانية، مشيرا إلى ان هذه الصورة الذهنية ترسخت عند الطرفين، ولكنها بدأت تنحسر تدريجياً بعد فتح الحوار بين الطرفين ممثلاً في البعثات الدبلوماسية، التبادل الثقافي والاجتماعي من خلال الفعاليات المتبادلة والمشتركة بين العالم العربي وألمانيا، خاصة في القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية. وذكر ان علاقته من خلال تواجده في ألمانيا بدأت تتحسن تدريجياً عندما طلب منه الانضمام إلى مجلة «فكر وفن 2001" والعمل بها محرراً، حينما بدأت تصدر اعدادا تناقش قضايا المجتمعات العربية والاسلامية بعد احداث الحادي عشر من ديسمبر، والتي ساهمت في ازالة كثير من المفاهيم الخاطئة لدى الألمان عن الشعوب العربية والاسلامية، واضاف حسو «في اعدادنا القادمة سنتناول عدداً من القضايا المتعلقة بالثورات العربية التي اجتاحت الانظمة السياسية في العالم العربي واحدثت موجة من التغيير فيه.

من جهتها قالت الدكتوره بلقيس بدري، مديرة معهد دراسات التنوع بجامعة الاحفاد، ان "العلاقات بين الشعبين السوداني والألماني موجودة منذ القدم، واشارت في ذلك إلى تجربة البعثات السودانية في ألمانيا التي ساهمت في تعريف الألمان بالثقافة السودانية من خلال تبادل الرؤى والافكار من خلال هذه البعثات، مشيرة إلى ان السودان عرف الصناعات الألمانية منذ زمن بعيد، كما ساهمت البعثات الدراسية للطلاب السودانيين في ألمانيا في تطوير العلاقات والتعريف بها من خلال حالات التزاوج التي تمت بين الطلاب السودانيين والألمانيات، مما ادى إلى وجود حميمية بين المجتمعين". وقالت "هناك ضعف لدى كثير من السودانيين في معرفة الثقافة الألمانية، وقالت بامكانية تطبيق تجربة الحكم الألماني في السودان، مشيرة إلى وجود قواسم مشتركة بين الشعبين مثل، (العرف، الاخلاق، المسامحة)". وقالت "المجتمع السوداني به صفة العنصرية التي تتشابه إلى حد ما بالشعب الألماني"، واضافت "اذا ظل الوضع على حاله العنصري فلا وحدة ولاتعايش سلمي في السودان"، واشارة إلى انها اسست معهد الجندر وقضايا التميز والنوع بالاحفاد حتى نعرف العالم عن المرأة السودانية بانها ليست مضطهدة، كما توجد مجموعات لها حريتها في التعبير والمشاركة في كثير من قضايا بلدانهم ودعت إلى ضرورة وجود حوار عبر الاعلام والصحفيين والمثقفين بالبلدان حتى يبعدوا الاتهامات الاجتماعية، ومعرفة الحقيقة.

آفاق التعاون بين السودان وألمانيا،

جاء في صحيفة أخبار السودان،

"بحث وزير التعاون الدولي د. جلال يوسف الدقير بمكتبه بالوزارة مع سفير ألمانيا بالخرطوم راينر ايبر لي اوجه التعاون الثنائي المشترك بين السودان وألمانيا والسبل الكفيلة بدعمه وتعزيزه في المجالات كافة" وأكد د. الدقير "رغبة الحكومة السودانية في تأسيس علاقة متينة مع ألمانيا تبنى على الاحترام المتبادل والثقة وابدي استعداد الحكومة للحوار السياسي مع ألمانيا ليبنى على قواعد قوية بين الجانبين والوصول إلى فهم مشترك لمجريات الاحداث في السودان مؤمناً علي ضرورة توسيع وزيادة حجم الاستثمارات الألمانية بالسودان والاستفادة من قدرات وامكانيات البلدين ونادي د. الدقير بإقامة مشروعات استثمارية في عدد من المجالات تسهم في ترسيخ

دعائم السلام والاستقرار بالبلاد كما امنّ علي تقديم الدعم التنموي لتحقيق التنمية المستدامة وزيادة المنح والعون وتبادل الزيارات وتشجيع الشركات الألمانية ورجال الاعمال الألمان للاستثمار في السودان وتحريك القطاع الخاص الألماني لخلق شراكات بين الجانبين". وقد أعلن السفير الألماني على رغبة بلاده الداعمة للسودان والسعي خلال الفترة المقبلة لتدعيم العلاقات بين البلدين معلناً عن زيارة وزير التعاون الاقتصادي التنموي للسودان ومشيراً إلى ان برنامج زيارة الوزير الألماني يتضمن الالتقاء بعدد من المسؤولين بوزارتي الخارجية والتعاون الدولي بجانب زيارة مدينة جوبا وقال "بان الزيارة تعبر عن الرغبة الاكيدة في الحوار مع السودان وتدعيم العلاقات المشتركة بعد نجاح الحكومة السودانية في استكمال استحقاقات السلام وأضاف ان زيارة وزير التعاون والاقتصاد التنموي الألماني للبلاد تعتبر الاولى من نوعها للسودان منذ خمس سنوات مضت مما يعكس تحولاً إيجابياً للحكومة الألمانية وحرصها على التواصل والتعاون مع السودان في المرحلة القادمة يذكر ان ألمانيا التزمت بعد توقيع اتفاقية السلام في السودان في العام 2005م بدعم الجهود السلام واعادة الاعمار والتنمية حيث قدمت مبلغ (13) مليون دولار خلال الفترة (2005-2008م)[51].

دعمت الحكومة الألمانية الإعداد المنظم للاستفتاء الذي جرى حول إنفصال الجنوب عن الشمال. قامت وزارة الخارجية الألمانية رسمياً بإطلاق شرارة البدء فى بناء مكتب اتصال للسفارة الألمانية فى جوبا عاصمة جنوب السودان.

مشاركة ألمانيا فى بعثة الأمم المتحدة فى السودان وبعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي فى درافور.

يذكر أن ألمانيا تشارك منذ عام 2005م فى بعثة الأمم المتحدة فى جنوب السودان. وتشارك الآن بـ31 مجنداً وثلاثة من رجال الشرطة. تقوم البعثة بمراقبة اتفاقية السلام الشامل الموقعة فى نيروبى فى يناير/كانون ثان 2005م بين الحكومة المركزية وجيش المتمردين فى جنوب السودان. كما تقدم البعثة مساعدات إنسانية وتتحرى الالتزام بحقوق الإنسان وتساعد فى بناء قوات الأمن والشرطة وكذلك القضاء. وقد أضيفت إلى مهام البعثة الآن مسألة لها ثقلها وهى دعم تنفيذ الاستفتاء.

[51] وكالة الانباء السودانية (سونا)، 2011/06/15.

وتهتم الحكومة الألمانية إلى جانب الموقف فى الجنوب بالوضع فى منطقة دارفور غرب السودان. وقد عبر وزير الخارجية فيسترفيلى عن هذه القضية قائلاً: "هذه المنطقة فى حاجة إلى مواصلة العمل على نحو مكثف من أجل تحقيق استقرار دائم." وتقوم ألمانيا بدعم الإجراءات المتعلقة بمحادثات السلام فى الدوحة وتشارك كذلك فى بعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقى فى دارفور، حيث يشارك الآن 8 جنود من ألمانيا. وفى نفس السياق قام وزير الخارجية السودانى على كرتى فى برلين بتوجيه التحية للمشاركة الألمانية بوصفها "إسهاماً من أجل تحقيق الخير لشعبه".

وأعرب كرتى "عن تقييمه الإيجابى لما بدأته الحكومة الألمانية ويتضح من تصورها الجديد بشأن السودان. وهذا لأن التصور يُظهر مدى اهتمام ألمانيا والتزامها بتنفيذ اتفاقية السلام. ويقوم التصور، كما جاء على لسان فيسترفيله، على أربعة دعائم:

1- دعم إجراءات الاستفتاء ودعم بعثة الأمم المتحدة في السودان لضمان مناخ آمن.
2- بناء هياكل حكومية في جنوب السودان.
3- المساعدة الإنسانية ودعم محادثات السلام في دارفور وكذا دعم بعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي في دارفور.
4- الحوار السياسي مع شمال وجنوب السودان ودعم المجتمع المدني.

ويولى فيسترفيله أهمية كبيرة لشمول المشروع السودان كله، ويؤكد هذا قائلاً: "من الواضح أن تحقيق استقرار ناجح ومستقبل سلمي في السودان لن يكون ممكناً إلا إذا شمل السودان كله. وبناء عليه فإن نظرتنا تتجه نحو تحقيق تطور يشمل جميع أنحاء البلد"[52].

ألمانيا تقدم مساعدات إنسانية لضحايا الفيضانات فى السودان

بتاريخ 2013/08/21، وافق وزير الخارجية الألمانى فيسترفيله على تقديم مساعدة للحكومة السودانية لمواجهة كارثة السيول والفيضانات. تقوم وزارة الخارجية الألمانية بالتعاون مع المنظمة الألمانية للعمل بالزراعة بتجهيز مساعدات تبلغ حوالي 450 ألف يورو بهدف تغطية الاحتياجات وتقليل حجم الكارثة.

(52) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

تشمل المساعدات خيام، أغطية، أواني، براميل مياه وناموسيات.

تسببت الأمطار الغزيرة في بداية شهر أغسطس في موجة فيضانات اجتاحت عدة أجزاء في السودان.

تقدر المساعدات الانسانية التي تقدمها ألمانيا للسودان في العام الحالي حتى الآن بحوالي 3,1 مليون يورو. تركز المساعدات إلى جانب المساعدات في المجالين الغذائي والصحي على توفير مقومات الحياة للاجئين، نازحي الداخل والرحل[53].

وزير الخارجية الألمانية بشأن حكم الإعدام الصادر في حق السودانية مريم يحى إبراهيم

صرح وزير الخارجية الألمانية فرانك . فالتر شتاينماير يوم 4 يونيو/ حزيران 2014 في أعقاب لقاءه وزير الخارجية السوداني علي كرتي بشأن حكم الإعدام الصادر في حق السودانية مريم يحي إبراهيم بما يلي:

"لقد تحدثنا اليوم أيضًا عن موضوع الشابة مريم يحى إبراهيم، التي حُكم عليها في السودان بالإعدام لتركها الدين الإسلامي، والتي أنجبت قبل فترة قصيرة طفلاً في السجن. لقد أبلغت وزير الخارجية السوداني بأن الرأي العام الألماني يشعر بالصدمة تجاه هذه القضية وأن هذا يلقي بظلاله على صورة بلده في ألمانيا.

إننا نتوقع أن يتم إلغاء هذا الحكم غير الإنساني ضد مريم يحي إبراهيم.

وأتمنى أن تتمكن تلك الشابة في القريب العاجل من ممارسة حياتها الطبيعية مع أولادها وزوجها".

خلفية الموضوع:

أصدرت إحدى محاكم الدرجة الأولى في السودان في منتصف شهر مايو/ أيار 2014 حكماً بالإعدام في حق مريم يحى إبراهيم بسبب خروجها من الدين الإسلامي، ولم تنته القضية بعد، حيث إنه يجب بموجب القانون السوداني تأكيد جميع أحكام الإعدام من قبل المحكمة العليا. الدين الإسلامي هو دين الدولة في السودان؛ ومع ذلك فإن الدستور السوداني ينص على احترام الأديان الأخرى وكذا حرية العقيدة[54].

(53) الترجمة والتحرير: السفارة الالمانية بالخرطوم.

(54) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

قديمة هي علاقات سلطنة عمان بألمانيا. ويمكن أخذ العلاقة على المستوى الإعلامي كنموذج كتظهير من خلال كيف تطورت، إمكانات السلطنة الإعلامية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه حالياً من نجاحات.

بدأ التلفزيون العماني بثه ملوناً، من مبنى الوزارة الجديد في مدينة الإعلام بالقرم عام 1974م وكان يسمى، (تلفزيون عمان الملون) وكان يبث من مسقط، وبدأ البث من صلالة في عام 1975م، وبدأ الربط بين محطتي مسقط وصلالة عام 1979م. وكان وزير الإعلام آنذاك سمو السيد فهد بن محمود آل سعيد. وقد كانت شركة (غلوبل) الألمانية تدير التلفزيون في مسقط فنياً، بينما تدير شركة إنجليزية تلفزيون صلالة[55].

وفي عام 1979م إستعان وزير الإعلام عبد العزيز الرواس بكادر أردني لإدارة التلفزيون في مسقط وصلالة بدلاً من الشركتين الألمانية والإنجليزية، وقد كان بعض الأردنيين يعملونا مع الألمان في تلفزيون سلطنة عمان قبل أن يتسلم الفريق الأردني إدارة العمل في التلفزيون، وكان على رأس الفنيين الأردنيين الإعلامي إحسان رمزي شقم ومعه زيد بن فريز وغسان عبيدات كمخرجين وفنيين، وكان في تلفزيون صلالة عاكف المجالي كمذيع ومنذر الحديدي كمخرج. وكان وزير الإعلام العماني عبد العزيز الرواس، قد وجه دعوة إلى مدير التلفزيون الأردني محمد كمال ومدير الهندسة راضي الخص، وطلب منهما ان يحل إعلاميون أردنيون محل الألمان والإنجليز لإدارة التلفزيون وتطويره، وتدريب الإعلاميين العمانيين على العمل الإعلامي، والعمل على زيادة ساعات البث من خمس ساعات يومياً إلى ساعات أكثر، وقد أعرب الجانب الأردني عن إستعداده التام لإدارة التلفزيون وتدريب العمانيين، وقدم الوفد الأردني ضمانات للوزير الرواس. وتمكن الطاقم الأردني من إدارة التلفزيون عوضاً عن الطاقم الأجنبي بجدارة إستحقت الشكر من الجانب العماني. إذن البداية الإعلامية كانت ألمانية ثم أصبحت في عهدة الأردنيين بهدف الإستعانة بإمكانيات عربية.

---

(55) عمان، جريدة إلكترونية 2010/01/09م.

إستمرت العلاقات الألمانية العمانية تتوطد وتسير صعداً في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والتقنية. خلال العام 2011م، وفي نهاية شهر أيار/مايو زار العاصمة العمانية مسقط الوزير الإتحادي للشؤون الخارجية بجمهورية ألمانيا الإتحادية الدكتور جيدو وفسترفيله وقد قابل جلالة السلطان قابوس بن سعيد[56].

إلى انه تطرق في اللقاء مع جلالته لمواضيع عديدة منها العلاقات الثنائية المبنية على التعاون المشترك بين البلدين الصديقين بالإضافة إلى التعاون المشترك في العديد من المجالات خاصة مجال العلوم والطاقة المتجددة.

وقال معالي فسترفيله " إن زيارتي إلى السلطنة يمكن اعتبارها بمثابة نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، وأرى أن البلاد المشمسة مثل سلطنة عمان تعد مناطق واعدة للاستثمار في الطاقة المتجددة" وأشاد معاليه في المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده مع معالي يوسف بن علوي بن عبدالله الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية في المعهد الدبلوماسي بوزارة الخارجية بالتطور الكبير الذي شهدته السلطنة خلال العقود الاخيرة في ظل القيادة الحكيمة لجلالة السلطان المعظم مؤكدا على حرص بلاده على تعزيز العلاقات المتنامية بين البلدين الصديقين والتي لا تقتصر على المجال السياسي بل تمتد لتشمل مجالات أخرى كالمجال الاقتصادي والتعليم المهني والتقني والبنية الأساسية.

وقال "هناك أيضا العديد من المسائل الثنائية التي تمت مناقشتها بين البلدين كالتسهيلات الممنوحة للمواطنين العمانيين عند دخولهم لألمانيا وبالعكس بالنسبة للألمان".

وأشاد فسترفيله بحكمة تعامل حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد مع الاعتصامات التي قام بها الشباب في الآونة الأخيرة قائلاً "أن قرار صاحب الجلالة ببدء الحوار مع الشباب والإجابة على تساؤلاتهم لهو قرار إيجابي جدا وضروري".

كما عبر الوزير الاتحادي للشؤون الخارجية بجمهورية ألمانيا الاتحادية عن إعجابه بالمشروع الريادي التي تبنته السلطنة وهو تقديم اللغة الألمانية كلغة أجنبية

---

(56) وذكرت جريدة الرؤية الإلكترونية (30 أيار/مايو 2011م).

ثانية في المدارس والذي يعد مشروعا فريدا من نوعه مشيرا إلى أن وجود الجامعة الألمانية في مسقط تمثل حجر الأساس في العلاقات الثنائية بين البلدين الصديقين وتحديداً في المجال العلمي والأكاديمي مؤكدا على دعم الحكومة الألمانية لكافة الجهود التي تقوم بها السلطنة من اجل تنمية أواصر التعاون بين البلدين خاصة وان السلطنة وجمهورية ألمانيا الاتحادية سوف يحتفلون العام القادم بالذكرى الأربعين لإقامة العلاقات بين البلدين الصديقين. وقال "ان مثل هذه المبادرات تساعد على تعميق العلاقات الثقافية بين البلدين والتي تعد جسرا لتعميق العلاقات الاقتصادية والسياسية" وأشار إلى الكثير من أوجه التعاون الثقافي بين البلدين والتي تجلت في مشروع توسيع دار الأوبرا في السلطنة وبين كيف أن الموسيقي العربية تعد موضع اهتمام قوي من جانب الألمان.

من جانبه قال معالي يوسف بن علوي بن عبدالله الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية إن زيارة الوزير الألماني للسلطنة تعبر عن عمق العلاقات بين البلدين والتي تأتي في إطار التعاون المشترك بين البلدين الصديقين بعد أن بدأت السلطنة بتنفيذ مشاريع الخطة الخماسية الثامنة حيث أن التكنولوجيا الألمانية الحديثة تدخل كجزء مهم في هذه المشاريع.

وتحدث معالي الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية عن الجهود التي تبذلها اللجنة العمانية الألمانية المشتركة في تعزيز أوجه التعاون المختلفة بين البلدين الصديقين مشيرا معاليه إلى ان الجامعة الألمانية للتكنولوجيا تقوم بتوطيد أواصر التعاون المختلفة بين البلدين والتي سيكون لها مستقبل كبير في نقل التكنولوجيا الألمانية إلى السلطنة خاصة وان الجامعة تتمتع بدعم حكومتي البلدين الصديقين.

وحول الوضع في اليمن اوضح معالي يوسف بن علوي أنه مازالت هناك فرص لحل الأزمة في اليمن بالطرق السلمية وإن دول مجلس التعاون تبذل قصارى جهدها لتمكين اليمن من الانتقال في السلطات بطريقة سلمية، وقال "إن الكثير من الأطراف وافقت على المبادرة الخليجية"، وقال " ان مطالب المعارضة في اليمن شرعية وتتم بطرق سلمية تسعى للتغيير، وأرى أن الحزب الحاكم والمعارضة يدركان تماما الأخطار التي يمكن أن تلحق باليمن إذا لم يتم التوصل سريعا لاتفاق بين الطرفين"، وقد أكد الجانبان حرصهما على أهمية تعزيز التعاون الاقتصادي

والاستثماري والسياحي والتقني وتشجيع القطاع الخاص في كلا البلدين ورفع حجم التبادل التجاري والاستثماري بينهما من خلال تفعيل الاتفاقيات المبرمة في هذه المجالات.. كما تم استعراض عدد من المستجدات والقضايا الدولية والعالمية الراهنة ذات الاهتمام المشترك وتبادل وجهات النظر في شأنها. من جانب اخر قام معالي الدكتور جيدو فسترفيلي بزيارة إلى الجامعة الألمانية للتكنولوجيا بمقرها في مسقط والتقى خلالها بالهيئة الأكاديمية وعدد من طلبة الجامعة.

العلاقات اليمنية – الألمانية

قديمة هي هذه العلاقات وقد إستمرت وطيدة رغم كل المشكلات والتطورات الحاصلة على المستوى اليمني.

الحكومة الألمانية ترحب ببدء الحوار الوطني في اليمن

بمناسبة بدء الحوار الوطني في اليمن صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الألمانية في 18 مارس/ آذار 2013 من برلين بما يلي:

"ترحب الحكومة الألمانية ترحاباً شديداً ببدء الحوار الوطني اليمني باعتباره خطوة مهمة على طريق حل الأزمة السياسية في اليمن. ويتعلق الأمر الآن بأن يتعاون المشاركون جميعهم بشكل بناء ونشط، حتى يتم التوصل إلى إجابات على هذه التحديات الهائلة.

ومن جانبها تدعم الحكومة الألمانية عملية التحول التي يباشرها الرئيس هادي دعماً قوياً. وفي هذا السياق أكد وزير الخارجية الألماني فسترفيلي في مؤتمر اليمن الذي عُقد في لندن أن ألمانيا ستواصل إسهامها الكبير من أجل تحقيق الاستقرار السياسي في اليمن."

معلومات إضافية:

يجتمع في صنعاء بشكل مبدئي 565 مشارك في الحوار الوطني برعاية الرئيس عبد ربه منصور هادي. ويضم جدول الأعمال عدة موضوعات مهمة، مثل الدستور الجديد والصراعات طويلة الأمد التي يشهدها الشأن الداخلي للبلاد كالوضع في الجنوب.

لقد شارك وزير الخارجية الألماني فسترفيلي في 7 مارس/ آذار في لقاء أصدقاء اليمن في لندن وأعلن عن تقديم 1،5 مليون يورو إضافية من جانب الحكومة الألمانية لدعم حوار المصالحة. كما قدمت الحكومة الألمانية بالفعل في عامي 2011 و2012 مساعدات للتنمية والإعمار تقدر بـ120 مليون يورو.

يُذكر أن الرئيس هادي قد زار برلين في أكتوبر/ تشرين الأول 2012 وأجرى عدة محادثات، من بينها محادثات مع المستشارة الألمانية[57].

فسترفيلي: الاستمرار في دعم اليمن

صرح وزير الخارجية الألمانية فسترفيلي في كلمته أمام مؤتمر اليمن الدولي المنعقد في لندن يوم 7 مارس/ آذار 2013 بما يلي:

"وصل تطور الأوضاع في اليمن إلى نقطة حاسمة. لقد قام الرئيس هادي وحكومته بتحقيق أوجه تقدم مهمة في عملية الإصلاح والمصالحة، إلا أن التحديات لا تزال هائلة، حيث يستمر تهديد الإرهاب والقوى الانفصالية لحياة الأشخاص ولتماسك الدولة قائمًا.

لذلك يجب علينا القيام بكل ما يمكن عمله للحفاظ على الديناميكية الإيجابية التي تتسم بها عملية التحول في اليمن.

اسهمت ألمانيا في الأعوام الأخيرة إسهامًا قويًا وفاعلاً في تحقيق الاستقرار في اليمن وستواصل مستقبلاً تلك المساعي.

يمكنني اليوم أن أعلن عن أن الحكومة الألمانية قد قدمت 1،5 مليون يورو إضافية لدعم حوار المصالحة الوطني"[58].

شتاينماير: أمل جديد للتحول السلمي في اليمن

صرح وزير الخارجية الألماني فرانك . فالتر شتاينماير يوم 25 يناير/ كانون الثاني 2014 بمناسبة اختتام الحوار الوطني في اليمن بما يلي:

(57) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية.

(58) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

"هذا يوم جيد بالنسبة لليمن، فقد تمكن اليمنيون رغم الظروف شديدة الصعوبة والانتكاسات التي عانوها من الوصول بالحوار الوطني إلى نهاية ناجحة.

ونحن نثمن بوضوح الإسهام الكبير والدعم القوي الذي قدمهما الرئيس هادي من أجل إنجاح الحوار. وهذا النجاح يوقظ بداخلنا أملاً جديدًا في استئناف عملية التحول السلمي في اليمن، الذي رسمت ملامحها مبادرة مجلس التعاون الخليجي.

ومن جانبها ستستمر ألمانيا في دعم شركائها اليمنيين وهم يخطون على هذا الطريق الصعب"[59].

شتاينماير بشأن تعيين مبعوث أممي جديد لليمن

صرح وزير الخارجية الألمانية شتاينماير يوم 26 أبريل/ نيسان 2015 بمناسبة تعيين اسماعيل ولد الشيخ أحمد مبعوثًا أمميًا جديدًا لليمن بما يلي:

"أرحب بتعيين اسماعيل ولد الشيخ أحمد مبعوثًا أمميًا جديدًا لليمن بهذه السرعة. يجب ألا يضيع مزيد من الوقت حتى يتم استئناف عملية الوساطة التي تقوم بها الأمم المتحدة. وهذا يتطلب الوصول الآن إلى وقف حقيقي لأعمال القتال.

يجب أن يتضح للجميع أنه لا يمكن التوصل إلى حل دائم للأزمة السياسية والإنسانية إلا عن طريق عملية سياسية شاملة. إسماعيل ولد الشيخ أحمد دبلوماسي مخضرم ولديه أفضل معرفة بالمنطقة وخصوصًا بالوضع الصعب في اليمن. وسندعمه في أداء مهمته بكل قوة".

تصريح وزير الخارجية الألماني عن الوضع في اليمن

تعليقاً على الوضع في اليمن صرح وزير الخارجية الألماني شتاينماير 16 مايو / أيار 2015 على هامش زيارته للأردن بما يلي:

"يمثل وقف إطلاق النار في اليمن فرصة ضرورية وملحة للسماح أخيراً بتوفير الإمدادات الإنسانية للشعب اليمني. قمنا الأسابيع الماضية بتقديم الدعم في هذا الصدد وعلى استعداد لمواصلته. يتعلق الأمر الآن بوصول المساعدة فعلاً للذين

(59) المرجع السابق.

هم في أشد الحاجة إليها ولا تصبح تحت رحمة الصراعات السياسية .وينبغي على الجميع الالتزام بالآليات التي وضعتها الأمم المتحدة في هذا الخصوص. يجب الآن الاستفادة من الفرصة المتاحة للبدء في محادثات من أجل تسوية سلمية للأزمة اليمنية. المفوض الخاص الجديد للأمم المتحدة ولد الشيخ أحمد وصل إلى صنعاء لقيادة المحادثات بين الأحزاب هناك. وترتب دول الخليج لعقد مؤتمر أثناء عطلة نهاية الأسبوع في الرياض لمناقشة موضوع اليمن. آمل التمكن من تثبيت وقف إطلاق النار كخطوة أولى. ونحن نؤيد هذه الجهود بكل مما أوتينا من قوة"[60].

الحكومة الألمانية تبذل الجهد لمواصلة عملية السلام في اليمن

صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الألمانية في 20 مايو / أيار 2015 بما يلي:

"كان مؤتمر اليمن الذي انتهى بالأمس في الرياض خطوة أولية مهمة لتسوية أزمة اليمن. ويتعين الآن إجراء مزيد من المفاوضات على نحو عاجل بمشاركة كل الفصائل ذات الصلة بالموضوع. تدعم الحكومة الألمانية بكل قواها جهد المبعوث الأممي الجديد إلى اليمن اسماعيل ولد الشيخ أحمد من أجل عملية مفاوضات شاملة.

الأمم المتحدة هي المحفل المناسب لإيجاد حل دبلوماسي دائم لهذا الصراع. تتطلب عملية السلام الواقعية في البداية تجديد الوقف الفوري وطويل الأمد لإطلاق النار.

ندعو جميع أطراف النزاع للإسهام في نجاح جهود المبعوث الأممي الخاص ولد الشيخ أحمد إمن أجل تسوية الأعمال العدائية الحالية، وضمان وصول المساعدات الإنسانية دون قيود وتسهيل المفاوضات برعاية الأمم المتحدة"[61].

الحكومة الألمانية تدين الهجوم على أكاديمية الشرطة في العاصمة اليمنية صنعاء

(60) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

(61) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو (almania info).

صرحت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 2015/01/08 تعليقاً على الهجوم بسيارة مفخخة استهدف أكاديمية الشرطة في العاصمة اليمنية صنعاء بالأمس بما يلي:

"تدين الحكومة الألمانية بأشد عبارات الإدانة الهجوم الذي استهدف أكاديمية الشرطة في صنعاء والذي أودى بحياة 30 فرداً. إن أي محاولة لتقويض العملية الانتقالية في اليمن عن طريق العنف مرفوض رفضاً قاطعاً. يجب الكشف عن خلفيات الهجوم على وجه السرعة. سوف تواصل الحكومة الاتحادية دعم جهود الحكومة اليمنية لتحقيق انتقال سياسي سلمي. تدعم ألمانيا منذ سنوات عديدة عملية الحوار الوطني في اليمن سياسياً ومالياً .اتفق أمناء الأحزاب اليمنية لأول مرة أثناء ما يسمى بمؤتمر بوتسدام الثاني الذي أقيم في ديسمبر/ كانون أول 2014 على توصيات من أجل مواصلة عملية الانتقال السلمي"[62].

(62) المرجع السابق.

هم في أشد الحاجة إليها ولا تصبح تحت رحمة الصراعات السياسية .وينبغي على الجميع الالتزام بالآليات التي وضعتها الأمم المتحدة في هذا الخصوص. يجب الآن الاستفادة من الفرصة المتاحة للبدء في محادثات من أجل تسوية سلمية للأزمة اليمنية. المفوض الخاص الجديد للأمم المتحدة ولد الشيخ أحمد وصل إلى صنعاء لقيادة المحادثات بين الأحزاب هناك. وترتب دول الخليج لعقد مؤتمر أثناء عطلة نهاية الأسبوع في الرياض لمناقشة موضوع اليمن. آمل التمكن من تثبيت وقف إطلاق النار كخطوة أولى. ونحن نؤيد هذه الجهود بكل مما أوتينا من قوة"[60].

الحكومة الألمانية تبذل الجهد لمواصلة عملية السلام في اليمن

صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الألمانية في 20 مايو / أيار 2015 بما يلي:

"كان مؤتمر اليمن الذي انتهى بالأمس في الرياض خطوة أولية مهمة لتسوية أزمة اليمن. ويتعين الآن إجراء مزيد من المفاوضات على نحو عاجل بمشاركة كل الفصائل ذات الصلة بالموضوع. تدعم الحكومة الألمانية بكل قواها جهد المبعوث الأممي الجديد إلى اليمن اسماعيل ولد الشيخ أحمد من أجل عملية مفاوضات شاملة.

الأمم المتحدة هي المحفل المناسب لإيجاد حل دبلوماسي دائم لهذا الصراع. تتطلب عملية السلام الواقعية في البداية تجديد الوقف الفوري وطويل الأمد لإطلاق النار.

ندعو جميع أطراف النزاع للإسهام في نجاح جهود المبعوث الأممي الخاص ولد الشيخ أحمد إمن أجل تسوية الأعمال العدائية الحالية، وضمان وصول المساعدات الإنسانية دون قيود وتسهيل المفاوضات برعاية الأمم المتحدة"[61].

الحكومة الألمانية تدين الهجوم على أكاديمية الشرطة في العاصمة اليمنية صنعاء

(60) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو almania info).

(61) مصدر النص: وزارة الخارجية الألمانية الترجمة والتحرير: المركز الألماني للإعلام (ألمانيا إنفو almania info).

صرحت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 2015/01/08 تعليقاً على الهجوم بسيارة مفخخة استهدف أكاديمية الشرطة في العاصمة اليمنية صنعاء بالأمس بما يلي:

"تدين الحكومة الألمانية بأشد عبارات الإدانة الهجوم الذي استهدف أكاديمية الشرطة في صنعاء والذي أودى بحياة 30 فرداً. إن أي محاولة لتقويض العملية الانتقالية في اليمن عن طريق العنف مرفوض رفضاً قاطعاً. يجب الكشف عن خلفيات الهجوم على وجه السرعة. سوف تواصل الحكومة الاتحادية دعم جهود الحكومة اليمنية لتحقيق انتقال سياسي سلمي. تدعم ألمانيا منذ سنوات عديدة عملية الحوار الوطني في اليمن سياسياً ومالياً .اتفق أمناء الأحزاب اليمنية لأول مرة أثناء ما يسمى بمؤتمر بوتسدام الثاني الذي أقيم في ديسمبر/ كانون أول 2014 على توصيات من أجل مواصلة عملية الانتقال السلمي"[62].

(62) المرجع السابق.

الفصل الرابع

القسم الخامس

أولاً: الإستشراق وتراث الشرق

إصطلح المؤرخون على أن لفظ الاستشراق له إطلاقان: الأول يُراد به البحث في تراث الشرق عامة، والثاني يُطلق على البحث في تراث الإسلام بشكل خاص. وعادة ما يراد بالاستشراق الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي. والاستشراق ظاهرة ارتبطت بالعلاقات التاريخية الحضارية بين الشرق والغرب منذ كان الصدام بينهما إثر الفتوحات الإسلامية. فحينما انتشر الإسلام بسرعة أحس العالم المسيحي بالخطر، وحين فشلت الحروب الصليبية؛ ازداد الخوف من التيار الإسلامي؛ فبدأ التفكير في وقف ذلك التيار، والشروع في محاولات تشويه الإسلام والتشكيك فيه بتقديم صورة كريهة عنه، والبدء في عمليات التنصير. ومن هنا ارتبط الاستشراق في بداية تكوُّنه بالكنيسة، وبالحركة الصليبية عموماً، وإعتبر المستشرقون الأوائل عملَهم نوعاً من الكفاح ضد العروبة والإسلام، وأصبح المراد بالاستشراق محاربة الإسلام.

وأكد المستشرق الألماني رودي باريت[1] (Rudi Paret 1901 – 1982م) أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون

---

[1] أنظر: رودي باريت 1901–1982: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ نولدكه Theodor Noldke ترجمة مصطفى ماهر – ط1 القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967، ص11. ويذكر د. عبد اللطيف الطيباوي في كتابه (دراسة نقدية، المستشرقون الناطقون بالإنكليزية، ترجمة: د. قاسم السامرائي، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود 1991، ص 19).

إن خلفاء البيزنطيين في القرون الوسطى، فاقوا البيزنطيين في تنمية العداء والتحامل على الإسلام وبث المعلومات المشوهة عنه. "وهكذا كان الإسلام بالنسبة لهم من عمل الشيطان وكان القرآن نسيجاً من السخافات".

التالية هو التنصير، وعرَّفه بأنه إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى النصرانية.

ومنذ سنة 1412م أخذت حركة الاستشراق طابعها الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي القاضي بإنشاء كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

وبحلول العصور الحديثة اصطرعت في الدراسات الاستشراقية العوامل الدينية القائمة على التنصير والتبشير بالعوامل الاقتصادية الاستعمارية، واصطَبَغ ذلك كله بالمظاهر السياسية المتأثرة بالبحوث العلمية. وهكذا امتدت ظاهرة الاستشراق واتخذت أبعاداً وخلفيات، في المعاهد والجامعات الغربية، وهي وإن تأثرت بالدراسات اللاهوتية في مراحلها الأولى؛ فإن ضغوط الكنيسة بدأت تتقلص وتحل محلها الإيديولوجيات الحديثة، وبدأت الدراسات الاستشراقية تتأثر بالمعارف المستحدثة. ومن هنا عرف الاستشراق تحولات ومنجزات في حقول المعرفة عامة، وفي حقول المعارف الإسلامية خاصة. وأثبتت الظاهرة الاستشراقية فاعليتها وحضورها المعرفي في أكثر البلدان الأوربية، وأصبح الاستشراق مادة علمية ممثلة بكرسي في كل جامعة.

وكان القرآن محط أنظار المستشرقين عموماً؛ لأنه هو مصدر القوة في حياة المسلمين، وهو منبع الرؤية في حضارة الإسلام. فهو الموجه لحركة الحياة عند المسلمين، ولمناحي التفكير لديهم، وهو الأصل الأول في معرفة حقيقة الإسلام. وهو الذي يُحدد علاقة الإسلام بالديانات السابقة، إذ هيمن على الكتب السابقة، واستصفى مقاصدها في رسالات السماء إلى أهل الأرض. وكما وقف مشركو قريش من القرآن، واعتبروه شعراً مرة، وسحراً أخرى، وكهانة مرة، وأساطير الأولين مرات، وكما رموا صاحب الرسالة بالافتراء والكذب تارة، وبالجنون تارة أخرى، وبحثوا له عن مصدر في الأرض؛ كانت جهود الاستشراق لا تخرج عن هذه التوجهات والتوجيهات التي استفاد منها كثير من العلمانيين في عالمنا العربي طيلة القرن العشرين، وما يزال بعضهم تشكل لديه منطلقات فكرية و"منهجية". وباختصار ظل مشركو مكة وعدد كبير من المستشرقين، يعتبرون القرآن من تأليف محمد (صلى الله عليه وسلم). والملاحظ أن العداء التاريخي للإسلام ظل مترسبا في العقول، وأن نيرانه ظلت متقدة إلى اليوم.

وسعت جهود الاستشراق في معالجتها لموضوع القرآن أن تطمس مقولة الوحي فيه، وأن تُثبت بشريته ليتسنى لها أن تُطفئ نوره بين سكان المعمور، ولم يتحقق شيء من ذلك.

إن عناية حركة الإستشراق بالتراث الإسلامي العربي وحضارته قد فاقت كل الجهود التي قدمها الإستشراق لإختراق آفاق الشرق الفكرية والحضارية وإستكشاف أسباب قوته ومقوماته.

لقد أدركت الدوائر الإستشراقية أن الحضارة الإسلامية تشكل حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث، ومن ثم أسهمت في تحضير شعوب الأرض، وإيقاظ العقلية الأوروبية من سباتها، ودفعها إلى مدارج الرقي، والدخول في معترك النهضة الإنسانية الحديثة. من هنا إنطلقت جهود المستشرقين للتنقيب عن مصادر تراث هذه الحضارة، لفحصه وإخضاعه لما إستحدثوه من مناهج، لكن عقليتهم المشدودة إلى المادة، والواقع، والتجريب، لم تستطع أن تهضم المناحي الغيبية الميتافيزيقية في روحانية هذا التراث.

وكان لا بد أن تثار قضية الإعجاز القرآني في مجال الصراع بين الشرق والغرب، وأن تشغل جانباً من تفكير العقل الحديث، لأن النص القرآني يشكل قطب الرحى للحضارة الإسلامية، ولأن الإقرار بإعجاز القرآن هو إقرار ضمني بمصدره الإلهي، وإقرار بشرعيته، وإستمراريته، وإشعاعه الحضاري، وإثبات لوجود مقنني تعاليمه.

كما أثيرت قضية الشك في الشعر الجاهلي، في إطار إهتمام المستشرقين بالأدب العربي، لصلة هذا الأدب بكتاب الإسلام الأكبر، ولتحمل لغة العرب أسرار الإعجاز القرآني، ولأهمية هذا الأدب في دراسة الشخصية العربية. من هنا ركزت الحركات الإستشراقية جهودها على الأدب العربي قصد الوصول إلى معرفة إتجاهاته الأدبية، وسعياً إلى كشف المؤثرات التي تركها هذا الأدب في آداب أوروبا المختلفة إلى جانب ما تركتها آداب اليونان والرومان من جانب آخر.

ومما يثير الإنتباه أن جل المستشرقين جربوا حظوظهم في البحث في مجال الأدب الجاهلي، فمن أساطين الإستشراق الذين تناولوا الشعر الجاهلي بالدرس نذكر

(بثيودور نولكه)، و(كارل بروكلمان)، و(ريجيس بلاشير)، و(دالافيدا)... وتميز المستشرق الإنكليزي مرجليوث بالتطرف في نظرية الإنتحال في الشعر الجاهلي، إذ رفضه جملة.

ثانياً: الإستمداد من الغرب والتطلع إلى الحداثة.

تطور الإستشراق الألماني ودور المستشرقين من ثلاثينيات القرن الماضي إجتاحت الحضارة الغربية المعمور خلال القرون الثلاثة الأخيرة، فدان لها العالم بحدود متباعدة ومتفاوتة، وبدأت بتدجين الشرق، تركة الرجل المريض، منذ نهاية القرن التاسع عشر، فظل ذلك الشرق يصارع ويصارع إلى الآن.

وظل دهاقنة الفكر الغربي يراقبون التحولات التي برزت في بلاد الإسلام، بإعتبارها موطن دين وحضارة وتقاليد راسخة، وكانت نتائج التأثير الغربي في تلك البلاد فوق ما كان يترتبه دهاقنة ذلك الفكر. والواقع أن تأثر الشرق برياح هذا الوافد كان امراً طبيعياً فتلك هي سمة النماذج والتلاقي الإنسانيين.

هم راحوا يتطلعون إلى حضارات منطقتنا لينبشوا جذورها، بهدف تحليلها واكتناه أبعادها ومضامينها، في مقابل، بث آرائهم ومعارفهم من ضمن سياق محدد لمسارنا ينسجم مع توجهاتهم.

ما هو دور الإستشراق الألماني[2]؟

يؤكد مؤلف كتاب تاريخ الأدب العربي وإنسكلوبيديا الإسلام" كارل بروكلمان (1956 – 1868م) ان غالبية الدراسات التي خطها مستشرقون معظمهم ألمان في القرنين الماضيين تمحورت حول الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والقرآن الكريم.

ويذكر بروكلمان بهذا الصدد أسماء مثل: فرديناند فوستنفيلد وهاينرش ليبرشت فلايشر وثيودور نولكة[3]، مؤلف كتاب التاريخ والقرآن ط.1 (1860م). بين عامي 1885 و1887م صدر كتاب من جزأين عن "الإسلام في الشرق والغرب" لمؤلفه

(2) The study of Arabic and Islam at German Universities, Rudi paret German Orientalists since theodor Nōldke Franz Steiner Verlag GMBH WiesBaden 1968 (P1 20,21,22)

(3) المرجع السابق، ص 24-25.

أوغست موللر August Muller (1848-92). ولا يزال هذا الكتاب في هذا اليوم مرجعاً تاريخياً عن الإسلام. كما أن ريتشارد هارتمان (1965-1881م) كان أيضاً نشيطاً في كتاباته التاريخية عن الإسلام والعرب. فقد أصدر في العام 1915 كتاباً بعنوان "فلسطين تحت الحكم العربي: 632-1516" أيضاً "أزمات الإسلام" (1928م) و"الإسلام في الأزمنة القديمة والمعاصرة" (1927م). كذلك كتاب بعنوان "دين الإسلام" وهو مقدمة كتبها في العام (1944م).

كاتب آخر هو جورج يعقوب (1937-1862م) الذي إهتم أيضاً بالإسلام وصدر له كتاب "العصور الوسطية وعلاقاتها بالشرق والغرب" (1887م).

تلا هؤلاء في مطلع العشرينات من القرن الماضي إدوارد زاشاو Edwar Sachau بالتعاون مع أويغين متفوخ Eugen Mittwoch[4] وجوزيف هوروفيتس Josef Horovitz (1874-1931م) ومعه فريدريش شغاللي Friedrich Schwally وآخرون.

ويوهان فوك Johan Fuck (1894م) الذي ألف كتاباً عن "محمد إبن إسحاق" أيضا جوزيف بس. ريفلين الذي ألف كتاب "القانون في القرآن" وقد صدر في العام 1934م تلاه هنيرشي سبيريس Heinrich Speyr's مؤلف كتاب "قصص الإنجيل في القرآن" 1937م، أعيد طبعه في العام 1961م، وفي العام 1935م ظهر كتاب "محمد مؤسس ديانة" لمؤلفه كارل آهرينس Karl Ahrens وقد أراد المؤلف أن يبرهن على أن محمداً لم يتسلم أفكاره الإيحائية من المسيحية فحسب، بل أنه إعتمد على المسيحيين، تماماً، كما إعتمد على ممثلي الديانات الأخرى خلال وجوده في مكة[5].

أعمال أخرى عن القرآن ومحمد صدرت عن فرانتس بولز F rantz Buhls (حياة محمد) ترجمها إلى الألمانية تور أندرياس Tor Andr-AE`s (1932م) شاركه في ذلك هانز هاينريش شايدر (1930م). كذلك صدرت أعمال أخرى عن

(4) المرجع السابق، ص 24-25.

(5) المرجع السابق، ص 31-32.

القرآن لغوتهلف برغر شتراسر Gotholf Bergstrasser (1886-1933) وتلميذه أوتو برتزل Otto Prezel (1893-1941م).

صدر كذلك العديد من الكتب والمطبوعات إرتكزت محتوياتها على الروايات الشعبية ومترتبات حروب التوسع في زمن النبي محمد، منها كتاب لـ"مارتن هارتمان" (1851-1918) بعنوان "قصص بين هلال" (1899م)، أيضاً لـ"برنارد هيللر" قصة عنتر (1925م) وكتاب "مغزى قصة عنتر في تاريخ الأدب العربي المقارن كتاب د."رودي باريت" وهو صراط سيف إبن دي يزن" إنها رواية شعبية (1924م). أيضاً تاريخ الإسلام وانعكاساته في الأدب الشعبي العربي المعاصر" (1927) (راجع كتاب:

The study of Arabic and Islam at German Universities German Orientalists, since Theodor Noldke Franz Steiner Verlag Wiesbaden 1968, (p43,44)

ثالثاً: الإستشراق في حقبة الحداثة المعاصرة

لقد أصاب الضرر، على نحو كبير، المستشرقين الألمان والإستشراق بوجه عام، جراء سيطرة الحزب الإستبدادي النازي الهتلري على مقاليد الحكم في ألمانيا في العام 1933م. حتى أولئك الذين إستمروا يمارسون مهنتهم في البحث والتنقيب بدون الإحساس بأي أخطار قد تواجههم، فإنهم كانوا يعانون كثيراً من تبعات الواقع غير الإنساني والعادل.

وتجدر الإشارة إلى أن الشروط البحثية والمعيشية بالنسبة إلى الباحثين اليهود كانت غير ملائمة تماماً. فلقد واجهوا النفي وأحكام المحاكمات. كما أن هناك العديد من المستشرقين غير اليهود[6] واجهوا نفس المصير. كانت النتيجة، جراء كل ذلك، ليس إنخفاضاً في مستوى عمل ونوعية هؤلاء الباحثين والمستشرقين على الصعيد الألماني فحسب، وانما طال هذا الإنخفاض أيضاً، أولئك العاملين في المجتمعات الحرة الخارجة عن تأثير الإحتلال الألماني النازي. لقد أحدث الموت والدمار هوة كبيرة في مستويات أولئك الذين إنزووا بعيداً عن تأثيرات ما حصل والذين مارسوا حياتهم في عزلة روحية قاسية.

[6] المرجع السابق، ص 44-47.

بعد إنتهاء الحرب، وبعد ما بدأ الباحثون الألمان والشعب الألماني يدركون فظاعة ما حدث، شعر الجميع أنهم في "غيتوات" وأنهم تركوا لملاقاة مصيرهم.

في العام 1945م بدأ المستشرقون الأكاديميون يشعرون بالتحولات الحاصلة وجديد ما يحدث وتهيأوا لملاقاة التطورات على صعيد الأعمال الأكاديمية الدولية.

أعمق الجراح بدأت بالإلتئام. لكن الآثار لم تسمح تماماً. وعلينا كي نقيم التطورات الحديثة التي أصابت الدراسات الإستشراقية[7] الألمانية ألا ننسى ذكريات تلك الحقبة المؤلمة من تاريخنا.

صدر بين عامي 1952، 1953 و1959 كتاب "دليل الدراسات الإستشراقية" لمؤلفه برتولد شبولر (1941) Bertold Spuler وكان هدف هذا الكتاب تقديم عرض مبرمج لمختلف مراحل النظم الإستشراقية. كما ان عملاً مشتركاً كبيراً قد ظهر "تاريخ الأقطار الإسلامية" للمؤلفين: شبولر نفسه وج كيسلنغ J. Kissling، وهـ. شيل H. Scheel وج. بيشكي G. Jaschke. تبع ظهور هذا الكتاب صدور ثلاثة كتب حول المذهب السني، كما الشيعي والقاردجيتية لمؤلفه ي. فويك J. Fūck ور. شتروثمان وذلك في العام 1961م، إضافة إلى كتاب عن القانون الشرقي مع مقدمة حول "القانون الإسلامي الكلاسيكي" لمؤلفه أو شبيس وأي بريتش E. Pritsch.

إن الفهرس الإسلامي" الذي أصدره "أي. دبيرسون بين عامي 1956 و1960م والذي تضمن مقالات عدة حول الدراسات الإسلامية بين عامي 1906-1955م واكثر من 26,000 عنوان إضافة إلى 7,200 عنوان في الكتاب الملحق الذي صدر في العام 1960، غطى عملياً، حاجة كبرى لمثل عمل كهذا.

إن الأعمال التي صدرت في تلك الحقبة أظهرت نمواً متعاظماً لأعمال المستشرقين الألمان وإسهاماً كبيراً في حركة الإستشراق الإسلامية الدولية.

من هذه الأعمال سير لعلماء مسلمين عرب وعجم وأتراك. من بينها: كتاب عن "إبن خلكان" تأليف هيلموت ريتر Helmeut Ritter وس. ديدرينغ S.

[7] المرجع السابق، ص 44-48.

Dedering الذي صدر منذ عام 1931م بأربعة أجزاء وعمل جوزف فان إس Josef Wan Ess على إصدار الجزء التاسع.

كذلك صدر كتاب عن "إبن هيبين البوسطي" بعنوان: التقاليد المشهورة في الأقطار الإسلامية" لمؤلفه مانغريد فلايشهامر Manfred Fleischammer (1928م) وذلك في العام 1959م، إضافة إلى ذلك صدر كتاب عن "طبقات المعتزلة" للمؤلفة سوزان ديغالد – فيلسر في العام 1961م، وكتاب عن "أبو عبيدالله المرزباني" لمؤلفه رودلف شيلهايم (1928م) وذلك في العام 1964م. في العام 1963م صدر كتاب "العرب" لمؤلفه أدولف غرومان (1887م)، إضافة إلى ثلاثة أجزاء عن "العرب في العالم القديم" للمؤلفين ف. الثهايم ور. شيتل (1966–1963م). أيضاً كتاب "مملكة لهيين" (1950م) و"لهيين اللغة والحضارة، الليهانية في المملكة العربية الأولى" (1954م) تأليف فيرنركاسكل Werner Caskel (1896م) أيضاً كتاب عن "دور البدو في تاريخ العرب" (1953م) و"الإكتشافات في ديار العرب" (1954م).

كثيرة هي مساهمات المستشرقين الألمان في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى زمننا الراهن. فقد تناولوا التاريخ الإسلامي والعربي من مختلف جوانبه الحضارية والسياسية منذ زمن الأمويين والعباسيين. وإهتموا كثيراً بتاريخ مصر والحكم العثماني. ومن أبرز الكتب عن تاريخ مصر كتاب أدولف غروتمان (1887م) "دراسات حول الجغرافيا التاريخية والإدارية في العصور المصرية الوسيطة" الصادر عام 1959م[8].

فريتس شتبات (Fritz Steppat)

يحتل هذا المستشرق الإسلامي والعالم الألماني الذي ولد في العام 1923 وتوفي في العام 2006, في شهر تموز/ يوليو، مكانة مرموقة بين علماء الإسلاميات المعاصرين. فخلال أكثر من نصف قرن من الإحتكاك المباشر مع الشرق الإسلامي، حضارة وعقيدة ومجتمعاً، إستطاع أن يؤسس مدرسة متجددة ومعطاءة تعتمد الموضوعية والمقاييس العلمية في رؤيتها لقضايا الشرق الإسلامي ومشكلاته، أو

[8] المرجع السابق، ص 44-55.

للعلاقات بينه وبين الغرب، وأن يخرج أجيالاً من علماء الإسلاميات أغنوا المكتبات بالوفير من دراساتهم القيمة. ويدل نتاج شتبات العلمي الأصيل على تجربة ميدانية واعية إتجهت إلى معرفة حركة الإنسان والمجتمعات الإسلامية في الشرق، معتمدة على رؤية علمية نزيهة بعيدة عن التعصب والإنفصالية والأحكام المسبقة وإرث الماضي[9].

1- فريتس شتبات وأعماله

بعد حصوله على البكالوريا الألمانية (Abitur)، إلتحق بكلية العلوم الأجنبية (Auslauds wissen schaftliche fakultat). في جامعة برلين ونال شهادة الدكتوراه عام 1954. تتلمذ على يد المستشرق فالتر براونة (Walter Brausse) الذي كان بدوره تلميذاً لكارل هاينريش بيكر (Carl Heinrich Becker) ما بين عامي 1954 و1955، عمل شتبات مديراً لمعهد غوته في القاهرة، وأشرف على بعثة أساتذة ألمان درست اللغة الألمانية في معاهد مصر الرسمية. وأتاحت له هذه الإقامة أن يتقن اللغة العربية وأن يدرس الحياة الإجتماعية والسياسية في مصر، مما ساعده على كتابة أطروحته الثانية (Hails Chrift) عن تاريخ تطور التعليم الحديث عن مصر. وكان ذلك في عام 1964. وفي عام 1969، حصل على درجة الأستاذية من (جامعة برلين الحرة) (Freie Universitat Berlin) وعين أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية ثم مديراً لمعهد العلوم الإسلامية في الجامعة المذكورة. وبين عامي 1963 و1968، عاد شتبات مرة أخرى إلى البلاد العربية ليرأس المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. وتمكن خلال إقامته في لبنان من الإطلاع عن كتب على الأوضاع الإجتماعية والسياسية، مما راكم عنده المخزون الثقافي العلمي عن الشرق الإسلامي. والى جانب اللغة العربية، فهو يتقن الفرنسية والعثمانية والتركية الحديثة، فضلاً عن اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية.

إن أول نتاج علمي قام شتبات بنشره كان مقالاً بعنوان "تغيرات الإستقلال اللبناني"، وذلك في عام 1944. وبين هذا التاريخ وعام 1966، أي خلال أكثر من

[9] أنظر ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع والعشرين، تأليف د. عبد الرؤوف سنو، دار الفرات، بيروت 2007، ص 493.

نصف قرن من العمل العلمي الرصين، أصدر أكثر من خمسة وستين مؤلفاً ودراسة نشرت في أكثر دور النشر والمجلات العلمية سمعية: حوالي 30 مؤلفاً ودراسة عن الإسلام عامة، شملت موضوعات دينية وإجتماعية وسياسية. أما باقي مؤلفاته، فعالجت قضايا تتعلق بمشكلات البلدان العربية وايران وتركيا، وأزمة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، والعلاقات العربية[10].

كما قام شتبات بنقد أكثر من خمسين مؤلفاً علمياً. يقول شتبات في دراسته "بدايات العصر الحديث في الشرق الأدنى".. يجب علينا في العصر الذي أصبحنا ننظر فيه إلى العالم كوحدة، أن نعتبر تاريخ العالم وحدة أيضاً. وإنسجاماً مع مقولته هذه، عمل العالم شتبات خلال أكثر من نصف قرن، كي يكون وسيطاً ومفسراً بين الحضارتين المسيحية والإسلامية، والتي رفض أن يعتبرهما منفصلتين عن بعضها بعضاً، وذلك في سبيل إعطاء الغرب المسيحي، بعيداً عن إرث الماضي والتجربة التاريخية وأهواء المتلاعبين بالتاريخ، صورة دقيقة واقعية عن شريكه القابع في الشرق، والذي ينتمي إلى عقيدة وحضارة مختلفتين.

وهو يرى أن دخول أوروبا العصر الحديث لا يعني أن الشرق الإسلامي بقي بعيش عصوره الوسطى، أو أن الشريعة الإسلامية جامدة وقاسية فالشرق الإسلامي، برأيه، عايش على الدوام تطورات وتغيرات. فيعتبر الحملة الفرنسية على مصر بداية لتاريخ المشرق الحديث، رغم إشكالاتها في أنها كانت حركة مدفوعة من الخارج، أن المستشرقين لم يكن لهم دور فعال فيها.

كما يذكر نهضة مصر في عصر محمد علي، الذي كان هدفه إقامة دولة حديثة والفوز إستقلالين إقتصادي وسياسي والحفاظ عليهما، ولكن أوروبا حطمت مشروعه[11].

يرفض شتبات أن ينظر عالم الإسلاميات إلى تاريخ الشرق الإسلامي من منطلق التمركز الأوروبي أو الألماني على الذات، بل يرى أن عليه أن يضع الشرق

(10) أنظر: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع والعشرين، دار الفرات، تأليف د .عبد الرؤوف سنو، بيروت، 2007، ص 494.

(11) المرجع السابق، ص 496.

في الصدارة ضمن حقل إختصاصه. وفي المقابل، يطالب العلماء في الشرق أن يدرسوا المسيحية الغربية وحضارتها لكي يدركوا مشكلاتها.

نال شتبات شهادة الدكتوراه عام 1954 عن أطروحته "القومية والاسلام عند مصطفى كامل" فحاول فيها أن يتقص موقع هذا الزعيم المصري في القومية والإسلام، وتأثير كل منهما فيه، في جو المقاومة الوطنية المصرية للإحتلال البريطاني وعجز الدولة العثمانية "خلافة إسلامية" عن إنقاذ البلد. أما بالنسبة إلى الإسلام والشرق الإسلامي، فلم يكن ينظر إليهما كعاملي حضارة غريبين، ولم يكن ينظر إليه على أنه هدف إستعماري، كما لم يكن الشرق الإسلامي عنده عدواً يهدد الغرب المسيحي. لقد نظر هذا العالم إلى الشرق على أنه جار كبير ومهم لأوروبا المسيحية، التي عليها أن تسعى إلى فهمه وتتعايش معه وتتعاون وكل ذلك عبر الحوار بينهما. (المرجع السابق ص 498). ورأى شتبات "أن الإسلام لا يهددنا على العكس، إن المسلمين يشعرون من جهتهم أنهم مهددون وغير آمنين. صحيح "يتابع شتبات" أن شعوراً كهذا يمكن أن يؤدي إلى العدوانية، لكن هذه العدوانية ليست جوهر الإسلام " (المرجع السابق ص 499). كان شتبات موضوعياً وليبرالياً وحاول أن يدرس الحركة الأصولية الإسلامية. ولم يعتبر أنها نشأت عن الإسلام الأول، بل من الوضع التاريخي الراهن وأن الإحباط الذي أصاب المسلمين له أسبابه الداخلية والخارجية (دعم الغرب للأنظمة التي تمثل مصالحه وايضاً إلى الإستعمار)[12].

لقد حاول شتبات أن يبرز الإتجاهات السلمية للإسلام، وذلك من خلال رفضه نظرية الأستاذ الأميركي صموئيل هاننغتون الذي إعتبر في دراسة له "صدام الحضارات" أن المصدر الأساسي للصراع في العالم الجديد لن يكون من الدرجة الأولى أيديولوجياً ولا إقتصادياً، بل حضارياً، حيث يكون الدين العامل الأهم في إختلاف الحضارات[13].

في دراسته "عمر الاول" عالج شتبات سياسة الخليفة عمر بن الخطاب في إبعاد أهل الذمة من اليهود والمسيحيين عن الجزيرة العربية إلى سوريا والعراق

(12) المرجع السابق، ص 499.

(13) المرجع السابق، ص 501.

وخلفياتها في إطار وحدة دينية سياسية للجزيرة العربية كضرورة حتمية للوجود الإسلامي فيها، وذلك بشكل مخالف للسياسة التي سار عليها الرسول، وهي إبقاؤهم في المنطقة. ويضيف شتبات، إنه خلال خلافة عمر، كان هناك تفريق بين الإسلام والعروبة، وهذا ما جعل الدولة الإسلامية تحصل الجزية من المسيحيين، وفي بعض الأحيان تحت إسم آخر كما في حالة بنو تغلب. ثم يعالج مسألة "الشروط العمرية" وكتب الأمان التي منحتها الدولة الاسلامية إلى الزعماء الدينيين للجماعات غير المسيحية.

فيبرز مضامين هذه "الكتب" التي وفرت بموجبها الدولة الاسلامية الحماية للجماعات غير الاسلامية مقابل ولاءها لها ودفعها الجزية[14].

لقد حذر شتبات الغرب من الحديث عن الحظر الاسلامي ودعاه إلى فهم الاسلام والتعاطي معه من منطلقات الانفتاح والحوار والاحترام (1995) مقالة له في صحيفة رداً على الحملة الواسعة التي تعرضت لها عالمة الإسلاميات الألمانية آن ماري شمل.

أبرز كتب شتبات: خليفة الله – بدايات العصر الحديث – البدو كجماعة مهمشة في المجتمع الاسلامي.

كما أن أبرز ما عالجه عالم الإسلاميات شتبات من قضايا العرب المصيرية، إندرج تحت عناوين ثلاثة وهي: القضية الفلسطينية والثورة المصرية والصراع العربي – الإسرائيلي. وله في هذا المجال كتاب مهم هو "الصراع في شرق المتوسط بعد حرب 1967".

مراكز دراسات جامعية، مكتبات وأقسام للعربية والإستشراق

يوجد في عدد من الجامعات الألمانية أقسام وفروع لتدريس علوم النحو العربية وتدرس الآداب العربية (Arabistic) في أقسام الإستشراق و"العلوم الإسلامية" (Islam Wissen Schaften)، وتوضع رسائل جامعية كما تكتب أبحاث في هذا المضمار، قديمة وحديثة. فدراسة اللغات والثقافات والآداب الأجنبية في الجامعات

(14) المرجع السابق، ص 503.

الألمانية تشمل عدداً كبيراً من اللغات والآداب الأجنبية حتى الصغير والقديم والبائد منها.

وبالإضافة إلى الجامعات تعلم اللغة الألمانية في مؤسسات تعليم الكبار، كالمدارس الشعبية العليا (Volkshoch schulen) ومعاهد اللغات الخاصة، وفي معهد الولاية للغات العلاقات الأدبية السورية– الألمانية المعاصرة واقعها وآفاقها (Landess prachen institut) بمدينة بوخوم، الذي يحوي قسماً للغة العربية (Arabicum) وقد أصبح تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية ميداناً يعمل فيه عدد كبير من المدرسين، مما شجعهم على إنشاء "رابطة مدرسي العربية" التي تقيم مؤتمراتها وتصدر أدبياتها. وفي ضوء ذلك يمكن القول: إن هناك ظرفاً ملائماً لإستقبال الأدب العربي في ألمانيا.

وفي ما يلي كشفاً بأقسام الإستشراق وتعليم اللغة العربية واللغات السامية ومعارف الدين الإسلامي ولغات قديمة وحديثة أخرى في الجامعات الألمانية.

جامعة برلين الحرة Freie Universität

قسم اللغات السامية والأديان والإسلاميات.

معهد الدراسات الشرقية، فرع الدراسات العربية[15]

جامعة بون Bonn Universität

قسم اللغات السامية، إسلاميات ودراسات شرقية (عربي وتركي) (المصرية القديمة)[16].

جامعة أرلنغن الهرغليفية Erlangen Universität

الهرغليفية (المصرية القديمة) قسم اللغات السامية والدراسات الشرقية سيمينار حول "أرابيستك"[17] (Araistic seminar)

جامعة فرانكفورت Frankfurt Universität

"سيمينار" حول الدراسات الشرقية العربية، العبرية، التركية، الإيرانية[18].

(15) Denkschrift, Orientalistik Deutsche Forshungs - gemeimen schaft prof. Dr. ADAM Falkenstein Franz steiner Verlag GMBH, Wiesbaden 1960, S, 56, 60

(16) المرجع السابق، ص 60-65.

(17) المرجع السابق، ص 70-75.

(18) المرجع السابق، ص 20-23.

جامعة فرايبورغ Freiburg Universität

قسم اللغات السامية – الدراسات الإسلامية الشرقية (الإيرانية، التركية، العربية)[19].

جامعة غوتنغن Göttingen Universität

قسم للدراسات المصرية القديمة (الهيريغليفية)

قسم للدراسات السامية، الدراسات الإسلامية الإيرانية، التركية

سيمينار حول "الأرابستك"[20]

إضافة إلى جامعات: هامبورغ، هايدلبرغ، كيل، كولونيا، ماينز، ماربورغ، ميونيخ، مونستر، ساربروكن، توبنغن، حيث يوجد في كل الجامعات أقسام للدراسات الإسلامية الشرقية وإستحدث في بعض فروع لإقامة "سيمينارات" حول اللغة العربية وآدابها.

هناك أيضاً في عدد من الجامعات الألمانية مراكز للدراسات السياسية والإقتصادية المتخصصة بالشرق الأوسط والمنطقة العربية.

كما يوجد في عدة مدن وجامعات مكتبات تضم ملايين من الكتب وأقساماً مضافة للغة العربية. أبرز هذه المكتبات: المكتبة الحكومية في منطقة بايرن (ميونيخ)، مكتبة غرب ألمانيا في بلدة ماربورغ التي تأسست في (1661-1558م)، مكتبة توبنغن الجامعية التي تحتوي على حوالي 14500 عنواناً لكتب شرقية وعربية، كذلك مكتبة غوتنغن التي تضم عدداً كبيراً من الكتب العربية والشرقية القديمة والحديثة. ومن المكتبات الهامة مكتبة لايبزغ التي تحتوي على مخطوطات شرقية وعربية قديمة.

شخصيات عربية أدبية وثقافية تقاطعت مع التراث والفكر والحضارة الألمانية وتطلعت إليها.

وصف مهتمون العلاقات العربية الألمانية بالمتطورة في جانبها الإقتصادي، وبالضعف في جانبها السياسي، وفي بداياتها في الحقل الثقافي. هناك مشتركات بين

(19) المرجع السابق، ص 75-80.

(20) المرجع نفسه.

ألمانيا والعالم العربي يمكن أن تطور لصالح الشعبين والثقافة في مقدمة هذه العوامل التي بإمكانها ان تعزز هذه المشتركات. قد تكون اللغة عائقاً أمام هكذا تطوير، غير أنها ليست سبباً مقنعاً كي تشكل عقبة جدية، طالما أن الإقتصاد أصبح عاملاً حاسماً في تقرير متانة العلاقات بين الشعوب. إن المدخل إلى تقوية الأواصر الثقافية قد يكون الإقتصاد إذا توفرت الرغبة والعزيمة لذلك. هنا يلعب الإستشراق الثقافي والترجمة وإعلاء شأن اللغة كأداة للتقارب، دوراً مهماً في هذا الشأن. إن دور معهد "غوته" الذي أنشأته الحكومة الألمانية في العديد من الدول العربية مميز، غير أن المهم هو تفعيل هذا الدور عبر المدخل الإقتصادي، وصولاً إلى تعميم ثقافة العولمة المقتسمة بالتمازج والتفاعل على كافة الصعد إقتصادياً، إجتماعيا، بيئياً وحتى سياسياً.

ما العلاقات الأدبية والثقافية بين شعبين؟ ولماذا ندرسها؟

إنها بإختصار مجموع ما يستقبله شعب من أدب شعب آخر، عبر الترجمة، والتوسيط النقدي، وتعليم اللغة الأجنبية وتعلمها، أنها مجموع عمليات التبادل الأدبي التي تتم بين شعبين. وتأتي أهمية هذه العلاقات من حقيقة أن إستقبال أعمال من الأدب الأجنبي يقدم للطرف المستقبل صورة عن الشعب الأجنبي وأوضاعه وقضاياه. ويتم ذلك بوسائل جمالية تؤثر في المتلقين الأجانب فكرياً وعاطفياً، وتساهم بفاعلية تكوين موقفهم من الشعب الأجنبي. إن الأعمال الأدبية المترجمة إلى اللغات الأجنبية هي سفراء شعوبها إلى الشعوب الأخرى، ولهذا تقوم الدول المتقدمة برعاية أولئك السفراء وتعزيز دورهم عبر توفير الدعم المادي لترجمة اعمال من آدابها إلى اللغات الأجنبية. فهذا النوع من التبادل الثقافي يعد بحق من أرقى أساليب حوار الحضارات. وينطبق هذا على إستقبال الأدب الألماني والثقافة الألمانية والإستشراق الألماني في الوطن العربي وعلى إستقبال آداب العرب وثقافتهم في ألمانيا.

1- مفهوم العلاقات الأدبية

لقد ألفنا عند التحدث عن العلاقات بين الدول والشعوب أن نتحدث عن علاقات دبلوماسية وأخرى اقتصادية وعسكرية وثقافية.. أما أن يتحدث المرء عن علاقات أدبية فهو أمر لم نألفه بعد، وذلك خلافاً لما هو معروف ومألوف في كثير من الجامعات الأجنبية، حيث تشكل "العلاقات الأدبية الدولية" ميداناً رئيساً من ميادين

علم الأدب المقارن. فما هذه العلاقات؟ باستطاعتنا، ودون أن ندخل في التفاصيل، أن نعرّف العلاقات الأدبية الدولية بأنها تلقي الأدب القومي لكل شعب من قبل الشعوب الأخرى. أما مصطلح "التلقي" أو "الاستقبال" الذي نستخدمه فنعني به التلقي بكلّ أشكاله، من ترجمة وتوسيط نقدي تفسيري وقراءة وتأثر إبداعي وتدريس في المؤسسات التعليمية. وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن القول: إن العلاقات الأدبية العربية–الألمانية هي مجموع ما يترجم إلى العربية، ويدرّس في الجامعات، ويكتب عنه عربياً من أعمال أدبية ألمانية، ومجموع ما يترجم إلى اللغة الألمانية، ويدرّس في الجامعات الألمانية، ويوسّط نقدياً وتفسيرياً في ألمانيا من أعمال أدبية عربية. وباختصار شديد فإن العلاقات الأدبية العربية–الألمانية هي تلقي الأدب الألماني في الدول العربية، وتلقي الأدب العربي في ألمانيا.

كانت مصر سباقة في التطلع نحو الثقافة الألمانية والأدب الألماني والفن الألماني وليس صدفة أن قدم الألماني أدوارد فريد هايم (1867–1922) عام 1904 مجموعة من 210 لوحات فنية بتوقيع فنانين عالميين، لبلدية الإسكندرية ومبلغ 500 جنيه ذهباً (ما يوازي مليونا ونصف مليون جنيه الآن) مشترطاً أن تقيم البلدية مكاناً لائقاً لعرضها، علماً أنه كان أحد أهم مقتني اللوحات في ذلك الوقت.

ظلت اللوحات والجنيهات الذهبية أسيرة خزانة بلدية المدينة سنوات طويلة تنتظر من يطلق سراحها حتى العام 1936 عندما وهب البارون اليهودي المجري الأصل جاك ليفي دي منشا، المعروف بعشقه للفن، فيلا يملكها في حي محرم بك الراقي لتكون مكتبة ومتحفاً للفنون العالمية.. مؤخراً، تلاحق المتحف مع مكتبة البلدية، وأطلق عليه إسم مؤسسه "متحف حسن صبحي"، ويضم روائع اللوحات لمستشرقين ورسامين كبار.

كما أن المستشرقين الألمان تطلعوا نحو مصر كونها مهد الحضارة الفرعونية. من الشخصيات الثقافية المصرية التي إحتكت بالثقافة الألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوي وعبد الغفار مكاوي، محمد عوض محمد، محمود إبراهيم الدسوقي، د. باهر الجوهري وغيرهم. ويعتبر بدوي من أبرز هؤلاء لغزارة إنتاجه وإبتكاره مساراً مصرياً للفكر الأوروبي الفلسفي والأدبي.

النشأة: التعليم والتكوين والتأليف والترجمة

كتب الراحل الدكتور عبد الرحمن بدوي سيرة حياته في جزئين أو وحدتين. والواقع أن هذه السيرة أتت في مرحلة متأخرة من عمر قضاه أساساً في البحث والتحقق والتأهيل، فإعتمدت ترجماته بكليتها على إمتداد كافة الحقول، وباللغات التي ظهرت فيها والألمانية في مقدمها. يقول في هذه السيرة: "ولدت في القاهرة سنة 1917م وبالتحديد بعد أربعين شهرا على حادث الرصاصة التي أخطأت والده، في إحدى قرى مصر من أب امتهن القضاء وجمع بين العلم والمعرفة، وفي وسط ارتبط فيه الفلاحون بالأرض، واختاروا حياة البساطة والقيم السامية:

وكان ميلادي بعد ذلك بأربعين شهرا، في الرابع من فبراير/ شباط سنة 1917 م. (ص/2–52)

"تشرب عبد الرحمن بدوي التعليم الأولي في هذه القرية، لينتقل بعد ذلك إلى إحدى المدارس الابتدائية حيث جمع بين اللغة العربية وتعلم الحساب، إلى اللغة الإنكليزية. ولقد أبان عن تفوقه في المستويين الابتدائي والثانوي، وفق ما دل عليه ترتيبه سواء في الشهادة الابتدائية أو الثانوية:

وحصلت في مايو/ أيار 1929م على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية في مدرسة فارسكور الابتدائية وكان ترتيبي هو الرابع والخمسون بعد الثلثمئة". (ص/31)

"وأتممت دراستي الثانوية في المدرسة السعيدية، وحصلت على الباكالوريا شهادة الثانوية العامة الآن وكان ترتيبي الثاني على جميع طلاب القسم الأدبي في القطر المصري" (ص/55). على أنه في هذه المرحلة بالذات انفتح على اللغات الأجنبية، حيث إلى إتقانه الإنجليزية، شرع ومنذ 1932م في تعلم اللغة الألمانية في مدرسة للراهبات، ليتم تحديد توجهه البحث والمعرفة والدراسة في الحقل الفلسفي الذي حصل فيه على الليسانس، وعين كمعيد لقسم الفلسفة في 1938م قبل نيل شهادة الدكتوراه .

والملاحظ أن بين انتهاء التعليم الابتدائي, 1929م والجامعي 1938م يكون بدوي قد أحرق المراحل في ظرف يكاد لا يجاوز العشرين سنة. على أن ما واكب هذه المرحلة بدايات التأليف والنشر، إذ وفي سنة 1939م أصدر

بدوي كتابه الأول عن [نيتشه] الذي لاقى إقبالا ورواجا جعله يصل في تلك اللحظة إلى الطبعة الخامسة". وتوالت فيما بعد الإصدارات إلى أن بلغت مئة وعشرين كتاباً؛ وكان أول إنتاج لي هو كتاب نيتشه الذي ظهر في تشرين أول/أكتوبر سنة 1939م. وبعد ظهور كتابي نيتشه بستة أشهر صدر كتابي الثاني وهو: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية" (ص/150). والواقع أن النشر والتأليف وليد المنهج المحدد والمعتمد، كما الحقل المختار للعمل والإنجاز. فإذا كان بدوي اشتغل بالقديم تأليفا وتحقيقا، وبالحديث تعريفا وتقديما ومناقشة، فإن كفاءة الإنجاز وقيمة المنجز تحققا معا في حصيلة المحاضرات والتأليف على تنوعها: وقد آليت أنا على نفسي بعد هذا أن أجمع بين كلتا الطريقتين ما استطعت: فأتعمق فهم النص القديم أو الحديث وأحفره حتى أعمق أعماقه، وفي الوقت نفسه أتحرر مما فيه من آراء فلا أسمح لها بأن تعوق انطلاق تفكيري المستقل. ولست أدري إلى أية درجة أفلحت في هذا التزاوج بين كلتا الطريقتين. والآن وقد تجاوزت كتبي المئة والعشرين أستطيع أن أقول بكل فخر واعتزاز إنني حققت هذه الخطة تحقيقاً كاملاً.

في الجزء الثاني: وحدة الخارج: وهي في الأصل استكمال للوحدة الأولى مادامت تغطي الجزء الثاني من هذه السيرة وتمتد من : 1967م وإلى 1988م وتعكس السنة الأولى الخروج من مصر نحو المنفى، إلى هزيمة مصر، في حين أن الثانية تجلو مرحلة تدوين وكتابة هذه السيرة بفرنسا التي قضى فيها بدوي شطرا وافيا من حياته إلى إصابته بالمرض. ولقد جمعت الوحدة شخصية المحاضر والمدرس والمؤلف.المحاضر من خلال الدعوات التي كان تلقاها بدوي من لدن شخصيات فكرية بارزة، إلى المحاضرات في موضوعات جد دقيقة : وقدمني الأستاذ جاك بيرك في الكوليج دي فرانس وأثنى على إنتاجي العلمي ثناء مستطابا مسهبا استحق مني أصدق الشكر وعرفان الجميل.

كذلك طلب مني مدير معهد الدراسات الإسلامية الأستاذ روبير برنشفك إلقاء محاضرة عامة في قاعة كوشي بالسوربون.

على أن الأمر لا يقتصر على المحاضرة فحسب، وإنما يمتد للمشاركة في التيارات الفكرية والأدبية الأوروبية وانتقادها: لهذا كانت رسائل الدكتوراه هي ميدان الدراسات العربية والإسلامية ذات مستوى منحط جدا. وقد أسرف زعماء البنياوية في

اختراع رطانات طنانة لو حللت معانيها لما كشفت عن شيء جديد.

ويعود كما سلف للمكتبة الوطنية بباريس القيمة الكبرى في مسار التأليف والكتابة والتحقيق. بيد أن هذه المرحلة بالذات ستعرف اعتقال عبد الرحمن بدوي بليبيا بعد تدريسه فيها، إلى عودته عودة قصيرة لمصر 1973م وزيارته لإيران، ثم رجوعه النهائي إلى فرنسا حيث انتهى مريضا. واللافت على امتداد الوحدتين قوة الوعي السياسي المبكر، وهي قوة تحققت بالاحتكام إلى المقارنة بين زمن ما قبل ثورة 1، 1952م وفي أعقابها، إلى مرحلة الرئيس الراحل محمد أنور السادات. والبارز أن مرحلة الثورة نالت أقسى النقد داخل هذه السيرة ما دامت قد مست الريف والفلاح والممتلكات في تصور صاحب السيرة.

دلالات قوة الشخصية

إن الربط بين وحدة الداخل والخارج يشكل الوحدة الكبرى: سيرة حياتي. ومن خلالها يتم التعرف على أهم المحطات الأساس في حياة الدكتور عبد الرحمن بدوي وفق روايته لها معتمدا ضمير المتكلم. وفي الآن ذاته يتم الاهتداء إلي أبرز السمات والخاصات التي تفردت بها هذه الشخصية، والتي نذكر من بينها:

1- **التفوق والانفتاح**: وتجسد الأول في الدراسة والبحث والتأليف، مما أثمر آثارا معتمدة إلى اليوم كمراجع في حقل البحث الفلسفي. وأما الانفتاح فتمثل .كما سلف . في الاطلاع على اللغات الأجنبية، إلى الأشعار العالمية، والفنون متجلية في الموسيقى والمعمار: إني أعد الموسيقى أعظم إنتاج انفردت به الروح الأوروبية. (ص/94)

2- **حس المقارنة والنقد**: ويمكن القول إن هذا الحس وليد الاطلاع العميق والمعرفة الشاملة، إذ ومن خلال المقارنة بين الأفكار والكتابات الفلسفية كانت أم أدبية كما المقررات التربوية والتعليمية، تشكلت شخصية عبد الرحمن بدوي المستقلة والناقدة: ولو كان لمحمد عبده من الإنتاج الفكري ما يشفع له في نيل هذا اللقب، لاتسع وجه العذر.. ولكنه كان ضئيل الإنتاج جدا إذ ليس له إلا كتاب صغير هو[رسالة التوحيد] وهي دروس ألقاها في بيروت بعد خروجه من مصر، وهي متن في علم التوحيد واضح العبارة حسن الأسلوب، لكنه من حيث المادة خجل بسيط لا يفيد إلا المبتدئين

في هذا العلم. (ص/51)

وما كتبه وجمع في كتابه حديث الأربعاء وما أشبهه، لا يؤلف وحدة متصلة، بل هو في الغالب انطباعات متناثرة ولمحات قصيرة. (ص/57)

3- المبدع: لم تخل حياة عبد الرحمن بدوي من الإبداع، ولعل في كتابه المشار إليه الحور والنور الدليل الأوفى.

ويمكن القول إن الارتباط بالجمال والحب والعشق قد لعب دورا في إذكاء الحس الإبداعي المتمثل في اللوحات الوصفية النثرية إلى القصائد الشعرية مما هو مثبت في السيرة.

الدكتور عبد الغفار مكاوي

أستاذ فلسفة ومترجم وكاتب أدبي وفلسفي مصري. يعتبر من أفضل المترجمين من اللغة الألمانية للعربية. ترجم أعمال لكانت وهيدغر إضافة لأعمال أدبية ونقدية كثيرة. ولد في 11 كانون الثاني/يناير عام 1930م، محافظة الدقهلية.

المؤهلات العلمية

ليسانس فلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام 1951م.

الدكتوراه في الفلسفة والأدب الألماني الحديث من جامعة فرايبورغ عام 1962م.

التدرج الوظيفي

عمل بقسم الفهارس الأجنبية بدار الكتب المصرية.

التدريس بقسم اللغة الألمانية، عام 1965م.

التدريس بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام 1972م.

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام 1973م.

التدريس بجامعة صنعاء اليمن في الفترة من عام 1978حتى عام 1982م.

التدريس بجامعة الكويت في الفترة من عام 1985 حتى عام 1995م.

المؤلفات الأدبية

له العديد من الإنتاج الأدبي، ومنه:

كتابة الشعر، القصة القصيرة.

ترجمة مقالات عن توفيق الحكيم.

ترجمة بعض المقالات من الأدب الغربي.

ترجمة أشعار إليوت وغيره، والتي نشرت في مجلات الثقافة والأدب والمجلة والأديب والآداب.

كما تمثل نشاطه الأدبي والفلسفي في صورة مقالات ودراسات نشرت في كتابين هما: مدرسة الحكمة، والبلد البعيد، بالإضافة إلى الترجمات الشعرية والمسرحية عن الأدب الألماني بوجه خاص (بوشنر وبرشت وغوته ومعظم الشعراء الأوروبيين المعاصرين). كتب في مجلتى المجلة مع الأستاذ يحيى حقى، والفكر المعاصر مع الأستاذ فؤاد زكريا. صدر له ابتداء من عام 1970م العديد من الكتابات في المجال الأدبي منها:

مجموعات قصصية:

ابن السلطان، ضمن سلسلة اقرأ؛ الست الطاهرة؛ الحصان الأخضر، يموت على شوارع الإسفلت، 1981م.

بعض المسرحيات من ذات الفصل الواحد ومنها:

من قتل الطفل، القاهرة، عام 1984م؛ زائر من الجنة، القاهرة، عام 1985م؛ دموع أوديب، القاهرة، عام 1987م؛ القيصر الأصفر ومسرحيات أخرى شرقية، القاهرة، عام 1989م؛ هو الذي طغى، القاهرة، عام 1992م؛ بشر الحافي يخرج من الجحيم؛ محاكمة غلجاميش؛ الكلاب تنبح القمر.

دراسات أدبية

سافو: شاعرة الحب والجمال عند اليونان، القاهرة، عام 1966م.

ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر، القاهرة، عام 1970م.

ثورة الشعر الحديث، عدة طبعات، القاهرة، أعوام 1972، 1974، 1998م.

المسرح التعبيري، القاهرة، عام 1984م.

شعر وفكر، القاهرة، عام 1997م.

عصور الأدب الألماني، الكويت، 2002م.

المؤلفات العلمية

له العديد من المؤلفات في المجال العلمي ومنها:

مدرسة الحكمة، القاهرة، عام 1967م.

المنقذ، القاهرة، عام 1987م.

الحكماء السبعة، القاهرة، عام 1990م.

النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الكويت، عام 1994م.

مارتن هايدغر، نظرية أفلاطون عن الحقيقة، ماهية الحقيقة أليثيا (ثلاثة نصوص من كتاب الذكر: نداء الحقيقة، القاهرة، أعوام 1997، 1998، 2002م.

قصيدة وصورة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،

جذور الاستبداد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،

الجوائز والأوسمة

جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام 2003م.

باهر الجوهري، وهو من مترجمي الجيل الثالث الذين إهتموا بترجمة الروايات الأدبية، وله عدد من الترجمات. وكان ترجم رواية اليافعين المعنونة تحت عنوان "مومو". غير انه تنبه إلى أن اللبنانية نهى فورست الصراف قد سبقته إلى ترجمتها، مع إضطراره إلى عدم نشر الترجمة لهذه الرواية.

في لبنان، يعتبر الشاعر الراحل فؤاد رفقة من أبرز الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة ونقل التراث الثقافي والأدبي الألماني إلى العربية، فقد ترجم العديد من الدواوين الشعرية، كما ترجم له بعض الدواوين إلى اللغة الألمانية.

من الكتب التي ترجمها إلى الألمانية كتاب لـ"هيرمن هسي" بعنوان قصائد مختارة. وقد صدر عن دار نلسن للنشر ببيروت وصدرت الطبعة الأولى في العام 2009م.

" أما لماذا هيرمن هسّي؟ الجواب: لأن رؤيته تعيدنا إلى الشعر، في هذه العودة نتجه إلى منبعه الأولي، منبعه الأولي سّر الكينونة التي هي الله، لغته في عناصر هذا الكون وأشيائه المرئية، يترجمها الشاعر إلى أغنية الشعر غناء كوني. رؤية هيرمان هسّي ننتشل الشعر من غبار "الزمن الحديث" وتنقذه، تنقذ الحقيقة[21].

كتاب آخر نقله إلى العربية هو "قصائد ألمانية معاصرة" (1868-1962م)، وقد صدرت طبعته الأولى عام 2008م عن دار نلسن. تحقق هذا العمل بدعم من برنامج معهد غوته للترجمة.

نبذة

ولد فؤاد رفقة (1930 – 2011م) في قرية الكفرون السورية على أطراف وادي النصارى. حين بلغ العاشرة، انتقل مع عائلته إلى بيروت، حيث تابع دراسته التكميلية والثانوية في طرابلس. انتقل بعدها (1949م) إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وأتمّ دراسته فيها حتى نال الماجستير في الفلسفة الغربية، عن أطروحة تناول فيها فيلسوفاً انكليزياً ينتمي إلى المدرسة الوضعية. لكن ألمانيا فتحت له ذراعيها بمنحة دراسية من جامعة توربينغن ليحمل الدكتوراه عن أطروحة بعنوان "نظرية الشعر عند مارتن هايدغر". في الكفرون، لطالما شعر فؤاد رفقة بميل إلى الطبيعة والتأمل، فكان يمضي غالب وقته في البساتين والبراري، وحيداً مع رائحة الارض والهواء والماء. وهذا ما بلور ذاكرته الشعرية ووسمها بذلك الفضاء. كان عمره 13 سنة، حين ألقى أول قصيدة له اثناء عرض مسرحي في المدرسة. ترجم فؤاد رفقة ريلكه وتراكل وهولدلرن وهرمان هيسه ونوفاليس وسواهم. من أعماله الشعرية "مرساة على الخليج"، "حنين العتبة"، "العشب الذي يموت"، "علامات الزمن الأخير"، "قصائد هندي أحمر"، "جرّة السامري"، "سلة الشيخ درويش"، "أنهار برية"، "عودة المراكب"، "خربة الصوفي"، "كاهن الوقت"، "أمطار قديمة"، "خربشات في جسد الوقت"، "بيدر"، "مرثية طائر

[21] هيرمان هسي، قصائد مختارة، ترجمة فؤاد رفقة، دار نلسن للنشر، بيروت 2009.

القطا"، "تمارين على الهايكو"، و"محدلة الموت وهموم لا تنتهي"[22].

****

رحل الشاعر فؤاد رفقة (1930 – 2011م) بصمت تماماً كما قصيدته، وهو منذ ديوانه «مرساة على الخليج» الذي صدر عام 1961م عن «دار مجلة شعر»، كان مشغولاً بمسألة الوجود، وهو الشاعر الذي انتمى إلى مجلة «شعر» عام 1957م، فكان إلى جانب يوسف الخال وأدونيس وأنسي الحاج وشوقي أبي شقرا وعصام محفوظ ومحمد الماغوط، لكنه بالقدر نفسه لم يكن صاخباً مثل أقرانه أو رعيله، فكان أحد الرواد لكنه لم يكن نجماً ولا «صاحب مدرسة»، فبقي حتى أيامه الأخيرة مشغولاً بالشعر الألماني الممزوج بالفلسفة وفي كتابته انهمك في أسئلته وهواجسه الوجودية والطبيعية.

فؤاد رفقة الذي زاوج بين الشعر والفلسفة، ترك وراءه مجموعة من الدواوين أبرزها: «مرساة على الخليج»، «حنين العتبة»، «العشب الذي يموت»، «علامات الزمن الأخير» «أنهار برية»، «عودة المراكب»، «خربة الصوفي»، «كاهن الوقت»، «بيدر»، «مرثية طائر القطا»، «تمارين على الهايكو»، «محدلة الموت وهموم لا تنتهي»، و«عودة المراكب» التي يستهلها بشبه مقدمة أسماها «إشارة»، وقال فيها: «سنة 1961م ظهرت مجموعة شعرية عنوانها «مرساة على الخليج»، في هذه المجموعة البكرية رفع الشاعر مرساته وغامر صوب الأفق من دون أن يعرف إلى أين، في هذه المغامرة عرف الأقاليم والخلجان، تعلم لغات غير موطوءة، وفي نهاية المطاف أدرك أن النجوم البعيدة تظل بعيدة، فعاد إلى شباكه الممزقة صيد أقل بكثير من الحلم.

يعرف الآن أنّ المهمّ في هذه المغامرة هو المغامرة ذاتها، لا نتائجها، فالنتائج كلها حشيش يابس في النّار، كذلك يعرف الآن أنه في هذه المغامرة كان عليه أن يسكن العزلة القداسة، فالخصومة بين الإبداع ونداء الجسد قديمة ودائمة الهدير، وهو يعرف الآن أنّ ما أصابه في هذه المغامرة لم يكن مصادفة، فالأقدار أبداً ودائما ترسم

(22) "النهار" اللبنانية، 2011/5/15.

الخرائط والاتجاه». وختم رفقة بقصيدة: «أيتها الأرض/ هو ذا ابنك الضال/ من التيه في الأنواء/ بلا وجه يعود/ فضمدي شظاياه/ مدي له السرير/ أغلقي النوافذ/ وأطفئي الشموع../ رائعة كانت البحار/ تحت الشمس/ رغم الصواعق».
كتب فؤاد رفقة سكونه الروحي وطقوسه الدينية، وتجلياته بين الكلمة والذات، بين الطبيعة والإنسان، بين الأرض والحياة، بين الزمان والمكان، فهو كأنه يجلس في صومعة تارةً، وبين أحضان الطبيعة طورًا، متأملاً، غارقًا في ما يسميه «وادي الطقوس» (عنوان أحد كتبه)، تلك الطقوس التي تنتج العبارات الدافئة، وبخور المعنى، وصلاة الكلمات، وقداديس الشعر، تلك الطقوس التي ترشدنا إلى أن كل شيء يصل إلى اللاشيء، أو السيزيفية التي أيضًا هي مرآة كل شيء.
وفي قصيدة «باشق» من ديوان «عودة المراكب»، قال رفقة: «قفص معدني/ من ثقوبه/ باشق يلمح الأحراج/ رائحة الوعر: يدور/ حول نفسه يدور/ يتعثر/ يسقط/ في ريشه يغيب/ تحت أشلاء الصور/ صديقان هو وحطاب الشعر». هل الشاعر حطاب؟ كتب رفقة شعر الحداثة في أجواء الريف والأرض والفلاحين بعيداً عن المدينة وأحوالها وزحمتها. بل كتب ما يشبه التنديد بالتقنية الحربية: «تحت رمانة خريفية/ آخر النهار،/ نعاس،/ لا ذاكرة ولا أحلام،/ فجأة/ عبر الأطلسي/ إف 16 تشق المحيط/ في سماء النجوم والأقمار/ ترسم خرائط الدماء».
رأى رفقة أنه لا يمكن فهم أي شاعر من دون خلفية فلسفية، «مثلما لا يمكن فهم هايدغر من دون الاطلاع على ريلكه وهولدرلن وتراكل... حتى أن بعض الفلاسفة في ألمانيا يعتبرون الشعر أهم من الفلسفة. إذا أردت أن تعرف نظريتك مضبوطة أم لا، إقرأ الشعر».

كتب رفقة أطروحة الدكتوراه في الفلسفة حول مفهوم «الجمال عند هايدغر»، وهو اعتبر أن الثقافة، الشعر والفلسفة تتوءم في داخله. وشعره يستلهم من الفلسفة، تمامًا كما يستلهم فكره من الشعر. وعلى هذا فقصيدته «إف 16» تذكّرنا بالفلسفة الهايدغرية، إذ أشار هايدغر إلى أن انتشار التقنية يصاحب بانسحاب لـ«موضوعات» الطبيعة التي تترك المكان للأشياء القابلة للاستهلاك. فـ«الراين» مثلاً، لم يعد ذلك النهر العظيم، نهر شومان وهولدرلن، نهر المنظر الجميل، وإنما «غدا موضوع زيارات تنظّمها وكالة أسفار أقامت على ضفافه صناعة خاصة بالعطل».أما الغابات

فأصبحت «مناطق خضراء» أي كائناً داخلاً في مخطط استهلاكي».

مع انتشار التقنية إذاً أصبحت الطبيعة كلّها «مدخرات». لكن الغريب أن الادخار لا يحيل هنا إلى الثبات والبقاء والدوام. وإنما، على العكس من ذلك، إلى الحركة والانتقال والزوال. لذا قال هايدغر «إن الكائن اليوم هو الكائن القابل للاستبدال». حتى الموت فقد اخترقته الطائرات، «فعلى/ على إصابة الرأس/ يتدرب الطيار». وفي مجموعته الأخيرة «محدلة الموت وهموم لا تنتهي» سأل رفقة الحياة والماوراء، مثلما سأل الشعر، الذي كان يغريه ويدفعه إلى الكتابة في رحلة غنية ومليئة بالتشعبات. ونرى أن مناخات هذه المجموعة الأخيرة لا تشذ عن أجواء مجموعاته الأخرى حيث «لو يرى الموت/ أنه الجمجمة/ ألا يشتهي المفصلة؟». من خلال ترجمات أعمال الشعراء الألمان ريلكه ونوفاليس وهيسه وسيلان وبريشت وغوته، عمل رفقة – وكثيراً ما كان الأول في ذلك – على تعريف الدول التي تتحدث العربية بروائع الشعر الألماني. كذلك، أدى دور الوسيط بين العوالم الفكرية للشرق والغرب من خلال عمله أستاذاً للفلسفة في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت. والالتقاء بين الشعر الألماني والفلسفة والذي وصفه رفقة يوماً بأنه «زلزال هزّ كيانه»، كان له تأثير مستمر حتى على إنتاجه الشعري. باختصار، يمكن القول إن فؤاد رفقة ساهم في إغناء التلاقي الألماني العربي من خلال الثقافة والشعر، فهو كان المطلع تماماً على هولدرلن وهايدغر وواسع الاطلاع على الشعر الألماني، وكان يعرف تراث هذا الشعر والكثير من الشعراء الألمان.

فؤاد رفقة، «السوري الأصل»، المولود في الكفرون (قرب حمص) قلّ ما يُعرف أنه من سوريا، بل يُعرف على أنه شاعر لبناني[23].

الدكتور رضوان السيد

كاتب ومفكر لبناني، ولد في بترشيش، جبل لبنان سنة 1949م، وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بجامعة الازهر 1970م، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة توبنغن بألمانيا الاتحادية سنة 1977م، وأستاذ للدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية منذ 1978م، ورئيس تحرير مجلة الاجتهاد

(23) صحيفة الجريدة الكويتية، 2011/5/15.

الفصلية مع الفضل شلق، منذ 1988م، والتي توقفت مؤخرا. كذلك تسلم مسؤولية إدارة معهد الإنماء العربي في مرحلة الثمانينات من القرن الماضي، وترأس تحرير المجلة الصادرة عن العهد "الفكر العربي". له العديد من المؤلفات والترجمات، من أبرزها:

الأمة والجماعة والسلطة 1984م؛ مفاهيم الجماعات في الإسلام 1985م؛ الإسلام المعاصر 1987م؛ الجماعة والمجتمع والدولة 1997م؛ سياسات الإسلام المعاصر 1997؛ مصائر الإستشراق ونهاياته؛ ترجمة كتاب "بردة النبي" للكاتب الأمريكي روي متحدة ومؤلفات أخرى عديدة.

يكتب مقالات سياسية وفكرية في صحف ومجلات أبرزها الحياة والشرق الأوسط والمستقبل. وهو يعتبر من أبرز الكتاب على صعيد الفكر الإسلامي السياسي والتنوير العربي. كما يعتبر الدكتور السيد من أبرز الذين شرحوا الفكر العربي الإسلامي في العصور القديمة وكتبوا عن الإستشراق والمستشرقين في هذا الفكر.

د. فيكتور الكك

ولد في عاليه (لبنان). تلقى تعليمه في لبنان، وعمل رئيساً لقسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية. عضو جمعية البحوث والدراسات.

مؤلفاته:

صناعة الكتابة- بالاشتراك مع أسعد علي- بيروت 1972م وغيرها.

له بحث وضعه عن الأثر الذي خلفه "حافظ الشيرازي" الشاعر الإيراني الشهير عالمياً في شعر "غوته" شاعر ألمانيا العالمي، وأدبه وحياته، وكذلك أثر القرآن الكريم والمعلقات السبع وسواها في ثقافة هذا الشاعر العالمي والأوروبي الذي ضمن أقسام ديوانه الشعري الموسوم "ديوان الشرق والغرب" بعناوين فارسية مثل "ساقي ناما" وسواها.

الباحث والأكاديمي اللبناني البارز، والخبير في الدراسات الفارسية، انتخبته الهيئة العامة للمجمع الثقافي العربي أمينا عاما للمجمع، وذلك خلفا للأمين العام الراحل والوزير السابق الدكتور أسعد دياب.

من أهداف المجمع إيجاد صحوة ثقافية وقومية إنسانية سعياً لنهضة عربية شاملة. الكك أكاديمي معروف على مستوى وطنه لبنان والبلدان العربية والإسلامية،

كما على المستوى العالمي. فقد درس في جامعات أجنبية ذات شهرة عالمية، مثل جامعة باريس[24] وجامعة ولاية نيويورك وجامعات كندية وإيرانية وعربية مختلفة، وكان تدريسه باللغات العربية والفارسية والفرنسية والإنكليزية التي يتقنها، إضافة إلى معرفته بالألمانية ولغات قديمة سامية وآرية, وهو يحمل ثلاث شهادات: دكتوراه في الفارسية وآدابها والحضارة الإيرانية, وفي العربية وآدابها, وفي الفلسفة, إضافة إلى تاريخ طويل للدكتور الكك في حقول الصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية في لبنان, بدءاً بـ"الأحرار" العام 1957م والصياد ورئاسة تحرير فصلية "حاليات" بلغات ثلاث, و"كندا" وسواها, يمتد ذلك إلى أكثر من خمسين عاماً موازياً سنوات تدريسه الجامعي. له مؤلفات علمية بحثية أدبية بمعظم اللغات حول الحضارة العربية الإسلامية والآداب المقارنة والعلوم السياسية.

الدكتور ميشال جحا

ولد في بيروت 1930.

يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب؛ يعمل أستاذاً جامعياً في الجامعة اللبنانية؛ نشر أعماله الأولى في الصحف والمجلات اللبنانية؛ عضو جمعية النقد الأدبي.

مؤلفاته:

(1) خليل مطران – دراسة 1981؛ (2) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا – دراسة 1982؛ (3) سليم البستاني – دراسة 1989؛ (4) إبراهيم اليازجي – دراسة 1992. كما نشرت دراسات عديدة عن مؤلفاته.

يعتبر الدكتور ميشال جحا من أبرز المفكرين العرب، كما الدكتور رضوان السيد وغيرهما، الذين عرفوا بالإستشراق الألماني وشرحوه.

"كُتب وكتّاب . مقالات نقدية" هو عنوان الكتاب الجديد للمؤلف جحا الصادر مؤخرا عن شركة "رياض الريس للكتب والنشر" - في بيروت. يقع الكتاب في 360 صفحة من القطع الوسط ويضم مقدمة ومراجعات لثمانية وثلاثين كتاباً تتوزع على

---

[24] هيرمان هسي، قصائد مختارة، ترجمة فؤاد رفقة، دار نلسن للنشر، بيروت 2009.

النثر والشعر، وهي قراءة وعرض لنصوص بما يبرز قيمتها الفنية والأدبية.

ولا يكتفي المؤلف بعرض مضامين النصوص، إنما ينقدها بالمعنى العلمي حيث لا يجاري ولا يماري أو يجامل، بل يعمد للتحليل وتصحيح ما يرد فيها من أخطاء. وتشمل النصوص الكتب حسب تبويب الكتاب مصنّفات في الشعر – النقد الأدبي – الرواية ويبقى الهدف: الإضاءة على هذه الكتب واختصار أهم ما فيها، بما يشجع على القراءة وينمّي الذائقة النقدية والحسّ الجمالي لدى القارئ.

عادل فاخوري

من مواليد سنة 1939م، صور، لبنان.

تابع دراسته في جامعات روما وفرايبورغ وأرلنغن نورنبرغ (ألمانيا) والسوربون (فرنسا) في الفلسفة والرياضيات وعلم النفس.

يحمل دكتوراه PHD من ألمانيا ودكتوراه es-Lettres من فرنسا.

الجامعات التي قام بالتدريس فيها: الجامعة اللبنانية، الجامعة اليسوعية، الجامعة الأردنية، الجامعة الليبية، الجامعة الكويتية.

اللغات التي يتقنها: العربية، الفرنسية، الإنكليزية، الألمانية، الإيطالية، اللاتينية، واليونانية القديمة...

المواد التي قام بتدريسها: المنطق الرياضي، فلسفة العلوم، فلسفة الذهن الذكاء الإصطناعي، فلسفة اللغة والسيمياء.

أهم مؤلفاته: أفكّر إذن أنا كمبيوتر، المنطق الرياضي، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، الرسالة الرمزيّة في أصول الفقه، تيّارات في السيمياء، علم الدلالة عند العرب. "الصناعة العظمى Deorte Magna".

يعتبر الدكتور عادل فاخوري، الذي بدا حياته طالباً في الفاتيكان وكان مرشحاً لدخول الكهنوت، أبرز المفكرين العرب الذين تصدوا للتعريف بعلم المنطق الرياضي، وهو أول من كتب "القصيدة الإلكترونية". وله إطلالات في علم المنطق والتحليل الرياضي على الفكر الألماني وعلاقته التاريخية بالمفكرين العرب والإسلاميين.

الدكتور عبد الرؤوف سنو

من مواليد بيروت 1948م.

دكتوراه الفلسفة في التاريخ – جامعة برلين الحرة.

دبلوم في التعليم العالي والإنماء الدولي – جامعة كاسل.

تنوعت إهتماماته البحثية فغطت حقبة طويلة وعالجت العديد والمتنوع من المواضيع التي راوحت بين التاريخ السياسي والدين والإجتماعي والإقتصادي.

أصدر الدكتور سنو مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية وباتت مرجعاً علمياً يصعب تجاهله أو تجاوزه.

وهو متخصص في الأساس في العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر. وقد وضع كتاباً ودراسات قيمة في هذا المجال أهمها المصالح الألمانية في سورية وفلسطين 1841–1901 باللغتين الألمانية والعربية. وألمانيا والإسلام خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

شكل العام 2000م إنعطافة في مسيرة سنو البحثية حيث ركز على دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فنشر في ذلك العام كتاباً بالألمانية بعنوان "لبنان اليوم".

وقد مكنته هذه البداية من الغوص أكثر في تاريخ لبنان المعاصر، فوضع في العام 2003م دراسة شاملة للتعايش الطوائفي فيه في مرحلة ما قبل حرب لبنان وخلالها وبعدها. وبعد خمس سنوات توج أبحاثه عن لبنان بمؤلفه الذي إشتهر والمعروف بعنوان "حرب لبنان: فكك الدولة وتصدع المجتمع" 1808 صفحة.

رغم ذلك بقي د. سنو على تواصل مع التاريخ الألماني في المنطقة وعقب قيامه برحلة رسمية إلى ألمانيا لمراقبة إنتخاباتها البرلمانية في العام 2009 نشر دراستين طويلتين بالعربية والألمانية، تناول في الأولى الإنتخابات الألمانية وقارن في الثانية بين الإنتخابات الألمانية المذكورة، وإنتخابات لبنان التي جرت في العام نفسه. وصدرت له مؤخراً دراسة ثقافية عن عقبات التجارة الألمانية في المتوسط في العصر الحديث، إلى ذلك نشر الدكتور سنو عدد من المقالات والدراسات التي تتعلق بتاريخ الدولي العثمانية وعلاقتها بكل من روسيا وبريطانيا، وحول حركة الإصلاح في السلطنة وأسباب نمو الإتجاهات الإسلامية فيها في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، وركز بشكل خاص على حركة الجامعة الإسلامية. وفي العام 2011م صدرت له دراسة حول صدى الدستور العثماني لعام 2008م في صحافة بيروت.

كما خص العميد سنو قضية كوسوفا بدراسة مطولة من ثلاث حلقات وأوضاعها تحت الحكم اليوغسلافي الشيوعي. وكان قد أصدر في العام 1998م كتابه "النزعات الكيانية في الدولة العثمانية 1877–1881م".

ومنذ مطلع القرن الجاري عكف الدكتور سنو على دراسة قضايا عربية معاصرة كالإرهاب وأسبابه ومحاربته والحرب الإسرائيلية على لبنان العام 2006م وتداعياتها وبين العامين 2000 و2010م نشر العميد سنو العديد من الدراسات حول العلاقات السعودية–اللبنانية كان آخرها في نيسان/إبريل العام 2011م بتمويل من برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

وأخيراً وليس آخراً أصدر الدكتور سنو دراستين الأولى بالإنكليزية والألمانية عن الفتوح الإسلامية والتسامح الديني "حيث إنتقد فيها عدم إستخدام المسلمين سلطة العقل ومعايير علمية لنقد تجاربهم التاريخية. وفي الدراسة الثانية والتي إتسمت بجرأتها وكثرة التعليق عليها، تطرق سنو عن أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، جاعلاً من الربيع العربي حداً فاصلاً بين مرحلتين، مرحلة تهميش المسيحيين في البلدان العربية عبر الأنظمة المعاصرة والمجتمعات الإسلامية، ومرحلة تخويفهم من وصول الإسلاميين المتشددين إلى السلطة. وحمل الأنظمة العربية مسؤولية ما آلت إليه أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، مطالباً بالحفاظ عليهم كمعطى وطني وحضاري وإقتصادي وإن ذلك لا يكون إلا بإقامة الدولة الديمقراطية المدنية وتقديراً لمسيرة الدكتور سنو البحثية الطويلة والقيمة، فقد عين في العام 2008م عضواً في الهيئة الإستشارية للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. ونال في العام 2009م وسام الإستحقاق الألماني من رئيس جمهورية ألمانيا الإتحادية، وفي العام 2011م حصل على جائزة الشيخ زايد للكتاب عن كتابه "حرب لبنان" وعلى درع وزارة التربية والتعليم العالي تقديراً لسنوات طويلة من حياته البحثية، فضلاً عن تنويهات ودروع تقديرية من جهات أكاديمية.

الدكتور موسى وهبة

من مواليد 1943 ببلدة الشيخ طابا عكار شمال (لبنان)، درس الفلسفة في كلية التربية فرع الآداب التابع للجامعة اللبنانية، ثم تابع دراسة هذه المادة في جامعة

دكتوراه الفلسفة في التاريخ – جامعة برلين الحرة.

دبلوم في التعليم العالي والإنماء الدولي – جامعة كاسل.

تنوعت إهتماماته البحثية فغطت حقبة طويلة وعالجت العديد والمتنوع من المواضيع التي راوحت بين التاريخ السياسي والدين والإجتماعي والإقتصادي.

أصدر الدكتور سنو مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية وباتت مرجعاً علمياً يصعب تجاهله أو تجاوزه.

وهو متخصص في الأساس في العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر. وقد وضع كتاباً ودراسات قيمة في هذا المجال أهمها المصالح الألمانية في سورية وفلسطين 1841–1901م باللغتين الألمانية والعربية. وألمانيا والإسلام خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

شكل العام 2000م إنعطافة في مسيرة سنو البحثية حيث ركز على دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فنشر في ذلك العام كتاباً بالألمانية بعنوان "لبنان اليوم".

وقد مكنته هذه البداية من الغوص أكثر في تاريخ لبنان المعاصر، فوضع في العام 2003م دراسة شاملة للتعايش الطوائفي فيه في مرحلة ما قبل حرب لبنان وخلالها وبعدها. وبعد خمس سنوات توج أبحاثه عن لبنان بمؤلفه الذي إشتهر والمعروف بعنوان "حرب لبنان: فكك الدولة وتصدع المجتمع" 1808 صفحة.

رغم ذلك بقي د. سنو على تواصل مع التاريخ الألماني في المنطقة وعقب قيامه برحلة رسمية إلى ألمانيا لمراقبة إنتخاباتها البرلمانية في العام 2009 نشر دراستين طويلتين بالعربية والألمانية، تناول في الأولى الإنتخابات الألمانية وقارن في الثانية بين الإنتخابات الألمانية المذكورة، وإنتخابات لبنان التي جرت في العام نفسه. وصدرت له مؤخراً دراسة ثقافية عن عقبات التجارة الألمانية في المتوسط في العصر الحديث، إلى ذلك نشر الدكتور سنو عدد من المقالات والدراسات التي تتعلق بتاريخ الدولي العثمانية وعلاقتها بكل من روسيا وبريطانيا، وحول حركة الإصلاح في السلطنة وأسباب نمو الإتجاهات الإسلامية فيها في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، وركز بشكل خاص على حركة الجامعة الإسلامية. وفي العام 2011م صدرت له دراسة حول صدى الدستور العثماني لعام 2008م في صحافة بيروت.

كما خص العميد سنو قضية كوسوفا بدراسة مطولة من ثلاث حلقات وأوضاعها تحت الحكم اليوغسلافي الشيوعي. وكان قد أصدر في العام 1998م كتابه "النزعات الكيانية في الدولة العثمانية 1877–1881م".

ومنذ مطلع القرن الجاري عكف الدكتور سنو على دراسة قضايا عربية معاصرة كالإرهاب وأسبابه ومحاربته والحرب الإسرائيلية على لبنان العام 2006م وتداعياتها وبين العامين 2000 و2010م نشر العميد سنو العديد من الدراسات حول العلاقات السعودية–اللبنانية كان آخرها في نيسان/إبريل العام 2011م بتمويل من برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

وأخيراً وليس آخراً أصدر الدكتور سنو دراستين الأولى بالإنكليزية والألمانية عن الفتوح الإسلامية والتسامح الديني "حيث إنتقد فيها عدم إستخدام المسلمين سلطة العقل ومعايير علمية لنقد تجاربهم التاريخية. وفي الدراسة الثانية والتي إتسمت بجرأتها وكثرة التعليق عليها، تطرق سنو عن أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، جاعلاً من الربيع العربي حداً فاصلاً بين مرحلتين، مرحلة تهميش المسيحيين في البلدان العربية عبر الأنظمة المعاصرة والمجتمعات الإسلامية، ومرحلة تخويفهم من وصول الإسلاميين المتشددين إلى السلطة. وحمل الأنظمة العربية مسؤولية ما آلت إليه أوضاع المسيحيين في المشرق العربي، مطالباً بالحفاظ عليهم كمعطى وطني وحضاري وإقتصادي وإن ذلك لا يكون إلا بإقامة الدولة الديمقراطية المدنية وتقديراً لمسيرة الدكتور سنو البحثية الطويلة والقيمة، فقد عين في العام 2008م عضواً في الهيئة الإستشارية للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. ونال في العام 2009م وسام الإستحقاق الألماني من رئيس جمهورية ألمانيا الإتحادية، وفي العام 2011م حصل على جائزة الشيخ زايد للكتاب عن كتابه "حرب لبنان" وعلى درع وزارة التربية والتعليم العالي تقديراً لسنوات طويلة من حياته البحثية، فضلاً عن تنويهات ودروع تقديرية من جهات أكاديمية.

الدكتور موسى وهبة

من مواليد 1943 ببلدة الشيخ طابا عكار شمال (لبنان)، درس الفلسفة في كلية التربية فرع الآداب التابع للجامعة اللبنانية، ثم تابع دراسة هذه المادة في جامعة

السوربون بباريس حيث نال شهادة الدكتوراه – دولة، ثم عاد إلى لبنان فدرس هذه المادة في الجامعة اللبنانية، وتخرج على يديه عدد من الطلاب الذين برزوا في حياتهم الثقافية والتعليمية. كرمته الحركة الثقافية في إنطلياس نظراً لأهميته الثقافية والتعليمية وأشاد به أساتذة وطلاب ومفكرون.

كتب مقالات ودراسات مهمة في عدد من الدوريات والمجلات اللبنانية والعربية والأجنبية. ترجم مؤلف "نقد الفكر المحض عند كانت" مستعيناً باللغة الألمانية التي يجيدها. وقد صدرت الترجمة عن "معهد الإنماء القومي" في بيروت. ونعتبر هذه الترجمة عملاً موسوعياً وأكاديمياً بارزاً في عالم الفكر الفلسفي، نظراً لصعوبة لغة كانت الفلسفية. وقد إستنبط المترجم جملة من المصطلحات العربية المستجدة في حقل اللغة الفلسفية.

في سوريا، برز العديد من الباحثين والمترجمين الذين وجدوا في اللغة الألمانية ملاذهم فترجموا عنها وإليها. وقد ساعد في إزدهار هذه الحركة الثقافية التبادلية، إزدياد عدد المبعوثين إلى ألمانيا ومن ألمانيا تحديداً في زمن وجود المانيا الشرقية قبيل وحدتها مع ألمانيا الغربية، حيث عززت سوريا العلاقات معها. وقد تحدثت في مكان آخر من هذا الكتاب عن مترجمين من الألمانية إلى العربية هما: عبده عبود ومحمد جديد. وسأتحدث عن إثنين آخرين برزا في هذا المجال هما نبيل حفار وعادل قره شولي.

الدكتور نبيل حفار

ولد في دمشق عام 1945م، درس اللغة الألمانية وآدابها ونال شهادة الدكتوراه في الأدب الألماني من برلين عام 1988م وقد حملة أطروحته عنوان: الاستقبال العربي لبرتولت بريشت.

شغل د. نبيل الحفار رئاسة قسم النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية سنوات عدة، وساهم مع المسرحي الراحل سعد الله ونوس في تأسيس مجلة الحياة المسرحية في عام 1977م وتولى رئاسة تحريرها سنوات عدة منذ العام 1997م، ويعرف عنه أيضاً اشتغاله بحقل الترجمة من الألمانية. ولقد أولى اهتمامه للمسرح فقام منذ أوائل السبعينات بترجمة العديد من الأعمال المسرحية لكتاب ألمان معروفين من

بينهم برتولت برشت ورولند شيملفينيج وهاينز كيبهارت وبيتيرفايس، فريدريش دورينمات وشتيفان هايم.

كما ترجم أيضا أقصوصة لآنا زيغرز ومن بعض ترجماته: مسرحيات لبرتولت بريشت : الأم- دمشق 1975م؛ شفيك في الحرب العالمية الثانية - دمشق 1975م؛ رجل برجل - بيروت 1979م؛ جان دارن قديسة المسالخ - بيروت 1981م؛ الإجراء - بيروت 1981م وعرس البرجوازي الصغير - دمشق 2008م.

وفي وقت لاحق اتجه اهتمامه نحو الرواية. فصدرت عام 1996م ترجمته لرواية "العطر" لباتريك زوسكيند في الإمارات العربية المتحدة؛ وحظيت هذه الترجمة بالكثير من التقدير كما أعيد نشرها مراراً في سوريا.

حصل نبيل الحفار إزاء إنجازاته في مجال الترجمة علي جائزة الأخوان غريم للمترجمين عام 1982، ولم يقتصر دوره على الترجمة, فقد كتب مقالات كثيرة حول المسرح الألماني المعاصر. علاوة على ذلك كان عضواً في هيئة تحرير عدة مجلات سورية مثل "الآداب العالمية" و"الحياة المسرحية" ومجلة "جسور" المتخصصة في الترجمة، وهو عضو جمعية الترجمة في اتحاد الكتاب العرب.

ولقد فاز الدكتور نبيل الحفار مؤخرا بالجائزة التي قام معهد غوته القاهرة، للمرة الأولى، برصدها لمترجمي النصوص الأدبية من الألمانية إلى العربية وذلك عن ترجمته فصلا من رواية جيني إربينبيك "ضربة القدر" الصادرة عام 2008م.

ساهم الحفار في العديد من الندوات المسرحية ولجان تحكيم المهرجانات المسرحية.

وعن إنجازاته في مجال المسرح حصل علي جائزة النقاد ليوم المسرح الدولي بدمشق عام 2007م.

عادل قره شولي

اتحاد الكتّاب الألمان يكرّمه في عيد ميلاده السبعين... عادل قره شولي شاعر سوري عثر على الوطن في المنفى الألماني -2006/12/12

احتفلت مدينة لايبزغ واتحاد الكتّاب الألمان، بالشاعر عادل قره شولي لمناسبة بلوغه السبعين. وقد كتب عن هذا الإحتفال الكاتب فيصل دراج مقالة نشرت في صحيفة الحياة بتاريخ 2006/12/12م جاء منها: "الشاعر المحتفى به وُلد في دمشق، مدينة الياسمين كما تقول الذاكرة، ويعيش منذ أكثر من أربعين عاماً في لايبزغ التي حرمته من الياسمين ووهبته حياة مزهرة. وصل قره شولي إلى «مدينته» الألمانية الأخيرة قادماً من برلين الغربية، بلغة زمن آخر، وقادماً قبل ذلك من بيروت، هرباً من «القمع الوحدوي» وتطلّعاً إلى حلم متعدد الوجوه. ومع أنّ اسم المسرحي برتولد بريشت لم يكن شائعاً في البلد الذي هرب منه، فقد اختاره موضوعاً لأطروحته الجامعية، قبل أن ينصرف بكليّته إلى أدب غوته وهنريش هاينه وشيلر وغيرهم من الألمان. وهذا الاجتهاد، سمح له أن يكتب شعراً بالألمانية، بعد سنوات قليلة من وصوله، وأتاح له لاحقاً أن يصبح رئيس اتحاد الكتّاب الألمان في لايبزغ وأن يحصل على جائزة المدينة الأدبية عام 1985، وعلى جائزة الأكاديمية البافارية للفنون الجميلة عام 1992، وهي أعلى جائزة تعطى لكاتب أجنبي يكتب بالألمانية. وقره شولي من القلائل الذين تطبع أعمالهم الشعرية أكثر من مرّة كما يقول الناقد هلموت ريشتر، في زمن تراجع فيه الجمهور الشعري، وهو واحد من عشرين شاعراً ظهرت أسماؤهم في كتاب «أنطولوجيا الشعر الألماني»، الذي ظهر حديثاً في الولايات المتحدة. لا يسرد مسار قره شولي حكاية اللقاء المثمر بين الشرق والغرب كما تقول البلاغة الجاهزة، إنّما يحكي أقداراً فردية متميّزة، ذلك أنّ الانتقال المكاني لا يفضي لزوماً إلى نتائج سعيدة.

في مطلع السبعينات الماضية كان قره شولي قد توزّع، في شكل نهائي، على وطنيْن، وظلّ وحيداً، ذلك أنّه لم يشأ المنفى، بل أُجبر عليه. وعلى رغم المرارة التي تلامس الوجه وتكاد أن تذوب فيه، أصبح عادل ما أراد أن يكونه، شاعراً وناقداً ومترجماً، وظلّ، كما سيكون، مدافعاً عن القضايا العربية، بدءاً بقضية فلسطين، التي لا تعيش ولا تموت، وصولاً اليوم إلى مأساة العراق. وواقع الأمر أنّ هذا الكردي المشبع بثقافة عربية، بقي، دائماً، على «ما هو»، لا بمعنى الإنسان الذي يوازي الزمن ولا يلتقي به، بل بمعنى المثقف الذي احتفظ بمرجعه داخله يميّز، حراً، بين الخطأ والصواب، ويرى إلى صدق الإبداع ولا يلتفت إلى الشهرة الغاوية. فقد قصد ثقافة ألمانية تلبّي قيمه الذاتية، ودفعته قيمه المتسامحة إلى ثقافة متحوّلة، تلمح

الإيجاب في موقع لا يخلو من السلب، وترى السلب في فضاء لا ينقصه الإيجاب. وهذا التصوّر، الذي يقبل النسبي وينكر الإطلاقية، أعانه في بناء منفى مزهر، أو في تشييد غربة أليفة، توحّد بين لايبزغ ودمشق وتتجاوزهما إلى مدينة ثالثة. ولعلّ هذه المدينة، التي يراها الشاعر لا غيره، هي التي تجعله يقول: أنا عادل قره شولي، رافضاً صفة الشاعر العربي وصفة الشاعر الألماني في آن معاً.

قد يكون في إبداع قره شولي ما يترجم، في شكل مهموس، ثقافة إلى أخرى محاولاً، وليس بلا كآبة، التقريب الصعب بين الثقافتين، مدركاً أنّ قوّة ثقافة معيّنة تكمن في اعترافها بثقافة مغايرة واعتراف الأخيرة بها، أي في تغيّرها الفعلي، الذي لا يجعل التقريب بينهما صعباً. ولعلّ هذا التقريب الصعب هو ما يجعله يكتب بالألمانية، وهي ثقافة متقدّمة، أكثر مما يكتب بالعربية. مع ذلك فهو لا يقارن بين اللغة العربية واللغة الألمانية، بل يقارن بين اللغتين ولغة ثالثة، ينتظر وصولها، تتجاوز اللغتين معاً، كما لو كان يشتق اللغة الثالثة من القصد الشعري الذي يرى إلى البشر لا إلى لغاتهم.

كان في «حي الأكراد» قبل زمن، صبي يلهو، يشمّ رائحة الياسمين بعفوية سعيدة، في انتظار زمن صيّر الياسمين ذكرى، استضافتها قصيدة لا ينقصها الشجن، يقرأها شاعر كردي بلغ سبعين عاماً أمام جمهور ألماني واسع في مدينة لا تزرع الياسمين".

العلاقات الثقافية والأدبية السورية – الألمانية ودور الترجمة والمترجمين في تعزيزها

إن العلاقات الأدبية بين شعبين ترتبط أوثق الارتباط بالعلاقات اللغوية السائدة بينهما، ونعني بتلك العلاقات تعليم لغة الطرف الآخر للغة أجنبية وانتشار تلك اللغة. فالمترجمون الذين ينقلون الأعمال الأدبية الأجنبية لا بدّ لهم من أن يتعلموا اللغة الأجنبية التي كتبت بها تلك الأعمال أو اللغة الوسيطة التي ترجمت إليها.

وهذا ينطبق جزئياً على النقاد الذين يكتبون في الآداب الأجنبية. كذلك فإن إجادة لغة أجنبية تمكّن المرء من تلقي أعمال أدبية أجنبية بصورة مباشرة دون حاجة إلى الترجمة. فالعلاقات الأدبية تؤثر في تلقي الآداب الأجنبية بأشكاله الترجمية

والنقدية والمباشرة، فماذا عن العلاقات اللغوية السورية-الألمانية؟

فيما يتعلق بتعليم اللغة الألمانية في مدارس الجمهورية العربية السورية وجامعاتها من الملاحظ أنّ ذلك التعليم غير متوافر في مراحل التعليم ما قبل الجامعي. أما في المرحلة الجامعية فليس هناك في أي جامعة سورية قسم للغة الألمانية وآدابها، ويقتصر تعليم تلك اللغة على مقرر يدعى "اللغة الأوروبية الثانية" ضمن دراسة اللغة الانكليزية وآدابها، إذ يكتسب الطالب معرفة لغوية بسيطة لا تمكنه من تلقي أعمال أدبية ألمانية بلغتها الأصلية ولا أن يمارس الترجمة الأدبية عن الألمانية. أما الشكل الثاني لحضور اللغة الألمانية في الجامعات السورية فيتمثل في الدورات التي يقدمها "المركز الاستشاري للغة الألمانية" بجامعة حلب ومراكز تعليم اللغة الألمانية ضمن معاهد اللغات الأجنبية في الجامعات السورية الأخرى، ولكن ذلك التعليم لا يتعدّى المرحلة الأساسية وليس له تأثير في تلقي الأدب الألماني في سورية ترجمياً أو نقدياً.

أما الدور الأهم على هذا الصعيد فهو الدور الذي يضطلع به فرع "معهد غوته" بدمشق، الذي أعيد افتتاحه سنة 1979م ويمارس فيه تعليم اللغة الألمانية للمستويات جميعها، ولكن عدد الطلاب السوريين الذين يواصلون تعلّم اللغة الألمانية في المستويين المتوسط والعالي محدود جداً. ومع أن الطالب يقرأ فيهما بعض النصوص الأدبية الألمانية، فإنه لم يكن لذلك تأثير ذو شأن في تلقي الأدب الألماني في سوريا. إلاّ أنّ هناك فئة من الخريجين السوريين الذين تعلموا اللغة الألمانية تعلماً جيداً في أثناء دراستهم في الجامعات الألمانية (والمصرية)، واطلعوا على الأدب الألماني، وقام بعضهم بدراسته. إنّ هذه الفئة من الخريجين قد شكلت الحامل الحقيقي لحركة تلقي الأدب الألماني في سورية ترجمياً ونقدياً، ومن صفوفها خرج كلّ المترجمين والنقاد الذين نقلوا أعمالا أدبية ألمانية إلى العربية أو كتبوا في الأدب الألماني نقدياً. إلاّ أنّ فقدان اللغة الألمانية وآدابها في عداد الفيلولوجيات (لوم اللغات وآدابها) التي تدرّس في الجامعات السورية، وفقدان اللغة الألمانية في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، هو أمر ينعكس سلبياً على تلقي الأدب الألماني في سورية. فهو يؤدي إلى عدم ظهور مترجمين ووسطاء نقديين من جهة، وإلى فقدان الحدّ الأدنى من المعلومات المتعلقة بالأدب الألماني لدى طلاب الجامعات السورية وخريجيها

من جهة أخرى. ويكفي أن يقوم المرء باستطلاع بسيط حول الأدب الألماني في صفوف أولئك الناس ليتبين مدى جهلهم بالأدب الألماني.

يعيش المترجم السوري في خوف من أن يكون مترجم عربي آخر عاكفاً على تعريب العمل الأدبي الألماني نفسه الذي يقوم الآن بترجمته. ومن البديهي أن يحمل ذلك الخوف بعض المترجمين على الإحجام عن الترجمة، علماً بأن للخوف المذكور مسوّغات واقعية كافية. فهناك حالات معروفة، قام فيها مترجمان بتعريب عمل أدبي ألماني واحد، دون أن يعرف أيّ منهما بما يقوم به زميله العربي، ثمّ إكتشفا ذلك بعد فوات الأوان. ومن أشهر تلك الحالات حالة رواية كاتب اليافعين الألماني ميكائيل إنده (Micheal Ende) المعنونة بـ(مومو). فقد إكتشف المترجم المصري المعروف الدكتور باهر الجوهري، بعد أن فرغ من تعريب هذه الرواية، أن زميلته اللبنانية نهى فورست – الصرّاف قد سبقته إلى ذلك، مما اضطره إلى عد نشر الترجمة التي أنجزها بعد أن أنفق عليها الكثير من الجهد والوقت. أما الحالة الشهيرة الثانية فهي حالة رواية الكاتب الألماني غونتر غراس (Günter Grass) الشهيرة "Die Blechtrommel".

فقد صدرت في وقت واحد تقريباً ترجمتان عربيتان لهذه الرواية: الأولى عن (دار الجمل) في كولونيا، وقد قام بها حسان الموزاني عن الألمانية، والثانية عن دار (الطريق الجديد) بدمشق، وقد أنجزها موفق مشنوق.

صحيح أن لهذه الحالة علاقة بحقوق الترجمة والنشر، ولكنها أيضاً نتيجة من نتائج انعدام التنسيق ضمن حركة الترجمة العربية المعاصرة.

تلك هي بعض العوامل التي تعيق استقبال الآداب الأجنبية ترجمياً بما في ذلك استقبال الأدب الألماني. إلاّ أن الساحة الأدبية السورية لا تخلو من معطيات إيجابية تساعد ذلك التلقي. فمن تلك المعطيات توافر مجلة متخصصة في الترجمة الأدبية هي مجلة "الآداب الأجنبية" التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب. لقد دخلت هذه الدورية الفصلية عامها السادس والعشرين، وكان للأدب الألماني نصيب معتبر مما نشرته، إذ تمثّل في عددين خاصّين به، وعدد كبير من القصص القصيرة والنصوص الشعرية والمقالات التي نشرت في الأعداد المنوّعة. لقد وفرت هذه المجلة للآداب الأجنبية والمترجمين الأدبيين العرب منبراً قلّ نظيره في الوطن العربي، إلاّ

والنقدية والمباشرة، فماذا عن العلاقات اللغوية السورية-الألمانية؟

فيما يتعلق بتعليم اللغة الألمانية في مدارس الجمهورية العربية السورية وجامعاتها من الملاحظ أنّ ذلك التعليم غير متوافر في مراحل التعليم ما قبل الجامعي. أما في المرحلة الجامعية فليس هناك في أي جامعة سورية قسم للغة الألمانية وآدابها، ويقتصر تعليم تلك اللغة على مقرر يدعى "اللغة الأوروبية الثانية" ضمن دراسة اللغة الانكليزية وآدابها، إذ يكتسب الطالب معرفة لغوية بسيطة لا تمكنه من تلقي أعمال أدبية ألمانية بلغتها الأصلية ولا أن يمارس الترجمة الأدبية عن الألمانية. أما الشكل الثاني لحضور اللغة الألمانية في الجامعات السورية فيتمثل في الدورات التي يقدمها "المركز الاستشاري للغة الألمانية" بجامعة حلب ومراكز تعليم اللغة الألمانية ضمن معاهد اللغات الأجنبية في الجامعات السورية الأخرى، ولكن ذلك التعليم لا يتعدّى المرحلة الأساسية وليس له تأثير في تلقي الأدب الألماني في سورية ترجمياً أو نقدياً.

أما الدور الأهم على هذا الصعيد فهو الدور الذي يضطلع به فرع "معهد غوته" بدمشق، الذي أعيد افتتاحه سنة 1979م ويمارس فيه تعليم اللغة الألمانية للمستويات جميعها، ولكن عدد الطلاب السوريين الذين يواصلون تعلّم اللغة الألمانية في المستويين المتوسط والعالي محدود جداً. ومع أن الطالب يقرأ فيهما بعض النصوص الأدبية الألمانية، فإنه لم يكن لذلك تأثير ذو شأن في تلقي الأدب الألماني في سوريا. إلاّ أنّ هناك فئة من الخريجين السوريين الذين تعلموا اللغة الألمانية تعلماً جيداً في أثناء دراستهم في الجامعات الألمانية (والمصرية)، واطلعوا على الأدب الألماني، وقام بعضهم بدراسته. إنّ هذه الفئة من الخريجين قد شكلت الحامل الحقيقي لحركة تلقي الأدب الألماني في سورية ترجمياً ونقدياً، ومن صفوفها خرج كلّ المترجمين والنقاد الذين نقلوا أعمالا أدبية ألمانية إلى العربية أو كتبوا في الأدب الألماني نقدياً. إلاّ أنّ فقدان اللغة الألمانية وآدابها في عداد الفيلولوجيات (لوم اللغات وآدابها) التي تدرّس في الجامعات السورية، وفقدان اللغة الألمانية في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، هو أمر ينعكس سلبياً على تلقي الأدب الألماني في سورية. فهو يؤدي إلى عدم ظهور مترجمين ووسطاء نقديين من جهة، وإلى فقدان الحدّ الأدنى من المعلومات المتعلقة بالأدب الألماني لدى طلاب الجامعات السورية وخريجيها

من جهة أخرى. ويكفي أن يقوم المرء باستطلاع بسيط حول الأدب الألماني في صفوف أولئك الناس ليتبين مدى جهلهم بالأدب الألماني.

يعيش المترجم السوري في خوف من أن يكون مترجم عربي آخر عاكفاً على تعريب العمل الأدبي الألماني نفسه الذي يقوم الآن بترجمته. ومن البديهي أن يحمل ذلك الخوف بعض المترجمين على الإحجام عن الترجمة، علماً بأن للخوف المذكور مسوّغات واقعية كافية. فهناك حالات معروفة، قام فيها مترجمان بتعريب عمل أدبي ألماني واحد، دون أن يعرف أيّ منهما بما يقوم به زميله العربي، ثمّ إكتشفا ذلك بعد فوات الأوان. ومن أشهر تلك الحالات حالة رواية كاتب اليافعين الألماني ميكائيل إنده (Micheal Ende) المعنونة بـ(مومو). فقد إكتشف المترجم المصري المعروف الدكتور باهر الجوهري، بعد أن فرغ من تعريب هذه الرواية، أن زميلته اللبنانية نهى فورست – الصرّاف قد سبقته إلى ذلك، مما اضطره إلى عد نشر الترجمة التي أنجزها بعد أن أنفق عليها الكثير من الجهد والوقت. أما الحالة الشهيرة الثانية فهي حالة رواية الكاتب الألماني غونتر غراس (Günter Grass) الشهيرة "Die Blechtrommel".

فقد صدرت في وقت واحد تقريباً ترجمتان عربيتان لهذه الرواية: الأولى عن (دار الجمل) في كولونيا، وقد قام بها حسان الموزاني عن الألمانية، والثانية عن دار (الطريق الجديد) بدمشق، وقد أنجزها موفق مشنوق.

صحيح أن لهذه الحالة علاقة بحقوق الترجمة والنشر، ولكنها أيضاً نتيجة من نتائج انعدام التنسيق ضمن حركة الترجمة العربية المعاصرة.

تلك هي بعض العوامل التي تعيق استقبال الآداب الأجنبية ترجمياً بما في ذلك استقبال الأدب الألماني. إلاّ أن الساحة الأدبية السورية لا تخلو من معطيات إيجابية تساعد ذلك التلقي. فمن تلك المعطيات توافر مجلة متخصصة في الترجمة الأدبية هي مجلة "الآداب الأجنبية" التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب. لقد دخلت هذه الدورية الفصلية عامها السادس والعشرين، وكان للأدب الألماني نصيب معتبر مما نشرته، إذ تمثّل في عددين خاصّين به، وعدد كبير من القصص القصيرة والنصوص الشعرية والمقالات التي نشرت في الأعداد المنوّعة. لقد وفرت هذه المجلة للآداب الأجنبية والمترجمين الأدبيين العرب منبراً قلّ نظيره في الوطن العربي، إلاّ

أنها، كغيرها من الدوريات السورية المعاصرة، تعاني من تدنّي مكافآت الترجمة، وانعدام التوزيع خارج سورية، ومن مشكلات أخرى، مما جعل تأثيرها في الحياة الثقافية السورية والعربية ضعيفاً. ومن العوامل التي يمكن أن تنعكس إيجابياً على حركة الترجمة الأدبية من الألمانية إلى العربية ظهور عدد من دور النشر التي تمتلك برامج ترجمة طموحة، وتتعامل مع المترجمين بأسلوب أكثر إنصافاً، وتتقيّد بحقوق الترجمة والنشر، وتتمتع بإمكانات توزيع أفضل داخل سورية وخارجها. وعلى رأس تلك الدور تأتي (دار المدى)، التي لديها على صعيد الترجمة برنامج ناجح دعته "مكتبة نوبل"، وهو يتضمن نشر ترجمات عربية لمؤلّفات كلّ الأدباء الحائزين جائزة نوبل للآداب، ومن بينهم عدد من الأدباء الألمان، مثل توماس مانّ وهاينريش بول وهرمان هيسه وغونتر غراسّ. ولا يقتصر برنامج الترجمة الأدبية الذي تبنته (دار المدى) على حائزي جائزة نوبل للآداب، بل يشمل ما يمكن أن نسمّيه "روائع الأدب العالمي". فقد ظهرت في الأعوام الأخيرة عدة دور نشر سورية خصّصت جزءاً كبيراً من برامجها للترجمة الأدبية، كدار (ورد)، ودار (حوران). أما دار (قدمس) التي يديرها أحد خرّيجي الجامعات الألمانية، ألا وهو الدكتور زياد منى، وهي دار تحتلّ الترجمة عن الألمانية مكاناً بارزاً في برنامجها، فإنها لم تنشر إلى الآن ترجمات أدبية. وفي هذا السياق لا بدّ من الإشارة إلى "منشورات وزارة الثقافة" السورية، التي تشكّل الترجمات الأدبية نسبة عالية من كتبها، وقد صدرت ضمنها عدّة ترجمات أدبية عن الألمانية.

إطلالة تاريخية ومعاصرة

رغم كل ما يكتنف استقبال الأدب الألماني في سوريا من عوامل سلبية، فإنّ هذا الأدب يستقبل ترجمياً ونقدياً وقرائياً. فعلى صعيد الترجمة شهدت سورية منذ أوائل الخمسينيات نشاطا ملحوظاً تمثّل في نقل عدد من العلاقات الأدبية السورية – الألمانية المعاصرة واقعها وآفاقها من الأعمال الأدبية الألمانية إلى العربية، إن عن الألمانية مباشرة أو عن لغة وسيطة، كالفرنسية والإنكليزية. ففي مطلع الخمسينيات ظهر إهتمام سوري ملحوظ بالأدب الألماني، تمثّل في صدور ترجمة جديدة لرواية غوته الشهيرة "آلام فرتر"، وهي ترجمة أنجزت عن الفرنسية، رغم أنّ هذه الرواية كانت قد ترجمت في مصر عدّة مرّات. وإلى الفترة نفسها يرجع صدور ترجمة لعملين

من أعمال الأديب الألماني فريدريش شيلر (Friedrich Schiller)، هما "فيلهلم تلّ" التي نشرت بعنوان "غليوم تلّ أو في سبيل الحرية" و"ابن الأخ العم"، وقد تمّت الترجمتان آلتاهما عن الفرنسية. وفي النصف الأول من الخمسينيات صدر في سوريا كتابان كان لهما دور كبير في التعريف بالأدب الألماني، ألا وهما: "روائع من الأدب الألماني" و"قصص مختارة من الأدب الألماني". يتضمن الكتاب الأول، الذي ترجمه عن الفرنسية وقدّم له فؤاد أيوب ثمانية نصوص لشيلر والأخوين غريم وهاينريش هاينه وهرمان زودرمان وتوماس مانّ وشتيفان زفايغ. ومع أنّ اختيار النصوص لم يستند إلى معايير مدروسة بل إلى أسس ذاتية حدث بالمترجم لأن يخصّص ثلثي الكتاب لشتيفان زفايغ، وأن جودة الترجمة غير عالية، فإنّ هذا الكتاب، بما احتواه من نصوص مترجمة ومقدّمة حول تاريخ الأدب الألماني وسير للكتّاب الألمان، قد أدى دوراً مفيداً، إذ عرّف القارئ السوري بأدب كان شبه مجهول، ألا وهو الأدب الألماني. أما الكتاب الثاني فهو "قصص مختارة من الأدب الألماني"، وقد صدر عام 1955 مترجماً عن لغة وسيطة أيضاً من قبل المحامي سهيل أيوب، متضمناً نصّين للأخوين غريمّ وثلاثة نصوص قصصية لشتيفان زفايغ وتوماس مانّ وإ. ت. آ. هوفمانّ. ومع أنّ اختيار النصوص من قبل المترجم لم يستند إلى أسس تمكّن هذا الكتاب من تقديم ما يمثّل أدب القصة الألماني بمراحله واتجاهاته المختلفة تمثيلاً مناسباً، فإنه أكمل الدور المفيد الذي بدأ به الكتاب الأول، أي التعريف بالأدب الألماني. إلاّ أن تلك المرحلة من تاريخ استقبال الأدب الألماني في سوريا قد اقتصرت على تعريب عدد قليل من الأعمال عن لغة وسيطة، وكانت متخلفة كثيراً عن حركة استقبال الأدب الألماني في بلد عربي آخر هو مصر، حيث كان محمد عوض محمد وعبد الرحمن بدوي ومحموع ابراهيم الدستوقي وغيرهم من المترجمين المصريين قد أنجزوا تعريب العديد من الأعمال الأدبية الهامّة عن الألمانية مباشرة، ناهيك عن الأعمال الأدبية التي ترجمت عن لغة وسيطة.

وفي أوائل السبعينيات من القرن العشرين بدأت في سوريا على الصعيدين الترجمي والنقدي مرحلة جديدة من مراحل إستقبال الأدب الألماني، وذلك إثر عودة مجموعة من دارسي اللغة الألمانية وآدابها من الجامعات الألمانية والمصرية. وكانت الحكومة السورية قد أوفدت في أوائل الستينيات عدداً من الطلاب إلى ألمانيا لدراسة

اللغة الألمانية وآدابها، والتحق عدد آخر بجامعة القاهرة لدراسة الفرع نفسه، وذلك بغرض أن يصبحوا في المستقبل مدرّسين للغة الألمانية في المدارس الثانوية والإعدادية السورية، التي أخذت تدرّس فيها اللغة الألمانية كلغة أجنبية. إلاّ أنّ هؤلاء الخريجين فوجئوا، بعد عودتهم إلى الوطن في أوائل السبعينيات، بإلغاء تعليم اللغة الألمانية في المدارس، فانصرف بعضهم إلى ممارسة الترجمة الأدبية من الألمانية إلى العربية، وشكّلوا الكادر الترجمي والنقدي الذي نهض باستقبال الأدب الألماني في سورية على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة. وقد انضمّ إليهم بعض خريجي الجامعات الألمانية من ذوي الاختصاصات الأخرى الذين لديهم إهتمامات أدبية وكفاءة لغوية وثقافية مناسبة. وهكذا شهدت الساحة الثقافية السورية منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي ظهور حركة ترجمة أدبية عن الألمانية مباشرة، وذلك على الرغم من العوائق التي تطرّقنا إليها سابقاً. وقد برز خلال العقود الثلاثة الأخيرة عدد من المترجمين السوريين الذين حققوا إنجازات تستحق التنويه، ونذكر منهم:

محمد جديد، الذي درس اللغة الألمانية وآدابها في جامعة القاهرة، وأنجز بعد عودته إلى سوريا عدداً من الترجمات الأدبية الهامة، وأبرزها مسرحية "النسّاجون" لغيرغارد هاوبتمان، و"بناة العالم" (جزءان) لشتيفان زفايغ، و"الشعر والحقيقة" لغوته (ثلاثة أجزاء)، و"الدكتور فاوستوس" لتوماس مان. وقد أنجز محمد جديد تلك الترجمات الهامة بدأب وصمت وتواضع، بعيداً عن أضواء الإعلام، مكتفياً بالمكافآت[25] الزهيدة التي قدّمها له الناشرون السوريون.

عبدو عبود: وتعتبر أعماله إنجازا ترجمياً قلّ نظيره في تاريخ حركة الترجمة من الألمانية إلى العربية. وقد تحلّت الترجمات الأدبية التي أنجزها بجودة عالية تليق بالأعمال الأدبية العظيمة التي قام بتعريبها.

2- صلاح حاتم، وهو مترجم وناقد، ترجم إلى العربية عدّة أعمال روائية وقصصية لهاينريش بول، صدر بعضها وما زال بعضها الآخر تحت الطبع، كما ترجم قصصاً لفولفغانغ بورشرت وكافكا وهوفمنسال، وكتابا فكرياً لهاينريش هاينه، وقصصاً لليافعين بعنوان "القارب والصنوبرة".

---

(25) مجلة جامعة دمشق، المجلد 18 العدد الأول، 2002 عبده عبود.

وبالإضافة إلى ترجماته الأدبية والفكرية ألف صلاح حاتم وترجم دراسات نقدية مختلفة حول الأدب الألماني.

3- الدكتور نبيل حفار، رئيس تحرير مجلة (الحياة المسرحية) وأستاذ النقد المسرحي في المعهد العالي للفنون المسرحية. فقد ترجم إلى العربية أربعاً من مسرحيات برتولت بريشت (Bertolt Brecht)، ومسرحية لهاينر كيبهاردت، ورواية "العطر" لباتريك زيسكند، وأقصوصة لأنّا زيغرز، ولم يقتصر دور نبيل حفار على الترجمة، فقد كاتب مقالات كثيرة حول المسرح الألماني المعاصر.

4- الدكتور أحمد الحمو، أستاذ اللغة الألمانية في قسم اللغة الإنكليزية وآدابها بجامعة دمشق، وقد عرّب كتاب كاتارينا مومزن "غوته وألف ليلة وليلة"، ومسرحية جورج كايزر "مواطنو كاليه"، وقصتين لباول إرنست، وقصة لأرنولد تسفايج، ومؤلّف بريشت النظري الشهير "المنطق الصغير في المسرح"، واشترك مع الدكتور أحمد حيدر في تعريب "مختارات من الشعر المعاصر في جمهورية ألمانيا الديموقراطية".

5- الدكتور أحمد حيدر، أستاذ اللغة الألمانية في قسم اللغة الإنكليزية وآدابها بجامعة "تشرين"، وقد ترجم إلى العربية كتاب "نظرية الدراما الحديثة" لبيتر زوندي،، وكتاب "تاريخ الأدب السويسري"، وساهم في تعريب مختارات من الشعر المعاصر في جمهورية ألمانيا الديموقراطية.

6- نوال حنبلي، وقد اشتغلت مترجمة صحفية في وزارة الإعلام السورية، وعرّبت رواية هاينريش بول "الشرف الضائع لكاتارينا بلوم"، وعدّة قصص قصيرة ألمانية معاصرة صدرت في مجلة "الآداب الأجنبية".

7- إبراهيم وطفي، وقد عمل مترجماً صحفياً في السفارة السورية في بون، وترجم إلى العربية مسرحيتي بيتر فايس "حديث فيتنام" و"القضية"، ومسرحيتين لهاينر كيبهاردت هما: "ليلة جمعة" و"مرتس – حياة فنان"، ومسرحية مارتين فالزر "معركة منزلية". وبالإضافة إلى هذه الترجمات ينفذ السيد وطفي مشروعاً ترجمياً طموحاً يتمثل في تعريب الآثار الكاملة لفرانز كافكا.

8- الدكتور شاكر مطلق، وهو طبيب وشاعر، يهتم بالشعر الألماني تحديداً،

وقد عرّب مختارات من شعر هاينريش هانيه ونصوصاً شعرية ألمانية أخرى نشرتها مجلة "الآداب الأجنبية".

9- إيرينا داوود، وهي سيدة ألمانية درست اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق، واكتسبت كفاءة لغوية وأدبية مكّنتها من ترجمة عدة نصوص شعرية ألمانية إلى العربية، قامت حديثاً بجمعها في كتاب.

10- الدكتور فؤاد رفقة، وهو شاعر ومترجم سوري مقيم في لبنان، وقد عرّب بعضاً من شعر هلدرلين وريلكه وغيرهما من الشعراء الألمان.

11- عبده عبود، وقد ترجم مجموعة من قصص أنّا زيغرز بعنوان "المخربون"، وكتاب "الدراما الحديثة في ألمانيا" لفالتر هينك، وكتاب "أجمل قصص الأطفال" في جزأين (بالتعاون مع فريزة التجار)، وقصصاً ألمانية معاصرة نشرت ملحق لكتابه "القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية"، كما عرّب نصوصاً شعرية لهاينريش هاينه وهرمان هيسه وبرتولت برشت وإريش فريد وجبرييله فوهمان وغيرهم من الشعراء الألمان. إلاّ أن جهود عبده عبود قد انصبت في المقام الأول على دراسة استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي وعلى توسيطه نقدياً، من خلال ثلاثة كتب وعدد كبير من الأبحاث والمقالات.

إلى جانب هؤلاء المترجمين والنقاد الذين شكّل استقبال الأدب الألماني الجانب الأبرز من جهودهم ظهر مترجمون مارسوا الترجمة الأدبية عن الألمانية بصورة ثانوية، كالسيد ميشيل كيلو، الذي أنجز، بالإضافة إلى الترجمات الفكرية والفلسفية الهامة، ترجمة لرواية هرمان كانت "القاعة الكبيرة"؛ والباحث والمفكر المعروف بوعلي ياسين، الذي كان شديد الإعجاب ببرتولت بريشت وأدبه، وقد ترجم مجموعة "قصص الروزنامة" إلى العربية. ومن هؤلاء المترجمين عدنان حبال، الممثل التلفزيوني المعروف، الذي نشط حديثاً في مضمار ترجمة الأدب الألماني والتعريف به نقدياً، فترجم عدداً كبيراً من القصص المعاصرة، التي يمكن أن تشكّل مجموعة مختارات قصصية جديدة، كما أظهر موهبة كبيرة في ترجمة الشعر تجلّت عبر ما ترجمه إلى العربية من نصوص شعرية لبرتولت بريشت وهاينريش هاينة. ومن المترجمين السوريين الذين تستحق جهودهم التنويه القاص السوري حسن صقر،

الذي ترجم إلى العربية مسرحية غوته "إفيجينيا في تاوريس" وكتاباً عن نيتشه لرودولف شتاينر. رغم ظهور هذا العدد الكبير نسبياً من المترجمين الأدبيين السوريين الذين ينقلون الأعمال الأدبية الألمانية عن الألمانية مباشرة، فإن ظاهرة الترجمة عن لغة وسيطة لم تختف. فقد قام سهيل أيوب بترجمة مسرحية (فاوست) لغوته كاملة عن الإنكليزية، رغم أنها كانت قد ترجمت في مصر أكثر من مرّة عن لغتها الأصلية. فقد يتبيّن لنا أن الترجمة الوسيطة ترجمة دقيقة وجيدة، وأن المترجم السوري قد نقل تلك الترجمة إلى العربية نقلاً دقيقاً وجيداً، مما أبقى درجة عدم التناظر بين الترجمة العربية والنص الأصلي الألماني محدودة. فمن الناحية النظرية يمكن أن تكون الترجمة التي تتمّ عن لغة وسيطة[26] ترجمة جيدة، وقد تفوق جودتها جودة.

ترجمة تمت عن لغة المصدر الأصلية. وأشهر حالة على هذا الصعيد هي حالة الترجمة العربية لروايات الأديب الروسي دستويفسكي التي أنجزها الدكتور سامي الدروبي. وعلى صعيد الأدب الألماني فإن الترجمة العربية لمسرحية "فاوست" التي أنجزها المترجم سهيل أيوب عن لغة وسيطة أفضل بكثير من الترجمة التي قام بها الدكتور عبد الرحمن بدوي عن الألمانية. ومهما يكن من أمر فإن كثرة الأعمال الأدبية الألمانية التي ترجمت عن لغة وسيطة في سورية هي ظاهرة إشكالية متضاربة الدلالات.

نظرة أخرى

إذا أمعنا النظر في ما ترجم في سورية إلى العربية من أعمال أدبية ألمانية خلال نصف القرن الأخير، نجد أن أدب الرواية والقصة القصيرة قد فاز بحصة الأسد من ذلك الاستقبال الترجمي. فالرواية هي بامتياز الجنس الأدبي الأكثر صلاحية للترجمة إلى اللغات الأجنبية وذلك لأسباب كثيرة، منها أن تلقي هذا الجنس الأدبي يتم عبر القراءة، وأنها تزود المتلقي بمعلومات غزيرة عن المجتمع الأجنبي وحضارته، وأنها تحافظ عند الترجمة على كثير من أدبيّتها. إلا أنّ ضخامة الأعمال الروائية قد تجعل المترجمين يتردّدون في ترجمتها، وتجعل الناشرين يترددون في نشرها. وعلى الرغم من ذلك تحتفظ الرواية بالمكان الأول في العلاقات الأدبية الدولية. وهذا ينطبق على استقبال الأدب الألماني في سورية.

[26] المرجع السابق.

وإذا أمعنا النظر في حركة استقبال الأدب الألماني في سورية نجد أن تلك الحركة قد تمحورت حول الأدب الألماني في القرن العشرين، وكان نصيب الأدب الألماني الأقدم محدوداً. إلا أنّ ذلك لا يعني بالضرورة انعدام الاهتمام السوريّ بذلك الأدب، بل هو أمر يمكن ردّه إلى أن الترجمات القادمة من مصر ولبنان والكويت قد لبّت الحاجة الثقافية السورية المتعلقة به. وليس هناك ما يشير إلى وجود إهتمام سوري ظاهر بمدرسة أدبية أو باتجاه أدبي معيّن من إتجاهات الأدب الألماني ومدارسه، وإن كان استقبال أدب بريشت وبيتر فايس وأنا زيغرز وهرمان هيسه كان يمكن أن يعدّ تفضيلاً للأدباء اليساريين الألمان، وهذا أمر لا يدهش أحداً. فقد كانت للحكومة السورية علاقات وثيقة مع حكومة جمهورية ألمانيا الديموقراطية الإشتراكية، وكانت هناك قواسم إيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية مشتركة كثيرة بين الحكومتين واتفاقية تعاون بين اتحادي الكتاب في الدولتين. ولكن الأمر الواضح تماماً هو وجود إهتمام سوريّ كبير بأدباء معينين، أبرزهم هرمان هيسه، وفرانز كافكا، وبرتولت بريشت، وهاينريش بول، وفولفغانغ بورشرت. فقد ترجم بعض أعمال هؤلاء الأدباء الألمان أكثر من مرّة إلى العربية، وتلك ظاهرة لا يمكن إرجاعها إلى حاجة ثقافية سورية فقط، بل لا بد للمرء من أن يأخذ أيضاً في الحسبان تبعية استقبال الأدب الألماني في سورية لاستقباله في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا، إذ يتمتع أدباء ألمان من أمثال هرمان هيسه وفرانز كافكا بنفوذ أدبي كبير.

التلقي النقدي

جنباً إلى جنب مع التلقي الترجمي للأدب الألماني بذلت في سورية جهود للتعريف بهذا الأدب وتوسيطه نقدياً، إمّا عن طريق الترجمة أو عن طريق التأليف، كما بذلت جهود على صعيد استقصاء ذلك التلقي ونقده. وقد كان لعبده عبود دور كبير في هذا المجال، إذ ترجم كتاب فالترهينك (Hinck Walter) "الدراما الحديثة في ألمانيا" وزوده بمقدمة حول تلقي المسرح الألماني في الوطن العربي، فغدا هذا الكتاب أحد المراجع القليلة المتوافرة بالعربية حول المسرح الألماني. كما ألف كاتب هذه السطور كتابين وقفهما على استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي، هما "الرواية الألمانية الحديثة - دراسة استقبالية مقارنة" و"القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية". كذلك فإن كتاب "هجرة النصوص - دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي" وكتاب "الأدب المقارن - مشكلات وآفاق" يتضمنان عدة دراسات حول العلاقات الأدبية واللغوية العربية - الألمانية. ولعبده عبود دراسات

نقدية كثيرة، يعرّف فيها بعدد من كبار الأدباء الألمان والناطقين بالألمانية، كهاينريش مان، وتوماس مانّ، وأنّا زيغرز، وهاينريش هاينه، وفريدريش دورنمات، وهاينريش بول، وفريدريش شيلر، وذلك بالإضافة إلى مقالات كثيرة، راجع فيها العديد من الترجمات الأدبية التي تمت عن الألمانية، وذلك في مسعى لمواكبة استقبال الأدب الألماني المترجم نقدياً. ومن المتخصصين السوريين في اللغة الألمانية وآدابها الذين بذلوا جهوداً نقدية قيمة في مضمار التعريف بالأدب الألماني الدكتور أحمد حيدر، وذلك من خلال كتابي "نظرية الدراما الحديثة" و"تاريخ الأدب السويسري الناطق بالألمانية"، اللذين ترجمهما إلى العربية. ومن الجهود التي تستحق التنويه: قيام الكاتب والمترجم السوري المقيم في ألمانيا سليمان توفيق عواد بتعريب كتاب "مختصر تاريخ الأدب الألماني" لكورت روتمات، وهو كتاب يعد الأفضل في بابه بالعربية. كذلك فإن لصلاح حاتم عدة أبحاث نقدية في الأدب الألماني، تدور حول هوفمسنتال وغوته بشكل خاصّ. وللدكتور نبيل حفار مقالات كثيرة حول برتولت بريشت وغيره من المسرحيين الألمان، وقد كتب مقدمة طويلة وغنية بالمعلومات للترجمة العربية لرواية إريش ماريا ريمارك "ليلة لشبونة" التي أنجزتها الدكتورة ليلى نعيم عن الألمانية.

تلك هي بإيجاز الخطوط العريضة لاستقبال الأدب الألماني في سورية، فماذا عن استقبال الأدب العربي السوري في ألمانيا؟

جاء إستقبال الأدب العربي السوري في ألمانيا من الناحيتين الإنتاجية والاستقبالية جزء من استقبال ذلك الأدب في المنطقة الناطقة بالألمانية. ومن المعروف أن تحسناً كبيراً قد طرأ على استقبال الأدب العربي في تلك المنطقة ترجمياً ونقدياً منذ فوز الأديب العربي المصري نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب سنة 1988م. فقد ترجمت أعماله الكاملة إلى اللغة الألمانية، وازداد عدد الأعمال الأدبية العربية المترجمة إلى هذه اللغة زيادة ملحوظة، وتنامى الإهتمام الألماني بالأدب العربي بأكمله. إلا أن ذلك التحسن لم يصب الآداب القطرية العربية بالدرجة نفسها، وكان الأدب العربي السوري أحد الآداب العربية التي لم يطرأ على استقبالها سوى تحسن طفيف.

ترجع بدايات الاستقبال الترجمي للأدب العربي السوري في ألمانيا إلى أواسط الستينيات من القرن العشرين، عندما صدرت بالألمانية مجموعة مختارات قصصية سورية ولبنانية بعنوان "حمامات الجامع"، ثم راوح ذلك الاستقبال في المكان حتى عام 1978م إذ صدرت في جمهورية ألمانيا الديموقراطية سابقاً مجموعة مختارات

قصصية أخرى عنوانها "اثنان وعشرون قاصًا سورياً"، وذلك في إطار العلاقات المتطورة التي كانت قائمة بين حكومة تلك الجمهورية والحكومة السورية، وبين اتحادي الكتّاب في الدولتين الصديقتين. وفي مضمار القصة القصيرة أيضاً صدرت في ألمانيا عام 1987 ترجمة لمجموعة زكريا تامر القصصية "ربيع في الرماد"، وما زالت إلى الآن المجموعة القصصية الوحيدة لكاتب سوري بالألمانية. أما في مضمار الرواية فقد صدرت سنة 1990 ترجمة ألمانية لرواية الكاتبة السورية غادة السمّان "بيروت 75"، وأعقبها في عام 1994 صدور ترجمة ألمانية لرواية حنا مينه "بقايا صور". وعلى صعيد الشعر ثمة ظاهرة لافتة للانتباه، ألا وهي اقتصار استقبال الشعر العربي السوري ترجمياً على شعر أدونيس. فقد صدرت بالألمانية ترجمات لأربع من مجموعاته الشعرية وأربع من مجموعاته المقالية، وتوّج ذلك بمنحه جائزة أدبية ـ ألمانية رفيعة عام 2001 ألا وهي "جائزة غوته". وبذلك تحقق لهذا الشاعر استقبال ترجمي لم يتحقق لشاعر عربي حديث آخر. وعلى صعيد أدب الدراما حظيت مسرحيات سعد الله ونوس بشيء من الإهتمام الألماني. فقد صدرت ترجمة ألمانية لمسرحية "الاغتصاب" ضمن رسالة جامعية، وأنجزت الدكتورة رجينا قرشولي، المتخصصة في المسرح السوري، ترجمة ألمانية لمسرحيات سعد الله ونوس المختارة، ولكن تلك الترجمة لم تنشر بعد، بسبب انتقال المخطوط من دار النشر الألمانية الشرقية إلى دار نشر سويسرية في أعقاب انهيار جمهورية ألمانيا الديمقراطية.

سوريون يكتبون بالألمانية

إلا أن الحديث عن استقبال الأدب العربي السوري في ألمانيا وعن العلاقات الأدبية السورية - الألمانية لا يكتمل دون التطرق إلى ظاهرة الأدباء السوريي الأصل الذين يكتبون بالألمانية. وبصرف النظر عن مسألة انتماء كتاباتهم الأدبية إلى الأدب الألماني أم إلى الأدب العربي السوري، فإن الأمر الذي لا خلاف حوله هو أنّ هؤلاء الكتاب يكتبون بالألمانية، ويتوجهون بكتاباتهم إلى المتلقين الألمان، وعليه فإن تلك الكتابات جزء من الأدب الناطق بالألمانية، إلا أن هؤلاء الكتاب يعبّرون عن مشكلات وقضايا عربية سورية، تكونت في نفوسهم قبل هجرتهم إلى ألمانيا، وهم يعبرون عنها بلغة كانت في الأصل لغة أجنبية بالنسبة إليهم، متوجهين بذلك إلى متلقين غير معنيين مباشرة بتلك المشكلات. وعلى أي حال فإن من اللافت للانتباه كثرة الأدباء السوريي الأصل الذين يكتبون بالألمانية. أما أشهر هؤلاء الكتاب فهو القاص رفيق شامي، الذي

يكتب بالألمانية فقط، وليس له أي إنتاج أدبي باللغة العربية، علماً بأنه هاجر إلى ألمانيا بعد إنهاء الدراسة الجامعية الأولى في العلوم الطبيعية، ولكنه قرر، بعد أن حصل على الدكتوراه في تخصصه، ألا يعود إلى بلاده، بل أن يستقر في ألمانيا بصورة نهائية. يكتب رفيق شامي القصة والحكاية الخرافية والرواية لليافعين والكبار، وأغراض كتاباته مستمدة من البيئة السورية. وقد حظيت تلك الكتابات بانتشار واسع وأصبح لمؤلفها شهرة كبيرة، وفاز بعدة جوائز ألمانية. ومن المؤكد أن رفيق شامي ظاهرة تستحق الدراسة، إن من حيث الشكل الأدبي أو من حيث المضامين الفكرية لأعماله. كذلك لا يمكن تجاهل الطريقة التي يقدم بها هذا الكاتب نفسه للرأي العام الألماني في تصريحاته الإعلامية. فهو يحرص على أن يقدّم نفسه كاتبا عانى في وطنه الأصلي سورية الاضطهاد السياسي والديني مما اضطره للهجرة إلى ألمانيا. إنه يستدر بهذا الأسلوب تعاطف الرأي العام الألماني، ولكنه يساهم في ترسيخ الصورة السلبية لسورية في ذلك الرأي، وهذا أسلوب يفتقر إلى المسوّغات الأخلاقية، وليس له ما يبرره، بصرف النظر عن قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان في سورية. أما الأديب الثاني السوري الأصل الذي يكتب بالألمانية فهو الشاعر والنقّاد الدكتور عادل قرشولي. فهو يكتب الشعر والمقالة ويحاضر باللغتين الألمانية والعربية، وهو رئيس فرع الإتحاد الكتاب الألمان في مدينة لايبزيغ. خلافاً لرفيق شامي حافظ الدكتور قرشولي على علاقة وثيقة وطيبة مع وطنه الأصلي سورية، وهو يزور دمشق وغيرها من العواصم العربية كثيراً، وله صداقات مع العديد من المثقفين السوريين، مما مكنه من أن يقوم بدور جسر بين الثقافتين العربية والألمانية. فهو، بالإضافة إلى كتابة الشعر والمقالة باللغتين الألمانية والعربية، ناشط في مضمار تعريف الرأي العام الألماني بالأدب العربي المعاصر ونسج علاقات تعارف وزمالة بين الأدباء الألمان والعرب. وللدكتور قرشولي دراسة رائدة حول استقبال مسرح برتولت بريشت في الوطن العربي. وثالث الأدباء السوريي الأصل الذين يكتبون بالألمانية هو القاص والشاعر والمترجم والصحافي سليمان توفيق عواد. إنه يكتب باللغتين الألمانية والعربية ويترجم إلى هاتين اللغتين كلتيهما.

فقد ترجم إلى الألمانية رواية غادة السمان "بيروت 75" ومختارات من الشعر العربي المعاصر، ومختارات قصصية عربية، وقصصاً نسائية عربية، كما ترجم إلى العربية الوجيز في تاريخ الأدب الألماني. ومع أن سليمان توفيق عواد يعيش في ألمانيا منذ وقت طويل، فإنه لم يقطع صلاته بوطنه الأم على المستويين الإنساني

والثقافي. وإذا أخذنا الأدب بالمعنى الواسع للكلمة، أي التأليف والكتابة، العلاقات الأدبية السورية - الألمانية المعاصرة واقعها وآفاقها نستطيع أن نضيف إلى هؤلاء الكتاب الثلاثة كاتباً رابعاً سوري الأصل هو الدكتور بسّام طيبي، الذي يرأس قسم العلاقات الدولية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة غوتينغن، وهو من أشهر الباحثين والمتخصصين والمؤلفين في الشؤون العربية والإسلامية في ألمانيا. بدأ بسام طيبي كاتباً سياسياً ومفكراً اجتماعياً باللغة العربية، ثم انتقل إلى الكتابة والنشر باللغتين الألمانية والإنكليزية، وتوقف عن الكتابة بالعربية. كذلك فإن علاقته المثقلة بأعباء الماضي قد منعته من زيارة وطنه سورية والتواصل مع مثقفيها، وحرمته من أن يقوم بدور في العلاقات الثقافية والسياسية بين سورية وألمانيا. وعموماً فإن سورية لم تتمكن من الاستفادة من أبنائها الذين يكتبون بالألمانية. فالجهات الثقافية الرسمية المعنية بالأمر لم تبدي إهتمام بهم، ومما يؤسف له حقاً ألا يعرف الرأي العام السوري شيئاً عن قاص شهير يكتب بالألمانية كرفيق شامي على الرغم من مواقفه المذكورة سابقاً، وألا يعرف الكثير عما يكتبه بالألمانية شاعر وكاتب سوري الأصل الدكتور عادل قرشولي، ولا عما يقوم به كاتب ومترجم سوري الأصل في التعريف بالأدب العربي المعاصر عبر الترجمة والنقد كسليمان توفيق عواد، وألا يأخذ المعنيون في سورية علماً بوجود باحث ومؤلف ومفكر لامع سوري الأصل يكتب بالألمانية كالدكتور بسام طيبي. فقد كان بوسع هؤلاء، لو إهتمت الجهات الثقافية المعنية بهم ورعتهم ووطدت صلاتها بهم، أن يشكلوا جسراً حقيقياً بين الثقافتين السورية والألمانية وبين المجتمعين السوري والألماني[27].

مفكرين ومستشرقين وأدباء ألمان كان لهم الفضل الكبير في التعريف عبر الترجمة والكتابة بالفكر والأدب العربيين والتراث الإسلامي

إزدهرت في مطلع خمسينيات القرن الماضي. حركة الترجمة والكتابة من الألمانية والعربية وهناك العديد من النماذج الأدبية والفكرية التي نشطت في هذا المجال. وقد إخترت من هذه النماذج نموذجين مهمين كان لهما الأثر في تنامي هذا الإزدهار وهما الدكتورة أنا ماري شيمل والدكتور هارتموت فاندريتش.

[27] المرجع السابق.

آنا ماري شيمل: النشأة والتعليم

أنا ماري شيمل (بالألمانية: Annemarie Schimmel) (7 نيسان/أبريل 1922م . 26 كانون الثاني/يناير 2003م) هي واحدة من أشهر المستشرقين الألمان على المستوى الدولي[28].

ولدت آنا ماري شيمل في 7 نيسان/أبريل 1922م في مدينة إرفورت بوسط ألمانيا لعائلة بروتستانتية تنتمي إلى الطبقة الوسطى. كان والدها من عائلة من صناع النسيج ولكنه كان عاملا متوسطا في خدمة البريد والتلغراف. أما أمها فتنتسب إلى مكان صغير بالقرب من بحر الشمال وإلى عائلة من قباطنة السفن المستقلين الذين يطوفون بحار المعمورة طلبا للرزق.

وقد نشأت كطفلة وحيدة في جو تسيطر عليه غبطة الحياة وحب الشعر. وكانت منذ طفولتها شغوفة بكل ما يتعلق بالشرق ومعجبة بكل ما هو روحاني وصوفي في الإسلام والأديان الشرقية الأخرى.

بدأت في تعلم العربية في عام 1937م وكانت ما تزال في الخامسة عشر من عمرها وقد تلقت إلى جانب العربية دروسا في مبادئ الدين والتاريخ الإسلاميين. وإلى جانب ذلك كانت تتعلم الفارسية والتركية وكذلك الأردية.

في عام 1939م نزحت مع الأسرة إلى برلين وفيها بدأت دراستها الجامعية للأستشراق. وبعد عام واحد بدأت العمل على رسالتها للدكتوراة حول مكانة علماء الدين في المجتمع المملوكي تحت إشراف ريشارد هارتمان وقد انتهت منها في تشرين الثاني/نوفمبر 1941م وهى في التاسعة عشر من عمرها ونشرتها عام 1943م في مجلة "عالم الإسلام" تحت عنوان "الخليفة والقاضى في مصر في العصور الوسطى المتأخرة".

وفى تشرين الثاني/نوفمبر من عام 1941م عملت كمترجمة عن التركية في وزارة الخارجية الألمانية. وفى وقت الفراغ واصلت اهتمامها العلمي بتاريخ المماليك حتى تمكنت من عمل فهارس لتاريخ ابن إياس. وفى آذار/مارس 1945، قبيل

[28] من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل، انتهت من رسالة الدكتوراه في جامعة 1945م برلين عن الطبقة العسكرية المملوكية.

بعد الحرب

وبعد قليل تم إجلائها مع بقية موظفي الخارجية ولكن سرعان ما قبض الأمريكان عليها وارسلت بعد اعتقالها إلى مدينة ماربورغ. وكان من حسن حظها أنها من ناحية انتهت من رسالة الأستاذية قبل سقوط النظام النازي ومن ناحية أخرى أنها عاشت خلال فترة الحكم النازي حياة غير سياسية. عندما اعيد تنظيم الجامعات الألمانية بعد الحرب وجدت وكانت في الثالثة والعشرين مكانا لها في جامعة ماربورج التي كانت تبحث عن خلف لأستاذ العربية الذي أقيل بسبب علاقته بالنظام النازي. وكما كانت أصغر أستاذة كانت أيضا أول سيدة تلقى بعد الحرب محاضرة قدوم عن التصوف الإسلامي وكان ذلك في ربيع 1946م.

وقد حصلت في عام 1951م على دكتوراه ثانية تحت إشراف هيلر عن مصطلح الحب الصوفي في الإسلام. ثم ترجمت بناء على طلب بعض علماء الاجتماع الألمان مقاطع طويلة من مقدمة ابن خلدون. وقد زارت تركيا ولأول مرة عام 1952م وفي سنة 1954م بدأت التدريس في "كلية الإلهيات" في جامعة انقرة

عندما عادت إلى ماربورغ 1959م وجدت نفسها دون وظيفة جامعية. وفي عام 1961م وجدت درجة أكاديمية في جامعة بون فانتقلت إلى بون التي أصبحت منذ ذلك الوقت مدينتها. وفي بون اتصلت مرة أخرى بالخارجية الألمانية وبدأت منذ عام 1963م تشارك البرت تايله Theile في الإشراف على إصدار مجلة فكر وفن التي تموّلها الخارجية الألمانية.

وعبر مشاركتها في إصدار هذه المجلة والتي استمرت حتى عام 1973م قدمت أشعارا لأغلب الشعراء العرب المعاصرين مثل بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي وفدوى طوقان ونزار قباني وأدونيس ومحمود درويش ومحمد الفيتوري وغيرهم من الشعراء الذين نقلت بعض اشعارهم إلى الألمانية عام 1975م. وكانت كذلك تمد القارئ العربي في كل عدد بشيء من شعر جلال الدين الرومي ومحمد إقبال وغيرهما من

الشعراء المسلمين غير العرب.

كما اهتمت كذلك بإحياء الاهتمام بتراث الشاعر والمستشرق-المترجم فريدريش روكرت Rückert فقامت بتحقيق أعماله وكتابة ترجمة لحياته اعادت إليه الشهرة كأهم ناقل للآداب الشرقية إلى الألمانية. ولأجل هذا، وكذلك لأجل ترجماتها عن اللغات الشرقية، فازت عام 1965م بجائزة فريدريش رويكارت التي تمنحها مدينته (شفاينفورت) بجنوب ألمانيا. وكانت هذه الجائزة فاتحة للجوائز والأوسمة التي بدأت تنهال عليها من الشرق والغرب.

وفى عام 1967م تمت دعوتها إلى العمل في جامعة هارفارد لشغل كرسى الثقافة الهندو-إسلامية الذي أنشئ بناء على تبرع أحد مسلمي الهند الأغنياء. ورغم أنها لم تكن متخصصة في هذا المجال إلا أنها حصلت على الكرسي الذي رُبط الحصول عليه بضرورة ترجمة أشعار شاعرا الأدرية مير دارد الدهلوى (ت 1810م) وأسدالله غالب (ت 1869م) وذلك بهدف أن يحصلا على شهرة مقاربة لشهرة عمر الخيام في نطاق الإنكليزية. وساعد على حصولها على هذا الكرسي أيضا أنه لم يكن لها ماض ماركسي أو يساري ولا تنتسب إلى دول شرق أوروبا! وكان على هذا القسم الاهتمام بتاريخ الإسلام في الهند منذ عام 711م وباللغات التي تساعد على دراسة هذا الأمر وهى العربية والفارسية والتركية وكذلك اللغات المحلية مثل السندية والبنجابية والبشتونية والأردية. وكذلك كان عليها أن تكون مكتبة متخصصة للقسم. وكانت تلقى محاضراتها عن التصوف الإسلامي وهى المحاضرات التي كونت فيما بعد أحد أهم كتبها وهو كتاب "الأبعاد الصوفية في الإسلام" (توجد ترجمة عربية للكتاب) وكذلك محاضرات عن الشعر الفارسي التي كتبت فيما بعد عن صورة العالم فيها وقدمت تدريبات عن الرومي وإقبال. كذلك واصلت اهتمامها بفن الخط الإسلامي. ولكن اهتمامها الأساسي أصبح منصبا على تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية والدراسات التي تدور حول ذلك بالسندية والأردية. وكانت تؤلف في ذلك بالإنكليزية والألمانية هذا إلى جانب دراساتها لتاريخ الأدب وللشعراء المفردين. وكانت تترجم بنشاط أشعار غالب والحكايات الباكستانية أو حكايات شاه عبد اللطيف السندي.

وبعد إحالتها على المعاش في عام 1992م عادت، بعد خمس وعشرين سنة من العمل في هارفارد وكمبردج، إلى بون حيث واصلت الكتابة عن الإسلام بالألمانية

والإنكليزية لتقريبه من قراء هاتين اللغتين.

وقد احرزت، رغم مناوشات المناوئين، في عام 1995م وكأول مستشرقة ودارسة للإسلام جائزة السلام الألمانية التي يمنحها اتحاد الناشرين الألمان ويسلمها رئيس الدولة الألماني.

ترجمتها الذاتية

في سنواتها الأخيرة نشرت وصفا لرحلاتها إلى باكستان والهند. ونشرت ترجمتها الذاتية بعنوان (Morgenland und Abendland. Mein west-östliches Leben). والتي ترجمها إلى العربية د. عبد السلام حيدر ونشرها في المشروع القومي للترجمة بالقاهرة تحت عنوان "شرق وغرب: حياتي الغرب[29] - شرقية" (2004م) التي تضمنت عرضا لتنوع جهودها العلمية ولرحلاتها (إلى المؤتمرات والمحاضرات) عبر أوروبا وأميركا الشمالية وأندونسيا والباكستان وتركيا والهند وإيران وافغانستان والدول العربية ودول وسط أسيا. وتعطى ترجمتها الذاتية الضخمة نسبيا فكرة عن شبكة العلاقات والصداقات التي كونتها عبر العالم. وكان هذا هاماً لها على الجانب الإنساني لأنها وبعد وفاة والدها عام 1945م ثم أمها عام 1978م كانت تعيش بمفردها ودون أقارب مباشرين. وربما هذا ما قادها في الثمانينات والتسعينات إلى القيام بكل هذه الرحلات التي جعلتها أشهر ممثلي الاستشراق الألماني على المستوى الدولي حتى وفاتها في بون في 26 من كانون الثاني/يناير 2003م.

هارتموت فاندريتش (Hartmut Fāhndrich)

يعتبر من أهم من عرّفوا بالعربية والأدب العربي الحديث، نظراً لإنغماسه واهتمامه، بترجمة كتب وروايات عربية حديثة من الألمانية إلى العربية. وهو يعيش حالياً في سويسرا بمدينة برن (Bern) ترجم أكثر من 60 رواية وكانت البداية في العام 1982م عندما ترجم لدارنشر سويسرية بعض الأعمال الأدبية الفلسطينية لسحر

(29) آنا ماريا شيمل، شرق وغرب: حياتي الغرب – شرقية ترجمة د. عبد السلام حيدر، المشروع القومي للترجمة (القاهرة 2004).

خليفة "الصبار" وغسان كنفاني. وآخر رواية ترجمها في العام 2012م كانت "طوق الحمام" لرجاء عالم. ذات مرة سئل الروائي الكولومبي غبريال غارسيا ماركيز عن المترجم فقال: "إنه روحي الثانية".

اراد هارتموت فاندريتش ان يكون روحاً ثانية لنجيب محفوظ لابراهيم الكوني وعلاء الاسواني وغسان كنفاني وسحر خليفة وزكريا تامر وضع الله ابراهيم وجمال الغيطاني وادوار الخراط واملي نصر الله ورشيد الضعيف وحسن داوود وخالد زيادة وحنان الشيخ وايمان حميدان يونس ورجاء عالم وسلوى بكر ومنصورة عزالدين، وغيرهم..

قرر فاندريتش ان الشرق والغرب يلتقيان بالثقافة والانسان. وراح ينقل النص من ضفة إلى ضفة واحياناً اعادة خلقه بلغة جديدة ناصعة. «ما أترجمه يصف للقراء الأوروبيين عالم جيرانهم العرب»، يقول. جميل ان نرى صورتنا الألمانية في العين وفي القلب وفي ذلك الشغف المستدام والعزلة المستنيرة، وايضاً في النزاهة والامانة والموضوعية" (جملة وردت في حديث له خلال حفل تكريم أقيم له في بيروت دار الندوة).

فبدعوة من دار "نلسن" للنشر، وبرعاية وزير الثقافة أقيمت في قاعة "دار الندوة" في رأس بيروت 2012م، ندوة تكريمية للمترجم الألماني الدكتور هارتموت فاندريتش.

شارك في الندوة،الشاعر نعيم تلحوق، المترجمة رلى بعلبكي، والروائيون إميلي نصر الله، رشيد الضعيف، سلوى بكر (مصر)، حسن داوود (قُرئت رسالته في غيابه، لطارئ السفر) تلاهم مدير دار نلسن سليمان بختي (مدير دار نلسن)، بداية، رحب بختي بالحضور.

وباسطاً السيرة والمشاركات والجوائز التي نالها المكرم من ألمانيا وسويسرا ومصر والسعودية". ترجم أكثر من 55 رواية ولم يزل يأكل ويشرب ويمشي على قدميه. أما ماذا ترجم ولما ترجم ولمن ترجم وكيف. فهذه أسئلة راحت تتهاوى تحت سنابك الكتب العربية التي طلعت على الضوء في الضفة الأخرى. وتقديراً للدور المجهود قدم له بختي درع نلسن للنشر تحية وفاء وشكر وتقدير". (حضر مؤلف هذا الكتاب الندوة وسجل كلمة السيد بختي).

وفي المناسبة، أعلن الدكتور هنري عويس مدير مدرسة الترجمة في جامعة القديس يوسف أن هارتموت فاندريتش سيُكرم أيضاً في الجامعة قريباً وسيمنح ميدالية جوزف زعرور للترجمة .

ثم كانت كلمة الأديبة إميلي نصر الله التي وصفت فاندريتش بأنه "صديق الأدب العربي والحضارة العربية". واستعادت معرفتها به منذ الثمانينات، حيث ترجم لها "الإقلاع عكس الزمن"، وأشرف على ترجمة "الرهينة" و"يوميات هر"، وبقي صادقاً وأميناً ومثابراً ومخلصاً ومتواصلاً في عمله وفي علاقاته.

وحملت كلمة الروائي رشيد الضعيف الطابع الوجداني السردي. وروى بطرافة تاريخ معرفته بهارتموت وميزاته الشخصية، مستذكراً مواقف كثيرة جمعتهما في سويسرا وفي لبنان. وطرح الضعيف السؤال الإشكالي المتعلق بالترجمة فقال: "ماذا يترجم من أعمالنا؟ وهل هي القصة أم الحكاية أم الأسلوب بما فيه من فقر أو غنى أو إحالات؟."

وتحدثت رلى بعلبكي (أستاذة الأدب الإنكليزي والترجمة في الجامعة الأميركية) عن مفهوم الترجمة ومشاكلها وأبعادها، وذلك من خلال أمثلة ميدانية عديدة استقتها من تجربتها الأكاديمية.

واستشهدت بنماذج ترجمتها لسعيد عقل وغيره، شارحة آليات الترجمة وإشكالاتها وتطبيقاتها وكيفية الدخول إلى النص المترجم وكيفية قطف المعنى.

أما الشاعر نعيم تلحوق فسأل في كلمته: "هل الترجمة جزءٌ من الحرب التي تُشَن بين الدول أم هي للتعاون السلمي بين الثقافات والحضارات؟ وهل أخذ المترجم على علاقته وأقرانه مبادرة ترجمة الكتب الإبداعية التي تسجل ذاكرة الشعوب بمعناها لا بمبناها؟ وهل سيصبح العالم لغة واحدة؟". وختم بالقول "إن الترجمة مادة الحوار والتعارف لا الصراع والاحتدام."

ثم كانت رسالة الروائي حسن داوود، وجاء فيها: "هارتموت فاندريتش هو الترجمان الذي لم يكفه النظر إلينا من ضفته. هو المحترف الوحيد بين أقرانه المترجمين إلى اللغات الأخرى. في بيته بتلك الضاحية السويسرية أرانا مكتبته التي جمع فيها كل ما صدر من الروايات العربية من مختلف بلدانها."

وجاء في رسالة الروائية سلوى بكر من مصر: "لا أظن أن مترجماً غير هارتموت فاندريتش فتح كل ذلك الأفق الممتد للأدب العربي الحديث في الثقافة الألمانية. وذلك عبر جهد يحتاج إلى مزيد من المترجمين والمطلعين على الثقافة العربية المعاصرة. نقل هارتموت الأدب العربي من مرحلة الاستشراق إلى مرحلة الاستعراب المرتكز على معرفة الآخر المعاصر من خلال عوالمه الأدبية، والجغرافية والاتجاهات والعوالم والأجيال. وأثنت أخيراً "على أمانته التي اعتمدت الدقة والتمحيص في النقل." (محتوى أوراق المتكلمين في الحفل كما وردت في كلماتهم – المؤلف).

أما المحتفى به، هارتموت فاندريتش، فقد روى في كلمته بأسلوب طريف، كيف أصبح مترجماً للأدب العربي المعاصر، واستهلها بـ"كان يا ما كان في قديم الزمان وكنت أنا مستشرقاً شاباً له مستقبل باهر في الحياة الأكاديمية في مجال الثقافة العربية الإسلامية. وفجأة تغير كل شيء لثلاثة اسباب:

1– أراد تلاميذي أن يتعلموا شيئاً عن العالم العربي المعاصر في بداية الثمانينات.

2– ظهرت تساؤلات أيضاً خارج الجامعات حول ما يوجد في العالم العربي غير العمليات الإرهابية وارتفاع سعر النفط.

3– اتصل بي دارا نشر سويسريان وطلبا مني ترجمة بعض الأعمال الأدبية الفلسطينية لسحر خليفة وغسان كنفاني.

وفي مقاربة للمترجم، قال: "يجب أن يكون المترجم متحمساً. وبالفعل الترجمة أمر غريب وشغل غير عادي. المترجم تشبه قصته قصة القديس كريستوفر الذي يحمل الناس على كتفيه عبر النهر، ومن ضفة إلى ضفة. وفي العبور يصبح الحمل أثقل وأثقل، ولا يصل إلى الضفة الأخرى إلا بمشقة وجهد. هذا هو عمل المترجم، وهو خبير بالضفتين. هذا ما حاولته وما زلت." (نص مأخوذ من كلمة المحتفى به كما سجله مؤلف هذا الكتاب).

سبستيان هاينه

ولد سبستيان هاينه في1985 في مدينة ايزنخ/ تورينغن. درس في جامعة بون، قسم اللغات الهندو . الجرمانية، كتب رسالة الماجستير تحت عنوان «دراسة

الأفعال في اللغة البشتونية» سنة 2007 وفي سنوات 2007 إلى 2010 دافع عن رسالة الدكتوراه، التي كانت «حول تاريخ اللغة البشتونية» وحاز لقب دكتور فلسفة في العلوم اللغوية.. يعمل الدكتور سبستيان هاينه حاليا باحثا في جامعة بون. شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية في ألمانيا وخارجها – سبستيان هاينه مختص كبير باللغات الهندو – الجرمانية، عندما يعجز المختصون الإيرانيستيون عن معرفة لهجة من لهجات اللغات الهندو – الإيرانية فإنهم يستشيرون س. هاينه عن نشأة تلك اللهجة.

وقد حاوره الشاعر الكردي حسن حبش وهو مقيم في ألمانيا وهنا نص الحوار:

– عندما كنت في الثاني والعشرين من العمر كنت تعرف خمسا وثلاثين لغة والآن بعد خمس سنوات، ماهي اللغات الجديدة التي أتقنتها؟

قبل الإجابة علي السؤال لابد أن أحدد مفردة «الإتقان» لأنه أخذ بعداً أعمق حسب اعتقادي. يجب النظر إلي الحالة التي يعبر فيها المرء بلغة ما عن حاجاته اليومية أولاً والتعمق في دراسة لغة ما ثانياً. ففي الحالة الثانية إذا أردنا دراسة المتنبي أو أبو نواس مثلاً فإننا ربما نحتاج إلى سنوات العمر كله لمعرفة أسرار اللغة العربية إلى حد ما. بالعودة إلى السؤال المطروح أستطيع القول أنه في سنة 2007 عندما انتهيت من كتابة رسالة الماجستير كان لا بدّ من التعمق في دراسة اللغات الإيرانية الجديدة التي يتكلم بها الناس في أفغانستان وإيران وتركيا وكذلك في القوقاز من أجل أطروحة الدكتوراة «عن تاريخ النحو في اللغة البشتونية.» دافعت عنها عام 2010.

عن اللغات الجديدة التي تعلمتها وأتعلمها يتمحور نشاطي الآن حول عائلة اللغات التركية. أثناء عملي في الماجستير بدأت بدراسة الأوزبكية وذلك من خلال مشروع علمي للبحث في اللهجة الأوزبكية في أفغانستان. إن خصوصية الأوزبكية في المحافظات الشمالية في أفغانستان تستدعي القول أنها مرتبطة أكثر باللغات التركية الموجودة في غرب تركمانستان وكذلك باللغات الشمالية الغربية التركية، مثل: القيبشاكية والكازاخية والقيرغيزية ونتيجة للبحث توصلت إلى استنتاج مفادها أن هذا الاختلاط اللهجوي مع بعضها له تأثير سحري أخاذ. كل هذا أوصلني خلال السنوات الخمس الماضية إلى دراسة اللغات التركية الكبرى: التركية والأذرية والتركمانية

والإيغورية والكازاخية والقيرغيزية والتترية. ازدادت معلوماتي تعمقا خاصة في مجال اللغات الجنوبية الغربية من العائلة التركية، في التركية والأذرية والتركمانية لأنني أهتم بالأدب الكلاسيكي في العهد العثماني وخاصة بدواوين نديم وأشكى وبكر ونافع. إلى جانب هذه اللغات المذكورة أعلاه أميل بشغف إلى دراسة اللغات الهندو–الجرمانية والأوتوختونية في القوقاز. لكل باحث لغوي تعتبر هذه المنطقة ذات أهمية خاصة؛ حيث قال المؤرخ الروماني بلينيوس في عهده إن القوقاز «جبل اللغات» ويستطرد بلينيوس قائلاً في حينه أن أي تاجركي يكون موفقا في أعماله التجارية يحتاج إلى مئة وعشرين مترجماً. أستطيع أن أسمي اللغات التي أدرسها هنا هي: اللغات الهندو– الجرمانية، الأرمنية والأسيتنية واللغات الأوتوختونية، الشيشانية واللازية والجورجية.

لا أجد صعوبة هنا في ألمانيا من الاختلاط بمتكلّمي بعض اللغات وخاصة التركية حيث يعيش أربعة ملايين شخص ولكن نسبة الشيشانيين والأسيتنيين ضئيلة وهذا يدعوني إلى السفر إلى أماكن وجودهم، ولهذا الغرض سافرت مراراً إلى اسطنبول والتقيت المهاجرين القفقاز في المعسكرات المختلفة لكي أستمع إليهم كيف ينطقون بلغاتهم، وهذه حسب رأيي أفضل طريقة لتعلم لغة ما.

هناك عائلة أخري تثير اهتمامي بشكل خاص هي مجموعة اللغات آسيا الجنوبية وأقصد اللغات المالاوية والإندونيسية والتاغالوغية والڤيساياوية (لغتان في الفيليبين). إن الثراء المفرداتي لتلك اللغات يدعوني إلى التعجب من ذلك التنوع الجمالي الرائع في تاريخ تلك المنطقة. تجد في تلك اللغات مفردات سنسكريتية جاءت تحت تأثير اللغة الهندوسية وكلمات عربية وفارسية دخلت مع الدين الإسلامي وكذلك مفردات اسبانية وهولندية جاءت مع العهد الاستعماري. مع عدم النسيان كفاحي المستمر مع اللغة العربية، الفريدة والغنية (مع الأدب الجاهلي والقرآن وصحيح البخاري والمتنبي).

– وأنت تلميذ في المدرسة، أي في السن الخامسة عشرة برهنت على أن لغة الشاعر الإغريقي هوميروس قريبة من اللغة السنسكريتية، كيف توصلت إلى ذلك؟

كان لدي والدي المؤرخ (رحمه الله) مكتبة كبيرة وفيها قسم خاص عن اللغات الهندو–الجرمانية. وجهني والدي منذ الصغر إلي الاهتمام ليس بالتاريخ الغربي وثقافته

(الموسيقى والفن والأدب) فحسب، بل كانت رغبته الأكثر أن أتوجه إلى دراسة اللغات. لكي أفهم التاريخ بشكل جيد- كما قال والدي- يجب علي المرء أن يرجع إلى المصادر الأصلية، ولتحقيق ذلك يتطلب معرفة فيلولوجية وقراءة المصادر بلغاتها الأصلية. هكذا بدأت بدراسة اللغة اللاتينية وبعدها اليونانية القديمة، ومن ثم التعرف علي المبادئ الأساسية للهندو- الجرمانية. إن المعرفة الفونولوجية والمورفولوجية للغات والمقارنة بين المبادئ الأساسية في اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة جعلتني أستنتج أنهما من الناحية الوراثية قريبتان من بعضهما، وهذا ما لاحظته في ملحمة "الإلياذة" الشهيرة لهوميروس، الملحمة الأولى المدونة في القرن الثامن ق.م. في تاريخ الآداب الأوروبية. في ذلك الوقت أيضا نصحني والدي أن أدرس اللغة السنسكريتية. إنه اشتري لي كتاب القواعد للسنسكريتية من العالم الألماني ستنزلر، المتخصص في اللغات الهندية. بدأت بدراسة السنسكريتية في السن الخامسة عشرة وكانت نتيجتها استمراري في جامعة بون في دراسة اللغات الهندو -الجرمانية وذلك بالمقارنة مع اللغات الهندو- الإيرانية إلى أن توصلت إلى تعلم اللغات البشتونية والفارسية والكردية والبلوجية. إن دراسة اللغات الهندو الجرمانية أتاحت لي فرصة التعرف علي اللغة البلوجية وكذلك إلى معرفة بدايات اللغة الأفستية (حوالي 1500 سنة ق.م). أما بالنسبة للغة الشعبين البلوجي والبشتوني اللذين لم نحصل علي نصوص قديمة لهما فيمكن للباحث أن يعيد البناء اللغوي لهما عن طريق علم البلنتولوجي وذلك بدراسة الحقب التاريخية الماضية وأماكن استيطانهما وهجراتهما ومن ثم التوصل إلى استنتاجات بهذا الخصوص.

-لنعرج علي هذا المصطلح المتداول «علم الإستشراق» ينظر إليه من قبل البعض بنظرة مريبة، أي أن وراء الأكمة ما وراءها والبعض يقيمه على أنه إنجاز علمي كبير ساهم ويساهم في تطور ثقافات الشعوب إلى أي رأي تميل ولماذا؟

الشرق هو بشكل عام مفهوم جغرافي يستعمل للتمييز بين البلدان الأوروبية والآسيوية والأفريقية من اسطنبول إلى طوكيو. «الاستشراق» كمصطلح علمي يهتم بشكل رئيسي باللغات وبثقافات الشعوب الإسلامية. وبمعني أدق يتخصص بمصطلح اللغات وثقافات البلدان الإسلامية. نشأ الاستشراق كمصطلح من تيارات متعددة. من الناحية العملية ظهرت الحاجة الملحة لمعرفة اللغات في هذا المجال نتيجة للصراعات

العسكرية والاقتصادية مع الإمبراطورية العثمانية وكان المترجمون والمستشارون لهم دورهم في ذلك. البندقية وكذلك الإمبراطورية الهابسورجية أنشأتا في نهاية القرن السادس عشر مدرسة لتعليم اللغات بالدرجة الأولي التركية والعربية ومن ثم الفارسية. وهذا أدي إلى بداية الجدل العلمي مع "الأجنبي" الذي كان له طابع عملي – تكنيكي محض.

يعتبر المستشرق الألماني الشهير هامر – بورجشتال الأول في مجال الاستشراق الألماني، بدأ سيرته الوظيفية «كصبي مترجم» في اسطنبول وهابسبورجر وفي وقت متأخر عمل مترجما للعربية أثناء غزو نابليون لمصر (1797 – 1799).

يجب التركيز هنا علي حدث مهم مفاده أنه ظهر لدي هامر – بورجشتال اهتمام شديد بجعل الشرق كمادة للعلم. إنه قام بخطوات عملية في هذا المجال، حيث كتب أول المجلدات عن تاريخ الإمبراطورية العثمانية، وترجم سوراً من القرآن إلي الألمانية وكان مؤسساً للدراسات الفارسية في أوروبا وذلك عن طريق ترجمة ديوان الشاعر الفارسي الكلاسيكي حافظ إلي الألمانية. تلك الترجمة ذاتها التي ألهمت جوته في كتابة "ديوان الغربي – الشرقي". بعد انتهاء حروب نابليون (1815) نشأ الاستشراق كتقليد علمي في أوروبا وبالأخص في ألمانيا وبعدها في فرنسا وفي وقت متأخر في انجلترا.

- ما هو مستشرقك المفضل ولماذا؟

واحد من أهم المستشرقين في الإيرانيستيك بدون شك هو العالم النرويجي جورج مورغنشتاين (1892–1978) الذي قام ببحوثه في المنطقة الحدودية الحالية بين باكستان وأفغانستان. كانت نتيجة أبحاثه فريدة من نوعها إلى يومنا هذا بواسطة جهوده العلمية نستطيع الآن التعرف علي بعض اللغات الميتة أو على اللغات التي في طريقها إلى الانقراض. أعماله عن البشتونية أساسية أيضا وكان أساسا متينا في رسالتي الدكتوراة.

- يتراءى للبعض أن الاستشراق الألماني يعاني حالة من الركود، خاصة بعد رحيل المستشرقة المعروفة أناماري شيمل، هل أنت متفق مع هذا الرأي، أم لك رأي آخر؟

المستشرقون الألمان منذ القرن التاسع عشر وإلي الآن وضعوا المعايير العلمية الأساسية للاستشراق بشكل عام وخصوصيتهم في ذلك أنهم بدؤوا بدراسات

اللغات والآداب والتعرف بعمق علي المصادر التاريخية، وبرز في هذا المجال مستشرقون ألمان كبار، وقدموا دراسات قيمة، ومن هذه الأسماء اللامعة نذكر بدون شك هنا: تيودور نولدكي (1836– 1930) وكارل بروكلمان (1868 – 1956) وغيرهم...

للإجابة علي سؤالك وأتفق معك في الرأي أنه بعد رحيل أناماري شيمل التي كانت المستشرقة رحل الاستشراق الكلاسيكي بكل معني الكلمة. الكلاسيكية تعني هنا أولا المعرفة العميقة باللغات والآداب التي يعكف علي دراستها المستشرق، وثانيا التعرف «المدروسة» من نواحي مختلفة. أناماري شيمل دراسات قيمة وترجمت من سبع لغات، من العربية والتركية والفارسية وحتي من البنجابية والأوردوية. الدراسات الاستشراقية في الوقت الحاضر ليست متكاملة كما كانت في عهد جيل شيمل. يهتم الآن أكثر بالبلدان وبالحدود الثقافية. يوجد اليوم أقسام مثل «القسم العلمي لجنوب شرق آسيا» أو "دراسة الأقاليم في آسيا" الموزعة بين لغات عدة (على سبيل المثال، اللغة التركية والكورية والخ...) الجيل الجديد من الباحثين يعرف نادراً أكثر من لغة ولا يستطيع أن يفهم العلاقة بين الثقافات المختلفة في الشرق، وهذا يؤدي غالبا إلى آفاق محدودة. أي باحث في حقل الدراسات التركية العثمانية يناقض نفسه إذا لم يكن ملماً أيضا باللغات الفارسية والعربية.

علوية صبح

صحفية لبنانية من جنوب لبنان كتبت الرواية بالعربية، وقد لفتت روايتها "مريم الحكايا" أنظار النقاد والمترجمين في ألمانيا، وتمت ترجمتها إلى الألمانية بمبادرة من إحدى دور النشر. وقد سافرت إلى ألمانيا بناء على دعوة ثقافية وجرى الإحتفاء بها. وقرأت للجمهور مقاطع من هذه الرواية. كما جرى الإحتفاء بها في لبنان وهي تعتبر من أبرز الروائيات فيه.

انطولوجيا الشعر في لبنان

بمبادرة وبالتعاون مع الشاعر نعيم تلحوق في وزارة الثقافة اللبنانية وبالتنسيق مع جامعة بون في ألمانيا ممثلة بالشاعر سرجون كرم، تم ترجمة مجموعة شعراء من الشباب اللبناني من شبان وشابات إلى اللغة الألمانية تحت عنوان أنطولوجيا الشعر

في لبنان "وطن للتهجئة" قام بالترجمة د. سبستيان هاينه ود. سرجون كرم في ألمانيا ومراجعة وتدقيق كورنيليا تسيرات، وصدر الكتاب عن دار شاكر ميديا – آخن ألمانيا 2015. وصممت الغلاف الفنانة جان عيسى.

أسماء الشباب المترجمين: أحمد وهبي (المولود الأخير)، أدهم الدمشقي (مدينة الأحذية)، أدونيس الخطيب (أنتمي للحظة صغيرة)، باسكال صوما (وطن)، تغريد عبد العال (العلبة الورقية)، جميلة عبد الرضا (إنتماء)، حسين عدرة (ما إسمك)، ربيع شلهوب (الحجر)، رامي كنعان (خطوة أخيرة)، ريم فياض (الطريق إلى البركان)، زاهر العريضي (بقايا إنسان)، زهرة مروة (العدم والذهب)، ليندا نصار (إيقاعات)، سناء البنا (كفن)، محمد ناصر الدين (تذكرة الهجرة)، مكرم غصوب (السائر)، معمر عطوي (أنا إبن هذا العالم)، مهدي منصور (وطني)، نادين طربيع حشاش (فرس)، نسرين كمال (البحار)، هنيبعل كرم (مقعد الذاكرة)، وليد زيتوني (بلادي).

وقد حضر إلى لبنان المترجم د. سبستيان هاينه وتم إستضافته أسبوعاً كاملاً في لبنان، قام بالتعرف على مجموعة الشباب اللبناني، وأقيم له لقاء ملتقى في شهريار وتكلم عن العلاقة بين لبنان وألمانيا، والرصد الأدبي لمفهوم الهوية والإنتماء في كلا البلدين.

نعيم تلحوق

يتألق بنجاح شِعره في ألمانيا من برلين وباريس وبون إلى بيروت..

في مدوّنات محبّيه

دور مجلة "فكر وفن"، إذاعة صوت ألمانيا (DW) ومؤسسة ترانستل في تعريف ألمانيا بالعرب والتبادل الثقافي

في العام 1963م أصدر ألبرت تايله Albert Theile مجلة "فكر وفن" التي إختصت بتعريف الأدب والفكر العربيين، من شعر ونثر وفن وموسيقى قديمة الخ...

وقد شاركت الدكتورة آنا ماريا شمل ألبرت تايله في متابعة أعمال هذه المجلة وموضوعاتها. وهي أصبحت بعد فترة المسؤولية الأساسية عن إصدارها وتولي أمورها

التحريرية. وكان مقرها بون. هناك إتصلت بالخارجية الألمانية التي مولت هذه المجلة التي كان لها الفضل بالتعريف بأبرز الشعراء العرب مثل بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور ونزار قباني وغيرهم.. كما أن هذه المجلة، عبر المقالات والتعريفات المترجمة عن الألمانية إلى العربية، أصبحت منطلقاً لتخريج أجيال متتالية من المترجمين العرب الذين عملوا مع المجلة.

ومن أبرز مترجميها في تلك الفترة: مجدي يوسف، د. محمد علي حشيشو وغيرهم...

وكان حقل هؤلاء في الترجمة يمتد من الشعر والأدب والفكر والفلسفة إلى التراث القديم من معلقات ومخطوطات تاريخية. لقد كان لهؤلاء الفضل في إغناء المكتبات العربية بالعديد من المقالات والكتب وتتلمذ على أيديهم مترجمون شباب من جيل التسعينيات وصولاً إلى زمننا الراهن. كانت هذه المجلة الفصلية غنية بموادها وتحريرها ومراجعها الأكاديمية وكذلك بالمواضيع التي تطرقت إليها.

تصدر المجلة حالياً عن معهد غوته للحوار مع العالم الإسلامي.

منذ عام 2001م يقوم على إدارة المجلة خبير في الدراسات الإسلامية وهو ستيفان فيدنر وأصبحت منذ ذلك الحين المجلة الوحيدة من نوعها التي تصدر بالفارسية.

تتعامل مجلة Fikrun wa Fann بتعمق مع المسائل الثقافية والإجتماعية والسياسية الحالية وتعمل كذلك كمنتدى مفتوح للموضوعات الجدلية. بمناقشاتها التي تتخطى حدود الدول، تعد المجلة وسيلة فريدة للعامل ذي التوجهات الإسلامية. تتميز بمقالاتها التي تتسم بالتحدي الموضوعي وكذا بالجودة الجمالية الفريدة لرسوماتها الرائعة. تنشر مجلة Fikrun wa Fann مرتين سنوياً بطباعة تصل تقريباً إلى 20,000 نسخة بثلاث لغات: العربية، الإنكليزية والفارسية.

إذاعة صوت ألمانيا أو الدويتشه فيله (Deutsche Welle واختصارها DW أي الموجة الألمانية)

هي الإذاعة الدولية لألمانيا إلى العالم الخارجي، وهي واحدة من كبريات إذاعات العالم الموجهة إلى الخارج. تعمل الإذاعة على التعريف بألمانيا ونشر الصورة الأصلية

عنها ودعم التبادل الثقافي عبر محطات التلفزيون والراديو وشبكات الإنترنت.

بداية البث

بدأت إذاعة صوت ألمانيا بث برامجها بشكل منتظم في 3 أيار/مايو 1953م. وكانت تبث من كولونيا حتى صيف 2003م حيث انتقلت إلى مبنى شورمان في مدينة بون، العاصمة السابقة لألمانيا الغربية بدأت الإذاعة بث برامجها لمدة ثلاث ساعات يومياً بخطاب من الرئيس الإتحادي تيودور هويس قال فيها إلى أعزائي المستمعين في سائر أنحاء العالم. في عام 1954م بدأت كل من الأقسام الإنجليزي والفرنسي والإسباني، والبرتغالي، بث البرامج لمدة خمس دقائق آنذاك. كان سبب انتقال الإذاعة من كولونيا هو وجود مادة الاسبست في غرفها والتي تضر بالإنسان. في بون يتم إنتاج برامج الراديو، أما برامج البث التلفزيوني فيتم إنتاجها في برلين. منذ منتصف آذار/مارس 2005م أطلقت دويتشه فيله موقعاً إلكترونيا مستقلا عن برامج الإذاعة والتلفزيون تقوم فية مجموعة من المحررين بتغطية الأحداث العالمية ساعة بساعة. ويعرض الموقع بشكل خاص وجهة نظر ألمانيا من القضايا العربية كما أنه يقدم معلومات شاملة عن الدراسة والبحث العلمي في ألمانيا عن الدراسة والبحث العلمي في ألمانيا إضافة إلى عرض لقوانين العمل والإقامة فيها.

القسم العربي

تأسس القسم العربي في 1 نيسان/أبريل 1959م وكان أول قسم يبث بلغة غير أوروبية وهذا يدل على مدى اهتمام الإذاعة الألمانية بمستمعيها في البلاد العربية. يعمل في القسم العربي في إذاعة صوت ألمانيا محررون من مصر وسوريا والعراق والجزائر ولبنان وفلسطين والمغرب واليمن ومن ألمانيا بطبيعة الحال ويشارك في البرنامج عدد من المتعاملين بالقطعة ومن المراسلين في مختلف أنحاء العالم وبخاصة منهم المراسلين في الدول العربية ومراكز المنظمات الدولية والدول الكبرى. البرنامج الرئيسي هو المجلة الإخبارية اليومية مع الأحداث التي تقدم للمستمع كل ما يحظى بأهمية دولية من أحداث الساعة وخلفياتها، ومن الطبيعي أن الأحداث الآنية الهامة في المنطقة العربية تحتل مكاناً رئيسياً في هذه المجلة بالإضافة إلى السياسة الخارجية الألمانية وخاصة تجاه الدول العربية والوحدة الأوروبية وآثارها على

علاقة أوروبا وألمانيا بالعالم العربي، إلى جانب التقارير والتحليلات السياسية هناك برامج يومية هامة كالمفكرة الثقافية التي تلقي الأضواء على أهم الأحداث الثقافية والفكرية والفنية في ألمانيا والعالم العربي وعل الصعيد الدولي والمجلة الاقتصادية وأنباء عالم الرياضة وأحداثه وبريد المستمعين بالإضافة إلى البرامج الاسبوعية المختلفة كبرنامج المرأة والسياحة والعلوم والبيئة والطبّ والموسيقى والشباب ودروس تعليم اللغة الألمانية. في 1 كانون الأول/ديسمبر 2011م تم توقيف البث الإذاعي للقسم العربي بعد أكثر من خمسين عاماً من الإرسال.

يعمل مركز التدريب التابع لإذاعة صوت ألمانيا منذ عام 1965م على تخريج قوى مختصة في العمل الإذاعي أو متابعة تدريبها من العالم الثالث. ومن المواضيع الرئيسية في برنامج التدريس والتدريب موضوع توسيع الإذاعة كأداة للتنمية. يشعر مركز التدريب بالفخر والاعتزاز خاصة بأولئك المتدربين السابقين الذين أصبحوا إثر تخرجهم رؤساء أقسام أو مدراء في دور إذاعة في جميع أنحاء العالم.

تلفزيون صوت ألمانيا

تبث إذاعة صوت ألمانيا برنامجها التلفزيوني منذ عام 1992م على مدار الساعة عبر القمر الصناعي باللغات الألمانية والإنكليزية والأسبانية والعربية وهناك مئات المحطات التلفزيونية في أوروبا وآسيا وإفريقيا والأمريكيتين تبث البرنامج التلفزيوني بكامله أو مقاطع منه بناء على اتفاق مع الإذاعة.

مؤسسة ترانستل (TRANSTEL)

كانت مؤسسة ألمانية يقع مقرها في مدينة كولونيا، استديوهات الإنتاج الخاصة بها كانت في مبنى إذاعة صوت ألمانيا السابق. اشتهرت في السبعينات والثمانينات وبداية التسعينات أيضاً بإنتاجها للأفلام والأشرطة الوثائقية والتعليمية المصورة بعدد من اللغات العالمية، ومنها اللغة العربية.

Orient-Institut-Beirut Goethe Institut (OIB)
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية وفروعه في العالمين العربي والإسلامي ومعاهد غوته

كان لهذا المعهد الذي قام بمبادرة من وزارة الثقافة الألمانية وبشتى فروعه في بيروت وعمان والقاهرة وإستانبول الخ، الدور الكبير، إلى جانب مراكز غوته المنتشرة

في كافة أنحاء العالم، في نشر المؤلفات والمصنفات العربية مترجمة أو محررة من مؤلفين ألمان إلى العربية والعكس أي مؤلفين عرب كتبوا بالألمانية فتمت ترجمة كتاباتهم إلى الألمانية، أو أنهم كتبوا بالألمانية وتولى المعهد نشر كتبهم وتعميمها. كما كان للمعهد الفضل الكبير في إستضافة مستشرقين وأساتذة ألمان كبار في شتى الميادين الثقافية الإستشراقية وغيرها لإلقاء محاضرات بين حين وآخر. وقد أفرد المعهد أجنحة خاصة لعرض الكتب الصادرة عنه أو عن مراكز ومؤسسات وجامعات ودور نشر أخرى.

كما لعبت مكتبته دوراً في تعزيز إنتشار وتعميم القراءة بالألمانية والعربية من خلال السماح للمشتركين بالتواجد في المكتبة والإستفادة من المعرفة المتوفرة العلمية وكذلك إستعارة الكتب منها.

ويتولى المعهد توزيع كتبه عبر مراسلين له ومراكز يتعاون معها.

وكان معهد غوته في عمان قد نشر بالتعاون مع إنترناتسونس في القاهرة كتاباً لـ"وولفغانغ أولـه" في العام 1998م تضمن كل المؤلفات التي نشرت لمؤلفين ألمان كتبوا باللغة العربية، وأيضاً لمؤلفين عرب كتبوا باللغة الألمانية Deutsche Autoren in arab ischer sprache وجاء في الكتاب الذي صدر عن معهد غوته وأودع في دائرة المكتبة الوطنية وفي المقدمة التي خطّها المؤلف أن عدد العناوين المصنّفة كان بلغ عام (1979م) 720 عنواناً. كما صدر خلال السنوات العشرين التي تلت ما يقارب الـ 500 عنوان. إلى ذلك صدرت في طبعة شهر أيلول/سبتمبر من عام 1998م عناوين (حوالي 342 كتاب)، ويقول المؤلف في مقدمته "طبعاً لا يمكن الإدعاء بأن هذا الفهرس كامل، فالميدان واسع جداً والمعلومات حوله متناثرة جداً، لذا أرحب دائماً بإقتراحات مكملة ومصححة".(ص 3)

وهذه لائحة بنماذج عن الكتب الصادرة:

- **أديناور، كونراد:** القاهرة، دار الهنا 1961
- **أدلير، ألفريد:** Der Sinn des Lebens Die In dividual psychologie – ترجمة: محمد هشام الورداني، بيروت، دار الكتاب 1984م.
- **أدورنو، ثيودور:** ترجمة جورج كتورة، بيروت، مركز الإنماء القومي

- أسد، محمد: منهاج الإسلام في الحكم – ترجمة: منصور محمود ماضي بيروت، دار العلم للملايين 1967م.
- أسد محمد: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين 1946 و1971م.
- **Ausländer Kultur:** Thomas Mann und Robert- Tage bücher von Musil, 1983- بغداد، دار الحورية للطباعة 1980م.
- **باخمن، إنجبورج**، أوندينه تذهب: قصص ألمانية حديثة ترجمة مصطفى ماهر، بيروت، دار الصياد 1966م.
- **باخمان بيتر**، الشاعر أبو الطيب المتنبي كما يراه المستشرقون الألمان، القاهرة، كلية دار العلوم، المنشورات الثقافية 1968/67م. (ص 3)
- **بندر هانس: Bender, Hans**، Die Wallfahrt الحج، تعريب: فؤاد رفقة، بيروت، دار صادر 1967م. ص 90-106 (ص 5)
- **بنجامين، فالتر بريخت: Benjamin, Walter Brecht**، ترجمة: أميرة الزين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سلسلة أعلام الفكر العالمي 1974م. (ص 5)
- **برجنجرين، فيرنر: التوأمان الفرنسيان Bergengrün, Werner: Die Zwillings aus Frankreich**، ترجمة: محمود إبراهيم الدسوقي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، روايات عالمية، العدد 507. (ص 5)
- **بلوخ، إيرنيست Bloch, Ernst Die philosophie der Renaissance**، ترجمة الياس مرقص، دار الحقيقة 1980م.
- **بوبروفسكي، يوهنس**: ظلام وقليل من النور، Bobrowski, Johannes: Dunkel und Weniglicht، في قصص ألمانية حديثة، ترجمة: مصطفى ماهر، بيروت، دار صادر 1966م. (ص 6)
- **بورنر، بيتر: غوته**، Borner, Peter، Johann Wolfgang von Goethe in Selbstzeugnissen und Bilddok umenten، ترجمة: أسعد رزوق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سلسلة أعلام الفكر العالمي 1975م. (ص 6)
- **بل، هاينريش**، عندما إنتهت الحرب، Böll, Heinrich، Als der Kriegzu Endewar، في قصص ألمانية حديثة، ترجمة: مصطفى ماهر، بيروت، دار صادر 1966م ص 24-56. (ص 7)
- **بل، هاينريش**، وجهي الحزين، Böll, Heinrich، Mein trauriges Gesicht، ترجمة: مصطفى ماهر، مجلة فكر وفن 1963/2 ص 7-73. (ص7)
- **بل، هاينريش**، وجهي الحزين، Böll, Heinrich، Mein trauriges Gesicht، ترجمة: ناجي نجيب، الكويت، العربي عدد 269، 1981م ص 135-137. (ص 7)

- **بوبنس، روديجر**، Bopens, Rüdiger، Diemoderne deutsche philosophie، ترجمة: فؤاد كامل، القاهرة، دار الصحافة (ص 8)
- **بورشرت، فولفكانك**، أمام الباب، Borchert, Wolfgand، Drauss vor der Tür، ترجمة: مجدي يوسف، بيروت، دار مكتبة الحياة 1962م. (ص 9)
- **برانت، فيلي**، تقرير عن حالة الأمة، Brandt, Willy، Bericht zur Lage der Nation، دار الصحافة والإعلام لحكومة جمهورية ألمانيا الإتحادية 1972/2/23 (ص 9)
- **براون، كارل**، السياسة الدولية في الشرق الأوسط، قواعد قديمة، لعبة خطرة، Braun, Karl، ترجمة: عبد الهادي حسين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة 1987م. (ص 9)
- **براونه، والتر**، مشاكل عصرية في الشعر الجاهلي، Braune, Walter، Moderne probleme in der altarabischen poesie، المعهد الثقافي الألماني، طرابلس، لبنان، العدد 1، 1965م
- **براون، فولكر**، غيفارا أو دولة الشمس، Braun Volker، Guevara oder der Sonnenstaat، ترجمة: عادل قره شولي، دمشق، وزارة الثقافة 1998م. (ص 9)
- **برشت، برتولت**، الإستثناء والقاعدة، Brecht, Bertolt، Die Ausnahme und dieRegel، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، القاهرة، دار التحرير، مجلة "الهدف"، عدد اغسطس، سبتمبر 1957م.
- **برشت، برتولت**، محاكمة لوكولوس، Brecht, Bertolt، Das Verhör des Lukullus، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م. (ص 10)
- **برشت، برتولت**، حياة غاليلو، Brecht, Bertolt، Das Leben des Galilei، ترجمة: بكر الشرقاوي، القاهرة، مجلة المسرح، العدد 26، شباط/فبراير 1966م، ص 80-124 وبيروت، دار الفارابي 1980م. (ص 11)
- **برشت، برتولت**، الأم الشجاعة والسيد بنتلا وخادمه ماتي، Brecht, Bertolt، Mutter Courge und ihre Kinder, Herrpuntila und ein Knecht Matti، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الكويت، سلسلة من المسرح العالمي (3/110) 1978م. (ص 13)
- **برشت، برتولت**، Brecht, Bertolt، ترجمة: صفوان حيدر، بيروت، المركز الثقافي العربي. (ص 14)
- **بروكلمان، كارل**، تاريخ الشعوب الإسلامية، الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، Brockelmann, Carl، Geschichte der Islamischen Völker und Staaten، Die Islamischen Staaten nach dem l. Weltbrieg، ترجمة: نبيه أمين فارس – منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين. (ص 17)

- **بروكلمان، كارل**، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول والثاني، Brockelmann, Carl، Geschichte der arabischen، Literatur، (Band 1-3)، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف 1962، 1968م، الجزء الثالث 1969م. (ص 17)
- رحلات بوركهاردت في سوريا الجنوبية، **Burckhardt, Johannl**، Travels in Syria and the HolyLand، ترجمة: أنور عرفات، عمان، دار الثقافة والفنون 1969م. (ص 19)
- كارل، بول، ثعالب الصحراء، (الجزء الأول والثاني)، Carell, Paul، Die Wstenfüche (Band 1 und 2)، بيروت، دار القلم 1969م. (ص 19)
- إصدار معهد غوته، Der deutsche Experimental film، القاهرة 1993م. (ص 21)
- **غوته، يوهان فولفغانغ فون**، أحزان فرتر، Goethe, Johann Wolfgang von:، Die Leiden des Jungen Werther، ترجمة: أحمد رياض، القاهرة، مطبعة التقدم 1919م. (ص 43)

غوته، يوهان فولفغانغ فون، آلام فرتر، Goethe, Johann Wolfgang von، ترجمة: أحمد حسن الزيات، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1924 و1929م. (ص 43)

- **غوته، يوهان فولفغانغ فون**، مأساة فاوست، **Goethe, Johann Wolfgang von:** (الجزء الأول)، ترجمة: محمد عبد الحليم كرارة، الإسكندرية، منشأة المعارف 1969/1959م. (ص 45)
- **غوته، يوهان فولفغانغ فون**، مأساة فاوست، **Goethe, Johann Wolfgang von** (الجزء الثاني)، ترجمة: محمد عبد الحليم كرارة، الإسكندرية، منشأة المعارف 1969/1959م. (ص 45)
- **غوته، يوهان فولفغانغ فون**، **Goethe, Johann Wolfgang von**، حنين السعداء، (الديوان الشرقي)، ترجمة: عبد الرحمن صدقي (ص 47)
- **جوتس، كورت**: **Goetz, curt**، السجين Der Spatz Vom Dache، ترجمة: نبيل سعودي، الإسكندرية 1977م، طبعة خاصة بالمعهد الثقافي الألماني (معهد غوته) (ص 50)
- **جوتس، كورت**: **Goetz, curt**، توبي (الخادم) Tobby، ترجمة: نبيل سعودي، الإسكندرية 1974، طبعة خاصة بالمعهد الثقافي الألماني (معهد غوته) (ص 50)
- **هيسه، هرمان**، Hesse Hermann، Untern Rad، ترجمة: فؤاد كامل، القاهرة، دار الهلد 1996م. (ص 61)
- **كانط، امانويل**، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، Kant Immanuel، Grundlagen Zur Metaphysik der Sitten، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، القاهرة، المكتبة العربية 1965م. (ص 72)
- **مان، توماس**: طونيو كروجر – Tonio Kröger-Mann, Thomas – ترجمة: أحمد علي ماهر، روايات عالمية، القاهرة 1962م. (ص 87)
- **ميركيز، هيربرت**، Marcuse, Herbert، Die Existentheorie bei Hegel، ترجمة: إبراهيم فتحي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م. (ص 87)

- **ماورر، جورج**، Maurer, George Das Unsere، ما هو خاص بنا، ترجمة وتقديم: عادل قره شولي، بيروت 1980م (ص 93)
- **مولر، هاينر**: Müller, Heiner، Die Hamletmaschine، ترجمة: عطية العقاد، القاهرة، وزارة الثقافة 1993م. (ص 94)
- **موللر، ماكس**: إبتسامات ودموع، Muller, Max، Deutsche Liebe، ترجمة: مي زيادة، القاهرة، 1913 ثم 1922 ثم 1964م. (ص 95)
- **نولدكه، ثيودور**: اللغات السامية، Nöldker, Theodor، Die Semi Tischen Sprachen، ترجمة: رمضان عبد الوهاب، القاهرة، النهضة العربية 1963م. (ص 67)
- **نوفالس**، مختارات Novalis، Auswahl، ترجمة: فؤاد رفقه، بيروت، دار صادر 1992م. (ص 97)

مؤلفون ألمان باللغة العربية

- مشكلة البدو الرحل في العصر الحالي بالمشرق E. Wirth.
- حياة البدو الرحل واقتصاد الواحات في المغرب العربي H. Menching.
- التحضر وتطور المدن في أفغانستان E. Grotzbach (ص 148)
- بناء ونشأة وتطور المدنية الإسلامية الشرقية في طوران وخراسان E. Giese (ص 148)
- تأثيرات الهجرة المؤقتة للعاملين على التنمية الزراعية في الجمهورية العربية اليمنية H. Kopp (ص 148)
- حول نشأة (المراكز) و(الأطراف) F. Scholz.
- دراسات جغرافية ألمانية حول الشرق الأوسط، تحقيق: أيوجين فيرت، تحرير وترجمة: فؤاد إبراهيم، محمد الحجيري، جرنوت روتر، مانفرد شنايدر، بيروت 1983م.
- Deutsche geographische, Forschung in Orient Ein Uberblick an hand, Ausgewählter gegen wartsbe zagner Beitrage, Zur Geographie des Menschen Eugen Wirth (Hrg) (ص 147)
- تاريخ العلوم العربية Geschichte der arabischen Wissenschaft، ريكس فريدمان-شرام، مايتاس وأولمان مانفريد.
- Buhlig, Alexander، Gnostische und manichaische texteaus Agypten، بوليج، ألكسندر، نصوص غنوصية ومانوية من مصر (ص 146)
- بل، هاينريش: خوف من "الجماعة 47"، Boll Heinrich، Angstvor der Gruppe 47 (ص 41)

بعض النماذج من الكتب الصادرة عن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

- Michel Jiha: Der arabische Dialet von Bismizzen. Volkstumliche Texte aus einem libanesischen Dorf mit Grundzugen der Laut-und Formenlehre, Beirut 1964, XVII, 185 S.
- Thomas Philipp: Ǧurǧī Zaidān. His Life and Thought, Beirut 1979, 249 S.
- HERIBERT BUSSE: Chalif und Großkönig. Die Buyiden im Iraq (945-1055), Beirut 1969, unveränd. Nachdr.2004, XIV, 610 S., 6 Taf., 2 Karten.
- STEFAN WILD: Libanesische Ortsnamen. Typolofie und Deutung , Beirut 1973, unverand. Nachdr. Beirut 2008, XII, 391 S.
- JOSEF VAN ESS: Fruhe mu`tazilitische Haresiographie. Zwei Werke des Nasi al-Akbar (gest. 293 H), Beirut 1971, unverand. Nachdr. Beirut 2003,XII 185 S. dt., 134 S. arab. Text.
- GERNOT ROTTER: Muslimische Inseln vor Ostafrika. Eline arabische Komoren-Chronik des 19. Jahrhunderts, Beirut 1976, XII, 106 S. arab. Text, 2 Taf., 2 Karten.
- SALAHADDIN AL-MUNAGGID, STEFAN WILD, eds.: Zwei Beschreibungen des Libanon. `Abdalgani an-Nabulusis Reise durch die Biqa und al-Utaifis Reise nach Tripolis, Beirut 1979, XVII u. XXVII, 144 S. ARAB. Text, 1 Karte, 2 Faltkarten.
- ROTRAUD WIELANDT: Das erzahlerische Fruhwerk Mahmud Taymurs, Beirut 1983, XII, 434 S.
- DONALD P. LITTLE: A Catalogue of the Islamic Documents from al-Haram as-Sarif in Jerusalem, Beirut 1984, XIII, 480 S. engl., 6 S. arab. Text, 17 Taf.
- TILMAN NAGEL, ed: Gottinger Vortrage – Asien blickt auf Europa. Begegnungen und Irritationen, Beirut 1990, 192 S.
- BEATRIX OSSENDORF-CONRAD: Das,, K. AL-Wadiha" des Abd al-Malik b. Habib. Edition und Kommentar zu Ms. Qarawiyyin 809/49 (Abwab at-tahara), Beirut 1994, 574 S., DAVON 71 S. arab. Text, 45 S. Faks.
- GERHARD CONRAD: Die qudat Dimasq und der madhab al-Auza i. Materialien zur syrischen Rechtsgeschichte, Beirut 1994, XVIII, 828 S.
- MICHAEL GLUNZ: Die panegyrische qasida bei Kamal ud-din Isma il aus Isfahan, Eine Studie zur persischen Lobdichtung um den Beginn des 7. /13. Jahrhunderts, Beirut 1993, 290 S.
- ESTHER PESKES: Muhammad b. Abdalwahhab (1703-1792) im Widerstreit. Untersuchungen zur Rekonstruktion der Fruhgeschichte der Wahhabiya, Beirut 1993, VII, 384 S.
- FLORIAN SOBIEROJ: Ibn Hafif as-Sirazi und seine Schrift zur Novizenerziehung, Beirut 1998, IX, 442 S, dt., 48 S. arab. Text.
- JURGEN PAUL: Herrscher, Gemeinwesen, Vermittler: Ostiran und Transoxanien in vormongolischer Zeit, Beirut 1996, VIII, 310 S.
- TURKISCHE Welten 3. GUNTER SEUFERT: Politischer Islam in der Turkei. Islamismus als sumbolische Reprasentation einer sich modernisierenden muslimischen Gesellschaft, Istanbul 1997, 600 S.
- ANGELIKA NEUWIRTH, BIRGIT EMBALO, FRIEDERIKE PANNEWICK: Kulturelle Selbstbehauptung der Palastinenser: Survey der modernen palastinensischen Dichtung, Beirut 2001, XV, 549 S.
- FRITZ STEPPAT: Islam als Partner. Islamkundliche Aufsatze 1944-1996, Beirut 2001, XXX, 424 S., 8 Abb.

- JEAN-MAURICE FIEY: Al-Qiddisun as-Suryan, Beirut 2005, 358 S., 5 Karten.
- Turkische Welten 9. ANKE VON KUGELGEN: Die Legitimierung der mittelasiatischen Mangitendynastie in den Werken ihrer Historiker (18.-19. Jahrhundert), Beirut 2002, XII, 518 S.
- JENS HANSSEN, THOMAS PHILIPP, STEFAN WEBER, rds.: The Empire in the City: Arab Provincial Capitals in the Late Ottoman Empire, Beirut 2002, X, 375 S., 71 Abb.
- AS-SAYYID KAZIM B. QASIM AL-HUSAINI AR-RASTI: Risalat as-suluk fi l-ahlaq wa-a mal. Hrsg. Von Wahid Bihmardi, Beirut 2004, 7 S. engl., 120 S. arab. Text.
- SUSANNE BRACKELMANN: „Wir sind die Halfte der Welt!" Zaynab FAWWAZ (1860-1914) und Malak Hifni Nasif (1886-1918) – zwei Publizistinnen der fruhen agyptischen Frauenbewegung, Beirut 2004, 295 S. dt. 16 S. arab., 4 S. engl. Text.
- HISTORY, SPACE AND SOCIAL CONFLICT IN BEIRUT. THE QUARTER OF ZOKAK EL-BLAT, Beirut 2005, XIV, 348 S. engl. Text, 80 S. farb. Abb., 5 Karten.
- AXEL HAVEMANN: At-tarih wa-kitabat at-tarih fi Lubnan hilal al-qarnain at-tasi asar wa-l-isrin. Al-fahm ad-dati li-t-tarih: Askaluhu wa-waza ifuhu (Arabische Ubersetzung von BTS 90), Beirut 2011, 380 S.
- MATTHIAS VOGT: Figures de califes entre histoire et fiction – al-walid b. Yazid et al-Amin dans la representation de l'historiographie arabe de l'epoque abbaside, Beirut 2006, 362 S.
- STEFAN REICHMUTH, FLORIAN SCHWARZ, eds.: Zwischen Alltag und Schriftkultur. Horizonte des Individuellen in der arabischen Literature des 17. und 18. Jahrhunderts, Beirut 2008, 204 S., Abb.
- DENIS HERMANN, SABRINA MERVIN, eds.: Shi`I Trends and Dynamics in Modern Times. Courants et dynamiques chiites a l'epoque moderne, Beirut 2010, 180 S. engl., feanz. Text.
- TARIF KHALIDI et alii, eds.: Al-Jahiz: A Muslim Humanist for our Time, Beirut 2009, IX, 295 S.
- ANDREAS GOERKE, KONRAD HIRSCHLER, eds.: Manuscript Notes as Documentary Sources, Beirut 2011, 184 S. dt., engl., franz. Text, 15 Abb.
- MIKHAIL RODIONOV, HANNE SCHONIG: The Hadramawt Documents, 1904-51. Family Life and Social Customs under the Last Sultans, Beirut 2011, 327 S. arab., engl. Text, 112 Abb., 1 Karte.
- VIVIANE COMERRO: Les traditions sur la constitution du mushaf de `Uthman, Beirut 2012, 219 S.

بعض نماذج النشرات الإسلامية الصادرة عن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الأولى 30-1929م، الطبعة الرابعة المنقحة 1426هـ/2005م.

- التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه أوتو برتزل، الطبعة الأولى 1349هـ/1930م، الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

- فرق الشيعة، لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، عني بتصحيحه هلموت ريتر، 1350هـ/1931م.

- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي:

جزء1: من محمد بن محمد إلى محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الأولى 1349هـ/1931م، الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 2: من محمد بن إبراهيم بن عمر إلى محمد بن الحسن بن محمد، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1368هـ/1949م، الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 3: من محمد بن الحسين إلى محمد بن عبدالله، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1372هـ/1953م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 4: من محمد بن عبيدالله إلى محمد بن محمود، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1378هـ/1959م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 5: من محمد بن محمود إلى إبراهيم بن سليمان، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1389هـ/1970م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 6: من إبراهيم بن سهل إلى أحمد بن طولون، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1391هـ/1972م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 7: من أحمد بن الطيب بن خلف إلى أحمد بن محمد بن شراعة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى 1388هـ/1969م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 8: من أحمد بن محمد المرزوقي إلى إسحاق الأندلسية جارية المتوكل، تحقيق محمد يوسف نجم، الطبعة الأولى 1390هـ/1971م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 9: من أسد بن إبراهيم إلى أيدكين البندقدار، تحقيق يوسف فان إس، الطبعة الأولى 1393هـ/1974م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 10: من أيدمر الصالحي النجمي إلى ثابت بن يحيي بن يسار، تحقيق جاكلين سويله وعلي عمارة، الطبعة الأولى 1400هـ/1980م. الطبعة الجديدة 1429هـ/2008م.

جزء 11: من ثامر بن مزروع البدوي إلى الحسن بن خلف المقرئ، تحقيق شكري فيصل، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 12: من الحسن بن داود إلى الحسين بن علي بن نما، تحقيق رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى 1399هـ/1979م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 13: من الحسين بن علي بن القم إلى دجين بن ثابت اليربوعي، تحقيق محمد الحجيري، الطبعة الأولى 1404هـ/1984م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 14: من دحية بن خليفة إلى زياد الأعجم، تحقيق سفين ديدرينغ، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 15: من زياد بن الأصفر إلى سنين بن جميلة الضمري، تحقيق بيرند راتكة، الطبعة الأولى 1399هـ/1979م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 16: من سهل بن عبدالله إلى عبثر الزبيدي الكوفي، تحقيق وداد القاضي، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 17: عبدالله،، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 18: من عبد الأحد إبن تيمية التاجر إلى عبد العزيز بن يوسف الجكار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 19: من عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني إلى عتبة بن عبيدالله الهمذاني، تحقيق رضوان السيد، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

جزء 20: من عتبة بن خيثمة النيسابوري إلى علي بن الحسين الشريف المرتضى، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لإبن خالويه، عني بنشره ج. برجشتراسر، مصر، المطبعة الرحمانية، الطبعة الأولى 1353هـ/1934م. الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد إبن الجزري، عني بنشره ج. برجشتراسر:

جزء 1: من أبان بن تغلب إلى إبن عيسون أحمد بن خلف، 1351هـ/1932م.

جزء 2: من غازي بن قيس إلى إبن يونس محمد المطرز، 1352هـ/1933م.

جزء 3: الفهارس، إعداد أوتو برتزل.

- التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، 1358هـ/1939م، الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.

- مجموعة في الحكمة الإلهية، من مصنفات شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي، عني بتصحيحه هـ. كوربين، المجلد الأول، 1365هـ/1945م.
- شعر عبدالله بن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي:

جزء 3: تحقيق برنهارد لوين، 1370هـ/1950م.

جزء 4: تحقيق برنهارد لوين، 1365هـ/1945م.

- الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة، تحقيق هانس وير، 1376هـ/1956م.
- مكارم الأخلاق لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق جيمز أ. بلمي، 1393هـ/1973م.
- كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق برنهارد لوين، الطبعة الأولى 1394هـ/1974م، الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.
- نظم الدر والعقيان لمحمد بن عبدالله بن عبد الجليل التنسي:

جزء 4: في محاسن الكلام، تحقيق نوري سودان، 1401هـ/1980م.

- كتاب النجاة لأحمد الناصر لدين الله، تحقيق فيلفرد ماديلونغ، الطبعة الأولى 1405هـ/1985م، الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.
- تاريخ الملك الظاهر، لعز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، الطبعة الجديدة 1430هـ/2009م.
- كنز الفوائد في تنويع الموائد، تحقيق مانويلا مارين وديفيد وايتر، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م، الطبعة الجديدة 1431هـ/2010م.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لبيبرس المنصوري الدوادار، تحقيق دونلد س. ريتشاردز، الطبعة الجديدة 1431هـ/2010م.
- المراسلات بين صدر الدين القونوي ونصير الدين الطوسي، تحقيق كودرون شوبارت، الطبعة الجديدة 1432هـ/2011م.
- شرح الأشعار الستة الجاهلية لأبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي:

جزء 1: تحقيق ناصيف سليمان عواد، مراجعة لطفي التومي، 1429هـ/2008م.

جزء 2: تحقيق لطفي التومي، 1429هـ/2008م.

الفصل الخامس

القسم السادس

تقع جمهورية ألمانيا الاتحادية في وسط أوروبا، وهي دولة ديمقراطية منفتحة على العالم، تجمع بين عراقة التاريخ وحيوية الحاضر. تمتلك ألمانيا واحدا من أكبر وأقوى الاقتصادات في العالم، كما تتمتع بواحد من أكثر القطاعات العلمية حداثة وابتكارا. إضافة إلى ذلك يتميز قطاع اقتصاد الإبداع في البلاد، إلى جانب مشهد ثقافي نشيط متنوع. وتمثل ألمانيا بعدد سكانها البالغ 82 مليون نسمة أكبر دول الاتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان.

بلد في وسط أوروبا

تحيط بألمانيا تسع دول مجاورة. وتشغل البلاد مساحة تقرب من 357000 كيلومترا مربعا. وهي تمتد من بحر الشمال وبحر البلطيق في الشمال وحتى جبال الألب في الجنوب، ويخترقها بعض من أكبر الأنهار في أوروبا، الراين والدانوب والبة. تتنوع تضاريس ألمانيا بين جبال متوسطة وعالية الارتفاع وطبيعة ساحلية وغابات، علاوة على شواطئ يصل طولها إلى حوالي 2390 كيلومترا .

طريق ألمانيا نحو الديمقراطية والحرية والنظام البرلماني محفوفة بالعديد من الانتكاسات: من أبرزها انهيار ثورة آذار/مارس (1848م) وجمهورية فايمار (1919-1933م)، وأهمها خضوع البلاد للحكم القومي الاجتماعي (النازي) وما نجم عنه من الهلوكوست وويلات الحرب العالمية الثانية (1933-1945م). وقد كان تقسيم ألمانيا إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية (DDR) واحدة من تبعات الحرب العالمية الثانية. استمر هذا التقسيم حتى تمكنت الثورة الشعبية السلمية في ألمانيا الديمقراطية من الانتصار الذي أدى إلى انهيار جدار برلين في العام 1989.

وقد مهدت معاهدة 2+4 المعقودة مع دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية السبيل إلى عودة الوحدة الألمانية في 3 تشرين الأول/أكتوبر 1990م.

ألمانيا شريك ديمقراطي في العالم منذ 1949م وهي تتمتع بنظام اتحادي برلماني ديمقراطي، يتألف من 16 ولاية اتحادية، لكل منها دستورها الخاص وبرلمانها وحكومتها. أما سلطة الدولة العليا فهي من صلاحيات الدولة الاتحادية. وتعتبر مسألة سن القوانين من اختصاص أجهزة الدولة الاتحادية، المتمثلة بشكل رئيسي في البوندستاغ (البرلمان) الألماني والبوندسرات (مجلس الولايات) الذي يتألف من ممثلين عن حكومات الولايات. ويمثل الدستور الألماني (القانون الأساسي) القاعدة الأساسية للنظام السياسي في الدولة. وهو يحدد عملية سن القوانين ضمن إطار النظام الدستوري. وتتمتع الحقوق الأساسية بأولوية واهتمام خاصين ضمن الدستور الألماني.

تعمل ألمانيا مع شركائها الأوروبيين وعبر الأطلسي من أجل ترسيخ أسس الاستقرار والسلام والديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان وحماية البيئة والمناخ في العالم.

كما تشارك ألمانيا في عضوية المنظمات الأوروبية والدولية الهامة. حيث أن جمهورية ألمانيا الاتحادية من الدول المؤسسة للاتحاد الأوروبي (EU)، وهي عضو كامل في منظمة الأمم المتحدة (UN) منذ العام 1973. ويساهم الجيش الألماني في مهمات خارجية يتم تنفيذها بتفويض من الأمم المتحدة، وضمن إطار الناتو والاتحاد الأوروبي.

مركز ألمانيا متميز في السوق العالمية وهي تمتلك أكبر اقتصاد في الاتحاد الأوروبي، ورابع أكبر اقتصاد في العالم. كما تشغل مرتبة ثاني أكبر دولة مصدرة في العالم. وتتمتع الشركات الألمانية بسمعة عالمية ممتازة، حيث تعتبر هذه الشركات ضمانة لشعار "صنع في ألمانيا"، كما يرتبط اسمها بالإبداع والابتكار والنوعية المتميزة والتقدم التقني. وإلى جانب أسماء شركات عالمية كبيرة، تقوم نواة قطاع الصناعة الألمانية الذي يشكل عجلة الاقتصاد، على أسماء العديد من الشركات المتوسطة الحجم الرائدة على المستوى العالمي. ومن القطاعات المهمة على سبيل المثال، صناعة السيارات وبناء الآلات، والتقنيات الإلكترونية والصناعات الكيميائية وتقنيات

البيئة والتقنيات الدقيقة (نانو). كما تمثل ألمانيا مركزا متميزا جذابا للنشاط الاقتصادي والاستثمار الأجنبي. حيث تقيم أكبر 500 شركة في العالم فروعا لها في ألمانيا، ويصل إجمالي عدد الشركات الأجنبية في البلاد إلى 45000 شركة .

ألمانيا بلد الأفكار. حيث يتمتع التعليم والعلوم والتطوير والبحث العلمي بأهمية كبيرة. ففي ألمانيا حوالي 370 مؤسسة للتعليم العالي بين جامعة ومعهد تخصصي، وتعتبر ألمانيا البلد الأكثر اجتذابا للدارسين الأجانب في العالم، بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. وتحتل ألمانيا المرتبة الأولى بين الدول الأوروبية لجهة تسجيل براءات الاختراع، كما تنتمي على المستوى العالمي إلى الدول الأكثر إبداعا وابتكارا، إلى جانب الولايات المتحدة واليابان. ومن بين 80 ألماني حائز على جائزة نوبل حتى الآن، هناك 68 حملوا هذه الجائزة في مجالات العلوم الطبيعية والتطبيقية. أما منظمات ومؤسسات الأبحاث غير الجامعية مثل مؤسسة ماكس بلانك، ومؤسسة فراونهوفر، وجمعية لايبنيتس، وهيئة هيلمهولتس فهي تتمتع بسمعة عالمية متميزة لما تمتلكه من مئات مراكز الأبحاث المتطورة، وتتيح أفضل أجواء العمل والبحث العلمي للعلماء والباحثين من شتى أنحاء العالم.

المجتمع الألماني متنوع فهناك حوالي 15 مليون من أصول أجنبية، 7 ملايين منهم يحملون جنسيات أجنبية، و8 ملايين يحملون الجنسية الألمانية. ويتميز المجتمع الألماني بتأثره بهذه التعددية التي تتضمن مختلف أساليب المعيشة المرتبطة بالتنوع العرقي والثقافي. ورغم التغيرات الاجتماعية فإن الأسرة تبقى العنصر الأساسي في الحياة الاجتماعية. وتتمتع غالبية الناس بمستوى تعليمي وتأهيلي جيد، ومستوى معيشي رفيع بالمقارنة العالمية، إضافة إلى حرية في صياغة واختيار شكل الحياة الاجتماعية المناسب.

ألمانيا هي بلاد غوتة وشيلر وتوماس مان وباخ وفاغنر وبيتهوفن. فجذور الثقافة فيها ضاربة في عمق البلاد، وتتمتع بتقاليد عريقة وقيمة رفيعة، إضافة إلى التنوع الكبير من حيث المسارح والموسيقى والفنون.

مستوى المعيشة في ألمانيا مرتفع فهي بلاد حديثة وتتنوع فيها أشكال عدة من طرق المعيشة، وأساليب الحياة اليومية.

ألمانيا الجديدة: تحقق وحدتها

بعد عقود من التقسيم والإنفصال، عادت ألمانيا فتوحدت، وإلتحم القسمان الشرقي والغربي في دولة واحدة. وكان ذلك في 3 تشرين أول/أكتوبر 1990م، حيث تم ضم جمهورية ألمانيا الديمقراطية إلى جمهورية ألمانيا الإتحادية وعرفت العملية بإسم الوحدة الألمانية.

وعادت إلى ألمانيا سيادتها الترابية بعدما فقدتها لأكثر من 45 سنة.

سبقت هذه الوحدة تطورات سياسية، بدءاً من السبعينيات، سمحت جزئياً، للألمان بإستعادة بعض حقوقهم الإنسانية في التنقل والسفر. وقد قاد علاقات التقارب هذه المستشار الراحل فيلي براندت والتي تضمنت قبول الأمر الواقع من خسائر في ألمانيا الإقليمية في الحرب العالمية الثانية وإعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية.

وقد حصل براندت على جائزة نوبل للسلام في عام 1971م، تقديراً لسياسته نحو الشرق، والتي كانت تقوم على تخفيف حدة التوتر وعلى الإحترام المتبادل مع دول أوروبا الشرقية التي أطلق عليها "سياسة الخطوة خطوة". سياسته هذه في تخفيف حدة التوتر لعبت دوراً مهماً في إنعقاد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (KSZE).

مع حدوث التطورات السياسية بإنهيار الإتحاد السوفياتي القديم وسقوط الأنظمة الشيوعية في أوروبا فتحت الأبواب بين البلدين.

سقوط جدار برلين

كانت حشود الناس في ألمانيا الديمقراطية قد تجاوزت ليلة التاسع[1] من تشرين الثاني/نوفمبر جدار برلين ومن خلفه الحدود بين شرق ألمانيا وغربها. وقد سمح هذا المشهد للألمان بالتعبير عن سخطهم وتوقهم للتغيير. سبق ذلك، سلسلة من الأحداث والتطورات، تتالت، وصولاً إلى ذلك اليوم التاريخي[2].

---

(1) صحيفة سوددويتشه تسايتونغ 8،1989/11/7 Sūd deutsche Zeitung

(2) راجع صحف ومجلات "العالم" Diewelt ألمانية "در شبيغل Der Spiegel Stern شيترن سوددويتشه تسايتونغ Sūddeutsche Zeitung

ففي صيف 1989م قررت المجر في 2 أيار/مايو تفكيك الستار الحديدي[3] وفتح الحدود في 23 آب/أغسطس، مما تسبب في نزوح الآلاف من الألمان الشرقيين في 11 أيلول/سبتمبر والذهاب إلى ألمانيا الغربية عبر المجر. كانت الآثار المترتبة على الأحداث المجرية مدمرة على جمهورية ألمانيا الديمقراطية، مع تظاهرات حاشدة. السلطات الألمانية الشرقية خففت القيود المفروضة على الحدود بشكل غير متوقع في تشرين الثاني/نوفمبر، مما سمح للمواطنين الألمان الشرقيين السفر إلى الغرب. ما كان مقصوداً ان يكون صمام لتخفيف الضغط من أجل الإبقاء على ألمانيا الشرقية كدولة، فتح الحدود وأدى في الواقع إلى تسريع عملية الإصلاح في ألمانيا الشرقية، التي اختتمت مع معاهدة اثنان + أربعة بعد مرور عام في 12أيلول/سبتمبر 1990م. ثم في إطار[4] الصلاحيات التي تخلت عنها قوى الاحتلال الأربع ،التي حصلت عليها بموجب وثيقة الاستسلام، استعادت ألمانيا سيادتها الكاملة. هذا سمح بإعادة توحيد ألمانيا في 3 تشرين أول/أكتوبر 1990، مع انضمام الولايات الخمس التي أسست جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة للولايات العشر المكونة لجمورية ألمانيا الإتحادية.

بعد فتح الجدار في 1989م استغرق الأمر أحد عشر شهرا حتى إتمام الوحدة الألمانية. وهي جاءت استجابة لمطالب الألمان في كلتا الدولتين الألمانيتين. ففي أول (وآخر) انتخابات شعبية حرة في 18 آذار/مارس 1990م اختار الألمان الشرقيون بغالبية عظمى الأحزاب التي كانت تطالب بانضمام سريع لألمانيا الشرقية إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية. الأمر الذي تم في صيف 1990م بشكل رسمي وباتفاقيات ألمانية – ألمانية كما تم من قبل إنجاز الوحدة النقدية بين البلدين. وفي ذات الوقت اتفقت ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية مع القوى الأربعة التي كانت تتولى المسؤولية عن برلين وألمانيا بشكل عام، وهي الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا على الشروط السياسية والأمنية للوحدة الألمانية من خلال إتفاقيات "اثنان + أربعة".

---

(3) صحيفة "السفير" اللبنانية 24، 25، 1989/8/26.

(4) مجلة درشبيغل Derspiegel 12، 13، 14، 1989/9/15.

المسألة الألمانية وجدت حلها في 1990م على شكل استجابة للمطلب القديم نحو "الوحدة والحرية". ولم يكن حلها ممكنا إلا بموافقة جميع الجيران، وهكذا كان: فحلها كان مرتبطا بحل مسألة أخرى من ذات القرن، وهي المسألة البولونية. فالإعتراف النهائي بالحدود الغربية عند نهري أودر ونايسة وفق القوانين الدولية كان من شروط الوحدة الألمانية ضمن حدود 1945م.

ألمانيا الموحدة لا ترى نفسها على أنها "ديمقراطية ما بعد القوميات، متطورة عن عدة دول قومية" حسب وصف عالم السياسة كارل ديتريش براخر في عام 1976م لألمانيا الاتحادية "القديمة"، وإنما دولة قومية ديمقراطية كلاسيكية حديثة مرتبطة بشكل وثيق مع تجمع من الدول يتجاوز القوميات، تمثله الوحدة الأوروبية، وتتم في ممارسة بعض جوانب السيادة القومية بشكل جماعي مع الدول الأخرى.

إن إتفاقات الشرق (1970 – 1973م) التي عقدتها حكومة الائتلاف الليبرالية – الاجتماعية بقيادة برانت وشيل، كانت بالدرجة الأولى ردا على تكريس التجزئة الألمانية وبناء جدار برلين في 13 آب/أغسطس 1961م. فبعد أن غدت الوحدة بعيدة المنال، كان على ألمانيا الاتحادية مسؤولية التخفيف من آلام التجزئة وبالتالي ضمان استمرار تلاحم الأمة الألمانية. وبقيت الوحدة الألمانية "مجرد" هدف رسمي لدولة ألمانيا الاتحادية. ولكن الآمال في قيام دولة ألمانية قومية موحدة يوما ما، كانت في تضاؤل مستمر بعد عقد اتفاقات الشرق. وساد هذا الشعور بين جيل الشباب الألمان أكثر من جيل الكبار.

إلا أنه في الثمانينيات بدا أن النظام الذي ساد بعد الحرب قد بدأ بالتحول. فقد بدأت أزمة دول الكتلة الشرقية (الشيوعية) مع تأسيس نقابة العمال المستقلة "سوليدارونش" في بولونيا، التي تبعها تعليق حالة الحرب في أواخر 1981م. وبعد ثلاث سنوات ونصف، في آذار/مارس 1985م اعتلى ميخائيل غورباتشوف سدة الحكم في الاتحاد السوفياتي. السكرتير العام الجديد للحزب الشيوعي السوفياتي أعلن في كانون الثاني/يناير 1987م حقيقة تكاد تكون ثورية: "نحن نحتاج إلى الديمقراطية كما نحتاج إلى الهواء للتنفس". هذه الرسالة دعمت موقف الحركات الشعبية في كل من بولونيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الديمقراطية. وفي خريف 1989م كان

الضغط والغليان الجماهيري في ألمانيا الشرقية كبيرا إلى درجة أن إنقاذ النظام السياسي لم يعد ممكنا من دون تدخل عسكري سوفياتي. إلا أن غورباتشوف لم يكن مستعدا لمثل هذا التدخل. فكانت النتيجة انهيار القيادة الحزبية في شرق برلين أمام صرخات الثورة السلمية في ألمانيا الديمقراطية: في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر 1989م انهار جدار برلين، الأمر الذي شكل شعارا للحرية، تماما كما كان انهيار الباستيل في باريس قبل مئتي عام في 1789م.

إن إنهيار ألمانيا الديمقراطية التي كان نظامها قد حقق بعض النجاحات الإقتصادية بدا أمراً على المستوى النظري محتوماً. فهي كانت إحدى دول الكتلة الشرقية وتحت السيطرة العسكرية والسياسية للإتحاد السوفياتي وحلف وارسو عن طريق الإحتلال. كما كانت السلطة السياسية فيها تقرر من قبل الأعضاء القياديين في المكتب السياسي لحزب الوحدة الإشتراكي الألماني (SED) وقد تم ضمان تلك السلطة من قبل جهاز أمن الدولة (شتازي).

ما كانت تفتقده، وهو الحرية، ظهر أنه كان عاملاً كبير الأهمية ليس بالإمكان تجاوزه في ظل سلطة غير جماهيرية.

الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي 1990م

استنادا إلى قانون بون- برلين الذي تم اعتماده من البرلمان في 10آذار/ مارس 1994م، برلين مرة أخرى أصبحت عاصمة لألمانيا الموحدة، في حين حصلت بون على "منصب (مدينة فدرالية: Bundesstadt) وهو منصب يعتبرها بمثابة «مدينة اتحادية» ويُبقي على بعض الوزارات الاتحادية فيها. وقد تم الانتهاء من نقل الحكومة لبرلين في 1999م.

منذ إعادة توحيد ألمانيا، اضطلعت ألمانيا بدور أكثر نشاطا في الاتحاد الأوروبي والناتو. وارسلت ألمانيا قوة لحفظ السلام لضمان الاستقرار في منطقة البلقان وأرسلت قوة من القوات الألمانية إلى أفغانستان المضطرب كجزء من عمل حلف شمال الأطلسي لتوفير الأمن بعد الاطاحة بطالبان. نشر هذه القوات كان مثار للجدل، حيث أنه منذ انتهاء الحرب، كانت ألمانيا مقيده بموجب القانون المحلي أن نشر القوات يكون للدفاع فقط. ويفهم أن الانتشار في الأراضي الأجنبية لا يمكن

تغطيته من خلال غطاء الدفاع، لكن تصويت البرلمان حول هذه القضية وتصديقه على إرسال القوات للمشاركة في سياق حفظ السلام أنهى الجدل القانوني.

في 2005م انتخبت انجيلا ميركل كأول امرأة مستشارة في ألمانيا. بين عامي 2005-2009م قادت تشكيل ائتلاف موسع مع الاتحاد الاجتماعي المسيحي والحزب الاشتراكي الديموقراطي. وعقب الانتخابات العامة في 27 أيلول/ سبتمبر 2009م، أسست ميركل الحكومة الائتلافية الحالية مع الحزب الديمقراطي الحر محل الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

تحديات "بناء الشرق"

بعد انهيار ألمانيا الديمقراطية DDR تبين أن معدل الإنتاجية في البلد لا يتجاوز ثلث معدل الإنتاجية في ألمانيا الاتحادية، بحيث أن مؤسسة الوصاية المكلفة بخصخصة القطاع العام في الاقتصاد الاشتراكي، التي كان من المتوقع أن تحقق ربحا بمقدار 600 مليار مارك ألماني (حوالي 300 مليار يورو)، حققت في النهاية خسارة وصلت إلى 250 مليار مارك ألماني. وهكذا تحطمت الآمال في تمويل الاستثمارات الضرورية للبنية التحتية في الولايات الجديدة من حصيلة خصخصة ما كان يعرف باسم "أملاك الشعب" في النظام الشيوعي.

تطورت تكاليف الوحدة الألمانية بشكل متسارع أكثر بكثير مما توقعته حتى الاحتمالات والتقديرات المتشائمة. كانت الأعباء الاجتماعية للوحدة من نصيب المواطنين في الشرق، بينما وقع الجزء الأكبر من الأعباء الاقتصادية على عاتق المواطنين في الغرب. هكذا انتهى عام المعجزات الكبرى 1989 - 1990م، الذي سرعان ما لحقته أعوام من المشروعات الصعبة التي ستدوم سنوات طويلة. وفي هذا الخضم لم يكن من السهل دوما التنبه بشكل صحيح للنجاحات والآثار الإيجابية لعملية "إعادة إعمار الشرق".

من أهم نتائج "إعادة إعمار الشرق" كانت إعادة تأهيل وصيانة المناطق السكنية في المدن المختلفة، ولم يقتصر ذلك على مدن رئيسية مثل درسدن ولايبزيغ وكيمنيتس وهالة، التي كانت تعاني خلال فترة ألمانيا الديمقراطية من الإهمال، وكانت عرضة للانهيار. أمثلة أخرى تتجلى في وسائل الاتصالات في الولايات الجديدة التي

تعتبر من أكثر شبكات الاتصالات حداثة في أوروبا، إضافة إلى بناء عدد من الجامعات المتميزة القادرة على المنافسة، علاوة على استيطان مشروعات رائدة على المستوى العالمي في مجالات تقنيات الطاقة الشمسية والتقنيات البيئية. كما بذلت جهود جبارة أيضا في قطاعات البنية التحتية وحماية البيئة وتطوير السياحة والحفاظ على المعالم الثقافية. وتواجه الولايات الجديدة تحديات من نوع آخر تتجلى مثلا في انخفاض عدد السكان وارتفاع متوسط الأعمار بسبب هرم السكان الناجم عن هجرة الكثير من الشبان بشكل خاص إلى الولايات الغربية، رغم أن هذه الهجرة قد فقدت الآن الكثير من اندفاعتها مقارنة بالسنوات الأولى بعد الوحدة. هجرة السكان من الشرق ينجم عنها انتقال خدمات من الغرب، تم تقديرها حتى العام 2009م بحوالي 1,6 بليون يورو (بعد حسم الخدمات المقدمة في شرق ألمانيا). الجهود المبذولة من أجل "إعادة إعمار الشرق" تعتبر مثالا فريدا على التضامن والتكافل القومي، ما كانت الأفكار السياسية القومية المتشددة لتتوقع مثلها. ورغم كل التطورات والجهود تبقى مسألة تحقيق المساواة في مستويات المعيشة بين الغرب والشرق من الموضوعات التي تحظى بأولوية مطلقة ضمن مشروع إتمام الوحدة الداخلية في البلاد. التقرير السنوي للحكومة الاتحادية حول أوضاع الوحدة الألمانية يقدم بانتظام نظرة شاملة عن التطورات المنجزة.

برلين المركز السياسي

نصت معاهدة الوحدة على أن تكون برلين عاصمة لجمهورية[5] ألمانيا الموحدة. في 20 حزيران/يونيو 1991م صوت البوندستاغ (البرلمان الألماني) على نقل مقرات الحكومة والبرلمان من بون - عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ 1949م - إلى برلين. ومنذ تم هذا الانتقال في العام 1999م أصبح لدى ألمانيا مركز سياسي جديد، يمكن مقارنته بالمدن الأوروبية المهمة في الدول المجاورة الكبيرة. وشعار هذه المقارنة هو بناء الرايشستاغ الذي تم تجديده، إلى جانب مكتب المستشار، وتجاوز آثار تقسيم المدينة من خلال إعادة فتح بوابة براندنبورغ. وقد سادت المخاوف في بعض المراحل من أن تتحول عملية نقل المركز الحكومي السياسي إلى برلين إلى

---

[5] راجع الموسوعة المعرفية الحرية الشاملة (ويكيبيديا).

نوع من تجديد "القوة الكبرى" الألمانية، التي يمكن أن يقود ثقلها السياسي والاقتصادي إلى تجدد المشكلات والاضطرابات في أوروبا. ولكن سرعان ما ثبت أن هذه المخاوف لا مبرر لها على الإطلاق. فقد كانت الوحدة الألمانية بمثابة شرارة انطلاق مبادرة تجاوز تقسيم القارة الأوروبية بين شرق وغرب.

من هذه الزاوية لعبت ألمانيا بالفعل دورا رياديا لجهة الاندماج السياسي والاقتصادي في أوروبا. ولهذا الهدف تخلت عن واحد من أهم أدوات الوحدة وشعاراتها، المارك الألماني، وذلك في سبيل الوحدة النقدية الأوروبية، وإرساء ما بات يعرف بمنطقة اليورو، التي ما كانت لتقوم، لولا الجهود الألمانية. كذلك قامت الحكومات الألمانية المتعاقبة منذ العام 1990م، ورغم انشغالها بأمور الوحدة وإتمامها، بإعطاء الاندماج الأوروبي أولوية كبيرة ودفعا كبيرا، أدى إلى مشروع معاهدة لشبونة.

خلال التسعينيات تغير أيضا دور ألمانيا في السياسة العالمية. وقد تجلى هذا الدور الجديد من خلال تحمل المزيد من المسؤوليات ومساهمة ألمانيا بجنودها وجهودها في مهمات حفظ السلام والاستقرار الدوليين. وقد تعرض الحوار السياسي الداخلي إلى مسألة المهمات العسكرية الخارجية باستفاضة. حيث زاد أمل الشركاء في حلف الناتو بقيام جمهورية ألمانيا الاتحادية بتولي مسؤوليات وأدوار تتناسب مع حجمها السياسي والاقتصادي في الجهود المشتركة التي تقوم بها هذه الدول. وقد بينت هذه الآمال أنه لا يمكن لألمانيا الموحدة الاستمرار في لعب الدور الذي شغلته ألمانيا المقسمة خلال فترة النظام العالمي القائم على هيمنة القطبين السياسيين، بسبب المعطيات الجديدة. ومنذ تلاشي مخاطر الاصطدام بين جنود الجيش الألماني الاتحادي وجنود الجيش الشعبي لألمانيا الديمقراطية DDR تنامت بشكل مستمر التوقعات والآمال الدولية المعقودة على ألمانيا لتولي دورا أكبر وتحمل مزيد من المسؤوليات. مع الأخذ بالإعتبار مجمل المصالح الأوروبية الشاملة. وهذا ينطبق أيضا على العلاقات في مجال الطاقة، وهي جوهر هذه الشراكة. ألمانيا الفقيرة بالموارد الطبيعية تعتمد على روسيا في سد احتياجاتها بنسبة 14% من الغاز الطبيعي، و35% من النفط، و21% من الفحم الحجري، كما تعتبر أيضا بلد للعبور (ترانزيت) بالنسبة لروسيا. إن حقيقة أن العلاقات الاقتصاديه وفي مجال الطاقة بين ألمانيا

وروسيا كانت مستمرة طيلة فترة الحرب الباردة، دون أية انقطاعات تذكر، وأنه كان يتم توسيعها وتعميقها أيضا، لهو أكبر دليل على أن هذه العلاقة تصلح أن تكون أساسا لشراكة إستراتيجية حقة. ولأن هذه العلاقة وبالتالي المنفعة لا تسير باتجاه واحد فقط، فإنه يوجد هنا العديد من إمكانات توسيع البناء السياسي لكلا الطرفين. نظرة مشابهة يمكن أن تكون في العلاقة الفتية مع دول وسط آسيا.

السياسة الخارجية في عصر العولمة

لم يكن بالإمكان تصور أي دور مستقل مهم يذكر للسياسة الخارجية الألمانية في ظل علاقات وشروط النظام العالمي القديم. فقد كان ارتباط ألمانيا بالضمانات الأمنية الأمريكية أكبر من أن يسمح بمثل هذا الدور. خلال العشرين سنة الأخيرة تغيرت الأمور بشكل ملحوظ. سواء المستشار شوردر في 2002م، أو المستشارة ميركل في 2009م أكدا بكل وضوح أمام البوندستاغ (البرلمان) الألماني موجهين الكلام للولايات المتحدة أن المسائل الأساسية في السياسة الخارجية الألمانية تعالج في برلين.

هذه إشارات حول تصور المعنيين في برلين لطبيعة العلاقة بين الشركاء. فهي لا تشكل رفضا للعلاقة عبر الأطلسي بشكل عام، ولا ضمن إطار الناتو بشكل خاص، كما أنها لا تتضمن أية إشارة في الرغبة في التراجع عن أية جهود مبذولة على صعيد السياسة العالمية، وحتى المرتبطة منها بالعمل العسكري. إلا أن ألمانيا اقتربت هنا من وضع حدود للنشاط الممكن. الحكومة الاتحادية والمكونة من أحزاب CDU/CSU و FDP قرت في اتفاق الائتلاف الحكومي اتباع مبدأ "ثقافة التحفظ" التي تعتبر تقليديا من عناصر السياسة الخارجية والأمنية الألمانية. على أية حال كان هناك منذ بداية الألفية الجديدة في كل لحظة بشكل مستمر دون انقطاع، حتى 10000 جندي ألماني في مهمات في مختلف أنحاء العالم، يشاركون منذ 1999م في مهمات قتالية ضد معتدين وإرهابيين وقراصنة. كما تشارك ألمانيا في مهمات حفظ السلام تحت راية الأمم المتحدة، سواء بشكل مباشر أو كعضو في الاتحاد الأوروبي EU وفي الناتو. المشاركات الرئيسية العسكرية والشرطية في عمليات الناتو والاتحاد الأوروبي بتفويض من الأمم المتحدة هي في البلقان (KFOR,

EUFOR, ALTHEA, EULEX) وفي أفغانستان ضمن إطار مهمة ISAF الصعبة. كما تشارك ألمانيا بشكل كبير وفعال في تمويل مهمات القبعات الزرق باعتبارها صاحبة ثالث أكبر اشتراك مالي لموازنة مهمات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

"تتميز السياسة الخارجية الألمانية بالاستمرارية والعمل الجاد. وهي متأثرة بمبادئ التعاون والعمل المشترك وتبادل المصالح. أما اتجاهات السياسة الخارجية الألمانية فتحمل شعارات مثل "never again" "never alone". "Never again" (لا عودة) تعبر عن درس قاس من التاريخ الألماني، حين ساد النظام الصارم بأفكاره وسياساته التوسعية، إضافة إلى تشكيك مبدئي متعمق في جدوى الأداة العسكرية "Never Alone" (لا تفرّد) تعني الارتباط الوثيق بالمجتمع الغربي الديمقراطي. اندماج ألمانيا في أوروبا التي تزداد وحدة، والتزامها الراسخ في الحلف الدفاعي "الناتو" تعتبر حجر الزاوية في توجيه السياسة الخارجية. كما أن ألمانيا فعالة في المنظمات القائمة على تعاون مشترك متعدد الأطراف".

احترام وحماية حقوق الإنسان وتوسيع مجالاتها بها في مختلف أنحاء العالم هي من الموضوعات الأساسية في سياسة الحكومة الألمانية الاتحادية. معا مع الشركاء في الاتحاد الأوروبي تبذل الجهود وتتخذ القرارات من أجل تدعيم وتوثيق دعائم حقوق الإنسان وتطويرها باستمرار. كل هذا يتم ضمن إطار التعاون الوثيق مع مؤسسات الأمم المتحدةوخاصة مكتب المفوضة العليا لحقوق الإنسان في جنيف. سياسة حقوق الإنسان الألمانية تتبع التزاما محددا: حماية الناس من أي تعرض لحقوقهم أو انتقاص من حرياتهم الأساسية، وخلق الأطر المناسبة من أجل القضاء على الظلم والاضطهاد والاستغلال. مبدأ مشتق من الدستور الألماني: ففي المادة واحد تعتبر حقوق الإنسان أساسا لبناء أي تجمع بشري، وأساسا للسلام والمساواة في العالم.

علاقات نوعية مستجدة مع العرب المقيمين على الأراضي الألمانية ودولهم، وجهود مبذولة لتطويرها: الآفاق (إقتصاد، هجرة، عمالة، ثقافة وتعليم).

اختطت ألمانيا بعد الوحدة، ووفقاً لأسس سياستها الخارجية المستجدة في زمن العولمة، نهجاً نوعياً في علاقاتها مع الدول العربية، وهي تبذل جهوداً ملحوظة

لتطويرها. ولا بد في هذا المجال من القول، أن السياسة الألمانية القديمة سعت خلال تلك الحقبة الزمنية من الحرب الباردة بين الشرق والغرب، إلى إتباع سبل في العلاقات، يتلاءم مع مسار تلك الحرب، سياسياً وحتى إقتصادياً. فكان تعاملها مع العديد من القوى السياسية العربية التي سعت إليها، لجوءاً، تقارباً معها، أو نأياً عنها يستند في أساسيته إلى ظروف تلك الحرب التي كانت مستمرة بين الشرق والغرب.

وتجدر الإشارة، إلى أن علاقات ألمانيا بالأنظمة السياسية العربية، حينذاك كانت تستند إلى خصوصيات تلك الحرب الأيديولوجية والسياسية. أما بعد زوال أسبابها ووقائعها، فقد تدرجت علاقاتها معهم من التماشي مع ما هو سائد (مع بعض الإنتقادات على صعيد الإعلام ومراكز الأبحاث في الجامعات والهيئات) إلى الإنتقال، وفقاً للتطورات التغييرية الحاصلة، في زمن ما أطلق عليه: "الربيع العربي"، لتأييد هذه الثورات والتعاطي معها. (أما في الحالة الليبية كما السورية، فقد إتخذت ألمانيا تجاه الأولى موقفاً مناوئاً منسجماً مع الموقف الأوروبي (الناتو) والثانية عدائية مطلقة وحاسمة من النظام الحاكم ورئيسه).

العرب في ألمانيا

ترجع بداية هجرة المواطنين العرب، التي تعتبر أساس الوجود العربي الإسلامي الحاضر في أوروبا، إلى منتصف القرن التاسع عشر، عندما وقعت بعض البلدان العربية والإسلامية، ضمن دائرة الاستعمار الأوروبي.

وبالنسبة إلى جمهورية ألمانيا، فقد بدأت هجرة العرب الكبرى إليها، بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك في وقت متأخر، مقارنة بفرنسا وبريطانيا. فقد حضرت غالبية المواطنين العرب، بعد الحرب العالمية الثانية، للمشاركة في إعادة الإعمار بألمانيا، كونها كانت بحاجة إلى الأيدي العاملة لسد النقص الشديد الذي خلفته الحرب، حيث قام أرباب العمل الألمان آنذاك، ببذل جهود متواصلة لاستقدام أعداد كبيرة من الأيدي العاملة من دول العالم الثالث، وفي مقدمتهم العرب والمسلمون. وكان هنالك عامل أساسي لعب دورا إيجابياً للهجرة إلى ألمانيا وهو عدم وجود تاريخ إستعماري لألمانيا في العالم العربي مثل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا.

أخذ الوجود العربي في ألمانيا يتزايد بعد الحرب العالمية الثانية بحثا عن

فرص عمل حين بدأت ألمانيا عملية اعادة تعمير البلاد التي دمرتها الحرب ولكن الأعداد الأولى للمهاجرين العرب كانت صغيرة نسبيا لأن المجتمع الألماني في تلك الفترة لم يكن من المجتمعات المفتوحة التى تستوعب موجات كبيرة من الهجرة الخارجية فضلا عن ان ألمانيا لم تكن من الدول الاستعمارية التى يلجأ اليها ابناء هذه المستعمرات. الموجات الاكبر من هجرة العمالة الاجنبية بوجه عام لألمانيا كانت في نهاية حقبة الستينات وبداية السبعينيات وهى فترة الازدهار الاقتصادى وفيها احتاج الاقتصاد الألمانى إلى الأيدي العاملة. الاجنبية للقيام بالاعمال الدنيا التي بدأ الألمان يعزفون عن القيام بها لدرجة ان ألمانيا نفسها بدأت فى استيراد هذه العمالة وبشكل خاص من تركيا التي كان لها النصيب الأوفر من هذه العملية ومن المغرب. المهاجرون العرب الأوائل شانهم شان الجاليات المهاجرة الأخرى انكفئوا على أنفسهم ولم يحاولوا الاندماج في المجتمع الألماني أو اجادة اللغة الألمانية وكونوا مجتمعات خاصة بهم في ظل اهمال رسمي وشعبي لهؤلاء المهاجرين الذين نظرت اليهم ألمانيا كضيوف سرعان ما سيرحلون وهو ما لم يحدث واصبحت مشكلة اندماج الاجانب إحدى المعضلات التي تسعى الحكومة الألمانية للبحث عن حل لها منذ عدة سنوات، اما أبنائهم فيشعرون اليوم أنهم اوروبيون وطنا ومسلمون دينا.

على الرغم من تواجد عدد كبير من العرب في ألمانيا، إلا ان تأثيرهم لا يكاد يكون حاضرا والسبب في ذلك انكفاء نسبة كبيرة منهم على ذاتهم وتشكيلهم مجتمعات تحاكى ثقافيا المجتمعات التي أتوا منها. لذا فان التجمعات العربية التي شكلها هؤلاء المهاجرون غلب عليها الطابع الاقليمي وما يزال هؤلاء المهاجرون وبرغم مرور كل هذه السنين يفتقرون إلى تجمع موحد يضم كافة التجمعات الاخرى تحت لوائه والمحاولات المتواضعة التي بذلت في هذا الاتجاه لم يكتب لها النجاح التام. والمشكلة في التجمعات العربية أن العديد من افرادها يعيش في معزل عن المجتمع الألماني كما ان تصرفات بعضهم تشكل حساسيات كثيرة مما جعل عين قوى الأمن متركزة عليها كبؤر يجب مراقبتها بشكل دائم وزادت هذه العملية بصورة كبيرة بعد احداث 11 أيلول/سبتمبر.

فى السنوات الاخيرة بدأت الجامعة العربية وان كان على استحياء الاهتمام بالجالية العربية المقيمة في ألمانيا في محاولة لاقامة جسر من التواصل بين اعضاء

هذه الجالية ولم شملهم ودراسة مشاكلهم ولكن هذه المحاولات تفتقر إلى الجهد المنظم المتواصل ناهيك عن فقر الامكانيات المادية لدى مكتب الجامعة العربية فى برلين والكفاءات البشرية التي تسطيع القيام بمثل هذا العمل؟

فـي نفس الوقت لا تلقى الجالية العربية فى ألمانيا الاهتمام الكافي من السفارات والقنصليات العربية الممثلة في ألمانيا وما تقدمه هذه المؤسسات يقتصر على الخدمات الاجرائية ولا توجد لدى هذه السفارات والقنصليات احصائيات دقيقة عن عدد هؤلاء المهاجرين ومن غير المعروف على وجه اليقين كم منهم حاصلون على الجنسية الألمانية وعليه فلا يعرف حجم كتلتهم الانتخابية ومدى مشاركتهم فى اى انتخابات ألمانية ومن بين التجمعات الثقافية القليلة الاتحاد الثقافي العربي في برلين ويترأسه الطبيب العراقي في برلين بهاء الدين الخيلاني.

ولقد شرح الدكتور العراقي لموقع ايلاف هدف الاتحاد فقال "بأنه لمعالجة صورة العربي الموجود في برلين بإظهار الجانب الثقافي العربي بشكل جيد أو بالشكل المطلوب. لكن يوجد من سنين طويلة منظمات واتحادات تهتم بأشياء خاصة برعاياها مثل المجموعات الفلسطينية لمعالجة المشاكل الفلسطينية خاصة السياسة منها. لكن هناك منظمات هي احيانا فقط حبر على ورق أي دكاكين ويترأسها اشخاص يعتبرون انفسهم رؤساء يمثلون في الحقيقة مجموعات وهمية وغير متواجدة بالطبع تندثر خلال مدة من الزمن. لكن توجد بعض المنظمات يمكن وصفها بالجيدة وتعمل لمصلحة الألمان ذوي الاصول العربية أو العرب المهاجرين إلى برلين. من ضمها المعهد الثقافي العربي واتحاد الاطباء الفلسطينيين ومنظمة الحولي ولها علاقات جيدة بالدوائر الرسمية الألمانية التي لها علاقة بشؤون المغتربين أو النازحين أو المهاجرين الفلسطينيين وتهيأ بعض الامور لهم مثل المدارس وتدريس اللغة الألمانية وعمل دورات كمبيوتر".

وعن الظروف التي بني فيها الاتحاد الثقافي العربي قال الدكتور بهاء الدين الخيلاني بان "إظهار الجانب الثقافي كي يعكس الحضارة العربية التي ننتمي اليها كان الدافع الاساسي للفكرة التي تبلورت مع الوقت وكانت ولادة اتحاد ثقافي يجمع ذوي الكفاءات الثقافية وكل من لديه عطاء ثقافية ان كان في الشعر أو الادب بصورة

عامة أو الموسيقى أو الرسم أو النحت، أي كل شيء يمت بالفن والادب. وهذه طبعاً الجسر الذي يمكن ان نحاور عبره الفكر والضمير الألماني، فكما هو معروف ان الثقافة هي جسر بين الحضارات لذا تكونت الحضارة العربية والحضارة الاوروبية وكل الحضارات".

الهجرة العربية إلى ألمانيا: عمالة ومواطنية، ثقافات هجينة أم تبادل وتماس حضاريين؟

يبلغ عدد أفراد الجالية العربية المقيمة في ألمانيا اليوم، نحو مليون شخص أغلبهم من المغرب وتونس وفلسطين وسوريا ومصر ولبنان والعراق ومن هؤلاء حوالي 700,000 ألف لديه الجنسية الألمانية وأعداد كبيرة منهم يحملون الشهادات الجامعية.

وكان هدف المواطنين العرب المهاجرين الأساسي في بداية الأمر، العمل لفترات مؤقتة لتحسين أوضاعهم المعيشية، ثم الرجوع إلى الوطن الأصلي، بخاصة وأن جل المهاجرين لم يصحبوا عائلاتهم معهم في البداية.

وإستمرت تلك الهجرات، وتطورت، لتشمل أعداداً كبيرة من الطلبة الدارسين، من معظم الأقطار العربية والإسلامية، إضافة إلى أعداد غير قليلة من القدرات والكفاءات العلمية. وقد زاد نشوب صراعات ومشكلات في عدد من الدول العربية (لبنان، العراق على سبيل المثال) من تدفق اللاجئين إلى ألمانيا.

الهجرة والاندماج

ألمانيا هي الدولة الأكبر في الاتحاد الأوروبي من حيث عدد السكان. حوالي 82 مليون إنسان يعيشون على الأرض الألمانية، سدسهم تقريبا في شرق البلاد، على أرض جمهورية ألمانيا الديمقراطية DDR السابقة. وتعيش الأقليات القومية بشكل أساسي في شمال وشرق ألمانيا، ومنهم دنماركيون وفريزيون وغجر ألمان وصربيون. ولكل منهم ثقافته الخاصة ولغته وتاريخه وهويته.

يعتمد الاقتصاد الألماني منذ فورة ما بعد الحرب في الخمسينيات على العمالة الأجنبية الوافدة. معظم أولئك العمال الذين كانوا يسمون العمال الضيوف (الوافدين) عادوا إلى أوطانهم، في دول جنوب وجنوب شرق أوروبا، إلا أن الكثيرين منهم بقوا

في ألمانيا بغرض العمل والحياة. كما بقي في ألمانيا الكثيرون من الأتراك الذين قدموا فيما بعد. وهكذا تحولت ألمانيا ببطء من بلد "العمال الضيوف" إلى بلد مستقبل للمهاجرين. المجموعة الثانية الكبيرة من المهاجرين هي مجموعة ذوي الأصول الألمانية، الذين كانوا يعيشون لأجيال عديدة في مناطق الاتحاد السوفيتي السابق وفي دول رومانيا وبولونيا، والذين ازداد إقدامهم على العودة إلى ألمانيا بعد انهيار النظام الشيوعي.

هاتان الموجتان من الهجرة أدتا إلى ارتفاع نسبة المهاجرين إلى ألمانيا بشكل كبير في الثمانينيات، إلى درجة أن تجاوزت نسبة المهاجرين إلى ألمانيا نسبتهم في دول معروفة تقليديا بأنها دول هجرة كالولايات المتحدة وكندا وأستراليا. حاليا يعيش في ألمانيا أكثر من 15 مليون إنسان من أصول أجنبية. ويشتمل هذا العدد حسب المكتب الاتحادي للإحصاء أيضا على الأجانب الذين حصلوا على الجنسية الألمانية والأولاد الذين يكون أحد والديهم أجنبي الجنسية. ويعتبر حوالي 7 ملايين منهم مواطنين أجانب، بينما حصل حوالي 8 ملايين على الجنسية الألمانية، من خلال التجنيس لأنهم ينتمون لحوالي 4 ملايين مهاجر رحلوا سابقا إلى خارج ألمانيا، وهم من أصول ألمانية. ويعد المهاجرين للخارج يشكل الأتراك بعددهم الذي يقرب من 2,5 مليون إنسان أكبر مجموعة من الأجانب. 1,5 مليون يتحدرون من مناطق يوغوسلافيا السابقة أو من الدول التي نشأت على أنقاضها. ويقدر عدد المسلمين في ألمانيا بأربعة ملايين. يعمل الكثير من المهاجرين كقوة عمل غير مؤهلة، لأن ألمانيا كانت تحتاج بشكل خاص إلى عمالة تقوم بالمهام البسيطة. وقد بينت الدراسات أن أوضاعهم الاقتصادية قد تحسنت. كما أنه تم تحقيق خطوات كبيرة على صعيد الاندماج خلال العقدين الماضيين: فقد تم تسهيل الحصول على الجنسية الألمانيةمن الناحية القانونية، وتكثيف العلاقات والتواصل بين المهاجرين والألمان، وازداد قبول التنوع العرقي والثقافي في المجتمع بشكل عام. ومن خلال سريان قانون الهجرة الجديد في العام 2005م وأصبحت توجد لأول مرة نصوص قانونية تهتم بشكل فعال بكل ما يتعلق بالأجانب والمهاجرين.

واجهت ألمانيا، إثر بروز الحرب الداخلية في سوريا ومنذ العام 2011 مشكلة تدفق آلاف اللاجئين السوريين اليها، ومعظم هؤلاء وصل إلى هناك بطرق شرعية،

وقد إتخذت الحكومة الألمانية إجراءات إنسانية لمساعدتهم.

فإستقبلتهم من مركز تجمعهم وعلى الحدود والمطارات وأمنت لهم مساعدات فورية وأسكنتهم في أماكن خصصت لهم، تمهيداً لتدريبهم وتأمين أعمال لهم وإستيعابهم، لاحقاً، في المجتمع الألماني. ويقدر عدد اللاجئين الذين وصلوا إلى ألمانيا لغاية منتصف العام 2015 بحوالي 80 ألف لاجئ سوري، ثم تبع ذلك التاريخ تدفق مئات الالوف منهم عن طريق تركيا واليونان وصربيا والمجر.

ترى الحكومة الألمانية في استدراك توطين واندماج السكان من أصول أجنبية واحدة من صلب المهمات التي تضطلع بها. في هذا الإطار تحتل مهمة دمجهم في سوق العمل أولوية مطلقة، رغم أن مسائل التدريب والتأهيل وتعلم اللغة الألمانية تعتبر مفاتيح هذا الاندماج. منذ 2006م تدعو المستشارة الاتحادية أنجيلا ميركل سنويا إلى عقد قمة للاندماج، يشارك فيها ممثلون عن كافة الفئات الاجتماعية المعنية بالاندماج، بما فيها جمعيات ومؤسسات المهاجرين. النتيجة الأهم لقمة الاندماج هذه كانت "الخطة الوطنية للاندماج" في العام 2007م، والتي يتم التأكد باستمرار من تنفيذها. وهي تتضمن أهدافا واضحة إضافة إلى 400 خطوة محددة تقع على عاتق هيئات حكومية واقتصادية واجتماعية: وهكذا يتم بناء شبكة علاقات تضم مؤسسات التعليم والتأهيل وهي أصبحت تضم اليوم أكثر من 5000 مؤسسة تقدم للأطفال واليافعين من عائلات مهاجرة الدعم والمساعدة في المدارس ومعاهد التأهيل المهني. وقد انتسبت إلى "ميثاق التنوع" أكثر من 500 شركة وهيئة عامة بعدد عاملين يزيد عن أربعة ملايين. وهي ترى في التنوع فرصة جيدة، وأخذت على عاتقها الالتزام بتأمين فرص أفضل للتعلم والتأهيل للشباب من ذوي الأصول الأجنبية.

الضمان الاجتماعي

الرخاء والعدالة الاجتماعية للجميع: كان هذا هدف وزير الاقتصاد في أواخر خمسينيات القرن العشرين لودفيغ إيرهارد، الذي وضعه نصب عينيه عندما أسس نظام اقتصاد السوق الاجتماعي. وقد تطور "الموديل الألماني" ليصبح مثالاً ناجحاً سارت العديد من الدول في ركبه. ويعتبر النظام الاجتماعي المتكامل من أهم أسس هذا النجاح. وتمتلك ألمانيا واحداً من أكثر النظم الاجتماعية تشعبا وتكاملا وأكثرها متانة:

حيث يتم تخصيص 26,7% من الناتج المحلي الإجمالي من أجل النفقات الاجتماعية العامة (الحكومية)، بينما تصل هذه النسبة في الولايات المتحدة على سبيل المقارنة إلى 15,9%، وفي دول منظمة التعاون والتنمية وسطيا إلى 20.5%.

شبكة اجتماعية شاملة تتضمن التأمين الصحي والتقاعدي والتأمين ضد الحوادث وحالات العجز والبطالة، تحمي المواطن من التبعات المادية والمالية للمخاطر التي يمكن أن تصيب الجوانب الأساسية لحياته. بالإضافة إلى ذلك يشتمل النظام الاجتماعي على خدمات يتم تمويلها من الضرائب مثل التعويضات التي تحصل عليها الأسرة (التعويض العائلي عن الأولاد، تخفيضات ضريبية مختلفة)، والضمان الأساسي للمتقاعدين والعاجزين الدائمين عن العمل. وتعتبر ألمانيا نفسها دولة اجتماعية، حيث تعطي أولوية مطلقة لمهمة توفير الضمان الاجتماعي لكل مواطنيها. نظم المساعدات الاجتماعية الحكومية تتمتع في ألمانيا بتاريخ عريق، يعود إلى عهد الثورة الصناعية. ففي أواخر القرن التاسع عشر قام مستشار الرايش الألماني أوتو فون بيسمارك بوضع مبادئ الضمان الاجتماعي العام (الحكومي). وفي عهده وضعت قوانين التأمين الصحي والتأمين ضد الحوادث، إضافة إلى التأمين ضد العجز عن العمل والشيخوخة. وبينما انتفع في ذلك الوقت 10% من أبناء الشعب من قوانين الضمان الاجتماعي هذه، يتمتع اليوم حوالي 90% من الناس في ألمانيا بحماية هذه القوانين.

وفي العقود التالية تم التوسع في بناء هذه الشبكة الاجتماعية وتطويرها. ففي عام 1927م جاء التأمين ضد التبعات المالية للبطالة، وفي عام 1995م جاء التأمين ضد حالات العجز. أما القرن الواحد العشرين فهو يتطلب تجديدات أساسية في بنية هذه الأنظمة المختلفة وذلك أولا بسبب المشكلات المتعلقة بتمويل هذه النظم على المدى البعيد: تزايد نسبة كبار السن (المتقاعدين) في المجتمع مع انخفاض معدلات الولادة، إضافة للتطورات في سوق العمل، كلها عوامل أدت إلى الوصول بأنظمة الضمان الاجتماعي إلى أقصى حدودها الممكنة. ومن خلال الإصلاحات الشاملة تسعى الطبقة السياسية في البلاد لمواجهة التحديات المختلفة وضمان صلاحية ومتانة هذا النظام الاجتماعي للأجيال القادمة.

عناية صحية للجميع

تنتمي ألمانيا إلى الدول الأفضل في العالم من حيث الرعاية الصحية. أعداد كبيرة من المشافي وعيادات الأطباء والمؤسسات الصحية تضمن أفضل رعاية صحية للجميع. ومن خلال فرص العمل التي تزيد عن الأربعة ملايين يعتبر القطاع الصحي أكبر قطاع من حيث العمالة في ألمانيا. وتبلغ حصة القطاع الصحي من النفقات حوالي 10,4% من الناتج القومي المحلي، وهي نسبة تزيد بمقدار 1,5 نقطة عن متوسط دول منظمة التعاون والتنمية. وبسبب ما يعرف بقانون ضغط النفقات الذي تم تبنيه في إطار الإصلاحات في القطاع الصحي، يظهر في ألمانيا أقل معدل لتزايد حصة الفرد من النفقات على الصحة بين دول منظمة التعاون والتنمية: من عام 2000م حتى 2007م ارتفعت النفقات الصحية بشكل حقيقي في ألمانيا بمعدل 1,4%، بينما بلغت هذه الزيادة بين دول منظمة التعاون والتنمية بالمتوسط 3.7%.

أقرت إصلاحات نظام الرعاية الصحية في العام 2007م. والأساس الذي يقوم عليه هذا النظام هو الصندوق الصحي: منذ 2009م تصب في هذا الصندوق كافة اشتراكات صناديق الضمان الصحي التي يدفعها العاملون وأرباب العمل لصناديق (شركات) التأمين الصحي الحكومية. بالإضافة إلى ذلك يأتي بعض الدعم من حصيلة الضرائب. ومنذ ذلك الحين يسري اشتراك موحد للتأمين الصحي للفرد تحدده الحكومة الاتحادية. وتحصل صناديق التأمين الصحي من هذا الصندوق المشترك على مبلغ إجمالي ثابت لكل شخص مؤمن لديها. والصناديق التي تكون نسبة كبار السن والمرضى وأصحاب الدخل المنخفض من زبائنها كبيرة، تحصل على مبلغ إضافي من هذا الصندوق. وتهدف الحكومة الاتحادية من هذه السياسة إتاحة الفرصة نحو المزيد من تلقائية واستقلالية تحديد الاشتراكات والمزيد من التمايز الإقليمي. بالإضافة إلى ذلك سيتم تبني نظام تحديد اشتراكات العاملين بغض النظر عن رواتبهم، على أن يتم اجتماعيا تعديل هذه الاشتراكات. بهذا يمكن الفصل بين تكاليف الرعاية الصحية والتكاليف الإضافية (الجانبية) للرواتب (وهي تتضمن التأمينات)، وبالتالي لا تتأثر حصة أو أعباء أرباب العمل من هذه التكاليف بتغيرات النفقات الصحية.

مزيد من الضمانات الخاصة للتقاعد

تغييرات جذرية تطال أيضا التعويض والتأمين ضد الشيخوخة. وبالتأكيد سيبقى التأمين التقاعدي هو حجر الأساس لضمان الشيخوخة. ولكن إلى جانب يزداد دور التأمين الذي يقدمه رب العمل والتأمين الخاص للشيخوخة. ومن خلال ما يعرف باسم "تقاعدية ريستر"، إضافة إلى "تقاعدية روروب" لأصحاب الأعمال الحرة، فيوجد فعلا نظم وطرق تستفيد من تخفيضات ضريبية وتجعل من التأمين التقاعدي الخاص أمرا ممكنا .وحتى تملك البيوت أصبح يحظى بدعم قانون تقاعدية البيت الخاص. ويمثل رفع سن التقاعدية القانونية من 65 إلى 67 عاما جزءا أساسيا من هذه الإصلاحات: ففي الفترة ما بين عامي 2012م و2035م سيتم رفع سن التقاعد القانونية بالتدريج بمعدل شهر في كل عام.

إصلاحات أخرى للضمان الاجتماعي

تم فعلا تطبيق الإصلاحات التي تختص بمساعدة العاطلين عن العمل لفترات طويلة والمتلقين للمساعدات الاجتماعية. فمن خلال تبني مبدأ الحد الأدنى من الضمان للعاطلين عن العمل تم تحقيق المساواة بين المتلقين للمساعدات الاجتماعية، في حال كونهم قادرين على العمل، وبين العاطلين عن العمل لفترة طويلة. ومازال هناك إصلاحات مفتوحة قيد البحث تتناول التأمين ضد الحوادث وتتعلق بشكل أساسي باستمرارية تطوير النظام، على الأقل من الناحية التنظيمية.

الجاليات العربية

الجالية الفلسطينية

من أكبر الجاليات الجالية الفلسطينية واتى افرادها في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات للدراسة الجامعية وبقي عدد كبير منهم خاصة الاتين من الاراضي المحتلة بعد ان توفرت لهم فرص عمل جيدة في ميادين مختلفة، ويتمركزون غالبا في المدن الكبيرة وهناك ما يزيد عن ال450 طبيبا وما يقارب من 200 مهندس، وبضع مئات من اساتذة الجامعات والمعاهد العالية. كما يتبوأ رجال اعمال فلسطينيين ومالكو شركات تجارية كبرى مراكز مهمة في ميدان التجارة العالمية والمحلية، ويعمل الكثير

من الفلسطينيين في المصانع الكبيرة كمصانع السيارات والاليات المختلفة، ويحمل قسم كبير منهم الجنسية الألمانية، كما يصل عدد الطلاب الجامعيين قرابة خمسة الاف في مختلف الكليات.

ومن الصعب التحقق بدقة من عدد الفلسطينيين الذين يعيشون في أوروبا، لأنهم يصنفون في معظم الحالات في خانة واحدة مع المهاجرين الآخرين الوافدين من البلدان التي وصلوها آخر مرة قبل هجرتهم، أو يضافون إلى فئة الأشخاص المحرومين من الجنسية أو غير المحددة جنسيتهم. وفي بريطانيا، على سبيل المثال، يوضع جميع المهاجرين في خانة الشرق الأوسط بما فيها تركيا وإيران وإسرائيل ودول المشرق، العربي في السلة نفسها. ومع ذلك فإن تقديراً قريباً إلى الواقع يستند إلى مصادر متعددة، بما في ذلك دائرة الهجرة، وممثلات منظمة التحرير وناشطون في مجال الخدمة الإجتماعية بين الجوالي الفلسطينية في عدة بلدان أوروبية، يقدر أعداد الفلسطينيين أو المنحدرين من أصل فلسطيني في سنة 2010م في الدول العربية بحوالي 240 ألف، يعيش معظمهم في دول الإتحاد الأوروبي. إلا أن أعداداً مبعثرة أقل موجودة أيضاً في دول وسط أوروبا وشرقها. وفي ألمانيا يبلغ عددهم 90,000 ألفاً.

الجالية اللبنانية

لا يوجد رقم محدد لعدد اللبنانيين الاصليين المقيمين في ألمانيا لان الفلسطينيين والاكراد وفئات أخرى شملتها السلطات الألمانية تحت خانة لبنان ويقارب عددها الخمسين الف، ولقد تراجع عدد اللبنانيين بعد الاتفاق الذي وقع بين الحكومة الألمانية واللبنانية لدفع تعويض للاجئين شرط عودته اما طوعا أو تسفيرا. ويتمتع جزء كبير من حاملي الجنسية اللبنانية بالجنسية الألمانية وتجنس معظمهن بوضع اقتصادي ما بين جيد ومتوسط وعدد لا باس به يحتل مراكز مهمة في الحقول الاقتصادية والعلمية والطب والجراحة اضافة إلى اصحاب شركات تجارية النقل الخارجي والمطاعم.

الجالية المغربية

وأكبر جالية مغربية هي من المغرب وتونس واتي افرادها إلى ألمانيا في السبعينات بعقود عمل إثر استعانة بعض المصانع الألمانية ومناجم الفحم الحجري

وبعض القطاعات العامة كمصلحة سكة الحديد بهم أو المصانع الانتاجية. ويقدر عددها اليوم مع افراد من المغرب العربي مثل موريتانيا والجزائر بحوالي 80 الف.

الجالية السورية

وقد تكون الجالية السورية واتى افرادها في مطلع الستينات من الجاليات المميزة لان العديد منهم يحتل مراكز جيدة في ألمانيا وتتمتع بنسبة تعليم عالية تصل إلى ال80%. وفيها عدد كبير من الاطباء والمهندسين واساتذة الجامعة. ونفس الشيء ينطبق على الجالية العراقية على الرغم من انها غير قديمة مثل الجاليات العربية الأخرى. بعد تدفق اللاجئين من سوريا بسبب العنف الدائر أصبح عدد الجالية كبيراً بمئات الآلاف وشكّل مشكلة حقيقة.

جاليات مختلفة

وهناك أيضا جاليات عربية صغيرة العدد تعيش اوضاعاً اقتصادية لا باس بها مثلا من مصر والسودان والصومال ويتوزعون بين اساتذة جامعة ومعاهد أو عمال أو طلاب أو طالب لجوء سياسي، في المقابل مازال حضور الجاليات الخليجية شبه معدوم وبدأ بالظهور مع اقبال الطلاب على الدراسة في ألمانية واستقبال خريجين للتخصص.

العمال العرب

لا بد هنا من ذكر أن الغالبية العظمى من شريحة العمال العرب الذين وفدوا إلى ألمانيا، كانت تتميز بضعف المستوى الثقافي، وضعف قدرتهم على التأثير الإيجابي في أبنائهم، أو توريث قيمهم وعاداتهم، بالإضافة إلى ضعف شديد في إتقان اللغة الألمانية، وتباين كبير في القيم والطباع. الشيء الذي دفع بهم إلى الانحياز للعزلة.

ويمارس القسم الأكبر منهم أعمالاً حرة في مؤسسات عائلية وصغيرة. وتشكل المطاعم والمقاهي والمتاجر الاستهلاكية الصغيرة غالبيتها.

ومن الجدير بالذكر هنا، إن شريحة العمال هذه، تحرص على التشبث بالدين الإسلامي الحنيف، وعلى تكثيف الصلة بالوطن الأم، وهذا يتجلى واضحا لدى الجالية

المغربية على وجه الخصوص، وذلك في رغبتها الرجوع عند تحسن الأوضاع الاقتصادية. كما ساهمت هذه الفئة من المهاجرين العرب في ألمانيا، في بناء المساجد، والتي غالبا ما تكون في مناطق السكن المعزولة.

الكفاءات العلمية والطلبة

كما أن هناك عدداً هاماً من المهندسين والأطباء، الذين أسسوا مكاتب خدمية وعيادات طبية ومستشفيات صغيرة بعد تخرجهم، ونجحوا في أعمالهم على أكثر من صعيد. غير أن أبناء الجالية العربية إجمالا، يعانون أيضاً من البطالة، وربما أكثر من أبناء الكثيرين من الجاليات الأجنبية الأخرى.. ولا يعود سبب ذلك إلى قلة فرص العمل فقط، وإنما إلى ضعف مستوى تأهيلهم بالشكل المطلوب، لاسيما في المجال المهني.. ويشمل ذلك حتى الشباب الذين ولدوا في ألمانيا وكبروا فيها.

أما شريحة الطلبة والكفاءات، فتعتبر صاحبة الفضل في إنشاء الاتحادات الطلابية أولاً، ثم المراكز الإسلامية المتقدمة، والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وقد استقرت الغالبية منها بألمانيا، نتيجة للأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في بلدانها الأصلية، التي لم تغرها في الرجوع إليها، حيث يتواجد بألمانيا العديد من الأطباء العرب الأكفاء، والمهندسين المتفوقين، ورجال الأعمال الناجحين.. ويتمتع الشباب المثقف العربي المقيم بألمانيا، بمستوى مرتفع، حيث ساهم هؤلاء الشباب في بناء جل المؤسسات الطلابية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

هجرة الكفاءات العربية إلى ألمانيا

كما نعلم جميعا، يكلف الطلبة العرب بلدانهم ثروات مالية ضخمة، وتحصل عليهم الدول الصناعية الكبرى، ومنها ألمانيا، بالمجان.!

ففي الوقت الذي أشارت فيه إحدى دراسات برنامج الأمم المتحدة للتنمية، إلى أنه بين عامي 1998 و2001م فقط، هاجر أكثر من 15 ألف طبيب عربي إلى خارج العالم العربي، أشارت إحصاءات أصدرتها منظمة الأمم المتحدة، أن ما يقرب من الـ50 بالمائة من الأطباء، و23 بالمائة من المهندسين، و15 بالمائة من العلماء، من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة، يهاجرون متوجهين إلى أوروبا، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية، بوجه خاص.

واعتبرت دراسة برنامج الأمم المتحدة، أن مستوى الإنفاق على البحث العلمي والتقني في الوطن العربي، يبلغ درجة متدنية، مقارنة بما عليه الحال في بقية دول العالم، موضحة أن الإنفاق السنوي للدول العربية على البحث العلمي، لا يتجاوز 0.2 بالمائة من إجمالي الموازنات العربية (حسب إحصاءات جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربي) السنوية، وذلك مقارنة بما تنفقه أمريكا 3.6 بالمائة والسويد 3.8 بالمائة.

كما قدرت إحصاءات أجرتها كل من جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربي مؤخرا، حجم الخسائر العربية من هجرة العقول للخارج، بما لا يقل عن 200 مليار دولار سنويا، وذلك بسبب ضعف الاهتمام بالبحث العلمي.

ولكن على الرغم مما يثار من جدل الآن في الدول الصناعية الكبرى، حول الهجرة غير الشرعية، زادت أهمية قضية الهجرة الدولية بصورة كبيرة بين الدول الغنية، التي تجذب المهاجرين، والدول الفقيرة المصدرة لهم، وللقضية أبعاد كثيرة، حيث ترتبط بالعديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية..

فسوء الأحوال السياسية والاقتصادية في بعض الدول العربية، يدفع الأفراد للهجرة من الدول العربية إلى الدول المتقدمة، حيث أن توفير فرص عمل، هامة ومجزية، علاوة على إتاحة الفرص لأصحاب الخبرات في مجال البحث العلمي والتجارب التي تثبت كفاءاتهم وتطورها، تفتح أمامهم آفاقاً جديدة، أوسع وأكثر عطاءً، وتعطي لهم حافزاً على الاستقرار والانخراط في المجتمعات الجديدة..

كما أن للاستقرار السياسي والديمقراطية في البلدان المضيفة، أثراً كبيراً في نفس أي صاحب خبرة، بما يهيئه له من مناخ مناسب للإبداع والتقدم.. وتعد ألمانيا، أرضية مناسبة لتوفير مثل هذا المناخ، للعديد من الكفاءات العربية..

لقد أكدت ألمانيا، التي تستقبل نحو ثلاثة ملايين تركي على أراضيها، على لسان وزيرة العمل فوندا الاين (الأخبار اللبنانية 30 أيار/مايو 2012م) أن الحكومة ينبغي لها أن تستقبل المهاجرين من المثقفين في كل العالم. ولا سيّما أصحاب التأهيل العالي. وتزامن هذا التصريح مع إعلان مهم جداً يتعلق بقرب إصدار "بطاقة الإتحاد الأوروبي الزرقاء" المشابهة للبطاقة الخضراء "Green Card" الأميركية، بحيث

تصبح إجراءات الهجرة من دول خارج الإتحاد أسهل، حسب الإعلان الرسمي في موقع "المركز الألماني للإعلام التابع لوزارة الخارجية" (http://www.alamaniadiplo.de) القانون الجديد الذي وافق عليه البرلمان الألماني يهدف إلى تطبيق المعايير الإرشادية الأوروبية الخاصة بأصحاب التأهيل العالي، ويهدف كذلك إلى جعل ألمانيا أكثر جاذبية لأصحاب التأهيل العالي. فضلاً عن ذلك، ستسهل إجراءات تصاريح العمل بالنسبة إلى الطلاب الوافدين بعد نهاية دراستهم في إحدى الجامعات الألمانية، وذلك إقتناعاً من برلين بأن العمالة العالية التأهيل هي الأساس الجوهري للنمو والرخاء في ألمانيا.

وقد أكدت مفوضة الحكومة لشؤون الهجرة واللاجئين، ماريا بومر، أن هدف السلطات هو توفير فرص عمل متساوية بين المواطنين والمهاجرين، مشيرة إلى الحاجة لتشغيل 700 ألف مهاجر في المدى القريب. (الأخبار اللبنانية 30 أيار/مايو 2012م).

وفي ظل تصاعد موجة اليمين المتشدد في بعض المدن والمواجهات الأخيرة التي حصلت بين أنصار هذا التيار وإسلاميين سلفيين متشددين في ولاية شمال الراين فيستفاليا، يقلل المصدر الألماني المسؤول من ظاهرة النازيين الجدد وتأثيرها على وجود المهاجرين، مؤكداً أن "هذا التيار ضعيف ولا يمثل تنظيماً كبيرا ذا تأثير". (المصدر السابق)

عوامل زيادة معدلات الهجرة

ومما شجع ذلك كله، عوامل عديدة يواجهها العرب في أوطانهم، أهمها:

- انعدام الاستقرار السياسي والاجتماعي.
- اختفاء الديمقراطية العربية التي تؤدي إلى شعور أصحاب العقول والخبرات بالغربة في أوطانهم، مما يدفعهم إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية واستقراراً.
- انخفاض مستوى المعيشة وضعف الدخل المادي لأصحاب الكفاءات العلمية الذي يضمن لهم حياة كريمة، ويؤمن مستقبل لأبنائهم في وطنهم الأم..

- انعدام توازن النظام التعليمي، وفقدان الارتباط بين أنظمة التعليم ومشاريع التنمية والبحوث العلمية[6].
- سفر الطلاب إلى الخارج، وتأقلمهم مع أسلوب الحياة الأجنبية، واستقرارهم في الدول التي درسوا فيها، والتأثر بمجتمعاتها..
- توفر الجو العلمي المناسب، مقارنة بالموجود في بلادهم الأصلية..
- معاناة العلماء في العالم العربي، من انعدام وجود بعض الاختصاصات التي تناسب طموحاتهم، كعلماء الذرة، وصناعات الصواريخ والفضاء، والعلوم البيولوجية.
- عدم تقدير العلم والعلماء في معظم الدول العربية.
- عدم ثقة بعض الدول العربية، بأصحاب الاختراعات والأفكار غير التقليدية، وتخلف النظم التربوية والبطالة العلمية.
- عدم وجود المناخ الملائم للبحث العلمي، والعجز عن إيجاد عمل يناسب اختصاصاتهم العلمية.

المساهمة في الحياة الاجتماعية العامة

وقد تفهم الكثير من هؤلاء الشباب، لطبيعة وجودهم في المجتمع الألماني، وضرورة التواصل مع أفراده، حيث ساهم الكثير منهم اليوم، في جوانب الحياة المختلفة لهذا المجتمع.. واستطاع العديد من هؤلاء الشباب، المحافظة على هويتهم الإسلامية والثقافية، والاندماج في نفس الوقت، في المجتمع الأوروبي، لكون ذلك الاندماج

---

[6] لم يكن غريباً أو مستهجناً، إحتضان ألمانيا الإتحادية، في خمسينيات وستينيات إلى ثمانينات القرن الماضي لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، كما في سوريا، على أراضيها ومساعدتها لهم. ففي زمن الحرب الباردة، كانت جمعتهما مواقف متشابهة تجاه طبيعة الصراع الدائر مع الحكم في هذين البلدين (زمن جمال عبد الناصر ونظامه وأيضاً حزب البعث). ورغم تحسن العلاقات مع سوريا في نهايات عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد، فقد إستمرت بون تعطف على الإخوان وتساعدهم في حدود القضايا الإنسانية. من جهة ثانية، كانت حالات الإبعاد السياسية لأفراد عرب لجؤوا إليها، رغم أوضاعهم الإنسانية السيئة، سببها الالتزام بقواعد الحرب الباردة ومحاذير إنتماءات هؤلاء السياسية.

ضرورة لا بد منها، ووسيلة في الخروج من العزلة عن المجتمع..

إلا أنه في الآونة الأخيرة، مع كل أسف، بدأت تظهر فئات شاذة من الشباب ذوي الأفكار والآراء المتشددة، أو بالأحرى المتطرفة، الشيء الذي انعكس سلبا على وضع المسلمين بأوروبا عامة، وألمانيا على وجه الخصوص، وشوه صورة الإسلام فيها..

الحوار مع المسلمين العرب في ألمانيا والعالم

تحرص ألمانيا على إعلاء شأن الحوار مع الشعوب الأخرى، من خلال سماحها بهجرة الوافدين إليها من تلك الأقطار والعيش في ربوعها، وتمول حكومتها مراكز الأبحاث الخاصة بأديان ومذاهب تلك الشعوب في جامعاتها. وتحتل المراكز الخاصة بالحوار مع الدين الإسلامي وتعزيز المعلومات والسير عنه أهمية كبيرة في حياة تلك الجامعات.

في العام 2010م حصلت عالمة الإسلاميات غو درون كريمر على جائزة جيردا هنيكل البالغ قدرها 100,000 يورو، وهي تعمل كأستاذة في جامعة برلين. وقد تم إختيار الدكتور كريمر كونها عالمة وخبيرة في الجدل حول الإسلام والإسلاموية ولأهمية اعمالها. وجاء ضمن الحيثيات لايت ساقتها لجنة التحكيم إن غو درون كريمر هي مؤرخة موثوقة المصادر واللغة والمنهج وهي تبحث وتحلل وتشرح بعين ناقدة، ولكن بميل لا تخطئه لاعين التي تخصصها وهو التاريخ والثقافة والدين والتصورات القيمية لدى المسلمين، ثم تستخلص نموذجا تفسيريا ينطبق أيضا على الأزمات المعاصرة تختار غو درون كريمر لأعمالها موضوعات متأججة، وهذا جعلها، دون أن تخسر شيئا من مكانتها المهنية، خبيرة تسعى إليها وسائل الإعلم والسياسة، في ما تتمتع به من وضوح فى الحديث وأحكام لها وزنها فى كافة القضايا التى تشغلنا حاليا في ما يتعلق بالجدل حول الاسلام والإسلموية.

تقوم مؤسسة جيردا هينكل فى دوسلدورف منذ تأسيسها عام 1976م بدعم المشروعات البحثية في مجال العلوم الانسانية من الوجهة التاريخية ويعد حصول غو درون كريمر على الجائزة المرة الأولى التي تمنح فيها الجائزة لعالمة إسلاميات كما تقوم مؤسسة غيردا هينكل منذ عام 2009م بدعم الأنشطة في مواضيع الإسلام

والدولة الحديثة والحركات الشعبية.

ولدت غودرون كريمر في ماربورغ عام 1953م، ودرست فى الفترة من 1972م حتى 1978م التاريخ والعلوم الإسلامية والسياسية وكذلك الأدب الإنكليزي في هايدلبيرغ وبون وساسيكس. حصلت على درجة الدكتوراه في عام 1982م من جامعة هامبورغ فى تخصص العلوم الإسلامية بأطروحة عن الأقلية اليهودية في مصر وعملت عقب حصولها على الدكتوراه عدة سنوات مستشارة لشؤون الشرق الأوسط لدى مؤسسة العلو م السياسية في ايبنهاوز بالقرب من ميونخ حصلت على درجة الأستاذية في عام 1993م "بورقة بحثية عن موضوع الدولة الدينية كجمهورية، ثم تولت عام 1994م منصب أستاذا للعلوم الإسلامية فى جامعة راينيش فريدريش فيلهلم فى بون وانتدبت في عام 1996م كي تدرس في جامعة برلين الحرة كما عملت مدرساً وأستاذاً زائراً في القاهر ة وبولونيا وباريس وجاكارتا وأيرفورت وبيروت تعمل كريمر منذ عام 2007م بالإضافة إلى ذلك مديرة لمدرسة برلين للخريجين المعنية بالثقافات والمجتمعات الإسلامية التابعة لجامعة برلين الحرة والتي تأسست في إطار مبادرة المؤسسات التعليمية المتميزة، وهى عضو كذلك فى مؤسسات علمية عديدة أخرى.

شاركت كريمر في نشر الموسوعة الإسلامية الجزء الثالث كما صدرت لغودرون كريمر عدة كتب باللغة الألمانية أعيد طبعها عد ة مرات ومنها تاريخ فلسطين (2002 وتاريخ الإسلام) (2005م). ونشرت أخيرا فى عام 2010م كتاب حسن البنا، وهى سيرة ذاتية باللغة الانجليزية لحسن البنا مؤسس جماعة الخوان المسلمين[7].

حكومة ألمانيا الإتحادية

موقف من المسلمين على أراضيها تدعم حكومة ألمانيا الإتحادية حوار الحضارات والأديان بهدف تحقيق التعايش السلمي بين المواطنين من مختلف الأعراق والاصول وذلك على أساس الاحترام المتبادل فيما بينهم. كما تقوم الحكومة الألمانية

[7] مصدر النص مؤسسة غيردا هنيكل.

بإجراءات مختلفة من أجل إندماج المسلمين في الحياة الاجتماعية في ألمانيا.

ويضمن الدستور الألماني حرية المعتقد في المادة الرابعة منه. وتتساوى هذه المادة مع غيرها من المواد المتعلقة بالحقوق الأساسية والواجبات التي ينص عليها الدستور مثل حرية التعبير وحرية الصحافة.

يحل المسلمون في المرتبة الثانية بعد المسيحيين كثاني أكبر طائفة دينية في ألمانيا، إذ يعيش في جمهورية ألمانيا الاتحادية حوالي 3,4 مليون مسلم. (رقم آخر يقول 4 ملايين) من 50 بلداً.

منهم:

* 2,4 مليون من أصول تركية،
* 190.00 من أصول بوسنية،
* 130.00 من أصول إيرانية،
* 120.000 من أصول مغربية،
* 95.000 من أصول أفغانية.

ويبلغ عدد المسلمين الألمان حوالي 910 ألف مسلم، وأغلبهم ممن اكتسبوا الجنسية الألمانية. وهو ما يضفي أهمية كبيرة للحوار مع الإسلام.

* يحسب الآن ازدياد عدد السوريين بعد اللجوء الكثيف.

المساجد ودور التعليم

يوجد في ألمانيا حوالي 2.600 مسجد ودار تعليم إسلامي، منها 159 مسجدا تحتوي على قباب ومآذن. وعلاوة على ذلك يتم حاليا التخطيط لبناء أكثر من 100 مسجد جديد.

وترى حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية إنه مؤشر إيجابي، كون المسلمين في ألمانيا اختاروا ألمانيا كمكان عيشهم الدائم. وقد تشكلت التجمعات الإسلامية في العديد من المدن.

ومنذ 2004م بدأت بعض الجامعات الألمانية المختارة بتطبيق خطط تجريبية لتدريس التربية الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك هناك مدارس رسمية في ولايات بادن- فورتيمبيرغ، بايرن، برلين، بريمن، نوردراين- فيستفالن، نيدرزاكسن، وراينلند- فالتس تدرس فيها التربية الإسلامية. وهناك مساعي لتطبيق ذلك في كل الولايات الألمانية.

المؤتمر الإسلامي الألماني

وقد دعا وزير الداخلية الألماني في 2006م إلى عقد المؤتمر الإسلامي الألماني. وبذلك تم خلق إطار للحوار بين الدولة والمسلمين في ألمانيا.

ويهدف هذا الحوار إلى تحسين اندماج الجالية الإسلامية في ألمانيا في الحياة الاجتماعية والسياسية.

وقد تمت دعوة شخصيات مسلمة من مختلف مجالات الحياة للمشاركة في هذا المؤتمر إلى جانب الممثلين عن الاتحادات الإسلامية الخمسة الكبرى في ألمانيا، وذلك كي يشمل جميع مناحي حياة المسلمين المتنوعة في المشاورات وحلقات العمل في هذا المؤتمر. وقد تمت مناقشة مواضيع متنوعة في هذا المؤتمر منها على سبيل المثال: قيم التعايش الإجتماعي والقبول بالآخر، بناء المساجد، تدريس التربية الإسلامية، صورة الآخر في الإعلام والتعاون في المجال الأمني.

الربيع العربي بمؤتمر لمسلمي ألمانيا

واعتبر رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا أيمن مزايك أن ما يعترض ثورات الربيع العربي يمثل انتكاسات طبيعية متوقعة بدول هذه الثورات، وأشار إلى أن تحقيق التطور الديمقراطي بالدول العربية لأهدافه كاملة سيستغرق وقتا مماثلا لما جرى بفرنسا بعد ثورتها.

وقال رئيس المجلس التنسيقي للمنظمات الإسلامية بألمانيا[8] علي كيزلكايا إن تحويل مؤتمر الإسلام الذي ترعاه الحكومة الألمانية إلى مؤتمر أمني يظهر أن المسلمين ليسوا مرحبا بهم بخلاف ما ذكره رئيس الجمهورية يواخيم جاوك الذي نفى انتماء الإسلام لألمانيا.

---

[8] موقع قناة الجزيرة التلفزيوني.

طموح ألماني للعب دور أكثر فعالية في المجال العربي

يبدو الطموح الألماني للعب دور أكثر فاعلية في المجال العربي، جلياً، من خلال دعم كافة الأنشطة التي تؤدي إلى تعزيز علاقاتها مع المهاجرين العرب إليها، وأيضاً مع حكوماتهم وشعوبهم في السياسة والإقتصاد والعلوم والخدمات العلمية المعرفية والإجتماعية وغيرها. وتشجع الحكومة الألمانية كافة النشاطات العربية التي تنظم على أرضها من مهرجانات للسينما ومؤتمرات لمراكز الدراسات والحوار وحلقات دراسية ومنح للتعليم الخ...

غير ان المحرك الأساسي لهذه النشاطات هو مدى فعالية الجاليات العربية والإسلامية نفسها. إن روحية التشجيع لقيام مبادرات حوارية وثقافية وحتى سياسية متوفرة لدى الحكومات الألمانية. أما تفعيلها فهو منوط بالعنصر البشري العربي. وهناك تقدم كبير في هذا المجال. إن هدف ألمانيا من تقديم كل هذه المساعدات للجاليات العربية التي تعيش لديها هو رغبتها بإندماجهم في مجتمعها وطموحها للعب دور فاعل، عبر هذا التماس بين المجتمعين الألماني والعربي، يؤهلها كي تكون الدولة الأوروبية الأكثر نفوذاً وتقدماً في علاقاتها العربية.

وقد عبر وزير الخارجية الألمانية السابق يوشكافيشر، كونه كان عضواً في "مجموعة الحكماء" الأوروبية التي شكلها المجلس الأوروبي، عن حرصه على دعم التعايش بين الشعوب من خلال قيامه بتحليل الكيفية التي يمكن من خلالها تعزيز هذا التعايش في عالم متعدد الثقافات. كما ان ما قالته المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل حول تواجد الأجانب في بلادها كان أيضاً معبراً عن هذا الحرص بالتعايش. فقد أدركت على أن معاداة الأجانب تمثل تحدياً أوروبياً (المركز الألماني للإعلام: ألمانيا إنفو/alamania info)

برلينالة

منذ عام 1951م يقام مهرجان الأفلام في برلين في شباط/فبراير من كل عام. ويعتبر برلينالة ثاني أكبر مهرجان للأفلام بعد مهرجان كان، ونافذة الفيلم الألماني على العالم. في وسط برلين، وحول ساحة بوتسدام يزخر المكان على مدى أسبوعين بالفن والفتنة والحفلات والصفقات. حوالي 490000 زائر للسينما 19000

مختص يحضرون كل عام، هذا بالإضافة إلى الممثلين النجوم والمخرجين ومنتجي الأفلام وموزعيها إلى جانب الصحفيين والراغبين في شراء الأفلام. وذروة البرلينالة كل عام تتجلى في منح جوائز المهرجان الرئيسية "الدب"، الذي تمنحه لجنة تحكيم دولية. وتتنافس أفلام من كافة أنحاء العالم، تعرض خلال البرلينالة أو على الأقل في أوروبا لأول مرة، في الحصول على "الدب" الجائزة .والى جانب مسابقة الأفلام يقدم مهرجان برلينالة عروضا لأفلام الأطفال، كما ينظم منتدى حول الفيلم الألماني ومنتدى دوليا حول الفيلم الحديث. بالإضافة إلى ذلك هناك نظرة تقييم للماضي وصفحة إنترنت تركز على أعمال إحدى الشخصيات الكبيرة في عالم الأفلام. ومجمل ما يتم عرضه سنويا يصل إلى حوالي 400 فيلم.

وتدعم الحكومة الألمانية الاتحادية هذا المهرجان للأفلام بمبلغ 6,5 ملايين يورو بينما يأتي الباقي من رسوم الدخول ومن المتبرعين. منذ عام 2003م تتم سنويا دعوة حوالي 400 موهبة سينمائية شابة من أنحاء العالم للحضور، وذلك بهدف اكتساب الخبرات وتبادل الأفكار.

مهرجان لايبزغ

إضافة إلى مهرجان برلينالة، يقام مهرجان وثائقي سينمائي سنوي تقليدي في مدينة لايبزغ. ولهذا المهرجان الذي يقام في هذه المدينة التي كانت جزءاً من ألمانيا الشرقية قبل وحدة الألمانيتين، تاريخاً مضيء في عالم السينما. وقد سلطت الأضواء في هذه الدورة الـ54 للمهرجان على ثورات الربيع العربي حيث شاركت دول عربية عديدة وبخاصة في مصر وتونس، بأفلام من وحي الحدث، كما شاركت دول عالمية وعربية أخرى بأكثر من ثلاثة آلاف فيلم.

معرض كتاب فرانكفورت الدولي

إضافة إلى إهتمام ألمانيا بالسينما، كإطار ثقافي واسع للناس، فهي أولت إهتماماً كبيراً مماثلاً بثقافة الكتاب والقراءة والمطالعة. ومعرض فرانكفورت السنوي للكتاب أبرز معلم لهذا المجال. ففيه تعرض الكتب العالمية ويتم عرض وتبادل الكتب الصادرة وشرائها. وقد أصبح هذا المعرض سوقاً إقتصادية أيضاً حيث تتم صفقات شراء وبيع الكتب في أروقة المعرض. كما تتم في أجنحته إقامة الندوات الثقافية

وتبادل المعلومات والمعارف الأدبية والثقافية والسياسية وتعرض في قاعاته المركزية أحدث الإصدارات من الكتب والنشاطات الثقافية.

جمعية الصداقة العربية الألمانية

تأسست جمعية الصداقة العربية الألمانية DAFG في شهر يوليو 2007م بهدف تطوير التعاون بين ألمانيا والعالم العربي على اسس من الصداقة والتفهم والثقة المتبادلة. وتدعو الجمعية إلى الاحترام المتبادل وتحمل كل جانب لمسئوليته. وابوابها مفتوحة على مصراعيها امام كل من يشعر بالتزامه بالجهود الرامية إلى تنمية العلاقات العربية الألمانية ورعايتها. فضلا عن انها تعتمد الشفافية داخليا وخارجيا وتتيح لأعضائها وشركائها إمكانيات المساهمة في أنشطتها بصورة فعالة. تولى تأسيس الجمعية السيد أتو فيسهوي، وهو صاحب تاريخ مميز ودور هام في تطوير الصداقة العربية الألمانية والعلاقات العربية–الألمانية، بمفهوم جديد وبرؤية جديدة محاولاً تجاوز الإشكاليات وسوء الفهم الذي ساد العالم الغربي عقب أحداث 11 أيلول/سبتمبر ونظرة المجتمعات الغربية عن الإسلام بشكل عام وعن العرب بشكل خاص، وإستطاع من خلال علاقاته ومراكزه السياسية والحزبية أن يضم عدداً من ممثلي الأحزاب المختلفة إلى رئاسة الجمعية، كما إنتخب عدد من السفراء العرب في رئاستها وأصبحت كل الفعاليات تتم بالتنسيق والتوافق.

تولي الجمعية اهمية كبرى للعلاقات المتنامية باطراد في مجالات التبادل السياسي والثقافي والعلمي والامكانيات الكبيرة للعلاقات الاقتصادية. ولذا فان الجمعية تساند الشركات والاتحادات الاقتصادية وتسهّل الصلات وترعى الاتصالات والتعاون بينها.

تتعاون جمعية الصداقة العربية الألمانية تعاونا وثيقا مع سفراء البلدان العربية في ألمانيا ومع كافة الاحزاب والمؤسسات الألمانية والعربية ولكنها لا تعتبر نفسها لاعبا أو حزبا سياسيا في خضم الصراعات السياسية.

تعمل جمعية الصداقة العربية الألمانية من خلال التعاون مع وسائل الإعلام الألمانية والعربية والعالمية على زيادة الاهتمام المتبادل بالمواضيع الألمانية – العربية. ومن خلال العمل الاتصالي المكثف فان الجمعية تساهم في زيادة الاهتمام والتفهم

المتبادل لتقاليد كل طرف وثقافته.

من المواضيع المركزية في برنامج عمل الجمعية التعاون في مجال التعليم وتشجيع المبادرات الاجتماعية المتعلقة بهذا المجال. ويشمل اقامة علاقات الصداقة إلى جانب العلاقات والتبادل بين ألمانيا والبلدان العربية تعزيز الحوار بين الألمان والعرب بشكل عام والألمان من ذوي الاصول العربية.

يبدأ مع جمعية الصداقة العربية الألمانية عهد جديد تتأسس فيه الصداقة الألمانية – العربية على اساس شراكة حقيقية وتعاون قوامه الثقة. ولذا فان طيف المواضيع التي تهتم بها الجمعية يمتد من الاقتصاد إلى السياسة والعلوم والثقافة. ويتولى التعامل مع هذه المواضيع اعضاء مجلس ادارة الجمعية الذين ينتمون لألمانيا والبلدان العربية والألمان من ذوي الاصول العربية.

تساهم جمعية الصداقة العربية الألمانية في تسهيل الصلات والاتصالات واللقاءات. وتقدم لأعضائها معلومات كفؤة واستشارات في قضايا العلاقات الألمانية – العربية. وتتابع الجمعية اهدافها بتشابك وتعاون وثيق مع الاتحادات والمبادرات والمبرات والجمعيات الثنائية والمؤسسات وتعتمد على التعاون والثقة مع الشخصيات الفاعلة في مجالات الاقتصاد والسياسة والفنون والثقافة والعلوم والتعليم والاعلام. وتتعاون هذه الجمعية مع جمعيات صداقة وخريجي جامعات في عدد من البلدان التي فيها جمعيات من هذا النوع. وتسعى كل هذه الجمعيات لتعزيز الصداقة والعلاقة في ما بينها دعماً لريادة ألمانيا الثقافية والإنتمائية والحضارية.

طموح ألماني للعب دور أكثر فاعلية في المجال العربي

ألمانيا في الشرق الاوسط.. نشاط غير عادي وأهداف بعيدة المدى

ثمة عودة ألمانية حثيثة من جديد إلى الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، عودة تتباين أشكالها وتتقاطع اتجاهاتها، تتنازعها التيارات السياسية تارة وتتغلب عليها المصالح الاستخبارية تارة أخرى، وتتعلق عيناها بالمنافع الاقتصادية ثالثة وتبقى إسرائيل دائما وأبدا الخطيئة الكبرى الرابضة لألمانيا خلف الباب تتشوق لأن تتسيد عليها.

غير أن التساؤل الواجب طرحه في هذه الرؤية ما الذي مهد لعودة ألمانيا من جديد وبقوة إلى ساحة الأحداث في الشرق الأوسط؟ ربما تكون الإجابة البديهية تتلخص في عبارة واحدة " انكماش النفوذ الأمريكي أم أن هناك تقاسم أدوار خارجية وأمنية مع واشنطن تنفذها المخابرات الألمانية التي تعد الأقوى في المنطقة ولكن ماذا عن ذلك؟

ألمانيا على الرغم من اعتمادها على 40% من واردات الغاز والنفط من روسيا ولما كانت روسيا قد أظهرت "ملامح قوتها" عندما قطعت عن أوكرانيا الغاز لمدة يومين فإن ألمانيا لم تكن لتقف عاجزة عن قراءة خط سير التحالفات الجديدة مع دول مثل إيران والجزائر بما يمكن أن يهدد إمدادات الغاز وعليه فقد كانت ميركل واضحة عندما أشارت في زيارتها إلى المنطقة " إننا مهتمون بمصادر جديدة للطاقة، خاصة في ما يتعلق بالغاز المسيل... إننا بحاجة إلى شركاء يعتمد عليهم.

والشاهد كذلك أن التصارع والتسارع على اقتسام ثروات العالم اقتصاديا بدا وكأنه ميدان القتال الرئيس في القرن الحادي والعشرين وظهر أن النخب الاقتصادية في ألمانيا تريد نصيبها من كعكة وافرة الإمكانات شرق أوسطيا وغرب أفريقيا وفي هذا السياق لم يكن غريبا أن يصاحب ميركل في جولتها الشرق أوسطية أكثر من 40 رجلاً من كبار رجال الأعمال الألمان يدقون أبواب الفرص في مجال الاستثمارات لا سيما فيما يتعلق بالطاقة وحيث تتبرع ألمانيا في تقديم بدائل للطاقة صديقة للبيئة.

وربما كانت ألمانيا – ميركل التي تخلصت من مرحلة المجابهة التي وقف على ناصيتها غيرهارد شرودر المستشار الألماني السابق في مواجهته للرئيس الأمريكي جورج بوش ،هذه المواجهة التي تجلت في الشقاق الذي دار غداة غزو العراق في آذار/مارس 2003م فيما استطاعت ميركل تقديم رؤية متوازنة بين علاقة ألمانيا بالعالم وخصوصية علاقتها بالولايات المتحدة لاسيما وأنها تسعى لاحتلال موقع دائم العضوية في مجلس الأمن الدولي، مقعد يعيد لها وزنها الدولي المفقود منذ عام 1945م والذي لن تحصل عليه بدون موافقة ومباركة واشنطن التي كانت دائمة الرفض لدخول ألمانيا لعضوية نادي الخمسة الكبار ،كما أن عودة ألمانيا إلى الشرق الأوسط يرتبط بنوايا أوروبية أوسع وأشمل لتعزيز علاقتها مع العالمين العربي

والإسلامي، ففرنسا على سبيل المثال تلعب في عهد ساركوزي أو هكذا تسعى دورا نشطا يضمن لها وجودا مؤكدا ومصالح اقتصادية أثيرة تدفع بالاقتصاد الفرنسي للأمام لاسيما على طريق معادلات المفاعلات النووية السلمية مقابل النفط، وكذلك إيطاليا باتت أكبر شريك اقتصادي لدول بذاتها مثل مصر وهنا لم يكن لألمانيا أن تشاهد هذا الإقدام الأوروبي وتحجم هي عن المشاركة الفاعلة على أكثر من صعيد.

رفض للتهميش في المحافل الدولية (مجلس الأمن، هيئات الأمم المتحدة وغيرها)

كان القرن العشرين قرن التغيرات بشكل لا مثيل له. ثلاث أزمات دولية كبيرة: حربان عالميتان ثم حرب باردة، إضافة إلى سلسلة من التغيرات الثورية، تركت كلها آثارا عميقة في حياة البلاد المختلفة والشعوب على تنوع ألوانها. وهذا ينطبق بشكل خاص على ألمانيا. حيث أن هذا البلد الواقع في وسط أوروبا، كان له دورا أساسي في التغيرات المتنوعة، ودور رئيسي في إندلاع الحربين العالميتين على السواء. أو لأنه أيضا كان الأشد تأثرا بالتطورات المختلفة، كالحرب الباردة وبداية انهيار النظام العالمي الثنائي القطبين في أواخر الثمانينيات. ومع انهيار النظام العالمي الذي ساد بعد الحرب وجد الألمان أنفسهم في مواجهة حالة جديدة تماما من السياسة الداخلية والخارجية. وقد استفادوا في ظل هذه الظروف من التطورات السياسية التي انتهت بانهيار الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991م. هذه التطورات لم تجلب لهم في العام 1990م عودة الوحدة بين شطري البلد الممزق فحسب، وإنما عودة السيادة الذاتية المطلقة التي افتقدوها ما يقرب من نصف قرن من الزمن.

بموافقتهم على عودة الوحدة الألمانية لم يعترف ويقدر ضحايا وخصوم الحرب السابقين محاولات ألمانيا التكفير عن أخطائها على مدى الأربعة عقود الماضية وحسب، وإنما ربطوا هذه الوحدة بالآمال في أن تقود جهود ألمانيا في البناء والاندماج في العالم المعاصر إلى بناء جسور متينة للعبور نحو المستقبل. ختاما لم تنجح هذه التطلعات الجديدة فقط لأنها قامت على تصوراتهم للسياسة الخارجية الألمانية وتطوراتها، حسبما كانوا يعتقدونه منذ تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية في العام 1949م. استقرار السياسة الخارجية عند مستوى معين وواسع من الإجماع، مع ضمان استمراريتها كان ومازال من أبرز صفات الثقافة السياسية. ومن هذه الأسس

القائمة منذ عصر كونراد آدناور (1949 – 1953م) أول مستشار ألماني اتحادي، هي الشراكة عبر الأطلسي والاندماج الأوروبي، والتطلع نحو علاقات جوار جيدة، وبشكل خاص مع فرنسا، وهو ما تسعى إليه السياسة الخارجية الألمانية منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي، تماما كما في مشروع المصالحة مع إسرائيل الذي بدأ في وقت مبكر.

تبدو كل هذه الأمور من المسلمات البديهية، ولكنها على ضوء السياسة الألمانية وخوض الحروب خلال النصف الأول من القرن العشرين، إضافة إلى التركيبات القائمة خلال مرحلة الحرب الباردة، تعني كلها تحديات كبيرة.

جهود الاندماج الأوروبي

كانت جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ البداية القوة الدافعة نحو الاندماج الأوروبي، الذي يعد دون أدنى شك أكبر النجاحات التي تحققت في عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية. ما بدأ في العام 1951م بتأسيس المجموعة الأوروبية للفحم والصلب المعروف باسم اتحاد مونتان شاركت فيه حينها ست دول، أصبح اليوم الاتحاد الأوروبي EU ويضم 27 دولة عضوا. ومع كل التراجعات والنكسات التي كانت أيضا جزءا من قصة النجاح هذه، فإن الاتفاقيات الموقعة بين عامي 1992 و2007م في ماستريخت وأمستردام ونيس وبشكل خاص في لشبونة، تثبت رغبة وإرادة الدول الموقعة في مواءمة اتحادها مع معطيات ومتغيرات السياسة الدولية، وتقديمها على أنها كيان سياسي مستقل فاعل في العالم. ويمكن في هذا الإطار مراجعة كيف كان يمكن أن يبدو فهم الاقتصادات الأوروبية للأزمة الاقتصادية والمالية العالمية في 2008/2009م من دون اليورو كأساس مالي سياسي. على أية حال لم يكن الثمن الذي دفعته ألمانيا مقابل الاستغناء عن المارك الألماني، الذي كان حينها أقوى العملات الأوروبية مرتفعا جدا.

هل ينحاز العرب لتطوير العلاقات مع ألمانيا على حساب الأوروبيين والأمريكيين أم تماثلاً معهم؟

كان زمن الحرب الباردة زمناً مختلفاً عن زمننا الراهن. كان الصراع بين الشرق والغرب مستعراً ومتصاعداً ومواقف الدول محسوبة وفقاً لمتطلبات هذا الصراع. العرب

في حينه تعرضوا لإمتحان إزاء الموقف من إنقسام ألمانيا إلى جزئين شرقي وغربي. وهنا بداية، لا بد من الإشارة إلى أن مفهوم العرب كشعب موحد في دول متعددة لم يكن واقعياً. فوحدة الموقف كانت غير متوفرة إلا في ظروف ضاغطة، كما حدث إزاء قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية إبان أزمة الإعتراف بألمانيا الشرقية، ومقدمات حرب 1967م وقطع النفط عن الدول الغربية. يومها، تناقلت الصحافة الدولية منذ تشرين الأول/أكتوبر عام 1964م أنباء عن صفقات الأسلحة من ألمانيا الإتحادية إلى إسرائيل ورد الحكومة المصرية بزعامة جمال عبد الناصر عليها بالإعلان عن عزمها إستقبال فالتر أولبرشت (Walter Ulbrecht)، رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية، ضاربة بذلك مواقف ألمانيا الإتحادية بتمثيلها المنفرد للشعب الألماني. على الفور بدأت تتفاعل أزمة سياسية بين بون والقاهرة، سرعان ما تحولت إلى درجة القطيعة الدبلوماسية بينهما، وذلك بعد إقدام الدولة الأخيرة على الإعتراف بتل أبيب رداً على زيارة أولبرشت إلى مصر أواخر شباط/فبراير 1965م، وقيام دول عربية بقطع علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الإتحادية. في تلك اللحظة، بدا الموقف العربي موحداً، وكأن هناك إرادة عربية مشتركة من ضمن سياق وحدوي بإتخاذ الموقف الملائم للمصلحة العربية المشتركة. غير أن واقع الأمور عند العرب لم يكن بالصورة الزاهية التي وصفت بها وحدة موقفهم. فالدول العربية لم تكن في واقع الأمر واحدة في قرارها هامة من ضمن هيئة جامعة الدول العربية التي لا تلزم أحداً إذا ما أراد عضو فيها التمرد على قراراتها. وقد حدث هذا الأمر مرات عدة في تاريخها ومنذ إنشائها. وأبرز حدث بهذا الصدد، ما جرى في عهد الرئيس الراحل أنور السادات، حينما قرر الخروج من الجامعة وإنشاء جامعة عربية إسلامية مقرها القاهرة. وحدة الموقف العربي كانت ولا تزال غير ملزمة وشكلية.

أردت من هذا الإستطراد التاريخي عن واقع العرب الماضي والراهن إظهار حقيقة أنهم لا يعملون كوحدة في مواقفهم، بل هم متفرقون كدول وأنظمة، ولكل دولة حريتها في إتخاذ الموقف والعلاقة التي تناسبها. من هنا، فإن مسألة إنحياز العرب ككتلة واحدة لعلاقة ما مع دولة أو أخرى غير واردة. إذن فالرد على السؤال: هل هي ينحاز العرب لتطوير علاقاتهم مع ألمانيا على حساب الأوروبيين والأميركيين أم أنهم سيتماثلون معهم سيبقى محكوماً بواقع العناصر المكونة لهذا الإنحياز التي يبدو أنها

لم ترتق إلى مصاف الهيئة العربية الموحدة، كما هو الحال مع الأوروبيين من خلال وجودهم في سوق إقتصادية موحدة وقرار سياسي واحد في المسائل الدولية.

حالياً، أصبحت العولمة وقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة هي السقف الجاذب لمسار الدول والشعوب.

إن آليات عمل النظام الإقتصادي المعولم أصبحت تتحكم بمسار العلاقات وتطورها. لهذا فالدول العربية، منفردة أو مجتمعة، تجد نفسها محكومة بمسار وتعاطي غير محكومين بتناقضات حادة ضمن الإتحاد الأوروبي أو العلاقة مع الأميركيين، طالما أن وحدة المصالح الأوروبية الأميركية ليست متباينة إلى حدود فرز المواقف أو القطيعة. إنطلاقاً من هذه الحقيقة لا تجد الدول العربية نفسها ملزمة بالخيار بين الكتلتين الأوروبية والأميركية أو بالإنحياز في العلاقة الأوروبية إلى بلد دون آخر. لكن على العرب ودولهم أن يدركوا بأن دور ألمانيا في الإتحاد الأوروبي ليس ثانوياً أو غير مؤثر. إن دورها أساسي بل يصح وصفها، كما وصفت من جانب المراقبين والمعلقين الدوليين، بأنها قاطرة النظام الأوروبي الإقتصادي.

لهذا السبب ولغيره من الأسباب والعوامل تبدو الدول العربية، بعد بروز حركات التغيير في ربيعها السياسي والتكويني مطالبة بالبحث عن أفضل السبل للتعبير عن مصالحها وحفظها. لهذا فعلاقات هذه الدول مع ألمانيا تبدو مرشحة، إذا ما تم الإلتزام بموجبات هذه المصالح، نحو التطوير والإرتقاء. ولا مبرر لأي نوع من التردد والحذر، طالما ان العامل الفلسطيني، وهو العامل المؤثر في طبيعة ذلك التطوير، سيبقى عاملاً تتفاعل معه كل المواقف الأوروبية والأميركية بمقاييس ونسب واحدة. فالتسوية المتعثرة بفعل إسرائيلي هي مشكلة الأمريكيين والأوروبيين على السواء. كما هي مشكلة الجامعة العربية ودولها. وليس موقف ألمانيا تجاه هذه المسألة غريباً أو مختلفاً عن غيره من المواقف الأوروبية والأميركية. للدول العربية وللعرب مجتمعين أو فرادى مصلحة أكيدة بالسعي الحثيث لتطوير العلاقات مع هذه الدولة الرائدة في تجربتها الإقتصادية ونهضتها ووحدتها.

خاتمة

تأصّل الوجود الغربي الأوروبي في المشرق العربي عبر الفرنسيين والإنكليز وتحديداً في سوريا ولبنان وفلسطين. لقد تمكن هذا الوجود، من خلال المسألة الشرقية ووضع السلطنة العثمانية (الرجل المريض) من بسط نفوذهم خلال القرن التاسع عشر وقبله الثامن عشر، منذ حملة نابليون على مصر.

ومع حدوث الأزمة المصرية وهزيمة محمد علي باشا وإبنه إبراهيم عن طريق التحالف الرباعي الدولي (بروسيا، النمسا، روسيا والسلطنة العثمانية) وبتعاون بريطانيا مع روسيا في حل هذه الأزمة، أصبحت الطريق مفتوحة أمام الدول الأوروبية للتدخل في شؤون الدولة العثمانية والنفاذ إلى سوريا ولبنان والعراق للهيمنة عليها، بدءاً من بروتوكول 1860م وصولاً إلى معاهدة سايكس- بيكو، إثر هزيمة تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الأولى عام 1914م. وكان دخول الجيش الفرنسي إلى لبنان وسوريا بقيادة الجنرال غورو والإنكليز إلى فلسطين والعراق بقيادة الجنرال اللنبي وفرض الإنتداب عليهم مؤشر على أفول مرحلة التحكم العثماني بالمنطقة وحلول سيطرة جديدة عليها هي السيطرة الإنكليزية–الفرنسية المتآلفة والمتنافسة في آن.

مع تشكل عصبة الأمم وبدء نظام دولي جديد في بدايات القرن العشرين المنصرم أطلت ألمانيا بإرهاصاتها النازية بعد هزيمة مدّوية لها في الحرب العالمية الأولى وإنكفاء مؤثراتها الإقتصادية والسياسية عن المنطقة. ويمكننا القول في هذا المجال أن ألمانيا كانت خسرت في هذه الحرب كل مستعمراتها ومحاولاتها الدؤوبة للنفاذ إلى المشرق العربي. أدى صعود هتلر على المسرح الدولي وضغوطه بالترغيب والتهديد والمناورات السياسية إلى تشكيل خط داهم، عبر طموحاته ومشاريعه في الشرق والغرب وعلى العالم كله.

كان العرب في ذلك المنعطف، دولاً وشعوباً، منزعجين من عبء الهيمنة

الفرنسية البريطانية عليهم وتواقون إلى التحرر من نفوذهما الإنتدابي الذي بلغ حدوده القصوى بالتدخل في شؤونهم في كل شاردة وواردة. وكانوا يتطلعون قبل إستفحال أمر هتلر إلى الأميركيين الذين شرعوا الديمقراطية وشكلوا عصبة الأمم كسبيل لحماية الشعوب وإيجاد مرجعية لها.

غير ان بروز المشكلة الفلسطينية، وعدم قدرة هذا التشكيل الدولي الجديد من إيجاد حل عادل لها، وإيغال الفرنسيين والإنكليز في فرض هيمنتهم والإنحياز إلى اليهود وإسرائيل قبل نشوئها وبعدها، دفع العرب إلى وضع آمالهم في سلة حلف المحور الألماني الياباني–الإيطالي.

نشط دعاة الإستقلال وأنصار فلسطين الذين كانوا يتمتعون على المستوى الشعبي بقاعدة عريضة لإستغلال وجود هتلر على رأس دول المحور وحاولوا مغازلته ودفعه إلى إفادتهم في حركتهم ودعوتهم ضد المساعدة الأوروبية الفرنسية–الإنكليزية والأميركية لليهود وتأييد شعاراتهم بالسيادة والتحرر والإستقلال. لكن آمالهم هذه لم تكن واقعية وموضوعية. فالنازية الهتلرية كانت في محتواها فاشية توسعية وعنصرية ولا تنظر للشعوب ذات نظرة الشعوب لنفسها بآمالها وشعاراتها وطموحاتها.

كانت تلك المرحلة التي سبقت هزيمة هتلر للحرب وإندثاره مرحلة رمادية واحلاماً طوباوية لا أساس لها على أرض الواقع. بإنقضاء تلك المرحلة، كانت الطريق بالنسبة لألمانيا مفتوحة نحو منطقتنا العربية، لكن ظروف هزيمتها وتدميرها وإنقسامها الفوري إلى قسمين شرقي وغربي، وضغط الحرب الباردة عليها فوت عليها فرصة إستغلال تلك الإنعطافة نحونا. إن إستمرار الحرب الباردة بحدتها وقساوتها ووضع أعباء دولية أميركية أولاً وأوروبية على ألمانيا الإتحادية منعها من رسم سياسة شرق أوسطية عربية يتيح لها التمتع والإستفادة من مكانتها المتصاعدة وتطور قوتها ونظرة العرب الإيجابية إليها، تلك النظرة المختلفة تماماً، عن نظرتهم إلى الأميركيين والأوروبيين. فليس بين العرب وألمانيا ثأر تاريخي وعداوات قديمة. وكان خروجها من الحرب العالمية الثانية، بخسائر فادحة، سبباً لبروز عطف إنساني عليها عالمي وعربي بشكل خاص، إنها كانت بعيدة عن المناورات والسياسات التآمرية التي دفعت حركة الفرنسيين والإنكليز طوال القرن العشرين تجاههم.

شكلت خمسينيات القرن المنصرم وما شهدته منطقتنا العربية من صراع مع الغرب جسده صعود نجم جمال عبد الناصر والهجوم العسكري عليه في حرب السويس عام 1956م من جانب الحلف الإسرائيلي الفرنسي الإنكليزي فرصة لألمانيا الغربية للإقتراب من العرب والحلول مكان هذا الحلف".

لكن هذه الفرصة كانت فقدت أرضيتها وعناصرها الممهدة لنجاحها. فقد إندرجت في تفاصيل الحرب الباردة ما أفقدها مبادرتها للإستفادة من مجريات الصراع على نحو إيجابي. مع ذلك فقد بنت لها علاقات تجارية واسعة بفضل مكانتها الصناعية المتفوقة ونوعية إقتصادها المتطور. في هذا المجال، كان بإمكانها أن تكسب أكثر بكثير في علاقاتها هذه لولا وقوف اللغة الألمانية بصعوبتها وفرادتها وهيمنة الثقافة الأميركية والأوروبية الفرنسية كعائق جدي أمامها وهذه مهمة مستقبلية أدركتها وبدأت تحلها عبر توسيع مداها الثقافي واللغوي في الإعلام والصحافة والتبادل التجاري والصناعي.

أدى إستمرار الحرب الباردة وإحتدام الصراع العربي الإسرائيلي إلى إستحضار حرب عام 1967م. في هذه الحرب وما سبقها من تطورات تضافرت جملة من العوامل دفعت العرب لقطع العلاقات معها. وقد تبين إستمرار وجود هذه العوامل التي تبعدها عن التقاط المفاصل اللازمة لإقامة علاقة وثيقة معهم.

كانت حقبة سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وما تخللها من محاور وإنقسامات في الصف العربي، ملائمة لألمانيا الإتحادية، كي تطور علاقاتها بالعديد من الدول العربية التي تحمل نفس سمات تلك المرحلة السياسية.

بعدها جاء إنهيار الإتحاد السوفياتي في العام 1990م وقبلها تفكك معسكره ليشكلا فرصة تاريخية لألمانيا من أجل توحيد جزئيها المقسمين، وقد فعلتها في عهد هلموت كول وكان ذلك نقطة تحول حاسمة لها بالنسبة لعلاقاتها مع العالم والعرب بخاصة، ذلك أن جملة التحولات والتغيرات التي حصلت على المستوى العالمي كله أتاح لها إمكانية موازنة علاقاتها من جديد مع تلك الدول.

اليوم الطريق أصبحت مفتوحة أمامها بإتجاه الشرق الأوسط وكذلك الأمر بالنسبة للعرب فأمامهم فرصة للإستفادة من هذا الواقع لتطوير أحسن العلاقات معها.

ويبدو أن مسألة تسوية القضية الفلسطينية المأزومة على المستوى العام والتي أصبحت وكأنها في عنق الزجاجة بمسؤولية دولية سيفسح في المجال لألمانيا من التحرر نسبياً من هذا العبء والإلتفات إلى تطوير علاقاتها مع كل العرب معتمدة على سياسة خاصة بها تتيح لها لعب دور إيجابي لحل العديد من المشكلات والأزمات الإنسانية إجتماعياً وبيئياً وصحياً وإقتصادياً.

وسيكون مناسباً لمعظم الدول العربية السير في إتجاه تطوير العلاقات مع ألمانيا ولو جاء هذا التطوير على حساب الأوروبيين والأميركيين. فهم يدركون أهميتها الأوروبية ودورها القيادي على تلك الساحة، كما أنهم سيكسبون من الإتجاه إليها، عبر التخفيف والتحلل من الإلتزامات الملقاة على عاتقهم من قبل الأميركيين. صحيح أن سياسة العولمة وقوانينها، كما إرتباط ألمانيا الوثيق بالسياسة الأميركية وقيادتها للغرب، سيؤديان بها إلى عدم الإستفادة مباشرة من تطلع العرب اليها نظراً لتشابك المصالح الغربية ككل، لكن كسباً ما ونتائج غير مباشرة سيحصدها الألمان والعرب معاً من هذا التطلع وذلك الإقتراب.

ملاحظة اخيرة لا بد من ذكرها في خاتمة هذا الكتاب عن ألمانيا والعرب. فلقد برز في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2012 تطور مهم على صعيد الأمم المتحدة خاص بفلسطين من حيث إعتبارها عضواً مراقباً في هذه المنظمة الدولية، لا يحق له التمتع بحقوق العضوية المكتملة كالتصويت وغيره. وقد تعرض رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس (أبو مازن) إلى ضغوطات كثيرة كي لا يتقدم. بهذا الطلب، لكنه آثر عرض قضيته للإستفتاء الدولي.

النتيجة جاءت موافقة غالبية الأعضاء على القرار القاضي بقبول الدولة الفلسطينية في عداد الأعضاء المراقبين. وقد إمتنعت حوالي الأربعين دولة عن التصويت بينها ألمانيا وإنكلترا ومعارضة سبع دول على رأسها إسرائيل والولايات المتحدة هذا القرار التاريخي.

المفاجأة كانت بالموقف الألماني والبريطاني وإنحياز فرنسا إلى الموقف الدولي الداعم لمنح فلسطين هذه الصفة.

تعليقي على ذلك، هو أن ألمانيا وعلى الرغم من إستمرارها بالإنسجام التام مع

السياسة الأميركية، غير أنها ستتابع سياستها ونهجها الخاص بعملية التسوية الشاملة للمسألة الفلسطينية، وفقاً للمسار الذي إتبعته وشرحته مسبقاً لدى الكلام حول هذا الأمر.

وإن ما حدث لن يثنيها عن مواصلة نهجها التسووي الأيجابي. حول موقف ألمانيا وأميركا وبريطانيا هذا، حول هذا الأمر كتب الصحافي جهاد الخازن في جريدة الحياة (2012/12/2) الآتي: "أيدت باراك أوباما في ولاية ثانية وأمرت أعضاء أسرتي من حملة الجنسية الأميركية بإنتخابه، إلا أنه لم يخرج من الإنتخابات بعد، ومعارضته عضوية فلسطين سببها محاولة تخفيف حدة عداء اليمين الأميركي لبرنامجه الإقتصادي، وسفيرته لدى الأمم المتحدة جيدة أؤيدها وزيرة للخارجية إلا أنها لإسترضاء اليمين الذي يعارض ترشيحها باعت فلسطين من دون أن تكسب شيئاً..

بريطانيا وألمانيا أسوأ كثيراً، فالإستعمار البريطاني هو الذي مهدّ لوصول اليهود إلى فلسطين، وجرائم النازية ضد اليهود دفعنا ثمنها نحن من أرضنا ودمنا. بل أن ألمانيا دفعت تعويضات لليهود ما مكنّهم من بناء دولة في أراضي الفلسطينيين اليوم بقي أن يدفع الألمان تعويضات للاجئين الفلسطينيين فجرائم آباء حكام ألمانيا الحالية مسؤولة عن مصيبتنا باليهود.

وختم الخازن قائلاً: "أقول ان الملك السعودي عبدالله قادر على أن يعاقب الولايات المتحدة لمعارضتها المقعد الفلسطيني وبريطانيا وألمانيا لإمتناعهما عن التصويت وهما معاً مسؤولتان عن المصيبة. العالم كله مع دولة فلسطين المستقلة".

أنا أرى أن الثواب والعقاب هما من مسؤولية المجتمع الدولي كله. والسياق التاريخي للمسار المستقبلي يشي بأن مواقف هذه الدول بدأ بالتحول لصالح القضية الفلسطينية، طالما أن الضغط الدولي مستمر والنضال الفلسطيني لم يتوقف من أجل الوصول بهذه القضية إلى مواقع متقدمة.

يبقى القول أن ألمانيا، في سياق تطورات المسألة الفلسطينية الإنعطافية، ومهما حاولت الموازنة مع المسار الأميركي تجاه هذا الأمر ستكون مضطرة، بشكل أو بآخر، على حثّ الأميركي ودفعه لإتخاذ مواقف مستقبلية تكون منسجمة مع التيار العالمي الغالب الذي قرّر تكريس مبدأ الدولتين وتنفيذ كل القرارات الدولية.

المراجع

كتب بالعربية

- أبـو ركبـة، سـمير: السياسـة الألمانيـة تجـاه القضـية الفلسـطينية، رام الله، 12 حزيران/يونيو 2011.
- البنّا، جمال: ظهور وسقوط جمهورية فايمار، مأساة التخبط في إتخاذ المواقف، مطبعة حسان، القاهرة، 1977.
- الأسعد، صادق: ألمانيا في الشرق الأوسط، نشاط غير عادي وأهداف بعيدة المدى.
- العقيقي، نجيب: المستشرقون.
- السيّد، رضوان: مصائر الإستشراق ونهاياته، بيروت.
- باريت، رودي: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ نولدكة) 1901-1982، ترجمة: مصطفى ماهر، ط.1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت 1967.
- بـدوي، عبـد الـرحمن: موسـوعة المستشـرقين، ط2، دار العلـم للملايـين للطباعـة والنشر، بيروت 1989.
- بوزورث وشافت، تراث الإسلام (القسم الأول) ترجمة د.محمد زهير السمهوري، تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى، مراجعة: د. فؤاد زكريا (عالم المعرفة -8).
- بعلبكي، منير: موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.
- ديتريش، ألبرت: المستشرقون والدراسات القرآنية (نقلاً عن الدراسات العربية في ألمانيا) محمد حسين على الصغير، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع 1983م.

- زكّار، سهيل: تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، دار الفكر، ط3، بيروت 1977م.
- رستم، أسد: بشير بين السلطان والعزيز 1804-1841م، ط2، بيروت 1966م.
- رياض، محمد: الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكية، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- د. سوذرن، ريتشارد (R. W. Southern)، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى: ترجمة وتقديم د. رضوان السيد كتاب الفكر العربي، عدد7، ط1، بيروت معهد الإنماء العربي 1984م.
- د. جحا، ميشال: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا – معهد الإنماء العربي، بيروت ط1، 1982.
- سعيد، إدوارد: الإستشراق، المعرفة – السلطة – الإنشاء نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1981 بيروت.
- سورديل دوفيك: (D. Sourdel) ترجمة د. علي مقلد، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983م.
- د. سنو، عبد الرؤوف: المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين (1841-1901) معهد الإنماء العربي، ط1، بيروت 1987م.
- د. سنو، عبد الرؤوف: أوروبا والشرق الأدنى (1920-1973) مجموعة باحثين، منشورات الجامعة اللبنانية (عدد 45).
- د. سنو، عبد الرؤوف: صراع الدولتين الألمانيتين في لبنان اثناء الحرب الباردة محاضرة ألقيت في بيروت في معهد غوته، ربيع 1999م.
- د. سلامة، غسان: السياسة الخارجية السعودية منذ عام 1945م، بيروت، معهد الإنماء العربي 1980م.
- شرر، وليم: نهوض وسقوط الرايخ الثالث، ترجمة خيري حماد، بيروت 1963م.

- شيمل، آنا ماريا: شرق وغرب: حياتي الغرب-شرقية، ترجمة د. عبد السلام حيدر (المشروع القومي للترجمة القاهرة 2004).
- غرايبة، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م، القاهرة.
- عرابي، عبد القادر: ألمانيا الغربية في الشرق الأوسط، دار الطليعة، بيروت 1986م.
- عتيق، وجيه: السياسة الدولية 1961/62 وخفايا العلاقات المصرية الألمانية 1952-1965م، القاهرة 1999م.
- د. قاسمية، خيرية: النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط وصداه 1908-1918، بيروت 1973.
- خميس، خلود محمد: العلاقات العراقية الألمانية وآفاق تطورها، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز الدراسات العربية، بيروت 2007م، عدد 13.
- قاسم، عبده: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة عدد 149.
- د. كيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية الجزء الأول، الثاني، الثالث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1977، 1978، الموسوعة المعرفية الحرة الشاملة (ويكيبيديا)
- د. محافظة، علي: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1945-1919، مركز الوحدة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985م.
- د. محافظة، علي: العلاقات الألمانية الفلسطينية 1945-1941، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1981م.
- هيرزويز، لوكاز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة أحمد عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة 1968م.
- هسّي، هيرمان: قصائد مختارة ترجمة فؤد رفقة، دار نلسن للنشر، بيروت 2009م.

- الطباوي، عبد اللطيف، المستشرقون بالإنكليزية، ترجمة د. قاسم السامرائي، المملكة العربية السعودية، 1991م، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- د. سنو، عبد الرؤوف: (مجموعة باحثين) العروبة والقرن الحادي والعشرين، إصدار تيار المستقبل، ط1، بيروت 2009م.
- د. سنو، عبد الرؤوف: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. إصدار دار الفرات للنشر – بيروت ط.1، 2007.

كتب بالأجنبية

- Prof. Dr. Falkenstein Adam: Denkschrift zur Lage Orientalistik, Franz steiner Verlag, GMBH, Wiesbaden, 1960 Deutsche Forshungs gemeinschaft
- Hammer, Karl: Wettmission und Kolonialismus, sendung sideem des 19 Jahrhundert Konflikt, Mūnchen 1978
- Browing, John Honlered Viscount palmerston (=BPP, No,21) London, 1840
- Pfulman Uwe, Die deutsch – Saudischen Beziehungen
- H. Tillman: Deutschlands Araber politik Berlin 1968
- Kinan Jager, Quadratur des Dreicks, Die deutsche israelishen Bezieungen, und die palāstinenser, 1967-1989
- Schwalbach/ts, 1977, Frank Walxel 2006, Das Nahost Dilemma
- Deutschlands aussen politische Eliten und ihre Rolle Konfik manegement Wahrend der ersten und Zweiten Infifada-Johan Wolfgang Goethe University, Frankfurt
- Henry Smith, the Protestant Bishopric in Jerusalem, its Origin and progress, London, 1847
- Kenneth Scott Latourette, A History of the Expansion of Christinity 1800-1914 London
- Encylopaedia of Religion and Ethics, editor James Hastings, Vol VIII, Ny 1951
- Koriman Michel, Quand L`Allemagne pensait le monde (France, paris Fayard, 1990)

- La geopolitique Les relations internationales IRIS (Institut De Relations internationales et strategiques pascal Boniface ,paris 2012)
- Johann Kobber op. cit.
- Akten zur Deutschen Auswartigen politik 1918-1949 serie (D. Bd10, Frankfurt)
- Wolffsohn, Michael German-Saudi Arabien arms Deals 1936-1939, Frankfurt, 1985
- The study of Arabic and Islam at German Universities, Rudi paret, German Orientalists since Theodor Noldke, Franz Steiner Verlag (GMBH) Wiesbaden 1968

صحف ومجلات ومواقع إلكترونية بالأجنبية

- مجلة "التايم" الأميركية The Time
- سوددويتشه تسايتونغ الألمانية Sūddeutschezeitung
- بيلد تسايتونغ الألمانية Bild Zeitung
- مجلة در شبيغل الألمانية Der Spiegel
- مجلة شترن الألمانية Stern
- دي فيلت الألمانية Die Welt
- المركز الألماني للإعلام (ألمانيا info) وزارة الخارجية الألمانية
- موقع مؤسسة غيردا هينكل Gerda Henkel
- نشرة مركز غوته الثقافي الألماني (بيروت) Geothe Center
- ترجمات وإصدارات المعهد الشرقي الألماني (بيروت)
- مجلة فكر وفن Fekr wa Fan
- إذاعة ألمانيا دويتشه فيلله بالعربية (D,W) Deutsche Welle

صحف ومجلات ومواقع إلكترونية بالعربية

- صحيفة "السفير" اللبنانية
- صحيفة "الأخبار" اللبنانية
- صحيفة "النهار" اللبنانية
- صحيفة "الأهرام" المصرية
- صحيفة "المقطم" المصرية
- صحيفة "حريات" السودانية
- سبلة عمان (صحيفة إلكترونية)
- تونس الإلكترونية
- مجلة عالم المعرفة الكويتية
- وكالة "كونا" الكويتية
- موقع قناة الجزيرة التلفزيوني
- مجلة جامعة دمشق المجلد 26- العدد الثالث + الرابع 2010
- صحيفة الشروق التونسية
- الإقتصادية الليبية الإلكترونية
- صحيفة "الحياة"
- مجلة الفكر العربي (بيروت) معهد الإنماء العربي
- صحيفة "الصحافة" السودانية
- صحيفة "أخبار السودان"
- وكالة الأنباء السودانية "Sudan news agency"

المحتويات

تعيش ألمانيا، نهضة إقتصادية مشهوداً لها، وصعوداً سياسياً جعل منها رقماً صعباً في المنظومة الأوروبية.

هذا الكتاب هو محاولة لدراسة العلاقات الألمانية - العربية من حيث التأثير والفعالية، كما الشراكة الإنسانية والمصالح والجدوى الثقافية والإقتصادية والسياسية. إن الهدف من هذه الدراسة هو تتبع المسار التاريخي لتلك العلاقة لكشف أبعاد السياسة الألمانية في المنطقة وإستشراف آفاقها المستقبلية. تلك الأنشطة التي إبتدأت تبشيرية دينية ثم إنتهت بتعددية إبداعية معاصرة في زمن العولمة الجديد.

على هذا الأساس، كان إعداد كتاب عن ألمانيا والعرب، بما تضمنه من معلومات وإحصاءات وحقائق، جاءت في مجملها حديثة وموضوعية، مسألة إستحقت التحقيق والجهد لتكون عملاً مطبوعاً يُضاف الى المكتبة العربية، فيستفيد من وجوده مجمل المهتمين والباحثين الألمان والعرب والدارسين ورجال الأعمال وشرائح متنوعة في مجتمعنا العربي والإسلامي.

ويأتي في نهاية الكتاب الحديث حول الرد على سؤال مفاده: هل ينحاز العرب لتطوير العلاقات مع ألمانيا على حساب الأوروبيين والأميركيين أم تماثلاً معهم؟

أما الخاتمة فقد تم خلالها تقييم آفاق علاقة العرب بالألمان: الإخفاقات، المكاسب والنجاحات... المآل والآمال!



دار نلسن